

الأوقاف الإسلامية والمستشفيات في القدس

الأبعاد التاريخية، مصادر التوثيق
والتراث المقدسي المهمل



(٢٠١٤/٣)

سلسلة «القدس في الضمير»

الأوقاف الإسلامية والمتاحف في القدس

٢

الأبعاد التاريخية، مصادر التوثيق والتراث المقدسي المهدد

مراجعة وتحرير وتقديم
الأستاذة الدكتورة هند غسان أبو الشعر

مركز الفكر العربي

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ISBN 978-9957-417-43-7 (ردمك)

الأوقاف الإسلامية والتراث المسيحي في القدس

الأبعاد التاريخية، مصادر التوثيق
والتراث المقدسي المهّد
الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الإشراف العام
د. الصادق الفقيه

مراجعة وتحرير وتقديم
أ. دة. هند غسان أبو الشعر

التسيق والمتابعة
كايد هاشم

الإخراج الفني
ميساء خلف

أمانة السرّ
مي الحلّة

تصريح التسجيلات
نسرین مصفر

عنوان الكتاب من خطوط
الخطاط صالح نسب

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/٩/٤٤٤٥)

٢١٤,٣

منتدى الفكر العربي

الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس: الأبعاد التاريخية، مصادر
التوثيق، والتراث المقدسي المهّد/منتدى الفكر العربي.-عمّان: منتدى
الفكر العربي، ٢٠١٤

() ص.

ر.إ.: ٢٠١٤/٩/٤٤٤٥.

الواصفات: /الأماكن المقدسة//المسجد الأقصى//الكنائس/

* يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-417-43-7

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل
إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.

مَشَارِكَةُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

ص.ب: ١٥٤١ عمان ١١٩٤١ الأردن - تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ - ٥٣٣٣٦١٧ - ٥٣٣٣٧١٥ (+٩٦٢-٦) - فاكس: ٥٣٣١١٩٧ (+٩٦٢-٦)

E-mail: atf@atf.org.jo - URL: www.atf.org.jo



المنتدى العربي
الاقتصادي والاجتماعي للتعاون



المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة



المنتدى العربي
للإتجاه والإتقاء

برعاية صاحب السمو الملكي
الأمير الحسن بن طلال المعظم
المؤتمر العلمي الدولي
الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس



عمان ٢٥-٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣



البنك التجاري الأردني
Jordan Commercial Bank



بنك الإسكان
Housing Bank

البنك الإسلامي الأردني



بنك الاتحاد
Bank al Etihad
البنك العربي للتجارة



شكر وعرفان إلى الحاج زكي الغول

رسوم الغلاف: عن كتاب (أرض الذكريات - سورية، لبنان، فلسطين، الأردن/ رحلة الدكتور لورتيت، عميد كلية الطب في ليون بفرنسا ١٨٧٥ - ١٨٨٠م)، ترجمة: حميد شلق. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

شكر وعرفان إلى



إيسيسكو
المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة



الصندوق العربي للإنماء
الاقتصادي والاجتماعي/الكويت



اتحاد الجامعات العربية



جامعة البتراء

البنك الإسلامي الأردني



بنك الاتحاد
Bank al Etihad
الخير المشرق

البنك التجاري الأردني
Jordan Commercial Bank



بنك الإسكان
Housing Bank

الحاج زكي الغول

landmark
AMMAN HOTEL & CONFERENCE CENTER

المحتويات

- مقدمة (أ.د. هند غسان أبو الشعر) ٩
- كلمات الافتتاح ١٢
 - كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم (خلاصة)
 - مقتطفات
- جهود الدولة العثمانية في حماية المؤسسات الوقفية في القدس عهد سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) نموذجاً
أ.د. فاضل بيات ٢٢
- مجموعة الوثائق والسجلات الخاصة بالقدس والموجودة في الأرشيف العثماني لرئاسة الوزراء التركية
د. جنكيز تومار ٤٥
- الوقف الإسلامي في مدينة القدس وأكنافها
أ.د. محمد هاشم غوشه ٥٢
- وقضية أبي مدين الغوث في مدينة القدس (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)
د. محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي ٧١
- إدارة الوقف في القدس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين
د. زهير غنايم ١١٥
- دور نظام الوقف في مدارس بيت المقدس مطلع العهد العثماني
أ.د. هند غسان أبو الشعر ١٤٧
- أوقاف النقود في القدس في القرن السابع عشر الميلادي (١٦٠٠ - ١٧٠٠م)
د. زياد عبد العزيز المدني ١٨١
- البُعد التاريخي للأوقاف الإسلامية في القدس الشريف
مديرية عموم أوقاف القدس ١٨٤٣-١٩٤٨م ودورها في خدمة وتوثيق أوقاف فلسطين
د. نائلة الوعري ١٩٧
- أوقاف الكنائس المسيحية في القدس
د. رؤوف أبو جابر ٢٢٩
- موجز لتاريخ أوقاف الكنيسة الأرثوذكسية (أم الكنائس) في القدس
أ. باسم فراج ٢٤٧

- الأوقاف المسيحية الكاثوليكية في القدس
المطران مارون لحام ٢٥٣
- الأوقاف الأرمنية في القدس
المطران ستيفاد غاربيان ٢٧١
- لمحة عن بعض الأوقاف القبطية في الأراضي المقدسة
الأنبا أبراهام (قدمها بالإناية: الأب ميخائيل ثابت) ٢٨٥
- لمحة عن الكنيسة الأثيوبية في القدس
أ. ستالين جبيرسيلاس ٢٨٩
- هجرة المسيحيين من القدس خلال الفترة من ١٩٤٨ - ٢٠١٢م (الأسباب والمخاطر)
د. جورج فريد طريف الداوود ٢٩٣
- مدينة القدس القديمة وأسوارها في لجنة اليونسكو للتراث العالمي
د. ريتا عوض ٣١٥
- الانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة وما حولها
أ. د. معاوية إبراهيم ٣٤٧
- مشروع توثيق مدينة القدس القديمة
تقديم: المهندسة روان العطور ٣٨٩
- الملاحق
- خلاصة توصيات مؤتمر «الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف» ٣٩٩
- برنامج المؤتمر ٤٠٧
- اللجنة التحضيرية للمؤتمر ٤١٥
- قائمة المشاركين بالمؤتمر ٤١٦
- من ألبوم المؤتمر ٤١٩
- مطبوعات المنتدى ٤٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أ.د. هند غسان أبو الشعر*

يشكل موضوع الأوقاف في القدس الشريف مفصلاً رئيساً من مفاصل تاريخ المدينة المقدسة، إذ إنّ تاريخ الوقف يوثق لكل جوانب تاريخ القدس منذ أن دخلها المسلمون فاتحين، بحيث لا يمكن للدارس أن يتناول تاريخ القدس وجوارها دون العودة لمصادر وسجلات الوقف، التي تشكل مصادر على درجة كبيرة من المصداقية، تؤرخ للحياة الاقتصادية والاجتماعية وواقع حال الحياة الإدارية، ولكل جزئيات الحياة اليومية التي تؤكد عمق الوجود العربي منذ أكثر من خمسة عشر قرناً من عمر الزمان، ومن هنا، كان اختيار المنتدى لهذا المحور بتوجيه من سمو الأمير الحسن بن طلال، موفقاً ومدروساً، لأنه يفتح باب البحث المعمق، ويضع الأساس لمؤتمرات لاحقة تستند إلى محور الأوقاف، وتضيف الجديد للجهود السابقة التي قدمتها المؤتمرات والندوات الأكاديمية أو التي أقامتها المؤسسات التي تختص بشؤون المدينة المقدسة.

يشكل فتح ملف الأوقاف في القدس حالة من الرد على الفكر الصهيوني المتشدد والممارسات الإسرائيلية لمحو ذاكرة المكان والأهالي في القدس، ومحو الذاكرة المنظم هو الخطر الحقيقي الذي يواجه القدس وجوارها تحديداً، والذي يعمل على إقصاء ذاكرة الأجيال وتحييدها ومحاولة إحلال هوية غير حقيقية، ولا أبلغ إن قلت بأن سجلات الأوقاف المقدسية هي الرد الدامغ على هوية المكان وفعاليات أهاليه

* أستاذة التاريخ في جامعة آل البيت، وعضو منتدى الفكر العربي/الأردن.

من العرب منذ العهد الأيوبي، مروراً بالعهد المملوكي واستمراراً للعهد العثماني مع عام ٩٢٢ للهجرة/الموافق ١٥١٦م، وحتى نهايته عام ١٣٢٧ للهجرة/١٩١٨م، وانتهاءً بالعهد الوطني، مع حكومة فيصل بن الحسين في دمشق، ووصولاً إلى وحدة الضفتين، وتولى الأسرة الهاشمية الوصاية على الأماكن المقدسة. هذه العهود المتلاحقة الطويلة تحفظها السجلات الوقفية، وتثبت من خلالها هوية القدس وجوارها، وهي كما نراها الورقة الرابعة التي ما زلنا نحفظ فيها، رغم أننا نفقد الأرض والممتلكات، والأخطر من هذا، مواجهتنا لنزيف الهجرة المقدسية إلى العالم الغربي، وتحديدًا أهالي القدس من المسيحيين، بحيث أصبحت هذه الهجرة المتنامية الهاجس المخيف الذي يفرغ القدس من أهاليها، ويفسح المجال للمشروع الصهيوني ليمدّ أذرعه الأخطبوطية مع الجدار العازل لتهود المدينة وتميرير الخطوات المرسومة بعناية وتصميم لتنفيذ المخطط الصهيوني البشع بالإقصاء والتهود.

جاءت محاور هذا المؤتمر مدروسة بوعي، بحيث تم فيها التعريف بمصادر التوثيق للأوقاف سواء أكانت إسلامية أم مسيحية، وربما كانت المرة الأولى التي يدرس مؤتمر متخصص بالأوقاف أوقاف المسيحيين في القدس للطوائف كافة، وهذا التوجه يجعلنا نتمنى أن يتم مستقبلاً فتح السجلات الوقفية الكنسية لتمكين الباحثين من الدراسة المعمقة لهذه الأوقاف التي تؤكد استمرارية الوجود المسيحي في القدس وجوارها، مقابل أننا نجد مصادر الأوقاف الإسلامية متاحة للباحثين تمكننا من دراسة واقعها منذ العهد الأيوبي ومتابعتها حتى نهاية العهد العثماني، من خلال الحجج الوقفية التي حرص العثمانيون فيها على توثيق الحجج الوقفية الأيوبية ومن ثم المملوكية، ونحن نرى أن هذا يمكننا من تخصيص محور واسع وجديد للأوقاف المسيحية عبر تاريخ المدينة المقدسة الواسع والممتد، في مؤتمر قادم إن شاء الله.

تقدم الأوراق التي يشرفني أن أقدمها في هذا الجزء الخاص بالتوثيق من أعمال المؤتمر، تصورًا متنوعًا، ومع أن المرحلة العثمانية تغلب على تناول، إلا أن هذا عائد إلى توافر المواد والسجلات والوثائق، فهي متاحة للباحثين، منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وربما يمكن توجيه الدراسات القادمة نحو عهد وحدة الضفتين، الذي يمثل مرحلة غنية بالاهتمام بالأوقاف، وهو ما نطمح إليه لتكامل

المراحل والمجاور، ويبدو للمتصفح للأبحاث المنشورة هنا، أنها توثق لواقع حال أهالي القدس ولمرافق المدينة المقدسة وواقعها الجغرافي وتطور نظام الوقف وإدارته، ولم تغفل الأوراق دور المنظمات وتحديداً اليونسكو في الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة المقدسة، مع التركيز على الدور الأردني في هذا المجال، وتدق الأوراق ناقوس الخطر من تفريغ القدس وجوارها من أهاليها من العرب المسيحيين، وكل هذه الدراسات تتمتع بمصداقية يعودتها للمرجعيات والتزامها بالمنهجية المطلوبة.

وإذ يضع منتدى الفكر العربي أعمال هذا المؤتمر بين أيدي الباحثين والقراء حيثما يصل الحرف العربي، فإنه ليسرنا أن نشير إلى خطوة تترافق مع نشر هذه الأعمال، وهي ترجمتها إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، لنشر النتائج التي وصلت إليها أوراق المشاركين الذين يتمتعون بمصداقية كبيرة في البحث والعمل الأكاديمي والمؤسسي الخاص بشؤون المدينة المقدسة.

وختاماً، يسرني أن أثنى عالياً الدور الواعي الذي يقوم فيه راعي هذا المنتدى سمو الأمير العالم الحسن بن طلال، وأن أشكر جهود أمين عام المنتدى الدكتور الصادق الفقيه، ومساعد الأمين العام الأستاذ كايد هاشم، ولا يفوتني أن أنوه بالجهد الطيب الذي بذلته كلاً من الأختين مي الحلته وميساء خلف، في تصحيح وإخراج هذه الأبحاث بصبر وأناة. لهم مني جميعاً كل الود والتقدير.

وآمل أن تضيف هذه الأبحاث جديداً للجهود التي قدمت من قبل للقدس التي تجمعنا كلنا وتوحدنا محبتها، جمعنا الله في رحابها، ووهبنا نعمة العمل لصون هوية المدينة المقدسة بالفكر والقول والأعمال، إنه سميع قدير.

كلمات الافتتاح

(خلاصة ومقتطفات)

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم*

(خلاصة)

دعا سمو الأمير الحسن بن طلال إلى «صيحة عقل وضمير لإنقاذ القدس المحتلة بدعمها وتمكين مواطنها العربي وفق رؤية ناظمة للأولويات أمام الاعتداءات الإسرائيلية اليومية»، لافتاً إلى «الدور الهاشمي والشرعية الممتدة تاريخياً» و«وجوب احترامها ووضعها في المكانة السليمة».

وحذر سموه، من خطورة «انتهاكات الاحتلال ضد المدينة المقدسة ومخالفاته القانونية والدولية المتوالية منذ ضمها وتوحيدها بلدياً».

وأكد ضرورة «التقاطر الجمعي حول الصالح العام للأمة بعيداً عن المصالح الضيقة وغياب التنسيق واستكاف جهود أصحاب الأموال، بهدف تمكين وتفعيل المواطنة العربية في القدس المحتلة».

ورأى أن «المواطن في المدينة المقدسة، نتيجة ممارسات العرب والمسلمين، بات محروماً من كثير من الخدمات وأشكال الرعاية التي تفرضها الهوية المشتركة إذا أريد منه الحفاظ على الصمود والبناء».

وقال إن «حال المدينة اليوم يعدّ جزءاً من مآلات الضم المرفوض»، غير أن «الرفض الصادر عن عمّان أو القاهرة مختلف تماماً عن ذلك المنطلق من داخل الأراضي المحتلة».

وأشار إلى «تدمير الأملاك الخاصة المستمر يومياً في كافة الأراضي المحتلة، بسبب غياب أعمال الصيانة والترميم المناسبة والتي تستخدم ذريعة من قبل المعتدي».

ودعا إلى «الرصد المتفرد على الصعيد الإسلامي للوقوف على حجم المتغيرات الناتجة عن إقامة المستعمرات في القدس المحتلة، بما يعكس، أيضاً، المتابعة والاهتمام

* رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه.

اليومي أمام الشعب العربي الفلسطيني الذي يعاني من الاحتلال، من دون الاكتفاء بموقف الشجب والاستنكار فقط».

وتوقف عند ما اعتبره «غياب المشتركات الخلاقة المولدة للمبادرات ضمن أرضية واضحة لإعمار القدس»، متساءلاً عن «الزكاة المشروطة والإعمار في السبل والتكيا والزوايا وتحديث المكتبات بهدف تجسير الفجوة الرقمية ورصد الأضرار اللاحقة بالمقدسيين وبالحضارة العربية الإسلامية والإنتاج المقروء بفعل الظروف الطبيعية وعنصر الاحتلال».

ولفت إلى «تدمير أملاك الأوقاف الإسلامية والمسيحية وتجريدها من طابعها الديني»، منتقداً «تقصير بعض المؤسسات المعنية في نقل معاناة المقدسيين وأوضاع القدس المحتلة، والقيام بما هو مطلوب منها فعلياً».

وشدد سموه على أهمية «تقديم الدعم المادي والمعنوي والفكري للقدس المحتلة وفق رؤية ناظمة ومحددة للأولويات»، غير أنه أكد أن «الحديث هنا يخص المدينة المقدسة وليس مشاريع تجارية أو دخل محدود لفئة معينة من الناس».

ونوه إلى ضرورة «إيلاء الاهتمام بمدينة القدس الروحانية والجمالية وإحكام التناسق والتكامل بين المفاعيل التاريخية والحداثيّة والمعاصرة»، منبهاً إلى «خطورة استمرار الإهمال في هذه الجوانب».

وقال إن «مكانة هذه المدينة المقدسة الجليلة تتجلى باحتضانها للديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية المتعايشة زهاء ١٣ قرناً، بما يمثل تراكم ذخيرة غنية من الحقوق والتقاليد المتعارف عليها بهدف الوصول إلى شتى الأماكن المقدسة، داخل القدس وخارجها، بحرية ومن دون عوائق».

ولفت سموه إلى «العلاقات المسيحية الإسلامية التاريخية وضرورة رصدها توثيقياً»، ولكنه توقف عند ممارسات بعض الجهات المتطرفة باسم الإسلام والاقتيال الإسلامي المسيحي في إفريقيا الوسطى بأبشع صورهِ والاعتداءات الجارية على يد من يدعون الإسلام، والتي لا تقبل بأي منطق عقلاني».

وقدر أهمية «خروج اللقاءات المتخصصة عن مساهمات فاعلة لتطوير مشروع وفق الرؤية الناظمة والنظرة الاستشرافية بما يستحق من عناية مهنية متميزة»، معتبراً أن «البدية حتى لو كانت متأخرة أفضل من المكوث والبقاء على الأطلال».

وأكد سموه ضرورة وضع استراتيجية قابلة للتطبيق خلال المرحلة المقبلة للحفاظ على القدس المحتلة من اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي المتواصلة.

وقال سموه، إنه «من المهم إيجاد خطة موضوعية متوسطة المدى للمرحلة المقبلة»، شريطة «قابليتها للتطبيق على أرض الواقع»، من أجل دعم القدس المحتلة وإنقاذها من اعتداءات الاحتلال.

ولفت إلى حيوية «دور الأوقاف» في ذلك، ومدى إمكانية «الإسقاط الوقفي على أرض الواقع، بمعنى إيجاد خريطة علمية عملية موضوعية لإسقاط المواقع على الوقفيات، فيما يتعلق بمدينة القدس المحتلة».

وأشار إلى «وجود نحو ١٦٨٠ وقفاً إسلامية، و١٣٠ وقفاً مسيحياً في المدينة المقدسة»، متساءلاً عن الحد الفاصل بين إدارة الفضائين الديني والثقافي.

مقتطفات*

من كلمة الأمين العام لمنتدى الفكر العربي

الدكتور الصادق الفقيه

«إن منتدى الفكر العربي قدم نفسه ليكون حاضرًا دائمًا في كل قضية للقدس، فالقدس ليست قضية وقف جامد وليست قضية مبنى جامد، فالمبنى فيها مقدس كما هي مقدسة، والإنسان فيها معنيٌّ بهذه القداسة كما هي مقدسة، والأرض فيها مقدسة، وكل شيء فيها مقدس، ويجب أن ننظر إليها من خلال هذه السعة الكبيرة والمهمة التي خصّها الله سبحانه وتعالى أرضاً لكل الرسالات، فهي أرض ليست ككل الأراضي، ووقف فيها ليس ككل الأوقاف، إن الوقف معني بالحاضر كما كان معنيًا في الماضي، وهو معني قطعاً بالمستقبل».

* النصوص الكاملة لكلمات الافتتاح في الجزء الأول من هذا الكتاب الذي صدر بعنوان «الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس: الأبعاد القانونية والإنسانية»، ٢٠١٤.

«وعندما نتحدث عن الوقف اليوم في هذا المؤتمر الهام، لا نتحدث عن مبانٍ، وإنما نتحدث عن معانٍ مستمرة في حياتنا، وينبغي أن تكون مستمرة، بانية لحياتنا اليوم وغداً، فالقدس حالة خاصة وينبغي أن نتعامل معها باستمرار بهذه الخصوصية، فالأوقاف، كانت مسيحية أم إسلامية، ينبغي أن يكون لها دائماً العناية الخاصة، لهذا قررنا أن يكون هذا المؤتمر جزءاً من النشاط العام الذي ابتدأناه منذ سنوات، كما ذكرت آنفاً، حول القدس وللقدس ولإنسان القدس، لأننا نريد لإنسان القدس أن يكون فيها بوقفه وملكه وبوجوده الحقيقي في القدس، لا نستطيع أن نتحدث عن قدس لا وجود للمقدسين فيها، كما لا نستطيع أن نتحدث عن قدس والأملك فيها تسرق، والأوقاف فيها تسرق، والأراضي فيها تتقطع، والإنسان فيها يُشرد ويُهجر، فالقدس بإنسانها ووقفها ومبانيها وبكل معانيها، فهي قدس الأرض، كما هي قدس السماء.»

من كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

معالي الدكتور هشام الخطيب

«إن وجود الأوقاف والمحافظة عليها هو أساس في الوجود العربي في القدس، ومن هنا جاءت توجيهات سمو الأمير الحسن بن طلال بالتحضير لعقد هذا المؤتمر، وأنا شاكر لجهود سموه ومثابرته في هذا المجال وتوجيهاته لمنتدى الفكر العربي بأن يكون موضوع القدس الأساس في جهود المنتدى الآن وفي المستقبل، وإن شاء الله سيأتي المزيد من المساهمة من المنتدى في شؤون القدس والمحافظة على عروبتها.»

«أطلع إلى مساهماتكم الفكرية والبحثية المتميزة، والتي ستوثق جميعها باللغة العربية وستصدر في كتاب، وأمل بعد ذلك أن تترجم إلى اللغة الإنجليزية، وأيضاً إلى الفرنسية، وتصدر في كتب توثق الحقوق العربية الوقفية الإسلامية والمسيحية.»

من كلمة أمين القدس الشريف

الحاج زكي الغول

«القدس استبيحت بلا رادع وبلا مُدافع، ورد الفعل كأنه غير وارد. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، فعلىنا أن نفكر في هذا الأمر الإلهي برد الاعتداء بمثله، وعلى الأقل حالياً، لو بالسعي لنيل حقوق الفلسطينيين بقوة الحق والقانون الذي أعطى للفلسطينيين دولة على بقية أرضهم بعد سلخ جزءاً منها أعطاه لليهود في مشروع التقسيم الصادر عن هيئة الأمم المتحدة، في العام ١٩٤٧. فأين دولة الفلسطينيين هذه؟! وغير ذلك من القرارات الكثيرة التي نامت عن تنفيذها هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها تحت ضغط اليهود، وغياب المطالبة العربية الإسلامية بالتنفيذ.»

«أما موضوع هذا اللقاء حول (الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس) فهو أمر له أهميته وضرورته، لأن الأوقاف منذ صدر الإسلام حتى اليوم هي عبارة عن مؤسسات خيرية، متعددة الأهداف، تدعم مسؤوليات عديدة وهيئات إنسانية، تعليمية، غذائية، صحية، إسكانية، ودينية، وغيرها، وترصد العائدات التمويلية للمشاريع التي تقوم بإنشائها، كالمساجد وما يتبعها من مدارس لطلاب العلم، والوقف عليها وعلى الطلاب، وعلى المستشفيات وإداراتها، كما يعلمنا التاريخ عما كان من زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والأيوبيين، وأوقاف صلاح الدين الأيوبي والمماليك والعثمانيين وغيرهم إلى اليوم. وأغلبها أوقفت في أزمنة قديمة لم يكن خلالها وجود لليهود على أرض القدس، كما شهد بذلك طلب بطريك القدس صفرونيوس من الفاتح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يسكن اليهود القدس مع أهلها العرب.»

من كلمة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»

معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
(ألقاها بالإناابة معالي الأستاذ الدكتور صلاح جرار)*

«يكتسب هذا المؤتمر أهمية خاصة في ظل الظروف التي تمرّ بها الأمة الإسلامية اليوم، حيث تواجه تحديات عاتية أصبحت تهدّد هويتها الثقافية، ويواجه التراث الإسلامي عدداً من المخاطر الطبيعية والمناخية والكوارث، فضلاً عن المخاطر المتمثلة في أعمال النهب والسلب والتخريب، وهو الأمر الذي يحتم على الدول الأعضاء أن تنهض بمسؤولياتها تجاه هذه التحديات والمخاطر، وبخاصة في ظل تصاعد الاعتداءات المتوالية على التراث الحضاري العريق في فلسطين بعامة، وفي القدس بخاصة، بهدف تهويده أو تدميره أو سلبه ونهبه، وكذلك الحفريات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في محيط المسجد الأقصى المبارك. وقد أكدت «الإيسيسكو» في هذا الشأن، على أن المعالم الأثرية والأوقاف الإسلامية في مدينة القدس الشريف، هي مقدسات للأمة كلها لا يُقبل المساس بها، بأي حال من الأحوال.»

«وإيماناً من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بأهمية التراث الحضاري والثقافي الفلسطيني، والتزاماً بمسؤولياتها في حماية مظاهره المادية والفكرية وصيانتها، وبخاصة في ظل الظروف الحالية التي يتعرض فيها هذا التراث الإنساني لكل أشكال التدمير، والتخريب، والسلب، والنهب، والتهويد، فإنها تواصل جهودها، في ظل هذا المجال، بتوثيق السياسات والانتهاكات الإسرائيلية، وإعداد التقارير الفنية عنها التي تؤكد مخالفتها للاتفاقيات الدولية ذات الصلة.»

* أ.د. صلاح جرار: وزير الثقافة السابق، ونائب رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية؛ عضو المنتدى/الأردن.

«إن «الإيسيسكو» إذ تعرب عن رفضها الشديد للاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف، وتنديدها بما تتعرض له، فإنها حرصت على إدراج مدينة القدس الشريف على رأس قائمة التراث في العالم الإسلامي، في الاجتماع الثالث للجنة التراث التابعة لها، الذي انعقد في مدينة تونس العاصمة، في الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٢م، وذلك لحث المجتمع الدولي على التدخل للضغط على سلطات الاحتلال الإسرائيلي من أجل وقف أعمال الحفر المتواصل في مدينة القدس، وفي جميع المدن الفلسطينية، باعتبار أن ذلك انتهاك صارخ للمواثيق والمعاهدات الدولية ذات الاختصاص، ولقرارات لجنتي التراث العالمي «لليونسكو»، والتراث في العالم الإسلامي في «الإيسيسكو»».

«إن التحديات التي تواجه الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف تحتاج منا إلى تكثيف الجهود لحمايتها من التدمير والتهويد، والعمل على وضع استراتيجيات فعالة للمحافظة عليها. وسنواصل العمل معكم في هذا المضمار، بمشيئة الله تعالى، من خلال التنسيق مع الجهات الوطنية والدولية، بهدف الحفاظ على الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف، استشعاراً منا للمسؤولية الملقاة على عاتقنا جميعاً، للمحافظة على هذا الإرث الثقافي الكبير الذي يمثل جزءاً مهماً من تراث أمتنا الإسلامية المجيدة.»

من كلمة المشاركين

*
الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيات/تركيا

«نلتقي اليوم، نحن الباحثون، لنتناول جانباً من أهم الجوانب الحساسة في تاريخ المدينة المقدسة وهو «الأوقاف». وبصرف النظر عن التكرار الممل في بطون بعض الأوراق، إلا أن هناك ما يستحق التوقف عنده وإبرازه، فهناك أمور كثيرة بحاجة إلى كشف الغطاء عنها وأن الآوان أن نعمل جاهدين من أجله.»

* الخبير في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية «إرسىكا»، منظمة التعاون الإسلامي/ تركيا.

«لا نبالغ إذا قلنا أن معظم أراضى القدس، وما بنى عليها، كانت وقفاً على جهة خيرية، ولكن أين هي هذه الأوقاف؟ هل هناك من يخبرني عمّا حلّ بها؟ هل أصبحنا ندرس الأوقاف كأى حدث تاريخى أصبح الآن فى زمن كان؟»

«هناك وقفيات لأوقاف القدس لا تسعها المجلدات، وقفيات كلها مسجلة ومعظمها فى سجلات محكمة القدس الشرعية، وقفيات نمتلكها وهي تُعدّ سندات الطابو لأوقافٍ ندرسها ونعرف أماكنها بحدودها... ولكن نخشى أن نقول إنها اغتصبت من قبل العائلة الفلانية... نخشى أن نقول إن هذا المحل كان يوماً ما وقفاً للمسجد الأقصى أو الجامع العمري أو العمارة العامرة التي بنتها زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني.»

«فى الوثائق العثمانية أجد معلومات مفصلة عن قرى تمّ وقفها بالكامل لجهة وقفية فى القدس، ولكن الجهة الوقفية قُطعت أوصالها وامتدت أيدٍ لعينة إليها بعد أن تم بلع أوقافها... فأصبحت هي إلى جانب أوقافها فى خبر كان، أصبحت تتادينا نحن الباحثين لنكشف عنها ونطالب أصحاب القوى باستردادها، ولكن علينا نحن الباحثين ألا نجامل على حساب حقوقنا، نحن لم نكن وعاضاً للسلطين حتى نتزلف لأصحاب نفوذٍ جمعوا ثرواتهم بسرقة جهود أجدادنا.»

جهود الدولة العثمانية في حماية المؤسسات الوقفية في القدس عهد سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) نموذجاً

أ.د. فاضل بيات*

تمهيد

أعدت هذه الدراسة وفقاً لمعطيات الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة^(١) العثمانية، وهذه الأحكام عبارة عن رسائل صادرة من الديوان الهمايوني باسم السلطان إلى المسؤولين المحليين، ويُعدّ كل واحد منها أمراً سلطانياً يستوجب تنفيذ ما يرد فيه. وكانت القرارات التي تتخذ في الديوان الهمايوني تدوّن في دفاتر المهمة بعد مصادقة السلطان عليها، لتصدر على شكل رسالة باسم السلطان، ولفظة «المهمة» هنا اختصار لعبارة «الأمر المهمة». أما الديوان الهمايوني فهو أرفع مرجع رسمي في الدولة العثمانية، وكان يعقد اجتماعاته برئاسة الصدر الأعظم وبمشاركة كبار المسؤولين، ويُعنى بكل الأمور المتعلقة بالدولة. وتحفل دفاتر المهمة بمعلومات في غاية الأهمية تتعلق بكل مناحي الحياة في أرجاء الدولة العثمانية كافة. وقد وصلنا من هذه الدفاتر حوالي ٤٠٠ دفتر^(٢).

مما لا شك فيه أن المؤسسات الوقفية التي كانت قائمة في القدس في أواخر العهد المملوكي، واصلت وجودها ونشاطها في العهد العثماني، ولم تُلغ الدولة العثمانية أيّاً من

* باحث، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، (إرسिका) / استانبول.

(١) يحمل كل دفتر من هذه الدفاتر اسم «مهمة دفتري» أي «دفتر المهمة» وسنشير إليها في الهوامش فيما بعد بأسمائها الواردة على غلافها، أي ملحقاً بها أرقامها مثل «مهمة دفتري ٦»، وباستثناء دفترين محفوظين في طوب قابي سرايي، فإنها كلها محفوظة في مركز الأرشيف العثماني في استانبول.

(٢) عن دفاتر المهمة انظر: فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ٢٠٠٥م، ٩: ١، فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، إرسिका، استانبول ٢٠١٠م، ١: ش-ت.

هذه المؤسسات سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية، بل سعت جاهدة إلى المحافظة عليها، وإضافة موارد جديدة لها لديمومتها أو توسيعها حسب اللزوم، وذلك لارتباط عمل المؤسسات الدينية والخيرية واستمراريتها بهذه الأوقاف. فضلاً عن هذا، فقد أقام سلاطين الدولة العثمانية وأفراد العائلة الحاكمة ورجال الدولة والميسورون من الأهالي، أوقافاً بأسمائهم، ووقفوا لها موارد مختلفة. وقد تنوعت هذه الموارد الوقفية لتشمل قرى ومزارع وأراضٍ وأنهاراً ودكاكين ودوراً وحمامات وطواحين ومخازن وأحكاراً وكروماً وبساتين ونقوداً... إلخ. ولم يكن بالإمكان حصر هذه الموارد وجمعها والمحافظة عليها أو عدم تعرضها للضياع والاختلاس دون تنظيمها، وإذا كانت هذه الموارد ومجالات صرفها والشروط المتعلقة بها يتم إدراجها عادة في الوقفيات التي يعدها مسبقاً الواقفون وبكل تفاصيلها الدقيقة، إلا أن تنفيذ الشروط الواردة في هذه الوقفيات كان يتطلب تدخلاً من قبل الدولة كلما رأت أن هناك ما يستوجب ذلك، وكان على الدولة تنظيم شؤون المؤسسات الوقفية، للحيلولة دون تجاوز المعنيين بالوقف أو غيرهم عليه.

وكما هو معروف، فإن المشاكل التي تحصل في نطاق الأوقاف الذرية كانت أقل بكثير مما كان يحدث في الأوقاف الخيرية، فالأوقاف الذرية هي أوقاف عائلية، من الممكن حل المشاكل والخلافات الناجمة بشأنها بين أفراد العائلة المنتفعين منها ومن مواردها، فقد يكون الناظر والمتولي فيها الشخص نفسه، وهو المستفيد كغيره من أفراد العائلة منها ومن مواردها دون غيرهم، أي من خارج العائلة، إلا إذا شاء الواقف أن يضيف آخرين من خارج العائلة، كالخدم والعبيد والجواري، ولهذا يحرص على المحافظة عليها، لأنه لا يعتبرها إلا مجرد ملك صرف له ولعائلته يتصرفون بها إلى زوال نسلهم جيلاً بعد جيل إلى انقراض العائلة، فيتغير حينها وضع الوقف، الأمر الذي يمكن اعتباره «وقفاً أجلاً تنفيذه». أما الأوقاف الخيرية فوضعها مختلف، ونادراً ما يكون الناظر والمتولي شخصاً واحداً. وتتمثل مهمة الناظر بالإشراف على الوقف والمتولي بإدارته، ويعمل فيه العديد من العاملين يُحدد عددهم حسب نوعية الوقف وسعته.

وكانت المهمة الرئيسية للعاملين في الأوقاف الخيرية المحافظة على مواردها وديمومتها والحيلولة دون التجاوز عليها، ولم تكن الأمور المتعلقة بالأوقاف الخيرية تخلو من مشاكل مستعصية تستوجب أحياناً تدخلاً من جانب الدولة، من خلال مؤسساتها القضائية والإدارية في المنطقة، أو حتى من أرفع مؤسساتها في المركز.

الاهتمام العثماني بالمؤسسات الوقفية

حرصت الدولة العثمانية على أداء المؤسسات الوقفية لعملها على أتم وجه، ولما كان هذا العمل محدداً في الوقفيات، فقد سعت الدولة إلى فرض إرادتها، لضمان عدم الخروج على الشروط التي وضعها الواقفون، والواردة في هذه الوقفيات أو الإخلال فيها، وعدم التهاون في مهام العاملين في المؤسسات الوقفية، والعمل على حماية هذه المؤسسات والمحافظة على مواردها.

وكانت الدولة العثمانية تقوم، بعد انصواء المناطق والبلدان تحت حكمها، بإجراء عملية التحرير فيها. وأبسط تعريف لهذه العملية هو: مسح الأراضي وإحصاء السكان لتقرير الضرائب^(٢). وكانت معطيات هذه العملية تدوّن في دفاتر خاصة، أطلق عليها اسم «دفاتر التحرير» أو «الطابو»، مثل دفتر تحرير لواء القدس الشريف^(٤). وبإدئ ذي بدء كانت الأراضي بما فيها من مسقفات ووسائل الانتاج تدوّن في الدفتر إلى جانب أسماء المكلفين/المنتجين، ويتم تحديد مقادير الضرائب والرسوم المفروضة على هذه الوسائل الإنتاجية ومتعلقاتها، وتُذكر أسماء الأماكن التي يُخصص لها جزء من هذه الضرائب ومنها الأوقاف. وهذا يعني، أن الدولة كانت تخصص جزءاً من مواردها للمؤسسات الدينية والخيرية لتمكينها من أداء عملها. ويلاحظ أن الموارد المخصصة لمؤسسة من المؤسسات الوقفية لم تكن تنحصر على الأغلب في وسيلة إنتاج واحدة، بل في عدة وسائل، تتوزع أحياناً خارج اللواء أو حتى خارج الولاية، وهو ما سنتوقف عنده بشيء من التفصيل فيما بعد.

وكانت الموارد المخصصة للأوقاف تتوسع بمرور الزمن بإضافة موارد جديدة لها، الأمر الذي أدى إلى عدم تحمل دفاتر التحرير لمعطياتها لكثرتها، فذهبت الدولة إلى إعداد دفاتر خاصة للأوقاف، تدوّن فيها كل ما يتعلق بالأوقاف في مدينة معينة

(٢) للتفصيل يراجع: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، بيروت ٢٠٠٧م، ٧٥.

(٤) نشر الدكتور محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية خمسة مجلدات من هذه الدفاتر تحت عنوان «دفاتر طابو لواء القدس الشريف»، وصدرت ضمن منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي/ لندن، وطبعت في عمان بين سنتي ٢٠٠٥-٢٠١١م.

كالقدس مثلاً. وفي هذه الدفاتر لم يُكتَفَ بذكر اسم الوقف فحسب، بل تجاوز ذلك إلى ذكر الجهة التي يُخَصَّص لها المورد. وكانت الدولة العثمانية تسعى إلى إيصال هذه الموارد إلى جهاتها المحددة في الدفتر، وتتدخل كلما رأت أن هناك تجاوزاً عليها^(٥).

وطبقاً لما ورد في قانوننامه ولاية الشام لعام ١٥٤٨/هـ/١٥٥٥م وفي قانوننامه لواء صفد لعام ١٥٥٥/هـ/١٥٦٣م، فقد أعطت الدولة العثمانية الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين والقدس الشريف وخليل الرحمن من العوارض الديوانية، ومن التكاليف العرفية، ومن الأعشار، أي من كل ما له صلة بالرسوم والضرائب^(٦).

وينبغي أن نذكر هنا أن قيام العثمانيين بتسجيل ما يتعلق بموارد المؤسسات الوقفية في السجلات، أدى إلى المحافظة على هذه المؤسسات من التناول أو السيطرة عليها أو ضياعها.

تنظيم شؤون الأوقاف

كما أسلفنا، فإن الأمور والمهام المتعلقة بالأوقاف الخيرية لا يقوم بها شخص واحد، بل يؤديها أكثر من واحد، بدءاً من الناظر وثم المتولي وحتى أصغر عامل فيه، ويهمننا هنا الناظر والمتولي، أي المشرف والإداري. وكانت الأعباء الإدارية والتنظيمية للوقف تقع على عاتق المتولين، الذين كان معظمهم تحوم حولهم الشبهات عند تعرض أموال الوقف إلى السرقة، ولهذا عُيِّن في معظم المؤسسات الوقفية نُّظَّار للإشراف على إدارة الوقف، ومراقبة الأمور المتعلقة بها، أو استعويض عن الناظر بالقاضي. وكان القاضي يراقب المؤسسات الوقفية الواقعة في قضائه عن كثب، ويتدخل في شؤونها كلما اقتضت الضرورة ذلك. وكان يسند الوظائف بما فيها وظيفة المتولي إلى من يراهم أهلاً لذلك، إلا أنه كان مضطراً إلى مراجعة الديوان الهمايوني لإقرار بعض الأمور التي

(٥) انظر على سبيل المثال: مهمة دفتري ٣ ص ٤٢٧ حكم ١٢٧٥.

(6) Ömer Lütfi Barkan, XV ve XVI'ncı Asırlarda Osmanlı İmparatorluğunda Zirai Ekonominin Hukuki ve Mali Esasları, Birinci Cilt Kanunlar, İstanbul, 1943, 226-227, 230.

المسلمون في فلسطين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، باست محمد ابشرلي ومحمد داود التميمي، أوقاف وأملاك.

يستوجب عرضها عليه، ففي سنة ١٥٦٤م، راجع متولي العمارة العامرة التي أقامتها زوجة السلطان سليمان القانوني في القدس، وطلب توليته القمامة التي تم وقفها من قبل السلطان لتلاوة القرآن في مسجد قبة الصخرة بالقدس، وذلك جرياً على العادة، فصدر أمر سلطاني إلى قاضي القدس لتوجيه التولية إليه^(٧).

ومما يجدر ذكره هنا أن المتولي كان يعيّن بعض الأشخاص وربما القراء لتلاوة القرآن وذلك بعد التشاور مع القاضي. إلا أن متولي القمامة قام في عام ١٥٦٤م بإسناد الوظيفة إلى بعض الأشخاص دون أخذ رأي القاضي، مما أدى إلى امتعاضه من هذا التصرف، وقدم شكوى إلى الديوان الهمايوني، فصدر أمر بعدم توجيه الوظيفة دون علمه، وإيقاف المتولي عند حده عند قيامه بعمل مخالف لما اعتيد عليه^(٨).

ومن الأمور التي أولتها الدولة العثمانية اهتماماً كبيراً العمل على جمع موارد المؤسسات الوقفية وعدم ضياع أي شيء منها. وينبغي أن نشير هنا، إلى أن بعض الأوقاف المخصصة لمؤسسة دينية أو خيرية كانت كثيرة، ولا تجتمع في مكان واحد، أو منطقة واحدة، بل في أماكن ومناطق مختلفة، ولم يكن بمقدور المتولين أو الجبّاة أو العاملين في الوقف جمع هذه الموارد، ولهذا، لجأت الدولة إلى توظيف أفراد من الجيش الإنكشاري في هذا المجال، فكان يتم تنسيبهم بالتناوب لأداء الخدمة في مصالح الأوقاف، فعلى سبيل المثال، توزعت أوقاف العمارة العامرة في القدس في أماكن مختلفة من ولاية الشام، ولهذا نجد أن متوليها طلب من الديوان الهمايوني عدداً من أفراد الإنكشارية لاستخدامهم في مصالح الأوقاف، فأصدر الديوان حكماً باسم السلطان إلى كل من «بكلر بكي» أي والي الشام وأغا الإنكشارية فيها، لإرسال عشرة من أفراد الإنكشارية ليكونوا في خدمة الأوقاف المذكورة^(٩).

وطبقاً لما ورد في أحد الأحكام السلطانية العائدة إلى سنة ١٥٦٤م، فإنه كان يتم سنوياً وبأمر من السلطان توظيف ستة أفراد من إنكشارية الشام مع أمرهم، وعشرة أفراد من محافظي قلعة القدس، ليكونوا في خدمة الأوقاف عند الحاجة^(١٠).

(٧) مهمة دفترتي ٦ ص ٢٢ حكم ٦٧.

(٨) مهمة دفترتي ٦ ص ٩٣ حكم ١٩٣.

(٩) مهمة دفترتي ٢ ص ١٧٦ حكم ٤٨٤.

(١٠) مهمة دفترتي ٦ ص ٢٨ حكم ٥٧.

توفير المستلزمات اللازمة للمؤسسات الوقفية

كانت الدولة العثمانية لا تدخر جهداً في توفير المستلزمات اللازمة للمؤسسات الوقفية، وذلك لإكمال نواقصها وترميمها أو إصلاحها وإدامتها، وقد تلجأ إلى توفير هذه المستلزمات من ولايات أخرى بغية تمكين هذه المؤسسات من القيام بنشاطها في أسرع وقت. وقد تتدخل الدولة وبأرفع مراجعها من أجل توفير هذه المستلزمات، ويأتي على رأس هذه المراجع الديوان الهمايوني، وخير مثال على ذلك ما قام به الديوان عند بناء العمارة العامرة في القدس باسم زوجة السلطان سليمان القانوني المعروفة بـ (خُرْم سلطان)، والغاية من إقامة هذه العمارة تقديم الطعام مجاناً لطلاب العلوم الدينية والمحتاجين وأبناء السبيل. وعند المباشرة بالبناء في سنة ١٥٥٢م أصبحت هناك حاجة إلى مستلزمات بشرية من البنائين والنجارين، لاستخدامهم في البناء لعدم توافرهم في القدس، فلجأ المتولي إلى الديوان الهمايوني لاستصدار حكم سلطاني لأجل توفيرهم من الولايات القريبة، وبالفعل فاتح الديوان الهمايوني بكلي بكلي الشام لاختيار مَنْ يشهد لهم بالكفاءة من البنائين والنجارين وإرسالهم إلى القدس لإكمال بناء العمارة^(١١).

وكان الأهالي يحرصون إلى جانب الدولة على أداء المؤسسات الوقفية عملها على أتم وجه، ويطلبون من الدولة إزالة كل العوائق التي تعيق عملها، ففي سنة ١٥٦٤م أبلغ أهالي القدس الديوان الهمايوني، معاناة حمام النبي داود من قلة المياه مما يتسبب بتعطيله. وكان هذا الحمام من أوقاف قبة الصخرة، وكانت له آبار تتجمع فيها المياه في الشتاء، وبواسطتها كان يتم تشغيله، إلا أن مياه هذه الأنهار لم تكن تكفي لأكثر من شهرين ثم يتعطل الحمام، ولهذا لا يحصل من موارده للوقف إلا الشيء القليل. وكان أمير سنجق القدس وقاضيه طلباً تزويد الحمام بكمية من المياه الجارية إلى القدس، إلا أن الديوان الهمايوني تريث في اتخاذ قرار بتلبية الطلب، خشية من تأثير ذلك على حق الشرب للأهالي من هذه المياه. ولهذا طلب الاستفسار من أعيان البلاد عما إذا كانت هناك مياه زائدة ليتزود منها الحمام. وبالفعل تمّ استمراج آراء الأعيان، فأكدوا كفاية المياه للأهالي والحمام، فضلاً عن حصول الفائدة لوقف قبة الصخرة. ولهذا

(١١) مهمة دفترى، طوب قابى سرايى ٨٨٨ ص ٢٨٣ أ - ب ص ٣٠٩ أ.

أعد أهالي القدس محضراً قدموه إلى الديوان الهمايوني ناشدوا فيه الموافقة على تزويد الحمام بكمية كافية من الماء. وبالفعل نزل الديوان الهمايوني عند رغبة الأهالي، إلا أنه اشترط على أن لا يؤثر ذلك على حق الشرب للأهالي^(١٢).

وفيما يتعلق بالقناة المائية الجارية إلى القدس، فقد خُصّصت هذه القناة وقفاً لبعض المؤسسات الوقفية، وكان يدير أمورها أربعة أشخاص؛ وهم: الناظر، والكاتب، واثان لحفظ القناة، ويتلقون مخصصات مالية جراً قيامهم بالعمل. وكانت مياه القناة تكفي لإرواء القرى والمزارع المحيطة بها، إلى أن جرت المباشرة ببناء العمارة العامرة في القدس باسم زوجة السلطان سليمان القانوني، فتم سحب ما تحتاجه العمارة من الماء منها، فأصبحت مياه القناة لا تكفي لتلبية الطلب المتزايد عليها. ولهذا ذهبت الدولة العثمانية إلى إلحاق وادي الأبيار بهذه القناة، وخصّصت الأموال اللازمة لتنفيذ المشروع، إلا أن هذه الأموال لم تكف لإنجاز العمل، فقام أمين القناة المُكلف بتنفيذ المشروع بقطع المخصصات المالية المخصصة من وقف القناة لأرباب الوظائف. وكان بمقدور القناة المائية أن تدر موارد مالية عالية، لولا التجاوز الذي كانت تتعرض له من قبل ناظرها، إذ كان يقوم باستغلالها ويأكل مواردها رغم العروض المغرية لاستئجارها. ولم يكن الناظر وحده ممن يتجاوز على موارد القناة، بل أشارت أصابع الاتهام كذلك إلى رجال القضاء بالوقوف وراء الفساد الذي يشوب وقف القناة، وذكر أن ابن قاضي القدس السابق، أخذ مبلغاً كبيراً من الوقف بعد أن أجبر العاملين في القناة على تسليم محصول القناة إليه، ولهذا قام قاضي القدس بإبلاغ الديوان بالانتهاكات التي تحدث في وقف القناة، واقترح أن يتولى محافظ قلعة القدس نظارة القناة، وكاتبها شؤون الكتابة فيها، ويُعيّن العاملون الآخرون من منتسبي القلعة.

ولكل ذلك أصدر الديوان الهمايوني أوامره إلى والي الشام وقاضيه بالتحقيق في كل ذلك، والعمل على استرداد المال الذي أخذه ابن القاضي من موارد الوقف، كما أمر الديوان بتوفير ما يطلبه متولي العمارة العامرة في القدس من مستلزمات مادية.

(١٢) مهمة دفترى ٣ ص ٣٦٤ حكم ١٠٧٦، و ٦ ص ٥٥ حكم ١١٣.

توفير الأمن للأهالي العاملين في المؤسسات الوقفية

في الوقت الذي كان الديوان الهمايوني يسعى إلى توفير المستلزمات اللازمة للأوقاف، عمل جاهداً لتوفير الأمن والأمان للأهالي العاملين والساكين في المؤسسات الوقفية، وبضمنها القرى الموقوفة للأوقاف. وعلى الرغم من أن الدولة كانت مضطرة إلى توفير الأمن والأمان لرعاياها في كل أنحاء الدولة، إلا أنها أولت اهتماماً خاصاً بالأهالي العاملين في قرى الوقف، لأن تشغيل مصادر الوقف وبخاصة زراعة الأراضي الوقفية، كان يعتمد على العاملين فيها، وهؤلاء لا يمكنهم أداء عملهم إلا في ظلّ جو يسوده الأمن والأمان، ففي سنة ١٥٥٩م أرسل متولى العمارة العامرة في القدس رسالة إلى الديوان الهمايوني، اشتكى فيها بقيام مشايخ عشيرة المشاشقة بالاعتداء على أهالي قرية قاقون بلواء نابلس، وهي من أوقاف العمارة المذكورة، وإنهم يغيرون عليهم ويسلبون أرزاقهم وأموالهم. كما أن بعض العُصاة يغيرون على قرية جماسين بلواء نابلس، وهي من أوقاف العمارة المذكورة أيضاً، ويتجاوزون على الأهالي ويسلبون أموالهم، الأمر الذي أدى إلى جلاء الأهالي من هذه القرى، مما ترتب عليه إلحاق أضرار كبيرة بأموال الوقف. وما أن تلقى الديوان الهمايوني الشكوى، حتى أصدر حكماً سلطانياً إلى أمير نابلس بإيلاء الأمر الاهتمام التام، والقاء القبض على المتجاوزين على قرى الوقف، واسترداد الأموال المسلوقة منهم وتأديبهم، ولم ينس الديوان تحذير أمير السنجق من مغبة التدخل في شؤون الأبرياء خلافاً للشرع^(١٣).

والمتتبع لمعطيات الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، يلاحظ أن حماية الدولة للعاملين في الأوقاف لم تكن مقتصرة على حمايتهم من العشائر المعادية، أو قطاع الطرق والحرامية، بل تجاوزت ذلك لتكون عامة، حتى من مسؤولي الدولة، ففي سنة ١٥٦٤م أبلغ متولى العمارة العامرة في القدس الديوان الهمايوني أن عامل الخواص السلطانية في القدس وغزة يتجاوز على أهالي قرية السافرية الموقوفة للعمارة المذكورة، ويستولي على حبوبهم مدعياً أن أراضي هذه القرية داخلة ضمن حدود قرية خرمند المسجلة عشرها خاصاً. وطلب المتولي من الديوان الهمايوني التدخل لإعادة الأموال المسلوقة، وإيقاف المعتدين عند حدهم، إلا أن الديوان الهمايوني لم يتخذ أي قرار بهذا الشأن قبل أن يتأكد من الاتهام، إذ أصدر أمراً إلى أمير سنجق القدس

(١٣) مهمة دفترى ٣ ص ١٧٥-١٧٦ الحكم ٤٨٣.

وقاضيي القدس والرملة ليقوموا بتقصي الوضع، والتحقق مما زعمه عامل الخواص السلطانية بشأن الحدود الفاصلة بين القريتين، غير أن الديوان لم يتخل عن مسألة التجاوز على الرعايا، فطلب التحقيق فيه أيضاً، واتخاذ الإجراءات اللازمة بمقتضى الشرع، واسترداد ما ترتب عليهم من أموال شرعاً، ومنع التدخل في شؤون أي أحد خلافاً للشرع والقانون، وتأديب من لا يعبأ بالأمر^(١٤).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الديوان الهمايوني كان يترث دائماً في اتخاذ أي قرار بشأن القضايا المعروضة عليه، ومنها القضايا المتعلقة بالأوقاف، ويكلف كبار المسؤولين في الولايات كالبلكر بكى وأمير السنجق والقاضي للتحقيق فيها، أو يوفد مبعوثاً خاصاً لهذا الغرض، وكان يتوجس خيفة من الشكاوى الكيدية أو الافتراء والتلفيق، وخاصة ضد متولي الأوقاف، بغية تغييره في حالة تصديه للبعض عند قيامهم بأي عمل يضر بمصالح الوقف، ففي سنة ١٥٦٦م تقدم بعض الفلاحين العاملين في أوقاف العمارة في القدس، بشكوى ضد متولي هذه الأوقاف عبد الكريم، ادعوا فيها أن قرى الأوقاف تعرضت إلى الخراب بسبب ظلمه، واتهموه باختلاس أموال أوقاف الجوامع والمساجد، حتى غادرها أئمتها وخطباؤها فأغلقت هذه الجوامع والمساجد أبوابها أمام المصلين. لكن يبدو أن والي الشام وقاضيي القدس والرملة علموا بمراجعة هؤلاء الفلاحين الديوان الهمايوني وتقديمهم الشكوى، فأرسلوا رسالة إلى الديوان الهمايوني اتهموا فيها هؤلاء الفلاحين بالفساد والقتل والسرقة، وأنهم قدموا شكاوهم لتغطية مفسادهم، ونسبوا إلى المتولي تهماً باطلة، لأنه أراد دفع مظالمهم عن الأهالي بالطرق الشرعية، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وتمردوا في تأدية ما بذمهم من مال الوقف، كما أشاد المسؤولون بأمانة المتولي ونزاهته وأداء عمله بكل تضان وإخلاص. وبعد تلقي الديوان الهمايوني شكوى الفلاحين ورسالة المسؤولين المحليين، لم يبت في الأمر، بل أرسل نسخة من الشكوى إلى المسؤولين للتحقيق في الموضوع بمواجهة الخصوم، وكشف الحقائق المتعلقة به، وإعلام الديوان بنتيجة التحقيق، كما أمر بحبس الفلاحين المذكورين في حالة ثبوت ما نسب إليهم من تهمة، وعرض الموضوع على الديوان. ولم ينس الديوان التأكيد عليهم بالالتزام جانب الحق، وتوخي الحذر من عرض القضية خلافاً للواقع^(١٥).

(١٤) مهمة دفترى ٦ ص ٢٨ حكم ٥٦.

(١٥) مهمة دفترى ٥ ص ٢٨٢-٢٨٣ حكم ١٠١٧.

ويستدل مما أوردناه من أمثلة، أن الدولة العثمانية سعت إلى حماية ممتلكات الأوقاف، وردع التجاوزات التي تتعرض لها، ولهذا فتحت أبواب مؤسساتها المعنية وحتى أرفع مراجعها أي الديوان الهمايوني لتلقي أي شكوى بهذا الخصوص.

حرص الدولة العثمانية على حماية وجود المؤسسات الوقفية ومصالحها

حرصت الدولة العثمانية على قيام المؤسسات الوقفية بمهامها على أكمل وجه ودون أي عائق، والحيلولة دون التجاوز عليها، ولهذا لم تتهاون مع القائمين بتعطيلها. وكانت أماكن العبادة والأماكن الدينية المقدسة المشتركة بين الطوائف الدينية المختلفة في القدس تحظى باهتمام الدولة، التي كانت تسعى إلى عدم تغيير واقعها وتبعيتها لا سيما عند تجاوز إحدى الطوائف على الأماكن الدينية المشتركة، أو تكون سبباً في تعطيل هذه الأماكن. وطبقاً لما ورد في الأحكام السلطانية، نجد أن بعض الطوائف غير الإسلامية كانت تسعى أحياناً إلى استغلال أوضاع ما يؤول إليها في بعض المؤسسات الدينية الإسلامية كالجوامع مثلاً لاستخدامها لصالحها. وكانت الدولة تعارض سكن الطوائف غير الإسلامية حول الأماكن الدينية الإسلامية، إلا أن هذا التعارض كان يخفت أحياناً لسبب أو لآخر لتمام هذه الطوائف في تنفيذ مخططاتها، ولكن ليس إلى الأبد، ففي أحد الأحكام السلطانية العائدة إلى سنة ١٥٥٢م ورد أن الفرنك قاموا ببناء حجرات في الجهة القبليّة من مسجد النبي داود في القدس، ولم يرد في الأحكام السلطانية ما يشير إلى إثارة الموضوع من قبل المسلمين، إلا بعد فترة وربما ليست بقصيرة. ومما يلفت الانتباه فيما ورد في الحكم، أن الفرنك كان بإمكانهم الإقامة في كنائس القدس وبيت لحم، إلا أنهم قاموا بإقامة حجرات ملاصقة لحرم النبي داود، الأمر الذي اعتبره المسؤولون العثمانيون تجاوزاً على الحرم، فاستصدروا أمراً بإخراج وإبعاد طائفة الفرنك ورهبانهم من مزار النبي داود، ولم يعارض الأمر إقامتهم في القدس الشريف أو بيت لحم أو في داخل كنيسة القيامة^(١٦).

(١٦) مهمة دفترى، طوب قابي سرايى ٨٨٨ ص ٤٤٩ أ - ب.

سعت الدولة العثمانية إلى العمل على الاستفادة القصوى من المصادر الموقوفة للأوقاف، ولهذا كان يتم استغلال هذه المصادر بالشكل الذي يدر موارد مالية كبيع منتجاتها بالسعر الدارج أو تأجيرها، وعلى الرغم من حرص الدولة، لم تخلص بعض المصادر الوقفية من التجاوز^(١٧)؛ ففي مجال تأجير المستشفيات الوقفية، كان يتم تأجيرها أحياناً إلى مفلسين لا يتمكنون من الإيفاء بالتزاماتهم المالية في موعدها المحدد، ففي سنة ١٥٦٠م أبلغ قاضي القدس الديوان الهمايوني، أن متولي العمارة العامرة في القدس بيرام جاوش، قد أجر خانات الوقف الواقعة في طرابلس إلى مفلس ودون كفالة، وعند التحقيق تبين أن على ذمة المستأجر مستحقات مالية ولا يملك شيئاً يمكن أخذه منه، ولهذا طلب القاضي تعريم المتولي بالمستحقات، وقام باستصدار فتوى بهذا الخصوص مفادها أن قيام المتولي بإيجار خان وقفي لمفلس يُعدّ تجاوزاً، وعليه أن يتحمل بدل الإيجار للوقف شرعاً، وأرسل الفتوى إلى الديوان الهمايوني. ولم يبت الديوان الهمايوني كعادته في الموضوع دون التحقق مما ورد في رسالة القاضي، فأصدر أمره إلى القاضي الجديد ومتولي أوقاف القدس بأن يقوموا بالتحقيق في الموضوع وبمواجهة الخصوم، فإذا ثبت ما عرض أن يحمّلا المتولي السابق ما ترتب بذمة المستأجر المفلس واسترداده باسم الوقف^(١٨).

كانت الحبوب المُنتجة في قرى الأوقاف تشكل مورداً أساسياً للأوقاف، وكان يتم بيعها في أماكنها، أو في الأسواق القريبة من الأراضي التي تنتج فيها، لكن كان يحدث أحياناً أن العرض يكون أكثر من الطلب، فتتدنى أسعار الحبوب، ولا يتوافر من يشتريها. ولكي لا تتعرض هذه الحبوب إلى التلف، كان يتم تخزينها في المخازن الخاصة بالأوقاف، إلا أن قابلية استيعاب هذه المخازن كانت محدودة، كما لا يمكن إبقاء المخزون من

(١٧) عن التجاوزات على الأوقاف انظر: فاضل بيّات، التجاوز على الأوقاف في بلاد الشام وإجراءات الدولة العثمانية تجاهها، بحث منشور ضمن كتاب الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، أوراق المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمّان ٢٠٠٩م، ص ٢٩٤-٤٥٠.

(١٨) مهمة دفترى ٢ ص ٢٥٨ حكم ٧٤٦.

الحبوب لمدة طويلة في المخازن خشية تعرضه إلى التلف، ولهذا كانت الدولة تضطر إلى الموافقة على بيعها إلى الأجنب رغم الحظر المفروض على تصدير الحبوب إلى خارج الدولة. ففي سنة ١٥٥٩م أبلغ متولي أوقاف القدس الديوان الهمايوني عن بقاء كمية كبيرة من الحبوب في المخازن من عهد المتولي السابق، وشارفت على التلف لعدم توافر مشترين لها، كما أن الحبوب المُنْتَجَة في عهد المتولي الثاني بقيت كذلك دون بيعها بسبب تدني الأسعار، ولهذا وافق الديوان الهمايوني على بيع هذه الحبوب إلى سفن دوبره ونيك^(١٩)، وبذلك استثنى الديوان حبوب الأوقاف من حظر التصدير للحفاظ على عائدات الأوقاف وعدم هدرها.

تصدي الدولة للتجاوز على المؤسسات الوقفية

حرصت الدولة على المحافظة على أملاك وممتلكات الأوقاف، ولم تتهاون في مسألة التجاوز عليها، وعملت جاهدة على استرداد كل ما يُخْتَلَسُ أو يُسْرَقُ منها، ففي سنة ١٥٦٥م تبَّغ الديوان الهمايوني عن قيام نائب ناظر أوقاف النبي خليل الرحمن بسرقة القمح من مخازن الأوقاف وبيعه إلى المتمردين من العربان، وسرقة مواد مختلفة من مرقد النبي يعقوب والنبي إسحاق، كما اتهم بانقاص وزن الخبز المخبوز في العمارة العامرة وتجاوزه على مال الوقف. ولهذا أرسل الديوان الهمايوني أمراً إلى بكلكري بك الشام وقاضي القدس للتحقيق في القضية، وكشف السارق وسجنه إن كان سباهياً، وعرض أمره إلى الديوان الهمايوني، وإنزال العقاب على غيره بمقتضى الشرع القويم. ولم ينس الديوان تحذيره لهم من التزوير والتلفيق وشهود الزور والعمل خلافاً للشرع^(٢٠).

ولم تكن الدولة تغض النظر عن المتجاوزين على الأوقاف، حتى وإن كانوا من أكابر المسؤولين، وتمدنا الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة بأمثلة مختلفة على هذا، فقد ورد أن قرية كفر جيش في قضاء الرملة كانت من خواص أمير سنجق غزة، وألحقت في سنة ١٥٦٢م بأوقاف العمارة العامرة في القدس، وصدر أمر سلطاني بشأنه، إلا أن وكلاء أمير السنجق استمروا في جباية موارد القرية باسم أمير السنجق، ومنعوا تحصيلها باسم الوقف، وما إن تبَّغ الديوان الهمايوني بذلك، حتى أصدر أمراً سلطانياً

(١٩) مهمة دفترى ٣ ص ١٧٧ حكم ٤٨٦.

(٢٠) مهمة دفترى ٥ ص ١٠٩ حكم ٢٥٣.

إلى قاضيي غزة والرملة للتحقيق في الأمر، واسترداد مال الوقف وعدم إبقاء أي حبة من هذا المال بذمة أمير السنجق، وذلك في حالة ثبوت الادعاء الوارد في التبليغ، والحيلولة دون التجاوز على أموال الوقف، والعمل على تمكين متولي الوقف من القيام بعمله، وضبط موارد الوقف^(٢١).

مما يجدر ذكره هنا، أن إلحاق القرى الداخلة ضمن خواص أمير السنجق بالأوقاف كان يتم لأجل تمكين المؤسسة الوقفية من مواصلة عملها. وكانت الدولة تلجأ إلى هذا الأمر كلما رأت ضرورة في ذلك، كأن يكون هناك عائق يحول دون تمكن مباشري الوقف من تحصيل موارد من قرية من القرى، فتقوم باستبدال هذه القرية بقرية أخرى، لضمان الحصول على موارد مستمرة للوقف، ولا تتخلى الدولة عن الأموال المترتبة بذمة أهالي القرى قبل استبدالها، فعلى سبيل المثال نذكر أن قرية أريحا كانت موقوفة لأوقاف العمارة العامرة، إلا أنها استبدلت بقرى أخذت من أمير سنجق القدس وسنجق غزة، وترتب بذمة الأهالي الكثير من مال الوقف من أثمان القمح والشعير والذرة ورسوم الكروم والجواميس وذلك قبل الاستبدال، دون التمكن من تحصيله. كما تمرد رئيس قرية بيت تعيا بالقدس وهي من أوقاف العمارة العامرة، وهاجم قرية صفا وقتل عدداً منهم، وانضم إلى البدو العُصاة في وادي علي بلواء غزة وبقي في ذمته مال كثير. وعندما تبليغ الديوان الهمايوني بذلك، أصدر حكماً سلطانياً إلى أمير سنجق القدس وقاضيه بإحضار أهالي أريحا والتحقق فيما إذا ترتب بالفعل مال الوقف في ذمهم وذمة رئيس قرية بيت تعيا، واسترداده في حالة ثبوته عليهم^(٢٢).

وفضلاً عن هذا، فقد ترتب مال الوقف في ذمم أهالي قرية شويكة، الذين كانوا يمارسون الزراعة في أراضي قرية قاقون بسنجق نابلس، وهي من أوقاف العمارة العامرة في القدس أيضاً، إلا أنهم تمردوا وامتنعوا عن أداء ما ترتب عليهم من مال الوقف، فأصدر الديوان الهمايوني حكماً سلطانياً إلى أمير سنجق نابلس وقاضيه لتقصي الأمر وتحصيل ما يثبت من أموال الوقف على أهالي شويكة أينما يقيمون، والعمل على تمكين رجال المتولي من القيام بمهامهم دون عائق^(٢٣).

(٢١) مهمة دفترى ٦ ص ٢٥-٢٦ حكم ٥١-٥٢.

(٢٢) مهمة دفترى ٦ ص ٢٧ حكم ٥٥.

(٢٣) مهمة دفترى ٦ ص ٢٩ حكم ٥٨.

كما ترتب في الوقت ذاته على ذمم أهالي بعض قرى الأوقاف الواقعة في الرملة الكثير من أموال الوقف، ولم يتمكن محصول الوقف من تحصيلها، فأصدر الديوان الهمايوني حكمًا سلطانيًا إلى قاضي الرملة للتحقق مما ترتب على ذممهم من أموال الوقف واستردادها في حالة الثبوت عليهم^(٢٤).

يلاحظ المتتبع للأحكام السلطانية المتعلقة بالأوقاف، أن المتجاوزين على الأوقاف لم يكونوا من فئة واحدة، بل شارك فيه عاملون وغير عاملين فيه، ولم يخلص حتى القضاة من التورط بالتجاوز، إلا أن تجاوزهم لم يكن يتم كشفه إلا بعد تركهم الوظيفة، أو نقلهم إلى مكان آخر، ففي أحد الأحكام السلطانية ورد أن عددًا من أهالي القدس تقدموا بشكوى إلى الديوان الهمايوني ذكروا فيها جملة من المسائل التي تتعلق بالأوضاع في مدينتهم، واتهموا فيها قاضي القدس السابق جار الله بأنه هدم السبيل الذي يعود تاريخه إلى ما قبل ثلاثمائة سنة وحوّله إلى مقهى... وأنه أقطع مبنى خليل الرحمن بـ ٢٥ ذهبًا في الشهر، وعند وفاة أحد من أهل الجهات أي العاملين في إحدى الوظائف الوقفية، فإن وظيفته تسند لأحد رجال القاضي... ويقوم رجاله بالضغط على متولي ومباشري الأوقاف ليستأجروا هذه الأوقاف بأقل من إيجارها الحقيقي... وبأخذ الزيت الحاصل من وقف خليل الرحمن بوزن ناقص. وكان القاضي جار الله يتولى في هذا الوقت قضاء منزلة، فصدر أمر سلطاني بعزله من القضاء، وأرسل حكم سلطاني إلى والي الشام وقاضيي الشام والقدس بالتنصي عما نسب إلى القاضي المذكور بمواجهة الخصوم، واتخاذ ما يلزم بحقه من إجراء حسب ما يقتضيه الشرع^(٢٥).

حرص الدولة العثمانية على نظافة الأماكن الدينية

وحرصت الدولة العثمانية على المحافظة على الأوقاف من النجاسة، لإظهارها بالشكل الذي يليق بها، وكانت الدولة تتدخل وبأعلى المستويات، كلما رأت أن أحد الأماكن الدينية أو الخيرية يتعرض إلى النجاسة. وقد ورد في أحد الأحكام السلطانية أن أحد مجاوري القدس الشريف، وهو الملا صيامي الرومي، ذهب بنفسه إلى استانبول ليبلغ عما يتعرض له المسجد الأقصى من الإساءة والنجاسة، فذكر:

(٢٤) مهمة دفترى ٦ ص ٢٩ حكم ٥٩.

(٢٥) مهمة دفترى ٥ ص ٤٦٥ حكم ١٢٤٨.

١- أن النساء يأتين إليه لأجل التنزه ويتحججن بأنهن يأتين لأجل الزيارة والعبادة، ويقمن في الحرم الشريف ولا يخرجن إلى خارج الحرم لقضاء حاجتهن، وينزعج المسلمون منهن وبخاصة في المناسبات الدينية، ويعاني المنظفون كثيرًا عند رفع قاذوراتهن.

٢- أن النساء المسلمات والنصرانيات يأتين إلى قبر السيدة مريم وقدم النبي عيسى وسائر الأماكن المباركة ويتجمعن فيها، ويرتكبن أعمالاً مخالفة للشرع لا حد ولا حصر لها.

٣- أن المقيمين في السكنات الملحقة بالمدارس في المسجد الأقصى يرمون فضلات طعامهم في الحرم الشريف.

٤- أن الهنود يقيمون مع عوائلهم في حجرات تقع في أطراف قبة الصخرة وفي داخل الحرم ومواقع أخرى من الحرم، ويقضون حاجتهم ليلاً في الأماكن التي يقيمون فيها.

٥- أن الفلاحين يمرون مع نسائهم من داخل الحرم عند نقلهم الألبان والمواد الأخرى إلى السوق، باعتبار أن الطريق الذي يسلكونه يؤدي مباشرة إليه.

واعتبر الرومي كل ذلك أموراً مخالفة للشرع ينبغي تدخل الدولة لوضع حد لها. وبالفعل أصدر الديوان الهمايوني أمراً سلطانياً إلى أمير سنجق القدس وقاضيه لمنع كل ذلك في المسجد الأقصى، وسائر المقامات المباركة والبلدة الطيبة ومقابرها، واعتبره من المنكرات والمنهيات. كما أمر بالحيلولة دون قيام أي فرد من الرجال والنساء بمخالفة الشرع، وإبقاء حرم قبة الصخرة والمقامات المباركة الأخرى نظيفة طاهرة من النجاسات. وأبدى السلطان امتعاضه الشديد مما يحدث في المسجد الأقصى، وحمل أمير السنجق والقاضي مسؤولية ما يحدث هناك، وهددهما بالعزل في حالة تكرار ذلك في المستقبل، وعدم الاهتمام بنظافة وطهارة المسجد الأقصى. كما أمر الديوان الهمايوني القاضي بتدوين هذا الأمر في السجل للعمل بمضمونه دائماً^(٢٦).

(٢٦) مهمة دفترى ٥ ص ٨٢ حكم ١٩١.

الملاحق

نماذج من الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة والمتعلقة بالمؤسسات الوقفية في القدس

(١)

حكم إلى بكلكر بكى الشام وقاضيها

أرسل قاضي القدس الشريف رسالة إلى سدي العليا يبلغ فيها أن قناة الماء الجارية إلى القدس الشريف هي منذ القدم وقف لبعض القرى والمزارع، وكان يتم تعيين ناظر وكاتب لأجل ضبط محصول الوقف، ومشد وحارس لأجل حفظ القناة. وقد واصل هؤلاء خدماتهم، وكانوا يأخذون ما يتبقى من النفقات لوظائفهم^(٢٧)، ولكن بمرور الزمن انقطعت المياه عنها، فقام المدعو محمد النقاش بإعمار القناة وتحصيل مواردها باسم الأوقاف، وذلك تنفيذاً للأمر الشريف، وعمل على دفع وظائف المذكورين على النحو المذكور، وإنفاق الزيادة لترميم القناة، وبعد إكمال تعمیر القناة جرى ضبطها بهذا المنوال. ولكن في عهد النظار السابقين لم يكن يتحقق أكثر من تسعة إلى عشرة آلاف، إلا أن ناظرها الحالي زكريا قد أجرها بأكثر من ثلاثة عشر ألف، ورمم الأماكن المحتاجة إلى الترميم، وأدى الوظائف لأربابها. إلا أن مياه القناة المذكورة غدت غير كافية بسبب ما يؤخذ منها للعمارة العامرة التي يتم بناؤها في القدس، فصدر الأمر بإلحاق «وادي الأبيار» بالقناة المذكورة، وخصص ألفا فلوري للصرف عليه، فقام أمين القناة الكتخدا حيدر بإنفاق الألفي ذهب، إلا أنه طالب بألف آخر لعدم كفاية المبلغ المذكور. وفي الوقت الذي لم يكن لوادي الأبيار علاقة بالوقف المذكور، فإن حيدر المذكور تدخل في شؤون أوقاف القناة المذكورة، وذهب إلى قطع الوظائف من أهلها بحجة العمارة العامرة، فتحرض الفقراء إلى الأذى، وأبلغت بأن عرض ذلك تم بطلب من أرباب الوظائف. كما أبلغت أن لقناة الماء الجارية إلى القدس الشريف ناظرًا وكاتبًا وحارسًا من الخارج وحرسًا ومشدًا للبركة ويتقاضون يوميًا خمس عشرة آقجة، إلا أنهم لا يقدمون أي خدمة، بل يأكلون الوقف بلا وجه حق. وإذا ما تم ضبطها للوقف، فإنها

(٢٧) أي لأجورهم ومرتباتهم.

تحقق زيادة مقدارها ألفا ذهب. وقد تمّ تأجير الأوقاف المذكورة لمدة ثلاث سنوات بمبلغ قدره أربعون ألف آقجة لأحد الأشخاص، إلا أنه مُنع من التصرف بها، وعرض السباهي مصطفى صولاق وهو من أرباب التيمار عشرين ألف آقجة سنويًا لإيجارها، ولكن لم يُلبّ طلبه، ويقوم ناظرها بضبطها خفية، ويختلس محصولها. والوقف المذكور هي على الأغلب بيد رجال القضاء. وإذا ما تولى محافظ قلعة القدس الشريف نظارتها، وكاتبها شؤون الكتابة فيها بمنحه آقجة واحدة يوميًا، وعيّن حارس على البركة بآقجة واحدة يوميًا، وعيّن أحد جنود قلعة القدس مشدًا بعلوفته لمراقبة قناة الماء، وأنهيت خدمات الناظر والجابي والمشد المذكورين، ولو تم ضبطها على هذا الأسلوب، فإن مال الوقف يكفي لتعمير قناة الماء ومستلزماتها الأخرى، ولن تكون هناك حاجة لأي آقجة من الميري للصراف عليها، بل من الممكن أن تتحقق زيادة في ذلك. وفي السنة الماضية أخذ ابن القاضي ثلاثة عشر ألف آقجة من الوقف المذكور وأكلها. أما محصول هذه السنة فإن محافظ القلعة استلمه، إلا أن القاضي استرده منه، ووزعه على رجاله الذين سبق أن تقرر عزلهم بموجب الأمر الشريف، وعليه فقد أمرت:

عند وصول حكيمي الشريف، تقوم بتقصي هذا الأمر على الوجه المناسب، لتتحقق فيما إذا كان ابن القاضي المذكور قد أكل هذا المقدار من المبالغ من الوقف المذكور وإذا ثبت عليه، تسترده منه، وتعيده وتسجله باسم الوقف، كما تسترد ودون نقص ما وزعه القاضي المذكور من مبالغ على رجاله الذين تم عزلهم، وتسجله باسم الوقف.

في ٢ رجب ٩٥٩هـ - ٢٤ حزيران/ يونيو ١٥٥٢م.

مهمة دفترى، طوب قابى سرايى ٨٨٨ ص ٢٨٣ أ-ب

(٢)

حكم إلى بكلى بكى الشام وقاضىها

أرسلت رسالة تذكر فيها أنه ورد حكم شريف يقضى بوضع حد بين جدران المزار الشريف للنبي داود عليه السلام ومسجده، وبين [مساكن] الفرنك المقيمين بجوارها ومنع التجاوز من ذلك الحد، فتم تفقد المكان، واتضح أن الحد الذي يفصل بين المسجد الشريف والفرنك هو جدار رقيق، والحجرات التي بناها الفرنك

تقع إلى الجهة القبليّة من المسجد الشريف، وقد مُنحت مشيخة هذا المقام الشريف إلى الشيخ أحمد الدجاني، وصدر الأمر بأن يسكن هو ودرأويشه في الخلوات (أماكن الاختلاء) الواقعة في القسم السفلي من المسجد المذكور... وما بناه الفرنك ليس بكنيسة، بل حجرات بنيت لأجل السكن. فضلاً عن هذا يوجد في داخل القدس الشريف وبيت لحم العديد من الكنائس، وليس هناك ما يقتضي سكن الفرنك في هذا المقام. وقد سبق أن ورد حكم سلطاني في سنة ٩٥٩هـ [١٥٥٢م] يقضي بعدم جواز سكن [...] وبشكل قطعي قرب المزار الشريف للنبي داود عليه السلام. ولهذا، فإن مشايخ وعلماء القدس الشريف يناشدون السدة العليا بإصدار فرمان رفيع على غرار الحكم السلطاني الوارد. وبناء على ما عرضته فإنه لا يجوز وبشكل قطعي قيام طائفة الفرنك بالسكن بالقرب من المزار الشريف واجب التعظيم، والمرقد اللطيف واجب التكريم للنبي داود عليه السلام. وأمرت:

عند وصول حکمي الشريف، تقوم بإخراج وإبعاد طائفة الفرنك ورهبانهم مع توابعهم ولواحقهم ممن يسكنون قرب المزار الشريف للنبي داود، وتطهر تلك الجهة الشريفة من طقوسهم، وليأت الرهبان المذكورون ويسكنوا في داخل القدس الشريف [أو] في بيت لحم أو في القمامة، والحيلولة دون قيام أحد بعمل مغاير لأمري الشريف، والتبليغ عن يوم وصول هذا الأمر السلطاني إليك.

في ٨ شوال ٩٥٩هـ/ ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٥٥٢م.

مهمة دفترى، طوب قابى سرايى ٨٨٨ ص ٤٤٩ أ - ب

(٣)

حكم إلى أمير نابلس

أرسل متولي عمارة والدة ابني العزيز سليم (طال بقاه) الواقعة في القدس الشريف (طورغود زيد قدره) رسالة إلى سدي العالية يبلغ فيها أن مشايخ المشاشقة يقومون دائماً بإلحاق الأذى بأهالي قرية قاقون الواقعة بلواء نابلس، والتي هي من الأوقاف المذكورة، ويغيرون عليهم ويسلبون أرزاقهم وأموالهم.

ويقام في القرية المذكورة سوق أسبوعي، وبحجة السوق يتجمع العُصاة والمفسدون من الأرجاء كل أسبوع، ويأتون إلى القرية المذكورة، ويأخذون أعلاف أهالي القرية وأرزاقهم قسراً وبلا مقابل، ويقومون بذلك بفساد كلي. ولهذا فإن القرية المذكورة شارفت على الخراب.

كما أن المفسد المدعو يوسف بن صويب (٩) يقوم دائماً مع مائة إلى مائتين من الفرسان والمشاة، بالإغارة على جماسين الواقعة في اللواء المذكور، وهي من الأوقاف المذكورة، ويسلبون أموال الاهالي ويتعرضون لأهلهم وعيالهم، ولهذا ترك البعض منهم أماكنهم، مما أدى إلى إلحاق أضرار كبيرة بمال الوقف. وطلبت أن يزال السوق الأسبوعي المقام في القرية المذكورة. ولكل ذلك فقد نسبت أن تتم إزالة السوق المذكور وإلقاء القبض على أهل الفساد المذكورين وتأديبهم، وأمرت:

أن تولي عند وصول هذا الحكم اهتماماً بهذا الامر، وتلقي القبض بأي طريقة كانت على من يقدم على الفساد والتعدي، ممن يغيرون على قرى الوقف المذكورة، ويقومون بالاعتداء، سواء أكانوا من طائفة المشاشقة، أم كان يوسف بن صويب المذكور، وتسترد منهم الأموال المسلوقة من الرعايا وأفراد عيالهم وذلك بعد الثبوت عليهم. ولا تعط مجالاً لمن ظهر فسادُه وشناعته، وتؤدبهم وتخلص القرى والأماكن الأخرى من فتنهم وفسادهم، وتبلغ [سدة سعادتِي] عما هو بحاجة إلى التبليغ، على ألا تستغل هذا الأمر وتتدخل خلافاً للشرع في شؤون مَنْ هم في حال سبيلهم. وتتوخى الحذر من حماية أهل الفساد. في ٢ صفر ٩٦٧هـ / ٢ تشرين الثاني ١٥٥٩م.

مهمة دفتري ٣ ص ١٧٥-١٧٦ الحكم ٤٨٣

(٤)

حكم إلى أمير سنجق القدس الشريف وقاضيه

أرسل أهالي القدس الشريف رسالة إلى سدي العالمة، ذكروا فيها أن الحمام المعروف باسم «حمام النبي داود عليه السلام» وهو من أوقاف صخرة الله الشريفة بالقدس الشريف، له آبار تتجمع فيها المياه في الشتاء. ويتم تشغيل الحمام لمدة شهرين بواسطة مياه الآبار، ويتعطل في الأشهر الأخرى، ولهذا لا يحصل مورد للوقف إلا الشيء القليل. وقد عرض فيما سبق أمير سنجق القدس وقاضيه، يطلبان منح الحمام كمية من المياه الجارية

إلى القدس الشريف، فورد الحكم الشريف يطلب بيان ما إذا كان هذا الأمر لا يترتب عليه ضرر لحق الشرب لأهالي القدس الشريف من الناحية الشرعية، وما إذا كانت هناك كمية كافية من المياه لتزويد الحمام بها. وبمقتضى هذا الحكم تم الاستفسار من أعيان البلاد، فشهدوا بأنه في حالة تزويد الحمام بكمية كافية من الماء لن يلحق الضرر بحق الشرب لأهالي القدس الشريف، بل يتم حصول الفائدة الكلية أيضاً لوقف صخرة الله المشرفة. ولهذا أعد أهالي القدس الشريف محضراً بهذا الشأن، يطلبون استصدار أمر بمنح كمية كافية من الماء للحمام المذكور. ولهذا فقد أمرت:

أن يتم تزويد الحمام المذكور بكمية من الماء المذكور، على أن لا تكون كبيرة بشكل يلحق الضرر من الناحية الشرعية بحق الشرب لأهالي القدس الشريف، وأن تقوما بتنفيذ ذلك. في ٢٩ محرم سنة ٩٧٢هـ/ ٥ أيلول ١٥٦٤م.

مهمة دفترى ٦: ٥٥ الحكم ١١٣

(٥)

حكم إلى أمير سنجق القدس وقاضيه

قَدِمَ الملا صيامي الرومي، وهو من مجاوري القدس الشريف، إلى السدة السلطانية ليبلغ: «أن بعض النساء يأتين إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف لأجل التنزه، ويتحججن بأنهن يأتين لأجل الزيارة والعبادة. وهن يقمن في الحرم الشريف، ولا يخرجن إلى خارج الحرم لأجل التبول والتغوط. ويضايقن المسلمين عند صلوات العيد والجمعة وفي الأوقات الأخرى. ويعاني الفراشون الكثير في رفع قاذوراتهن.

كما تأتي النساء ونساء النصارى وطائفة النصارى إلى قبر السيدة مريم (رضي الله عنها) وقدم النبي عيسى عليه السلام وسائر الأماكن المباركة ويتجمعن فيها، ويرتكبن أعمالاً مخالفة للشرع لا حد لها.

وعند وفاة أحد أبناء البدو في القدس الشريف، تتجمع النساء ليلاً، ويقمن بالتجوال مع المغنيات في المحلات للإعلان وبصوت عال عن موتاهن في أرجاء المحلة. وبعد إجراء الدفن تتجمع نساء العرب في المقابر ولثلاثة أيام، وينتجن بأصوات مختلفة، ويطلين وجوههن بالسواد، ويقمن بالدوران حول بعضهن كالديكة.

ولا يقوم البوابون بحراسة الأبواب، كما أن المقيمين في دور المدارس يرمون فضلات طعامهم في الحرم الشريف.

ويقيم بعض طائفة الهنود مع نسائهم في حجرات تقع في أطراف صخرة الله وفي الحرم الشريف ومواقع أخرى من الحرم، ويتبولون ليلاً داخل الحرم الشريف.

كما أن طائفة الفلاحين يمرون مع نسائهم من داخل الحرم الشريف عند جلبهم اللبن والحليب والأشياء الأخرى إلى السوق، باعتبار أن هذا الطريق يؤدي مباشرة إلى السوق، ويتخذونه طريقاً مخالفاً للشرع. وبالإجمال، فإن الأوضاع المخالفة للشرع في المحروسة المذكورة لا حد لها. ولا يمكن منع هذه المخالفات. ولهذا فقد أمرت:

أن تراعوا، عند وصول حكمي الشريف، المسائل التي تم ذكرها، وأن تقوموا بمنع وإزالة المنكرات والمنهيات بشكل عام في المسجد الأقصى وصخرة الله المشرفة وسائر المقامات المباركة والبلدة الطيبة ومقابرها، وأن تحولوا دون قيام أي فرد من الرجال والنساء بمخالفة الشرع الشريف بأي شكل من الأشكال. وأن تبقوا حرم صخرة الله المشرفة والمقامات المباركة الأخرى نظيفةً وطاهرةً من النجاسات. فأنا لست براض عن الأوضاع بالشكل المذكور في أيام سعادتي السلطانية.

وإذا ما ورد إلى أسمعنا بأن أمراً مخالفاً للشرع وأمرى السلطاني قد وقع، فإنه لن يكتفى بتجريدكم من مناصبكم. فعليكم التقيد وفق ذلك.

وأن تقوم أنت أيها القاضي، بتدوين حكمي السلطاني هذا في السجلات، لتعمل أنت والقضاة الذين يأتون من بعدك بمضمونه، حتى لا يبقى هناك أي مجال لأمر مخالف له. في ٤ صفر ٩٧٣هـ / ٣٠ آب ١٥٦٥م.

مهمة دفترى ه: ص ٨٢، الحكم: ١٩١

(٦)

حكم إلى بكلي بكى الشام وقاضيه وقاضي القدس الشريف والرملة

قدّم فلاحو قرى أوقاف العمارة الواقعة في القدس الشريف، عريضة إلى ركابي السلطاني يشكون فيها من «أن القرى أصبحت خراباً بسبب ظلم عبد الكريم متولي الأوقاف المذكورة، الذي قام بابتلاع أوقاف مساجد وجوامع العديد من القرى، فغادرها أئمتها وخطباؤها، وبقيت الجوامع والمساجد مسدودة.»

وأنت بكونك بكلر بكى، وانتما بكونكما قاضيي القدس الشريف والرملة، أرسلتم رسالة تبلغون فيها: «أن الأشرار محمد القاضي وعيسى المخرز من سكان قرية حندانجنداس (؟) بقضاء الرملة، وهي من أوقاف العمارة المذكورة، وشهادة وإسماعيل فقيه من أهالي يازور، ومحمد بن محمود من أهالي اللد، قد ثبت مراراً وبأكثر من دليل عنفهم وشقاوتهم وتلفيقهم وكونهم قتلة وسراقاً، وغدوا معروفين بالتمرد والعصيان. وعندما شرع عبد الكريم متولي الأوقاف المذكورة بدفع مظالم الأشرار بالطرق الشرعية، لم يستجب له أي منهم، بل تمردوا في تأدية مال الوقف الذي في ذمتهم.» ولكي يغطوا مفسدهم قدموا إلى سدة سعادتني، ونسبوا إلى المتولي أشياء غير واقعية. ومع هذا فإن المتولي المذكور مُجد وساع فيما يقدمه من خدمات للوقف. وأنه قام ببيع المحصول المتحقق بوساطة القاضي وحسن رضا الرعايا. وعرف عنه وبكل الوجوه أمانته ونزاهته، وذكروا: «أنه إذا لا يتم تأديب مثل هؤلاء المفسدين، فإن مصالح الوقف ستتعلل، ولا يكون بالإمكان جمع وتحصيل المال المستحق.» ولهذا فقد تم استنساخ العريضة المقدمة بشأن المتولي وأرسلت إليكم للنظر فيها. وقد أمرت:

أن تحققوا، عند وصول الحكم، وبمواجهة الخصوم في الدعاوى التي لم يتم فصلها شرعاً بالمرّة، ولم تمر عليها خمس عشرة سنة، والواردة ضمن المسائل المنسوبة إلى المتولي المذكور، والمدرجة في العريضة المقدمة، لتروا هل أن المتولي المذكور يقوم فعلاً بالظلم والاعتداء على الرعايا، وهل يأكل من مال الوقف ويخبئه؟ وما وضعه؟ عليكم بكتابة ذلك بالتفصيل وعرضه عليّ. وأن تقوموا بالتقصي عن محمد القاضي وعيسى بك وشهادة وإسماعيل ومحمد المذكورين لتروا هل هم في الواقع، كما عرض، أناس يشتهرون بالشر والشقاوة والسرقة والحرامية؟ وما وضعهم؟ فإذا ما ثبت شرعاً بأنهم قاموا بالشر والشقاوة والسرقة وقتل النفس، تقومون بحبسهم وأن تكتبوا عن أوضاعهم وتعرضوها مع صورة السجل. على أن تلتزموا في هذا الصدد جانب الحق، ولا تتجاوزوا لأي طرف، وأن تتوخوا الحذر كثيراً من عرض قضية خلافاً للواقع وإلحاق الظلم والاعتداء على أي شخص. في ٢٧ رجب سنة ٩٧٣هـ / ١٨ شباط ١٥٦٦م.

مهمة دفترتي ٥: ٣٨٢ - ٣٨٣، الحكم ١٠١٧

مجموعة الوثائق والسجلات الخاصة بالقدس والموجودة في الأرشيف العثماني لرئاسة الوزراء التركية^(١)

د. جنكيز تومار*

دخلت مدينة القدس تحت الحكم العثماني عام ١٥١٦م، واستمر الباب العالي حاكمًا لها طوال أربعة قرون متتالية، بلا انقطاع، حتى عام ١٩١٧م. وقبيل التمرد الذي حدث بين ١٨٣١-١٨٤٠م، والذي قاده الحاكم محمد علي باشا من مدينة قوالة، الذي رأى أن الروابط بين المدينة والسلطة المركزية قد أصابها ضعف شديد، حتى ذلك الوقت كانت القدس تقع ضمن ولاية دمشق، ثم بعد ذلك، بين عام ١٨١٨ وعام ١٨٧٥م، أصبحت تابعة لصيدا. وعقب ذلك حتى عام ١٨٧٢م، أصبحت تحت الحكم المباشر للإدارة المركزية.

كان العثمانيون دائماً يحملون مشاعر التوقير للقدس، فهي القبلة الأولى للمسلمين، والمدينة الثالثة ضمن المدن الثلاث الحرام في الإسلام، مما يجعل لتطورها أهمية هائلة، وقد كثرت الأنشطة الرامية لتطويرها، وعلى وجه الخصوص في أثناء حكم السلطان سليمان القانوني، والذي جُددت في عهده قبة الصخرة وأسوار المدينة، بالإضافة إلى حفر قنوات المدينة، وكذلك العديد من السُبل العامة في أنحاءها. ومن بين أهم المنجزات العثمانية في المدينة «التكية» المهجورة الآن، والتي بنتها خُرام سلطان

(١) البحث في الأصل بالإنجليزية، وقد تمت ترجمته إلى العربية.

* د. جنكيز تومار Gengiz Tomar: أستاذ مساعد، جامعة مرمرة، كلية العلوم والآداب، قسم التاريخ.

في عام ١٥٥١^(٢). وكانت شهرة القدس كمركز للفنون والعلوم قد تعززت في أثناء العصر العثماني بإنشاء العديد من المدارس والأوقاف، هذا فضلاً عن انتشار الخانات التي تستقبل الغرباء، وبيوت إيواء الدراويش المفعمة بالأجواء الصوفية والروحانية. وقد ازدهرت عمارة المدينة في أثناء العصرين المملوكي والعثماني، كما تشهد العديد من المباني العظيمة، والمساجد والمدارس والبيوت.

ودون فحص كامل للأرشيفات العثمانية التي تحتوي ملايين الوثائق ومجموعات الدفاتر، من المستحيل أن نقدم تصوراً دقيقاً للبنية الطبوغرافية والمعمارية للقدس. وبهذا فإن المشروع الجاري لتصنيف الوثائق الخاصة بهذا الموضوع، يعني فعلاً أنه لا سبيل حتى الآن لمعرفة عدد الوثائق الموجودة في أرشيفات رئاسة الوزراء العثمانية فيما يختص بالقدس. ومع ذلك، فحتى الاضطلاع بمهمة صغيرة لبحث بعض الكتلوجات التي تحتوي على عدد محدد من الوثائق، يكفي للإشارة إلى آلاف من الوثائق الأخرى التي تتناول القدس. ومع الكشف عن المعلومات حول العديد من المباني التي اختفت، تقدم الوثائق أيضاً نظرة جيدة حول مسائل عديدة تشمل أعمال الصيانة والإصلاح للمباني المختلفة مثل المساجد، والكتاتيب، والبيوت، والمقابر، والمدارس، والمستشفيات، وتسوية النزاعات بين اليهود والمسيحيين والمسلمين، ومنع توسع مستوطنات اليهود أكثر من الحدود المقررة، وآثار داود وسليمان، وحظر بيع أراضٍ مملوكة للمسلمين إلى اليهود والمسيحيين، والأذون التي كانت تُعطى للأثريين الأجانب وتدقيق حساباتها، وإصلاحات الأسوار وبوابات المدينة ومنايسها، وتسوية النزاعات في المناطق المقدسة، ومنع غير المسلمين من دخول الحرم، وإصلاح القنوات، وإنشاء وصيانة الطرق والجسور، ومسوح الأراضي ومنع الشركات الأجنبية من الحفريات الأثرية في المناطق المتاخمة لقبة

(٢) حُرَامُ سلطان: Hurrām Sultan (1506-1558): الزوجة الثانية لسلطان سليمان القانوني، ووالدة ابنه وخليفته سليم الثاني. [الترجمة].

الصخرة لاستخراج وسرقة بعض القطع الأثرية المقدسة، والترخيص للمستشرقين بالتقاط الصور، والصراع ضد تهريب الآثار، وبناء برج للحراسة؛ وسوف يساهم المحتوى الكامل لهذه الوثائق كثيرًا في كشف الشخصية الخاصة بالقدس من نواحي علم المكان Typonomy، والطبوغرافيا، والديموغرافيا، مما يساعد على الدراسة التاريخية لعمارة المدينة.

وفيما يلي بيان بالسجلات أو الدفاتر التي تكشف عن معلومات مهمّة حول طبوغرافية وعمارة القدس:

أولاً: الدفاتر المهمة (MuhimmeDefteri): هذه الدفاتر المسجلة هنا كانت عبارة عن نسخ من المراسيم الرسمية الصادرة عن مجلس الدولة العثماني، بعد تلقي موافقة السلطان، وتشكل الدفاتر المهمة، التي تحتوي على العديد من المراسيم الخاصة بالقدس، ٢٦٣ دفترًا سُجّلت بين عام ١٥٤٤م وعام ١٩٠٥م. وقد نشرت بعض هذه السجلات، وقليل منها ترجم إلى اللغة العربية. كما أن بعض الدفاتر المهمة كانت موضوعًا بحثيًا لبعض رسائل الماجستير أو الدكتوراة التي لم تنشر بعد:

- Topkpi Sarati Arsivi 951-952 Tarihlive E-12321 Numarah Muhimme's Defteri (haz. HalilSahillioglu). Istanbul 2002.
- 3 Numarali Muhimme Defteri (ed. NezihiAykut), Ankara 1993.
- 5 Numarah Muhimme Defteri (ed. Devlerarsivleri), Ankara 1994.
- 6 Numarah Muhimmedefteri (ed. Haci Osman Yidirm), Ankara 1995, I-II.
- 7 Numarah Muhimme Defteri (ed. Haci Osman Yidirm), Ankara 1997-99, I-IV.
- 12 Numrarh Muhimme Defteri (ed. Haci Osman Yildirm), Ankara 1996, I-III.
- Muhimme Defteri 90 (ed. NezihiAykut), Istabul 1993.
- Muhimme Defteri 44 (ed. Mehmet Ali Unal), Izmir 1995.
- 82 Numarali Muhimme Defteri (ed. Haci Osman Yidirm), Ankara 2000.
- 83 Numarali Muhimme Defteri (ed. Haci Osman Yidirm), Ankara 2001.
- 85 Numarali Muhimme Defteri (ed. Haci Osman Yidirm), Ankara 2002.
- 51 Numarali Muhimme Defteri (ed. HikmetUlker), Istanbul 2003.

أما السجلات حول القدس، والمتضمنة في السجلات الأربعة السابق ذكرها لعصر السلطان سليمان

(Topkapi E-12321, 3 Numarali Muhimme Deferi, 5 Numarali Muhimmedefreri, 6 Numarali Muhimme Defreri).

فقد قام فاضل بيات بنشرها باللغة العربية (بلاد الشام، في ضوء الأوامر السلطانية وفقاً للدفاتر المهمة، ١٥٤٤-١٥٦٦م، عمّان ٢٠٠٥م، المجلد الأول)؛ والسجلات الخاصة بالقدس وأورشليم في السابع من السجلات المهمة في فترة تالية، والسجل التاسع الذي لم ينشر، كلاهما قام نفس الباحث بترجمته إلى العربية ونشره (بلاد الشام، في ضوء الأوامر السلطانية وفقاً للدفاتر المهمة، ١٥٦٧-١٥٧٠م، عمّان ٢٠٠٦م، المجلد الثاني).

ثانياً: دفاتر قضاء بلاد الشام (Sham Sharif Ahkam Collection):

سُجّلت الأحكام الصادرة عن مجلس الدولة السلطاني في سجلات الأحكام القضائية للشام. وقد يفيد تصنيف ونشر الأحكام الواردة في هذه السجلات في إلقاء الضوء على البيئة الإدارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية للقدس في الفترة الواقعة من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين. وتشمل تسع سجلات منفصلة تحتوي الأحكام الصادرة في الفترة من عام ١٣٢٦م حتى ١٩٠٨م في ولايات المنطقة المسماة ببلاد الشام، مثل صفد، والقدس، وعجلون، ولجون، وغزة، ونابلس، وتدمر، وصفد، وبيروت.

رقم	عنوان السجل	التاريخ	الصفحات
١	الشام	١٧٤٢-١٧٥٤م	٢٩٢
٢	الشام	١٧٥٤-١٧٦٤م	٣٢٣
٣	الشام	١٧٧٩-١٧٨٣م	١٥٩
٤	الشام	١٧٨٣-١٧٩٣م	١٩٤
٥	الشام	١٧٩٤-١٨٠٤م	١٤٢
٦	الشام	١٨٠٤-١٨١٨م	١٩٧
٧	الشام	١٨١٨-١٨٣٠م	٢٣٣
٨	الشام	١٨٣٠-١٨٦٠م	٢٥٣
٩	الشام	١٨٦٠-١٩٠٨م	١٥٩

سجلات الشام للأحكام القضائية الخاصة بالقدس: تشمل هذه السجلات أيضاً التعليمات والأحكام الخاصة بالإصلاحات والإنشاءات في القدس، التي نجدها بشكل عام في سجلات الأحكام الأخرى. وأبرز ملامح هذه المجموعة أنها تحتوي على كل المراسيم التي صدرت عن الإدارة المركزية حول الإصلاحات والإنشاءات؛ ومن ثم، فمن الممكن أن تكون مفيدة للغاية في تأكيد تواريخ الإصلاحات ووضع قوائم الأرشيفات الأخرى. ويمكن أيضاً أن نجد في هذه السجلات معلومات مفصلة حول الأبنية العامة (الأبنية الإدارية؛ بيوت الإيواء؛ المساجد؛ الكتاتيب؛ القنوات والمجاري المائية؛ الجسور؛ القلاع...) سواء ما بني منها أو ما جرى إصلاحه على أيدي المسلمين بين عام ١٧٤٢-١٩٠٨م. وهذه السجلات مليئة بالمعلومات، ولا يشوبها سوى فجوة صغيرة في التسلسل لحوالي ١٥ عاماً فقط (١٩٦٥-١٧٧٩م). وحتى اليوم، لم يظطلع أحد بدراسة وبحث هذه السجلات.

ثالثاً: دفاتر الشكاوي القديمة (Atik Shikayet Defers): وُضعت في هذه السجلات المراسيم والقرارات الخاصة بالفترة السابقة على الإصلاحات والإنشاءات في عام ١٧٤٢م في القدس، والمسجلة منذ القرن السابع عشر فصاعداً. ويمكن الحصول على تفاصيل حول تطبيق المراسيم الخاصة بالإصلاحات أو الإنشاءات للأبنية المعنية من القوائم الأخرى المذكورة فيما يأتي.

وهكذا، فإن تحليل السجلات المعنية يمكن أن يؤدي مهمة إعادة رواية قصة المعمار في القدس منذ سنوات العقد ١٦٥٠م، حتى القرن العشرين، ولا ينحصر ذلك في مجرد رسم خريطة طريق بالخطوط العريضة للتحقيق والتدقيق في المجموعات الأرشيفية الأخرى. وبكل أسف، لم تحدث حتى الآن محاولة جادة للقيام بمهمة نشر السجلات أو ترجمتها إلى اللغة العربية.

رابعاً: دفاتر أوقاف والخزائن الخاصة (السلطانية) (Avkaf and Hazine-iHassa Defters): كانت الأوقاف هي أبرز السبل للحفاظ على استمرارية الخدمات والمنافع العامة في الحضارة الإسلامية، وكانت بالتالي أهم مصدر حيوي لصيانة الأعمال والإنشاءات المعمارية. ولهذا فليس من المدهش أن تكون القدس، التي يعتبرها المسلمون إحدى المدن الحرام بعد مكة والمدينة، هي المنشأة التي وضع لها السلاطين والمسؤولون العثمانيون العديد من الأوقاف. وتمتلئ الدفاتر المتعلقة بهذه المدينة بتفاصيل حول التكاليف المتفرقة والمتواترة للمنشآت الموقوفة وتقييمها، مع توثيق مدى وحجم الإصلاحات، والمواد التي ينبغي استخدامها، وما يتصل بكل ذلك من تكاليف وإنفاق.

وهكذا، تقدم الدفاتر مصدرًا ثريًا بالبيانات فيما يختص بالإصلاحات والتجديدات للأوقاف في القدس. وتشمل هذه الدفاتر ما مجموعه الكلي ٢٧٠٠٠ سجل من عام ١٥٢٨م وحتى عام ١٨٧٢م، وقد تم تصنيفها إلى ثمانية أنواع من كتالوجات البيانات، بعضها قبل الإشراف، والبعض بعد الإشراف.

ومن الناحية الأخرى، فإن سجلات الخزانة الرئيسية تحتوي تفاصيل حول سجلات التنظيف، والحفر، والإصلاح، والإنشاء، وعلى وجه الخصوص حول المراسلات والنفقات. وهذه القائمة تكشف أيضًا معلومات حيوية مهمة فيما يختص بالمنشآت الحالية في القدس.

خامسًا: دفاتر الصادر والوارد الخاصة بالولاية (VilayatGelen-Giden Defers): ضمن سجلات المراسلات بين الصدر الأعظم ومختلف الولايات، توجد ثمانية سجلات مختصة بالقدس، تم تسجيلها وتوثيقها بين عام ١٨٧٢م وعام ١٩١٠م. وهذه السجلات مهمة بقدر ما تحدد الطبيعة المحددة للإصلاحات في الفترة الواقعة بين العامين المذكورين.

سادسًا: دفاتر الخزانة (MaliyedenMudevver Defers): تغطي هذه السجلات مجموعة من الموضوعات المختلفة والمتفرقة، وتحتوي على حوالي ٢٦٠٠٠ قائمة، تم وضع ملخصاتها التفصيلية مرتبة زمنيًا على الكمبيوتر. وسجلات الإصلاحات والإنشاءات بعد القرن الثامن عشر التي وجدت في هذه المجموعة مهمة وفريدة في غنى محتوياتها، من شهادات التسلم ووثائق الخزانة إلى محاضر الإشراف والنفقات. ويأتي ذكر أنواع الخامات المستخدمة في الإنشاءات، ومكان شرائها، ونقلها إلى القدس، وأول وآخر إشراف ومراقبة على الإنشاءات، وتكاليفها الإجمالية، كل ذلك مجرد أمثلة قليلة من البيانات التي تحتويها هذه الدفاتر.

سابعًا: وثائق تصنيف جودت للأوقاف (CevdetEvkafTasnif): وقد وضعت خلاصة عددها ٢٤ هي كل مجلدات المجموعة، والموجودة في كل كتالوج، وتحتوي على ٢١٦٥٧٢ وثيقة، وضعت مرتبة زمنيًا على الكمبيوتر. وتختلف هذه الأرشيفات عن دفاتر الأوقاف اختلافًا رئيسيًا فهي تتكون من وثائق وتحتوي على الخامات والمواد ذات الصلة في الغالب بالقدس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ثامناً: قائمة المراسيم السلطانية (Hatt-I HumayunTasnifi): وتحتوي على مجموعة من ٥٩٤٠٨، وقد تم تدوين خلاصة الوثائق الموجودة في هذه القائمة مرتبة زمنياً على الكمبيوتر. ومن بينها ما قد يعتبر أكثر الوثائق أهمية فيما يختص بالتاريخ السياسي والإداري الحديث للقدس.

تاسعاً: قائمة الخطط، والمشروعات، والتصميمات: التي تحتوي على خطط وتصميمات العديد من مباني الأوقاف في القدس، مما يعطي هذه المجموعة أهمية معمارية خاصة. ورغم أن الكاتلوج في الوقت الحالي يخضع للمراقبة، فيمكن الوصول إلى وثائقه بعد الحصول على تصريح خاص.

عاشراً: دفاتر وسجلات المحاسبة الرئيسية (Bash MuhasebeKalemi): هذه القائمة تقدم فرصة لتأكيد أسماء وتفاصيل مسوح البيانات (كمية ومدى الإصلاحات؛ طبيعة المواد والخامات المستخدمة؛ المطلوب من الموظفين والعمال وأجورهم)، وقد سبق أن ذكرنا التصنيفات والتبويبات التي تذكر تواريخ إجراء هذه الإصلاحات.

ومن ناحية أخرى، فإن قوائم الوثائق (قصر يلديز Yildiz Palace؛ الهيئة الاستشارية للدولة؛ الشؤون الخارجية-الداخلية... إلخ) إلى جانب مجموعات الدفاتر، تقدم معلومات متكاملة حول أمور كثيرة، منها التغييرات الديموغرافية للقدس في القرن التاسع عشر، الهجرات إليها، والنزاعات بين السكان الذين ينقسمون إلى ثلاث ديانات، وطريقة تناول الإدارة المركزية للأمور.

الخاتمة

ومن ثم، فإنه حتى الآن، لا توجد دراسة متكاملة شاملة أخذت على عاتقها بحث تطور البنية المعمارية والتطور الحضاري لمدينة القدس تحت حكم الدولة العثمانية، بناءً على أرشيفات رئاسة الوزارة العثمانية. ويمكن لهذه الدراسة أن تفتح مجالاً جديداً لتقديم مخزون مليء بالمواقع التاريخية للقدس، وفضلاً عن ذلك، يمكنها أن تقدم بيانات أساسية وأولية من مصادرها الفعلية فيما يخص خلفية الصراع السياسي الدائر حالياً في الشرق الأوسط، وبحث مصادر قيام إسرائيل بالمطالبة بأرض في المنطقة.

ويشير تحليل القوائم إلى معلومات بالغة الأهمية للطبوغرافيا والاستيطان في القدس. وعلى سبيل المثال، يشير إحضار تراب لملء الخنادق إلى تزايد حالة الاستيطان ونمو المدينة، واحتمالية تقرير التواريخ المحددة لمناطق الاستيطان الجديدة من هذا

النوع يمكن بناء عليه التشكيك في أية أرضية تستند إليها مطالبات اليهود بتلك الأراضي. وبالمثل، تكشف الأرشيفات عن أسماء باحثين ورحالة رسموا وصوروا لوحات وصوراً للمدينة التقطت في بداية القرن التاسع عشر، وتظهر هذه الأسماء في التصريحات التي أعطيت لبعض هؤلاء الباحثين والرحالة، مما يجعل من الممكن تتبع هذه المجموعات، وليس مجرد الحصول على الصورة الظلية والنسيج المعماري للمدينة في أثناء القرن التاسع عشر.

وكمثال لوثائق الأرشيف العثماني، يمكن أن نجد فيما يلي الوثيقة حول تجديد المسجد الأقصى وقبة الصخرة مع ملخص بالإنجليزية والوثائق الأصلية.
رئاسة الوزراء، الأرشيف العثماني.

الوثيقة: MaliyedenMudevver Nr. 4355 pp. 406-473

٩ صفر ١١٢٠-١١٢٥ صفر ١١٢١ (٣٠ إبريل ١٧٠٨-٦ مايو ١٧٠٩)

ملخص الوثيقة حول تجديد المسجد الأقصى وقبة الصخرة:

- ١- كمية ونوعية وسعر الأصناف المختلفة من الخشب المطلوبة لتجديد المسجد الأقصى وقبة الصخرة والأماكن المقدسة الأخرى، ونقلها من أوسكدار Uskudar أوزنيك.
- ٢- كميات وأسعار مواد البناء المتنوعة.
- ٣- أجور تسعة وثلاثين من الحرفيين في أعمال التصوير بالجص، والحرفيين في استخدامات الرصاص، والحرفيين في البناء بالجص وصانعي الزجاج والنجارين، الذين سوف يجري إرسالهم إلى القدس.
- ٤- قائمة بمواد البناء التي شحنت على ثلاث سفن من يافا.
- ٥- قائمة بأسماء وعناوين الحرفيين في أعمال التصوير بالجص، والحرفيين في استخدامات الرصاص، والحرفيين في البناء بالجص وصانعو الزجاج والنجارين الذين سيجري إرسالهم بالسفن.
- ٦- نقل المواد من ميناء يافا إلى القدس وتكاليف النقل.
- ٧- أمر تشغيل بصناعة ٦٠٠٠ قطعة سيراميك إلى ورشة إزنيك لصناعة السيراميك، ونقلها إلى القدس.

ملحوظة: تكشف الوثيقة أيضاً أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة تم تجديدهما جزئياً مرات عديدة من قبل. ووفقاً للوثيقة أجريت إصلاحات شاملة في ذلك الوقت لكلا الحرمين.

الوقف الإسلامي في مدينة القدس وأكنافها

أ. د. محمد هاشم غوشه*

تزرخ مدينة القدس بأوقافها الوفيرة التي جعلت من كل جزء من أراضيها وقفاً محبباً على مصالح العرب والمسلمين، وحقاً قانونياً لا ينمحي بمرور الزمن، وقد حظيت هذه المدينة المقدسة باهتمام خلفاء وسلاطين العرب والمسلمين وملوكهم وأمراءهم فضلاً عن مختلف شرائح المجتمع نظراً لمكانتها الدينية والروحية الخاصة وقدسيته، وقد ساهم كل من قدر مكانتها في وقف وتحبيس العقارات أملاً منه في ترسيخ جذور العرب والمسلمين في هذه الديار، فكانت الأوقاف عنصراً رئيساً وعاملاً ناجحاً في تأكيد ملكية وأحقية العرب والمسلمين لمدينة القدس.

ويُستفاد من مظان التاريخ ومصادره التي ترقى إلى الفترات الإسلامية التي تلي الاحتلال الفرنجي للقدس كيف ازدهرت الكتابات التي تحدثت عن فضائل بيت المقدس، وخططها ومنشأتها الدينية والعلمية، وقد أصبحت تلك المواضيع، تقليدية تكاد لا تخلو منها معظم تلك الكتابات، حتى ظهر كل من الصاحب تاج الدين أحمد بن الوزير أمين الدين عبد الله الحنفي (المتوفى سنة ٧٥٥هـ/١٢٥٤م) والذي صنّف كتاباً لم يصل إلينا بعنوان «سلسلة المسجد في صفة الصخرة والمسجد» اعتمد فيه منهجاً وصفيّاً معمارياً للمسجد الأقصى المبارك، ومؤرخ القدس والخليل مجير الدين عبد الرحمن العُلَيمي الحنبلي (المتوفى سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م) الذي صنّف كتابه المهم «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» وكشف من خلاله عن أهم حارات القدس وخططها ومؤسساتها الوقفية، ويعد كتابه هذا مصدراً أميناً لتاريخ الوقف في القدس في العصرين الأيوبي

* باحث مقدسيّ، الرئيس التنفيذي/ دارة القدس للبحوث والتوثيق، وعضو منتدى الفكر العربي.

والمملوكي، كونه اعتمد فيه على السجلات الشرعية الأيوبية والمملوكية التي اطلع عليها كما يؤكد هو غير مرة في سياق كتابه مستفيداً من وظيفته قاضياً للقضاة في القدس^(١).

لقد أصبح كتاب مجير الدين أهم المصادر الإسلامية لتاريخ القدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ومن خلاله تمكن الباحثون ومنهم المستشرق دونالد لتل العمل على فهرسة وثائق الحرم القدسي الشريف، التي عثرت عليها الباحثة أمل أبو الحاج في إحدى خزائن المتحف الإسلامي الكائن في المسجد الأقصى المبارك في سنة ١٩٧٤م.

إنّ ضياع السجلات الشرعية الأيوبية والمملوكية الخاصة بمدينة القدس وضياح سجلات العهد العثماني التي تسبق سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م أثرت بشكل كبير على أسلوب ومنهجية البحث التاريخي لمدينة القدس، فهذه السجلات التي لم نشاهدّها كانت حتماً ستكون مصدراً غنياً وخصباً لا مثيل له لتاريخ القدس، يكشف مزيداً من المنشآت الأثرية والتاريخية، وينقل لنا أخبار وتفصيل ذلك الزمان بحذافيره اليومية تماماً كما فعلت السجلات الشرعية العثمانية لمدينة القدس والتي تم تصويرها وتقديمها للباحثين على لفائف المايكروفيلم.

(١) يستفاد من كتاب مجير الدين العليمي وجود سجلات شرعية للقدس ترقى إلى العصر المملوكي، فقد كتب عن قضاة القدس قائلاً: «... فمنهم من اطلعت على ترجمته وتاريخ وفاته، فأذكر من اطلعت عليه على وجه الاختصار، ومنهم من لم أطلع على ترجمة له، وإنما عرفت اسمه من اطلاعي على إسناله في المستندات الشرعية أو غير ذلك، فأذكر اسمه والعصر الذي كان متولياً فيه، وكل من رأيت له في إسناله أو غير ذلك قاضي القضاة أو ترجم بذلك أحد من المؤرخين كتبت له ذلك، ومن لم أر في إسناله ولا في ترجمته كتبت له القاضي...» مجير الدين عبد الرحمن العليمي، الأناضول الجليل في تاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمّان، ١٩٧٣م، ج ٢، ص ١١٩؛ محمد غوشه، القدس في تراث كامل العسلي، القدس، ١٩٩٨م، ص ١٦٧؛ وقد كتب عارف العارف عن سجلات المحكمة الشرعية التي ترقى إلى العصر المملوكي قائلاً: «... ويذكر العالم الإفرنسي كلرمان غانوي في كتاب البحث عن الآثار في فلسطين في المجلد الأول الصفحة ٢٣٦ أنّ الشيخ أبا السعود (٩) حدثه فقال: إن فيها السجلات المتصلة بحوادث القرون الثلاثة الأخيرة، وأما السجلات التي يرجع تاريخها إلى ما قبل ذلك، فقد نقلت إلى القلعة وهي ما تزال هناك حتى يومنا هذا (١٨٧٣) وأما أنا - عارف العارف - فلست أدري ماذا فعل الزمان بسجلات القلعة، ولا متى نقلت؟ وإنما رأيت في دار المحكمة الجديدة (الزاوية النقشبندية سابقاً ودار الشيخ يعقوب البخاري حالياً) على مقربة من باب الغوانمة سجلات يرجع عهدها إلى أوائل الفتح التركي في القرن السادس عشر، ويظهر أن السجلات التي قال عنها أبو السعود أنها نقلت إلى القلعة تمت بالأصل إلى عهد المماليك.» المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١م، ص ٢١٢.

لقد عانت مدينة القدس منذ النكبة في سنة ١٩٤٨م من مشاكل كبيرة، أبرزها الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على الأملاك الوقفية للأراضي والعقارات الكائنة داخل المدينة القديمة وحولها، وقد ترتب على سقوط الأحياء الغربية من القدس في سنة ١٩٤٨م ضياع العديد من العقارات الوقفية التي كانت تشكل رافداً اقتصادياً مهماً للأوقاف الخيرية والذرية داخل المدينة المقدسة، وقد تبعثرت منذ ذلك التاريخ ممتلكات وقفية عديدة أمست داخل حدود ما يعرف «بالدولة العبرية»، فأصبحت إمكانية التواصل بين إدارة الأوقاف الإسلامية أو متولي الوقف وبين هذه العقارات أمراً مستحيلًا أدى بالتالي إلى تأخر تطور الوقف الإسلامي في القدس.

ومن بين الممتلكات والعقارات الوقفية التي ضاعت داخل الشطر الغربي أراضى وعقارات كانت تتبع مباشرةً للوقف الإسلامي العام، نذكر منها على سبيل المثال:

١. مقبرة ماملا الكائنة شمالي غرب باب الخليل التي جرفت معظم أراضيها ونُهبت شواهد قبورها وأنشئ على أنقاضها أسواق ومباني تجارية وحكومية إسرائيلية.
٢. النُزل أو الفندق الذي أنشأه المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين في شارع يافا غربي القدس القديمة وذلك في سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.
٣. أراضى القرى العربية المدمرة الكائنة في الشطر الغربي من القدس التي هُجرت وأحرقت ودُمّرت منذ أربعينيات القرن العشرين، ومنها على سبيل المثال قرية المالحة العربية التي وقفها الأمير منجك في ١٥ ذي الحجة سنة ٧٧٦هـ/١٣٥٥م على مصالح المدرسة المنجكية التي أنشأها في القدس إلى الغرب من المسجد الأقصى المبارك.
٤. الأراضى التي دخلت في ما أخذ يعرف بين سنتي ١٩٤٨م-١٩٦٧م بالمنطقة الحرام التي كانت تقع شمالي القدس القديمة إلى الغرب من أراضي المصراة وباب العمود، فقد جُمّدت الأراضى الوقفية التي كانت هناك حتى بعد سقوط ما تبقى من القدس في سنة ١٩٦٧م.
٥. حي النبي داود الكائن إلى الجنوب من القدس القديمة، وقد تأثر هذا الحي بحرب سنة ١٩٤٨م وأصبحت زاوية النبي داود والمسجد الكائن هناك تحت السيطرة الإسرائيلية، وبذلك جُمّدت وقفية السلطان سليمان خان القانوني المؤرخة في ذي الحجة سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م والمحبسة على مصالح الشيخ شهاب الدين أحمد الدجاني وذريته.

٦. أراضي وعقارات كثيرة تقع داخل الخط الأخضر كانت موقوفة على مصالح العمارة العامرة في القدس والمعروفة باسم «تكية خاصكي سلطان».
٧. أراضي المحمديات الشرقية وأرض وقف البسطامية الكائنتين في حي الشيخ جراح والتي أنشأت عليهما سلطات الاحتلال قبل بضع سنوات فنادق سياحية.
٨. أرض تقع في حي الشيخ جراح كانت مخصصة لبناء مستشفى يحمل اسم المحسنة المقدسية «أمينة الخالدي» التي أنشأت عليها فيما بعد سلطات الاحتلال ما أخذ يعرف بالمقر العام لحرس الحدود.

لقد كشفت وقفية المحسنة المقدسية الست أمينة بنت بدر الخالدي في سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، كيف أثر ضياع أراضي وقفها الكائنة في منطقة باب الخليل غربي القدس على مجمل أوقافها، فقد تعطلت بسبب ذلك مشاريعها المتمثلة في بناء مستشفى خيرى عام ومستوصف يحملان اسمها في أراضي الوقف غربي القدس، الأمر الذي جعل الدكتور محمود الدجاني متولي الوقف يقوم بشراء أرض تابعة لعائلة الدنف الأنصاري تبلغ مساحتها (١٣,٥٠٠ مترًا مربعًا) تقع في حي الشيخ جراح تعرف «بخلة نوح» بغية إنشاء المستشفى والمستوصف اللذين لم يشاهدا النور حتى يومنا هذا^(٢).

وقد أصبحت الأوقاف الإسلامية في القدس بعد سنة ١٩٦٧م، تعاني بشقيها الخيري والذري حالة من التخبط تعكس عدم الاستقرار الذي يعيشه سكان وأهالي المدينة، فلم تعد العائلات التي كانت تمتلك عقارات وقفية تعرف أين أصبحت هذه الأراضي أو العقارات، فهي تارة إما أن تكون قد جُمّدت في المناطق الكائنة غربي القدس، أو أنها صودرت لأغراض إنشاء مستوطنات أو مناطق عسكرية أو حتى مقابر تمامًا كالمقبرة اليهودية الكائنة في حي راس العمود شرقي القدس والتي ترجع أراضيها في الأصل إلى جملة الأوقاف الخيرية التي وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي في ١٧ ذي الحجة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، حيث سارعت سلطات الاحتلال إلى توسيع رقعة هذه المقبرة، واستولت على الأراضي المجاورة والملاصقة لها من مختلف الجهات، ثم اتجهت في اعتداءاتها على أراضي الوقف صوب سفح جبل الزيتون بغية توسيع رقعة المقبرة اليهودية.

(٢) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف رقم (١٠/٨٧، ٥/١٣/٤٢)؛ (١٠/٦٩، ٩/٤٢/١٣).

ومن المؤسف أنّ المحكمة الشرعية في القدس لم تقم بإجراء مسح شامل لكافة الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس، ففي هذه السجلات حجج وقرينة عديدة جداً تغطي مختلف مراحل العصر العثماني فضلاً عن إسهالات لوقفيات من العصرين الأيوبي والمملوكي معاد تسجيلها في العصر العثماني، كما توقفت للأسف الشديد جهود الفهرسة التي شرع بإعدادها الشيخ محمد أسعد الإمام مفتي رام الله الأسبق وعدد من معاونيه لسجلات المحاكم الشرعية وذلك في فترة مبكرة لا تشفي غليل الباحثين، كما تبخرت أحياناً أخرى فرص الباحثين في قراءة بعض حجج الوقف المصورة على لفائف المايكروفيلم عند أول حجة وقف شرعية مصورة بشكل لا يسمح باستمرار قراءتها بسبب رداءة التصوير أكثر من رداءة الخط.

لقد بدت للباحث مراحل البحث والقراءة الطويلة في سجلات المحاكم الشرعية كأنها ولأول وهلة لن تنتهي، فهذه السجلات غير المفهرسة وأحياناً أخرى غير المقروءة والتي تغطي الفترة العثمانية بدءاً من سنة ٩٢٥هـ/١٥٢٩م وحتى السجلات الشرعية المعاصرة يزيد عددها عن ٦٢٦ سجلاً شرعياً غير مفهرسة، تشتمل على حوالي مليوني وثيقة أو حجة شرعية مكتوبة بخط اليد، وهي غير مشمولة مع السجلات الشرعية الإضافية غير المصورة التي يُقدَّر عددها بحوالي ١٥٠ سجلاً شرعياً تغطي فترات مختلفة من العهد العثماني.

لقد أحصى الباحث على نحو غير مسبوق (مع بقاء هامش خطأ بسيط) عدد الوقفيات المسجلة في جميع سجلات المحاكم الشرعية في القدس ووثائق الأوقاف الأخرى مرتبة في جداول تفصيلية بدءاً بالعصر الأيوبي وحتى العصر الحديث، ثم ضمّنها في كتابه المنشور في سنة ٢٠١٠م في استانبول، وبذلك يكون أول كتاب يحتوي على إحصائية شاملة بجميع حجج الوقف الإسلامي، وقد تضمنت هذه الجداول التفصيلية معلومات تفصيلية عن ما يلي: رقم متسلسل لحجة الوقف؛ تاريخ الوقف؛ اسم الواقف؛ تفاصيل الوقف؛ جهات الوقف؛ مصادره؛ نوع الوقف.

تعريف الوقف

الوقف لغة الحبس^(٣)، وجمعها أوقاف، وهو مصدر للفعل وقف يقف وقفاً، ومعناه شرعاً حبس العين المملوكة ملكاً تاماً والتصدق بالمنفعة^(٤)، وهو ضربٌ من ضروب البر والإحسان^(٥) التي حثَّ عليها القرآن الكريم وعمد إلى فعلها الرسول العربي الكريم ﷺ^(٦) وهو تحديد منفعة العين لجهة محددة كأن يقوم شخص ببناء مسجد، أو مدرسة، أو داراً للأيتام والمسنين، أو خان ونزل للمسافرين وعابري الطريق، أو سبيل للشاربين، أو مكتبة لخدمة طلبة العلم، أو حتى مزرعة أو مسكن يكون ريع وارداتها إلى ذريته، وغير ذلك من أعمال البر والخير على أن يكون المستفيد من الوقف شخص غير الواقف نفسه إلا إذا شرط ذلك في كتاب وقفه أو كان الوقف على عموم المسلمين فيكون الواقف أحدهم^(٧).

١. تعريف الحنفية للوقف

الوقف عند الحنفية^(٨): «حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها» أو «حبس المملوك عن التملك من الغير».

(٣) عبد الرؤوف المناوي، تيسير الوقوف في غوامض أحكام الوقوف، (خ)، المكتبة الأزهرية، ص ٣٧؛ برهان الدين إبراهيم بن موسى ابن أبي بكر الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الطباعة الكبرى، القاهرة، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ص ٧؛ محمد أمين الشهير بابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ج ٤، ص ٢٣٧؛ عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٥٩٧؛ زكي الدين شعبان وأحمد الغندور، أحكام الوصية والميراث والوقف في الشريعة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٤٥٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، علق عليه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٨م، ج ١٥، ص ٣٧٤؛ محمد أفندي، رسالة قصيرة في أحكام الوقف، (خ)، ص ٦٨؛ الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ٢؛ عبد الله بن محمود الموصللي الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٥٢م، مج ٢، ج ٢، ص ٤٠؛ محمد عيد الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧م، ج ١، ص ٥٥؛ الشيخ محمد أسعد الإمام، المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، المطبعة الوطنية، القدس، ١٩٨٢م، ص ٧-٨.

(٥) الإمام، المنهل الصافي، ص ١٤.

(٦) بحاث دمشقي، الأوقاف الإسلامية، مجلة المقتطف، عدد مايو/أيار، ١٩٠٣م، ص ٣٦٩؛ الإمام، المنهل الصافي، ص ١٤.

(٧) ابن قدامة، المغني، ج ٥، ص ٦٠٤.

(٨) جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ٢٩٩.

٢. تعريف الحنابلة للوقف

عرّف الحنابلة^(٩) الوقف بأنه «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة».

٣. تعريف الشافعية للوقف

عرّف الشافعية^(١٠) الوقف بأنه «تمليك لمنافع معدومة وفوائد معقودة تارة لموجود وتارة لمفقود، وتمليك المفقود أعظم أحوال الوقف، فإن المستحقين الموجودين وقف الوقف إذا انقضوا صارت الغلات والمنافع المعدومة مستحقة بالوقف إلى يوم القيامة».

٤. تعريف المالكية للوقف

عرّف المالكية الوقف بأنه: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً».

صيغ وألفاظ الوقف

يبلغ عدد ألفاظ ومصطلحات الوقف ستة وعشرين لفظاً؛ أبرزها أن يقول الواقف: وقفتُ أو حبستُ أو صدقتُ أو سبلتُ أو أبدتُ^(١١) وهي ألفاظ صريحة للتأكيد على أنّ الواقف قد تنازل عن وقفه للصالح العام، أو أن يقول بشكل غير مباشر عقاري للفقراء^(١٢)، أو أن يكون وقفاً بالتعامل كأن يبني المحسن مدرسةً أو مسجداً أو سبيلاً للشاربين دون أن يقرن ذلك بكتاب وقف مسجّل في سجلات المحكمة الشرعية.

أنواع الوقف

يُقسم الوقف إلى قسمين هما: الوقف الخيري والوقف الذري (الأهلي)، ويكون الوقف خيرياً^(١٣) عند تخصيص ريعه على جهة من جهات البر كالوقف على المساجد أو

(٩) ابن قدامة، المغني، ج ٥، ص ٦٠٤.

(١٠) عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج ٢، ص ٩٨؛ شهاب الدين القليوبي، حاشية القليوبي بهامش شرح المنهاج لجلال الدين المحلي، ج ١، ص ٢٧٨؛ عبد الرؤوف المناوي، تيسير الوقوف، (خ)، ص ٤١.

(١١) عبد الله بن محمد التبريزي، الكفاية في علم الكتابة، (خ)، مكتبة تشستر بيتي، إيرلندا، ص ١٢.

(١٢) الإمام، المنهل الصافي، ص ٧.

(١٣) مصطفى أحمد الزرقا، الشمس الجليلة في الرد على من أفتى ببطلان أوقاف الذرية، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٢٥م، ص ٤؛ مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، الوقف الإسلامي في فلسطين، القدس، ١٩٨٤م، ص ٩؛ الإمام، المنهل الصافي، ص ١٤.

المدارس أو المستشفيات أو تلاوة القرآن الكريم، ويكون ذرياً^(١٤) عند استحقاق الربيع للواقف نفسه ثم لغيره من الأفراد الذين يُعيّنهم سواء أكانوا من أقاربه أم غير ذلك، في حين يتحول الوقف الخيري أو الذري إلى وقف أرساد^(١٥) عند صرف شيء من الوقف من بيت المال على مصلحة أو على بعض مستحقّيه بعد أن يُحبّس أحد المحسنين مالمّ على مصالح خيرية أو أهلية، وقد تطوّر نمطٌ جديدٌ من وقف الأرساد في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وفق النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، ثم ازدهر في القرن الحادي عشر الهجري وفق القرن السابع عشر الميلادي وعرف باسم وقف النقود^(١٦). ويعرف الوقف باسم وقف الخلو^(١٧) أو وقف المنفعة حين يكون الوقف مقتصرًا على الانتفاع بالعقار الموقوف، أما الخلو فهو اسم معنوي يملكه دافع المال مقابل الانتفاع بالعقار الموقوف شرط أن يعمل على عمارته من المال المحبّس لمصلحة وقف الخلو، وهذا النوع من الأوقاف جائز في المذهب الحنفي الذي ساد في مدينة القدس طوال العهد العثماني^(١٨)، وقد ازدهر وقف الخلو في العهد العثماني الذي تنامت فيه سلطة القاضي الحنفي في مدينة القدس حتى أصبح أعلى سلطة قضائية وتشريعية في السنجق (لواء) القدس.

(١٤) الزرقا، الشمس الجليلة، ص ٤؛ إحياء التراث، الوقف الإسلامي، ص ٩؛ الإمام، المنهل الصافي، ص ١٥.

(١٥) الإمام، المنهل الصافي، ص ١٥.

(١٦) تطوّر وقف النقود في العهد العثماني ليكون بديلاً عن تأجير الأراضي والعقارات والدور والديكاكين وغيرها لتغطية نفقات الوقف، ويقوم النوع الجديد على وقف مجموعة من النقود تُقدّم بفائدة محدّدة للتجار تضمن مصدرًا ثابتًا لتغطية نفقات رعية الوقف وما تُقدّمه من خدمات للمجتمع، وقد أجاز الفقهاء والقضاة الأروام (العثمانيين) هذا النوع من الوقف في العهد العثماني وأصبح شائعاً في مدينة القدس، وقد وفّرت أوقاف النقود أموالاً للتجار والمقترضين على أساس أن تُعاد هذه الأموال بفائدة يبلغ نسبتها ما بين ١٠ - ١٢٪. تمود على مصالح رعية الوقف؛ دمشقي، الأوقاف، مجلة المقتطف، ص ٣٧٢؛ محمد الأرنؤوط، تطوّر وقف النقود في العصر العثماني (٢)، مجلة دراسات، جامعة اليرموك، المجلد التاسع عشر (أ)، العدد الثالث، ١٩٩٢م، (٣٦-٤٨)، ص ٢٥٧؛ محمد الأرنؤوط، تطوّر وقف النقود في العصر العثماني (٣)، مجلة دراسات، جامعة اليرموك، المجلد العشرون (أ)، العدد الأول، ١٩٩٣م، (٣٥٦-٣٨٢)، ص ٣٥٧.

(١٧) الإمام، المنهل الصافي، ص ٣٠-٣١.

(١٨) عبد الله الشرقاوي، حاشية الشرقاوي على شرح التحرير للأنصاري، ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ج ٢، ص ٤٩١.

أشكال الوقف

١. وقف المشاع

وقف المشاع^(١٩) هو عندما يشترك أكثر من شخص في ملكية عقار واحد، فيقال إن الملكية مشاعة بينهم، أي أنّ حصة كل شخص من الملاك غير محدّدة وغير قابلة للقسمة مع شركائه، وقد اتفق الصحابان أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (المتوفى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م) وأبو الحسن محمد بن الحسن الشيباني (المتوفى سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م) على جواز وقف مشاع لا يمكن قسمته، كالبئر والحمام والرحى، واختلفا في ما يمكن قسمته، حيث أجازهُ أبو يوسف وهو المعتمد في أحكام الشرع وأبطله محمد.

٢. وقف القسمة

وقف القسمة^(٢٠) هو عندما يشترك أكثر من شخص في ملكية أو وقف عقار واحد يتم فرز نصيب كل واحد منهم على نحو يعرف فيه كل مشترك حدوده ونصيبه في العقار المقسوم، وهو بعبارة أخرى فرز النصيب بين الشركاء حتى ينتفع بالقسمة كل منهم على وجه الخصوص.

تطور الوقف في مدينة القدس

عرفت مدينة القدس نظام الوقف الإسلامي منذ أن دخلت في رحاب الإسلام، وقد مسح الاحتلال الفرنجي للقدس خلال الفترة الزمنية الطويلة التي تمكّن فيها من هذه المدينة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م - ٥٨٣هـ/١١٨٧م) كل ما كان فيها من تراثٍ عربي وإسلامي مخطوط، حتى إنهم رموا أحد علماء القدس وهو مكي بن عبد السلام بن الرميلى المقدسي المحدث بالحجارة على باب أنطاكية حتى نال الشهادة^(٢١).

(١٩) الإمام، المنهل الصافي، ص ٢٨.

(٢٠) علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ج٧، ص ١٧؛ أحمد إبراهيم بك، المعاملات الشرعية المالية، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢١) مجير الدين، الأُنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٩؛ كامل العسلي، مخطوطات فضائل بيت المقدس، منشورات مجمع اللغة العربي الأردني، عمّان، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٣٩-٤٠.

وقد اعتنى السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير القدس في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٧م بتحسين أوضاع المدينة المقدسة وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل احتلالها من الفرنج، فقام بتدشين المؤسسات العلمية والدينية والصوفية فضلاً عن اهتمامه بعمارة القدس وتحصين سورها ودفاعاتها، ومن الأوقاف التي حبسها السلطان صلاح الدين الأيوبي في القدس وقفية المدرسة الصلاحية، والخانقاه الصلاحية، والبيمارستان الصلاحي. كما اعتنى سلاطين وملوك وأمراء الدولة الأيوبية بتطوير الأوقاف الإسلامية في القدس حفاظاً على إسلامية المدينة، ومن هؤلاء الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي وقف الحارة المعروفة بحارة المغاربة على المغاربة المقيمين في القدس^(٢٢)، والملك المعظم شرف الدين عيسى ابن أخي صلاح الدين الأيوبي الذي وقف عددًا من المدارس في رحاب المسجد الأقصى وفي أرجاء القدس.

وبالرغم من ازدهار الوقف الإسلامي في القدس في بدايات العصر الأيوبي، إلا أن هذه المدينة عانت في عهد الأيوبيين لا سيما بعد سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م من قلاقل سياسية كثيرة أثرت بشكل كبير على تطور الوقف الإسلامي فيها، فقد أثرت حادثة هدم وتخريب تحصينات القدس على يد الملك المعظم شرف الدين عيسى في تلك السنة على استقرار المدينة السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

لقد رحل بعد تخريب سور القدس جُلّ سكان المدينة وهجروها خوفاً من قدوم الفرنج من جديد وذبح المسلمين تماماً كما فعلوا عند احتلالهم لها في سنة ٩٢هـ/١٠٩٩م، وقد كان خوف المقدسيين في محله، إذ احتل الفرنج القدس من جديد بعد عشر سنوات أي في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م^(٢٣)، واستمر احتلالهم لها حتى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، ثم عادوا واحتلوها مرة

(٢٢) بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٢٢٠؛ أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٩٦-٢٩٧، ٢٠٦ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٢٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، بيروت، د. ت ج ١٢، ص ٢٤٦؛ مجير الدين، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠.

(٢٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٥، ص ١١٨؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، د. ت، ص ٢٤٤.

ثالثةً في الفترة ما بين ١٢٤١هـ/١٢٤٢م - ٦٤٢هـ/١٢٤٤م^(٢٤)، وهكذا بقيت المدينة في حالة غير مستقرة ضاعت خلالها معظم أوقافها وخلت من المؤسسات والعقارات التي كانت تموّل هذه الأوقاف.

وينفرد النعيمي^(٢٥) بأحسن وصف لما آلت إليه حال الوقف الإسلامي في المدينة المقدسة في العصر الأيوبي، فقد نقل أنّ عز الدين أيبك المعظمي أستاذار الملك المعظم شرف الدين عيسى كان قد وقف مدرسة في القدس عرفت بالمدرسة العزّية، لكنه شرط أن تؤوّل منفعة وقفه على مدرسة القدس فقط حينما تكون القدس فقط بيد المسلمين، في حين خصّص منفعة وقفه إلى المدرسة الحنفية التي وقفها في الجامع الأموي بدمشق إذا ما كانت القدس تحت الاحتلال الفرنجي، وهذه الحادثة تؤكد تراجع الاستقرار السياسي في المدينة المقدسة بعد وفاة السلطان صلاح الدين؛ الأمر الذي أدى إلى تراجع الاهتمام بالوقف الإسلامي في القدس بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي.

عادت مدينة القدس تزدهر بأوقافها الإسلامية بعد خروج الفرنج للمرة الثالثة والأخيرة، ولكن هذه المرة برعاية الدولة المملوكية التي اهتمت سلاطينها وأمرائها بإنشاء المؤسسات الخيرية ووقفها على مصالح المسلمين، وقد ازدهرت المباني الوقفية كالمدارس والترب والزوايا وخدمت مختلف النواحي الحياتية في المدينة المقدسة وقد وثّق مؤرخ القدس والخليل قاضي القضاة مجير الدين عبد الرحمن العليمي الحنبلي تلك الأوقاف في كتابه الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ومن هذه الأوقاف: وقف الملك الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، ووقف الأمير

(٢٤) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ج٣، ص ٢٩١-٢٩٣.

(٢٥) عبد القادر النعيمي، المدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص ٤٢٨-٤٢٩.

تتكز الناصري^(٢٦) نائب الشام في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، ووقف الأمير منجك^(٢٧) في سنة ٧٧٦هـ/١٣٥٥م، ووقف الملك الأشرف قايتباي^(٢٨) في سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م.

كما ازدهر الوقف الإسلامي في القدس في العهد العثماني بشكل فاق كل العصور، وعرفت القدس نوعاً جديداً من الأوقاف الإسلامية إلى جانب الوقف الخيري والوقف الذري تمثل في وقف النقود، وفي هذا العصر شهدت القدس كبرى أوقافها عبر التاريخ، وهو وقف خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان خان القانوني بالإضافة إلى التنافس الشديد بين سكان وأهالي المدينة على فعل الخير من خلال تحبيس العقارات ووقفها للمصلحة العامة.

مصادر الوقفيات وأماكن وجودها

١. سجلات المحكمة الشرعية

تُعد سجلات المحكمة الشرعية في القدس أهم المصادر التاريخية التي تحتفظ بأصول حجج وكتب الوقف الخاصة بالمدينة المقدسة، فهذه السجلات تحتضن معظم حجج الوقف التي ترقى إلى العصر العثماني بالإضافة إلى إيسجلات لحجج وقف من العصرين الأيوبي والمملوكي، وتبدأ سجلات محكمة القدس الشرعية في سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م بسجل غير مصور يحمل رقم أب، وهو يسبق السجل المعروف بالسجل الأول ويتألف من ٣٥١ صفحة سُجل بها ست وقفيات.

ولما كانت السجلات الشرعية التي سُمح بتصويرها والمحفوظة أصولها في المحكمة الشرعية في القدس تبدأ بالسنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م، فإن جميع السجلات الشرعية التي تسبق السجل أب غير المصور قد ضاعت وتبعثرت بمرور الزمن ولم يبق لها أثر،

(٢٦) س. ش ٩٢ ص ٤٢٦-٤٣٠؛ مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف (١٣/١١٩٤/٢، ١/٢)؛ كامل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، عمان، ١٩٨١م، مج ١، ص ١٠٨-١٢١.

(٢٧) س ٢، مؤسسة إحياء التراث، ملف (١٣/١١٩٤/٢، ١/٢).

(٢٨) عبد اللطيف إبراهيم، وثيقة السلطان قايتباي، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة فاس سنة ١٩٥٩م، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤١٣.

مما يعني أن غالبية وقيادات القدس التي تسبق ذلك التاريخ وترجع إلى فترات العصر الأيوبي والمملوكي ومطلع العهد العثماني ضاعت وأصبحت من الزمن الماضي للأسف الشديد.

ويبلغ عدد سجلات محكمة القدس الشرعية ٨٢٠ سجلاً منها ٦٧٠ سجلاً مصوراً على لفائف المايكروفيلم، وحوالي ١٥٠ سجلاً غير مصورة كشف عن وجودها الباحث خضر سلامة^(٢٩)، ويذكر العسلي^(٣٠) أنّ عددها حتى شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ/ كانون الأول سنة ١٩٨٢م بلغ ٦١٦ سجلاً، في حين يذكر الأنصاري^(٣١) أنّ عدد السجلات المصورة حتى سنة ١٩٨٢م بلغ ٦٢٦ سجلاً، ثم أورد إحصائية أخرى للشيخ محمد أمين الدنف الأنصاري^(٣٢) لسجلات القدس في العهد العثماني بلغت ٣٤٣ سجلاً.

إنّ أهمية سجلات المحكمة الشرعية في مدينة القدس تكمن في أنها أقدم السجلات الشرعية في بلاد الشام^(٣٣) فهي تبدأ في سنة ٩٢٥هـ/١٥٢٩م، في حين تبدأ سجلات محكمة حلب الشرعية على سبيل المقارنة في سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م، وسجلات محكمة دمشق في سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م، ولا يسبق سجلات محكمة القدس الشرعية في التاريخ سوى سجلات محكمة بورصة التي يرجع أقدم سجلاتها إلى سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م، ثم يليها سجلات محكمة قيصري في سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م.

(٢٩) خضر سلامة، سجلات المحكمة الشرعية في مدينة القدس ووثائقها ودور كامل العسلي، كامل

العسلي العلامة المقدسي وقضية القدس، القدس، ١٩٩٦م، (٢٥٥-٢٧٣)، ص ٢٥٧

(٣٠) كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، عمّان، ١٩٨١م، مج ١، ص ١١.

(٣١) فهمي الأنصاري، سجلات المحكمة الشرعية ووثائقها ودور كامل العسلي، كامل العسلي العلامة

المقدسي وقضية القدس، القدس، ١٩٩٦م، (٢٤٥-٢٥٤)، ص ٢٤٧.

(٣٢) الشيخ محمد أمين الدين بن عمر الدنف الأنصاري؛ خاتم الوراقين في القدس وقيّم المكتبة الخالدية؛

ترك مكتبة قيّمه تبعثرت بعد وفاته؛ توفي في العام ١٩٥٨م في منزله الكائن في حارة باب السلسلة فوق

درج العين؛ محمد غوشه، القدس في تراث كامل العسلي، القدس، ١٩٩٨م، ص ١٨.

(٣٣) محمد غوشه، سجلات المحكمة الشرعية في القدس، مجلة عربيكا، بحوث مؤتمر أدوات البحث في

الأرشيف، القاهرة من ٦-٨ مايو ٢٠٠٠م، (٢٧٣-٢٨٤)، ص ٢٧٣.

٢. دفاتر الأرشيف العثماني

وهي عبارة عن مجموعة من الدفاتر العثمانية المعروفة بطابو تحرير دفتر لري^(٣٤)، أي دفاتر تسجيل الأراضي العثمانية التي تسمى كذلك بسجلات الدفتر الخاقاني، وتُحفظ هذه الدفاتر في أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول، كما يوجد نسخة مايكروفيلمية منها في مركز الوثائق والمخطوطات التابع للجامعة الأردنية، وتشتمل على عدد من الدفاتر الخاصة بأوقاف القدس وبلاد الشام من أبرزها:

- دفتر أوقاف وأملاك لواء القدس الشريف رقم ٥٣٩ لسنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م - ٩٦٤هـ/١٥٥٦م.
- دفتر أوقاف وأملاك لواء القدس الشريف رقم ٣٤٢ لسنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م - ٩٦٥هـ/١٥٥٧م.
- دفتر مفصل لواء قدس شريف (قانونامة سي) لسنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م.
- دفتر إجمال ألوية غزة وصفد والقدس رقم ٤٢٧ لسنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م.
- دفتر أوقاف لوائي القدس وغزة رقم ١٢١ لسنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م.
- دفتر أوقاف فلسطين رقم ٦٠٢ لسنة ٩٤٠هـ/١٥٢٣م.
- دفتر أوقاف لوائي غزة والقدس رقم ١٠١٥ لسنة ٩٤٥هـ/١٥٢٨م.
- دفتر إجمال لواء القدس الشريف رقم ٢٨٣ لسنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م.
- دفتر مالية مدورة ٣٧٢٣ لسنة ٩٦١هـ/١٥٥٣م - ٩٧٤هـ/١٥٦٦م.
- دفتر خاص بلواء القدس رقم ٢٨٩ لسنة ٩٦١هـ/١٥٥٣م.
- دفتر طابو ٥١٦ لسنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م.
- دفتر إجمال لواء القدس رقم ٣٤٦ لسنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م.
- دفتر أوقاف وأملاك لواء غزة والقدس وصفد ونابلس وعجلون رقم ٥٢٢ لسنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م.

(٣٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الدفاتر ينظر: العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، مج ١، ص ٢٦-٢٨.

٣. وثائق الأوقاف الإسلامية (وثائق مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية)

تحفظ هذه الوثائق في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في ضاحية أبو ديس بالقدس الشريف، وهي تتألف من كم هائل من الوثائق الأصلية التي ورثتها مؤسسة الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية طوال العهد العثماني وفترة الانتداب البريطاني والعهد الأردني والعهد المعاصر في فلسطين والقدس، ويوجد في أرشيف مؤسسة إحياء التراث ملايين الوثائق المخطوطة التي تتعلق بمختلف المواضيع التي لها صلة بشؤون الأوقاف الإسلامية، وهي جميعها محفوظة في دائرة الوثائق التركية (العثمانية) وحجج وقف أخرى معاد تسجيلها محفوظة في دائرة الوثائق العربية، وقد تمكنت المؤسسة من فهرسة جميع الوثائق المتعلقة بالأوقاف الإسلامية وحفظها في صناديق خاصة.

وتضاف سجلات الأراضي والأحكار والطابو والوقف إلى مجموعة المصادر المهمة المحفوظة في مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، التي تضم حجج وقفية وأخرى لها علاقة بشؤون الوقف الإسلامي بشقيه الخيري والذري، ويبلغ عدد السجلات المحفوظة في مؤسسة إحياء التراث زهاء ٣٨٠٠ سجل منها سجلات عديدة متعلقة بشؤون مالية كسجلات الصُـرر المعروفة بسجلات الصُـرّة الرومية، بالإضافة إلى السجلات المصنفة بسجلات الوظائف أو الفرمانات السلطانية.

٤. حجج وقف لدى عائلات القدس

تحفظ معظم عائلات القدس بوثائق عائلية تخص الأوقاف التي حبسها أجدادها على ذريتهم وعلى المؤسسات الخيرية والعامّة، ومن بين العائلات المعروفة بحيازتها لوثائق وحجج وقفية نذكر عائلة الخطيب، وعائلة الدنف الأنصاري حيث يعد الأستاذ فهمي الأنصاري واحداً من أشهر رجالات القدس المعاصرين الذين حملوا راية الحفاظ على تراث الآباء والأجداد المتعلق بالأوقاف، وعائلة الحسيني التي جمع أبناؤها أرشيفاً خاصاً بوثائق الوقف التي كانت متناثرة في منازل أبناء العائلة، ومن أبرزها أوقاف السيد حسن أفندي بن عبد اللطيف الحسيني مفتي السادة الحنفية في القدس (١١٥٦هـ/١٧٤٣م - ١٢٢٦هـ/١٨١١م)، وعائلة الخالدي التي تتميز بمكتبتها العريقة التي تشتمل بالإضافة إلى المخطوطات المتنوعة على عدد من الوثائق الخاصة المتعلقة

بأوقاف وأملاك العائلة الخالدية في القدس، وعائلة البديري؛ حيث كانت توجد وثائق الوقف الخاصة بالعائلة لدى المتولي السابق الحاج عبد الله البديري في منزل الوقف الكائن في حارة باب الناظر لصق المسجد الأقصى المبارك، وعائلة الإمام، وعائلة قويدر، وعائلة الترجمان، والنشاشيبي، وقطينه، وغيرهم من عائلات القدس العربية التي لا مجال لحصرها في هذا السياق.

هـ. مخطوطات القدس ومصاحفها

تفيد فهرس مخطوطات مكتبات القدس أنّ عددًا من هذه المخطوطات تشتمل على نصوص لحجج وقف ينقصها إسجال القاضي الشرعي، ومن بين هذه النماذج وقف مصطفى مصلح الدين بن بشير خطيب قلعة القدس في ربيع الأول سنة ٩٥٣هـ/١٥٦٦م لكتاب الكشّاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧هـ/١٠٧٥م - ٥٣٨هـ/١١٤٤م)، وذلك على مصالح طلبة العلم في القدس، وقد نُسخ هذا المخطوط في أوائل شهر شعبان سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م وكتب في أوله: «إن هذا الكتاب وقف على طلبة العلم في القدس الشريف من الحاج مصطفى مصلح الدين بن بشير خطيب القلعة المنصورة بالقدس الشريف بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ٩٥٣هـ وشهد على ذلك كل من محمد بن أحمد بن مسلم وحسام بن سعيد ابن يعقوب مدرس المدرسة الحسنية وأمت خليفة بن إبراهيم وعبد الكريم خليفة بن إبراهيم».^(٣٥)

وتتميز المصاحف التي يحتفظ بها المتحف الإسلامي في القدس بأنها كلها عبارة عن مصاحف موقوفة من سلاطين وأمراء وأعيان وشيوخ، وأنّ على هذه المصاحف كتابات تفيد أنّها موقوفة من أناس محدّدين، فمثلاً يحتفظ المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى المبارك بنسخة خطية من الجزء الثاني عشر لمصحف شريف كتب بخط الثلث سجّل على إحدى صفحاته حجة وقف باسم الحاجة أغل خاتون بنت الأمير محمد بن الأمير تمق مؤرخة في شهر رمضان سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م.^(٣٦)

(٣٥) خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات المسجد الأقصى، عمان، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٢٩.

(٣٦) خضر إبراهيم سلامة، المخطوطات القرآنية في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف، القدس، دار غارنت للنشر في بريطانيا، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٨٤.

٦. النقوش الأثرية

يوجد في مدينة القدس عددٌ كبيرٌ من النقوش التاريخية المتوزعة في مختلف حاراتها العتيقة، وتتنوع مضامين هذه النقوش تبعاً لسبب تثبيت كل منها، وأغلب هذه النقوش تتعلق بحوادث البناء والترميم والدفن والمراسيم السلطانية والذكريات، والوقف بكل تأكيد، ومن نماذج النقوش الوقفية، النقش المثبت على مدخل مسجد الشيخ محمد بن محارب الكائن في حارة الشرف، والنقش المثبت فوق مدخل المدرسة (الزاوية البدرية) الكائنة في خط مرزبان بالقرب من زاوية الشيخ محمد القرمي، والنقش المثبت على الواجهة الشمالية لصهرج الملك المعظم في ساحة المسجد الأقصى المبارك والمتعلق بوقف قاسم بن عبد الله كتحداي قلعة القدس.^(٢٧)

عدد الوقفيات

لا يوجد حتى الآن إحصائية شاملة لعدد الوقفيات الإسلامية الخاصة بمدينة القدس، وقد أعدَّ مجهول في سنة ١٢٣٨هـ/١٩١٩م، فهرسةً لعدد من الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس^(٢٨)، كما يوجد لدى عائلة الأنصاري في القدس دفتر بخط الشيخ محمد أمين الدنف الأنصاري يشتمل على فهرسة لعدد من الوقفيات المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس، بالإضافة إلى الفهارس التي أعدها الشيخ أسعد الإمام الحسيني بمساعدة آخرين لأوائل سجلات المحكمة الشرعية في القدس، والتي تكشف من خلالها عن عددٍ غير قليل من حجج الوقف المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية، إلا أنَّ عمله هذا - رغم الجهد الواضح فيه - ما كان ليشتفي غليل الباحث الأكاديمي بسبب توقف مشروع الفهرسة عند منتصف القرن الحادي عشر الهجري وفق منتصف القرن السادس عشر الميلادي وهي مرحلة مبكرة من سجلات العهد العثماني التي احتضنت عددًا كبيرًا جدًا من الوقفيات العثمانية.

(٢٧) محمد غوشه، تاريخ المسجد الأقصى، القدس، ٢٠٠٢م، ص ٩٣.

(38) Mohammad Ali Alami, The Waqfs of the traditional Families of Jerusalem in the Ottoman Period, in Ottoman Jerusalem, 2000, (145-158) 158.

جهات الوقف

تؤول الأوقاف الذرية بعد انقراض الموقوف عليهم إلى جهة بر لا تنقطع، وهي بذلك تحافظ على ديمومتها كوثيقة معدة لفعل الخير حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك اشتملت جميع الوقفيات الذرية على نصوص في خاتمها تشير إلى أن واردات الوقف سوف تؤول في نهاية المطاف إلى جهات عامة خيرية كقبة الصخرة المشرفة، أو المسجد الأقصى المبارك، أو المسجد النبوي الشريف، أو المسجد الحرام في مكة المكرمة، أو عدد من المقامات والمساجد والزوايا والتكايا التي أنشئت لأغراض خيرية، وإن تعذر ذلك، فهذه الواردات تؤول إلى فقراء القدس وعابري السبيل، وبذلك يضمن صاحب الوقف أن واردات وقفه سوف تؤول حتمًا إلى جهة بر لا تنقطع.

الموقوفات

أظهرت حجج الوقف التي أفاد منها البحث تنوع واختلاف الموقوفات التي حبسها أصحابها في القدس، وقد جاءت هذه الموقوفات متنوعة فمنها المساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب (مكاتب تعليم الأطفال) ومصادر المياه، والتكايا، والمباني الخاصة كالمساكن، والصهاريج والحواكير، والحوانيت والمزارع، والأراضي، والقرى، والخرب، بالإضافة إلى المعاصر، والمصابين، والمطاحن والأفران، والمدابس، وحوانيت الحياكة، والمخطوطات والكتب والمصاحف الشريفة، والنقود، والخانات، وحتى أواني منزلية ولوازم الطبخ، وأدوات معدنية وسيوف، وخناجر.

وقضية أبي مدين الغوث في مدينة القدس

(١٣٢٠هـ/١٣٢٠م)

د. محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي*

مدخل

ارتبط تاريخ المغاربة بمدينة القدس منذ الأيام الأولى لدخول الإسلام إلى شمال إفريقيا، فكانوا بعد الانتهاء من فريضة الحج إلى الديار الحجازية يمرون بفلسطين، طمعاً في الأجر والثواب والتبرك ببيت المقدس مسرى الرسول ﷺ ومعراجه^(١).

وشهدت مدينة القدس خلال العهد الفاطمي (٣٥٨هـ/٩٦٩م-٤٦٣هـ/١٠٧٠م) زيادة في أعداد المهاجرين المغاربة، فقد شكل المغاربة الغالبية العظمى في الجيش الفاطمي الذي سيطر على بلاد الشام، واستوطن بعضهم في مدينة القدس وبعض مدن بلاد الشام الأخرى، وأقام مغاربة في مدينة القدس بحي أصبح فيما بعد يعرف باسمهم «حارة المغاربة» وتقع في الجهة الجنوبية من القدس بجوار الحرم القدسي الشريف^(٢).

وبعد استيلاء الفرنجة على مدينة القدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ارتكبت جيوش الفرنجة مجزرة بشعة بحق المسلمين في بيت المقدس، وكان المغاربة من الجماعات التي تعرضت لهذه المجزرة، فاستشهد عدد منهم، واضطر الباقي للجلاء عن المدينة هرباً من الأعمال الوحشية الفرنجية^(٣).

* أستاذ، جامعة القدس، فلسطين، أستاذ زائر بجامعة قطر.

(١) عبد الهادي التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجاً، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٩٩٧م، ص ١١. وسيُشار إليه فيما بعد: التازي، القدس والخليل.

(٢) عبد الرحمن محمد المغربي، طائفة المغاربة في القدس الشريف ٤٩٢-٩٢٢هـ/١٠٩٩-١٥١٦م، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، ٢٠٠٠م، من ٧٣. وسيُشار إليه فيما بعد: المغربي، طائفة المغاربة.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٨.

وبعد تحرير صلاح الدين مدينة القدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وإزالة الخطر الفرنسي، سُمِحَ لمن يريد من المغاربة بالعودة إلى ديارهم، فمنهم من عاد إلى وطنه، ومنهم من فضل البقاء في المدينة^(٤)، وأقام من بقي في المدينة في الحي نفسه الذي أقام فيه الأجداد، حيث كانت المجاورة للحرم القدسي عندهم تضاهي المجاورة للحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.^(٥)

وبالإضافة إلى العوامل العسكرية التي ساهمت في قدوم المغاربة إلى بيت المقدس والاستقرار فيها، فقد ساهمت أيضاً عوامل أخرى علمية ودينية وتجارية تتمثل في المكانة الدينية لمدينة القدس، وترددهم إليها لطلب العلم، والدور الذي قاموا به أدلاء لقوافل الحجاج والقوافل التجارية.^(٦)

يزودنا السجل الشرعي لمحكمة القدس الشرعية بأسماء العديد من العائلات المغربية التي سكنت حارة المغاربة من مختلف بلدان المغرب العربي، ونسبت بعض هذه العائلات أسماء إلى البلدان والمدن التي قدمت منها مثل: المغربي^(٧) والمراكشي^(٨) والجزائري^(٩) والرباطي^(١٠) والقسنطيني^(١١) والمكناسي^(١٢) والهواري^(١٣) والسوسي^(١٤). كما

(٤) عبد الهادي التازي، أوقاف المغاربة في القدس، وثيقة تاريخية سياسية، قانونية، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٨١م، ص ١١٠. وسيُشار إليه فيما بعد: التازي، أوقاف المغاربة.

(٥) المغربي، طائفة المغاربة، ص ٧٦.

(٦) غالب عبد أحمد العريبات، تاريخ الحياة الاجتماعية في ناحية القدس الشريف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، ٢٠٠٠م، ص ١١١. وسيُشار إليه فيما بعد: العريبات، الحياة الاجتماعية.

(٧) سجل محكمة القدس الشرعية ٢٨٢، ذي القعدة ١٢١٠هـ/١٨٩٢م، ص ١١٠.

(٨) سجل شرعي ٣٧٤، ٢٣ شوال ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ص ٤.

(٩) سجل شرعي ٢٨٢، ٢٢ شوال ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، ص ٢٨٢.

(١٠) سجل شرعي ٣٧٨، ١٤ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، ص ١٥.

(١١) سجل شرعي ٢٤٤، أوائل شوال ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، ص ١٠٤.

(١٢) سجل شرعي ٣٧٨، ١٤ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، ص ١٥.

(١٣) سجل شرعي ٣٧٤، ١٦ ذي الحجة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ١١٨.

(١٤) سجل شرعي ٣٧٤، ١٩ ربيع الأول ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، ص ٤٩.

وجدت عائلات أخرى حملت أسماء مختلفة كالسمان^(١٥) والشاوي والبكري من الجزائر^(١٦) والدراوي^(١٧) والزواوي والجيلاني والعقبي والعطايوي والعيدي والحيفاوي^(١٨).

وأقامت هذه العائلات في حارة المغاربة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية للحرم القدسي، ويلاصقها من الجهة الشرقية حائط البراق الشريف، الذي ربط بجواره النبي ﷺ البراق الذي امتطاه ليلة الإسراء والمعراج، ويحدها من الجهة الغربية دور عدد من أعيان القدس، أما من الجهة الشمالية فيحدها حارة باب السلسلة^(١٩) التي لا يكاد يفصلها عن حارة المغاربة سوى بضعة أبنية مملوكية كالمدرسة التنكزية^(٢٠)، أما من الجهة الجنوبية فيحدها سور المدينة^(٢١).

وتبلغ مساحة حارة المغاربة نحو أربعين دونماً، وتتخذ شكلاً مستطيلاً تتخلله طرق مبلطة ضيقة تسمى زقاق أو خط، تقضي إلى عدد من المنازل الملاصقة بعضها إلى بعض ذات المدخل المشترك، وهذه المنازل أبنية قديمة مبنية من الحجر أو الجير، وتتكون من طابق واحد أو طابقين، وكثير من البيوت العلوية تحتوي على ديوان أو أكثر، يستخدم للسهر خلال فصل الصيف، وتشتهر هذه المنازل بأبارها وغرفها الصغيرة وجدرانها السمكية، وصغر مداخلها. وتختلف حارة المغاربة عن الحارات الأخرى في مدينة القدس، إذ إنها غير مسقوفة ولا يوجد بها قناطر^(٢٢).

(١٥) سجل شرعي ٢٧٤، ١٩ ربيع الأول ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ص ١١٨.

(١٦) سجل شرعي ٣٨٢، ١٠ صفر ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، ص ٢٨٥.

(١٧) سجل شرعي ٢٧٨، ١٤ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، ص ١٥.

(١٨) وثائق إحياء التراث، ملف رقم ١٠/٦٠/٩٠/١٢. وهذه الوثائق محفوظة بمركز إحياء التراث التابع لوزارة الأوقاف الفلسطينية، وسيُشار إليها فيما بعد: وثائق التراث.

(١٩) حارة باب السلسلة: عرفت نسبة لباب السلسلة الذي يقع في الرواق الغربي للمسجد الأقصى بين المدرسة البلدية والمدرسة التنكزية. محمد هاشم غوشه، تاريخ المسجد الأقصى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، القدس، ٢٠٠٢م، ص ٥٠. سيُشار إليه فيما بعد: غوشة، تاريخ المسجد الأقصى.

(٢٠) المدرسة التنكزية: وتنسب لواقفها الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب الشام الذي أنشأها سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م. وأوقفها في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م. ووصفها الحنبلي «وهي مدرسة ليس في المدارس أتقن من بنائها»، وتقع لصق باب السلسلة وتعلوا واجهتها الشرقية الرواق الغربي للمسجد الأقصى في حين تطل واجهتها الجنوبية على ساحة البراق الشريف. مجير الدين الحنبلي، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزآن دار النهضة، بغداد، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٥. وسيُشار إليه فيما بعد: الحنبلي، الأُنس الجليل. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة الأندلس، القدس، ١٩٦١م، ص ٢٤٥. وسيُشار إليه فيما بعد: العارف، المفصل في تاريخ القدس.

(٢١) التازي، أوقاف المغاربة، ص ١٢.

(٢٢) المغربي، طائفة المغاربة، ص ٢٠٦. صحيفة القدس، عدد ١٣٤٩٥، ١٥/٣/٢٠٠٧م، ص ١٨.

شيخ المغاربة

كان للمغاربة شيخ يتولى أمورهم ورعاية مصالحهم، وتمثيلهم في المحكمة الشرعية بشأن القضايا التي تتعلق بمصالحهم كالأوقاف وتوزيع التركات، وكان يمثل صلة الوصل بين المغاربة من جهة وسلطات المدينة من جهة أخرى ممثلة بالوالي أو المتصرف^(٢٢) ويعمل على حماية مصالح الطائفة وحماية الحي وسكانه، ورصد أي تحركات غريبة داخله أو قريبة منه^(٢٣) وقد أطلقت عليه سجلات المحكمة الشرعية لقب «شيخ السادات المغاربة»^(٢٤) وأحياناً «شيخ المشايخ»، و«شيخ المغاربة»^(٢٥).

ومن أبرز شيوخ المغاربة في القرن السابع عشر الميلادي الشيخ محمد بن سعيد المغربي، وأحمد بن علي، والحاج منصور بن عبد الرحمن، وأحمد المغربي المكناسي، ونويران فرح، وسالم بن علي المغربي^(٢٦). أما في القرن التاسع عشر فكان منهم الشيخ عبد الله المغربي، وعبد الله التونسي، ومحمد يعقوب المغربي، وأحمد الوزني^(٢٧) والحاج محمد الهلولي، والحاج عربي أفندي التونسي، والحاج عبد السلام المغربي، وبشير المغربي، ومحمد إبراهيم السوسي، وصالح الجزائري، ومحمد أحمد المغربي التونسي، ومحمد عارف القسنطيني^(٢٨).

وقد جمع بعض شيوخ المغاربة بين وظيفتي المشيخة وولاية الوقف، فكان الشيخ محمد عارف القسنطيني شيخاً لطائفة المغاربة ومتولياً لوقف أبي مدين الغوث^(٢٩).

(٢٢) زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥-١٢٤٥هـ/ ١٨٠٠-١٨٣٠م، منشورات

بنك الأعمال، عمّان، ١٩٩٦م، ص ٢٠٦. وسيُشار إليه فيما بعد: المدني، مدينة القدس وجوارها.

(٢٤) المغربي، طائفة المغاربة، ص ١٠٢.

(٢٥) المدني، مدينة القدس وجوارها، ص ٢١٧.

(٢٦) العربيات، الحياة الاجتماعية، ص ١١٢.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١١٢.

(٢٨) المدني، مدينة القدس وجوارها، ص ٢١٦.

(٢٩) زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني ١٢٤٦-١٢٣٦هـ/ ١٨٣١-

١٩١٨م، عمّان، ٢٠٠٤م، ص ٢١٥. وسيُشار إليه فيما بعد: المدني، مدينة القدس في أواخر العهد العثماني.

(٣٠) سجل شرعي ٢٤٥، أوائل جمادى الأولى ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، ص ٢٠. سجل شرعي ٣٥٧، ١٠ جمادى

الأولى ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ١٨٨.

أوقاف المغاربة

الوقف في اللغة يعني الحبس أو المنع، فوقف الشيء أي حبسه وهي من وقف الأرض على الفقراء والمساكين^(٢١). أما اصطلاحاً فهو «حبس العين عن تملكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح» وهو صدقة جارية وجائز شرعاً^(٢٢).

واكتسب الوقف شرعيته من القرآن الكريم في آيات كثيرة دعت إلى عمل الخير بكل أشكاله، كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢٣)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢٤)، وحثَّ الله سبحانه وتعالى المسلمين على التناض على الخير قال تعالى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢٥).

وهكذا تناض المسلمون من أمراء وسلاطين وأثرياء بل وعامة الشعب في مختلف العصور، على وقف المنشآت العمرانية والأراضي في كثير من المدن الإسلامية، وازدهر نظام الوقف وتبوعت أشكاله وأنواعه واتسعت مضامينه، فهناك الوقف الخيري العام، الذي يكون موقوفاً على جهة خيرية عامة كالوقف على المساجد والزوايا والكنائس والأديرة أو العلماء والفقراء والعجزة، والوقف الذري الذي يكون مشروطاً للواقف نفسه ومن ثم على أولاده وعلى ذريته ونسله، وإذا انقطعت ذريته توقف إلى جهة خيرية أو إلى مؤسسة دينية أو إلى فقراء مدينة ما^(٢٦).

(٢١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (ت ٧١١هـ/١٣٧م)، لسان العرب، ٩ مجلدات، دار الحديث، القاهرة، د. ت، م، ٤، ص ٢٧٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب. كذلك انظر: محمد أسعد الإمام الحسيني، المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، المطبعة الوطنية، القدس، ١٩٨٢م، ص ٧. وسيشار إليه فيما بعد: الحسيني، المنهل الصافي.

(٢٢) دعبس المر، أحكام الأراضي المتبعة في البلاد العربية المنفصلة عن السلطنة العثمانية، جزءان، مطبعة بيت المقدس، القدس، ج ١، ص ١٦. وسيشار إليه فيما بعد: المر، أحكام الأراضي.

(٢٣) سورة آل عمران، الآية ٩١.

(٢٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٢

(٢٥) سورة المطففون، الآية ٢٦

(٢٦) زياد عبد العزيز المدني، الأوقاف في القدس وجوارها في القرن التاسع عشر الميلادي ١٢١٥هـ/١٨٠٠م-١٣٣٦هـ/١٩١٨م، عمان، ٢٠٠٤، ص ١٢-١٩. وسيشار إليه فيما بعد: المدني، الأوقاف.

واهتم المغاربة في مدينة القدس بوقف بعض المنشآت العمرانية داخل المدينة وخارجها تقرباً لله عز وجل وكسباً للأجر والثواب، فكان هناك عشرات الوقفيات العائدة لشخصيات من أصول مغربية، وقد قام العالمان المغربيان الشيخ محمد أفندي المهدي بن المهدي المغربي، والشيخ محمد أفندي بن محمد بن حميد التونسي عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، بجمع جميع وقفيات المغاربة من سنة ٧٢٠هـ حتى سنة ١٣٥٦هـ ونسخها وإيداعها بالمحكمة الشرعية بمدينة القدس. وفي عام ١٩٨١م قام الدكتور أحمد العلمي بنسخ سجل وقفيات المغاربة والدعاوي المتعلقة بها، وترقيم الحجج وفهرستها، وأصدر كتاباً بذلك بعنوان «وقفيات المغاربة» ويقع في ٣٢١ صفحة، صدر عن دائرة الأوقاف العامة بمدينة القدس.^(٣٧)

تعد وقفية حارة المغاربة التي أوقفها الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م على المغاربة على اختلاف أجناسهم ذكورهم وإناثهم، أولى أوقاف المغاربة^(٣٨).

وفي عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون المملوكي (٦٩٣هـ/١٢٩٤م-٧٤١هـ/١٣٤١م، تحسنت الأحوال المادية للكثير من أبناء الجالية المغربية في مدينة القدس، وأصبحوا من الأثرياء وذوي الأملاك، فأنشأ أحد شيوخهم وهو عمر بن عبد الله ابن عبد النبي المصمودي المجرّد وقفية على زاويته التي أنشأها بحارة المغاربة، ويعود تاريخ هذه الوقفية إلى عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، واشتملت على ثلاث دور بحارة المغاربة، وزاوية بأعلى الحارة، وتشتمل على عشر حجرات، وأوقف ذلك وفقاً صحيحاً على المغاربة المقيمين بالمدينة، والواردين إليها^(٣٩).

(٣٧) أحمد العلمي، وقفيات المغاربة، دائرة الأوقاف العامة، القدس، ١٩٨١م، سيشار إليه فيما بعد: العلمي، وقفيات المغاربة.

(٣٨) تم الاعتماد على نص الوقفية من وثائق مركز إحياء التراث، ملف ٧٠٣/٢، ١/٢.

(٣٩) المصدر نفسه. الملف نفسه.

وقفية أبي مدين الغوث

يعد هذا الوقف من أهم أوقاف المغاربة وأكبرها، وقد أوقفه الشيخ أبو مدين شعيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين الغوث^(٤٠) على الفقراء والمحتاجين من أبناء الجالية المغربية في مدينة القدس عام ٧٢٠هـ/١٢٢٠م.

نص الوقفية

يظهر من نص وقفية أبي مدين الغوث توفر الأركان الأساسية الواجبة لشريعة هذا الوقف، وهي اسم الواقف ووصف الوقف وشروط الواقف، والجهات المستحقة لهذا الوقف، وكيفية الاستفادة منها، والصفات التي حددها الواقف بناظر الوقف ومتوليه وواجباتها.

تتكون وقفية أبي مدين الغوث من مكانين منفصلين هما:

أولاً: قرية عين كارم^(٤١)، وتشتمل على أراضي تضم المعتمل، والمعطل، والعامر، والدائر، والصخور، والسهول، والأوعار. وتشتمل أيضاً على آثار دور برسم سكن فلاحية، وآثار بنيان بأراضيها، وبستان صغير يستقى من ماء عينها، وأشجار رمان وزيتون وخروب وتين وبلوط وقيقب. وذلك بجميع حقوقها ومرافقها ومزروعها ومفتلحها وآبارها ودوالي العنب الرومية العتيقة وكل ما ينسب للقرية سواء أكان داخلها أم خارجها، واستثنى من ذلك مسجد القرية، والطريق العام، والمقبرة الخاصة بالمسلمين.

(٤٠) أبو مدين الغوث: أبو مدين شعيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين شعيب المغربي الأندلسي التلمساني، ولد في قطنانية إحدى قرى اشبيلية، درس بفاس، وقد ارتحل إلى الشرق والتقى بعدد من علماء الشرق، مثل عبد القادر الجيلاني الذي لقبه في مكة، ثم عاد إلى المغرب وبدأ بتعلم الصوفية، وأقام في بجاية التي كان يفضلها على كثير من المدن، وكان له مجلس عام وفتوى، كان له كرامات كثيرة، وكانت تعاليمه تخالف مذاهب فقهاء الموحدين، فوشوا به إلى السلطان الموحي أبي يوسف، فطلب من عامله في بجاية بأن يرسل له أبي مدين إلى مراكش، وقد لبى أبو مدين طلب السلطان، غير أنه مرض في الطريق، وحين بلغ ضواحي تلمسان أدركته المنية فتوفي عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م. في قرية العباد حيث دفن فيها. وقد ترك له ولد من جارية حبشية سماه محمد حيث توفي عام ٦٤٢هـ/١٢٤٥م بعد أن ترك وراءه ولداً سماه أبي مدين- الحفيد- وهو صاحب الوقف الذي سمي باسمه. انظر: المغربي، طائفة المغاربة، ص ١٢٨. أبو القاسم سعد الله، «الدين والسياسة في وقف أبي مدين» بالقدس الشريف، بحث قدم للمؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام بعنوان «الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين» ١٧-٢١ شعبان ١٤٢٧هـ/١٠-١٤ أيلول ٢٠٠٦م، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٦م، ص ٢.

(٤١) قرية عين كارم: تقع على مسافة ٨ كم غربي مدينة القدس مع انحراف قليل إلى الجنوب. الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، م ٢، ص ٢٧٠.

وحددت الوقفية القرية من جهاتها الأربع، فالحد القبلي «الجنوبي» منها ينتهي إلى قرية المالحه^(٤٢)، أما الحد الشمالي فينتهي إلى بعض أراضي عين كاوت^(٤٣) وقلونية^(٤٤) وحاراش^(٤٥) وصاطاف^(٤٦) وزاوية البختاري^(٤٧)، وينتهي الحد الغربي إلى عين الشقاق^(٤٨)، أما الحد الشرقي فينتهي إلى بعض أراضي قرية المالحه وبيت مزميل^(٤٩).

ثانياً: أما المكان الثاني في الوقفية فيقع داخل مدينة القدس ويعرف بقنطرة أم البنات^(٥٠) بباب السلسلة، ويشتمل على إيوان (قاعة) وغرفتين، وساحة سماوية، ومرتقن ومخزن، وقبو في أسفل المبنى. ويلاحظ أن الوقفية لم تبد اهتماماً بتحديد هذا المكان، واكتفت بالإشارة إلى أنه «لذلك حدود أربعة معلومة». وقد أوقف هذا المكان «الإيوان» ليكون زاوية يسكن فيها الواردون من المغاربة إلى القدس، واستثنى من ذلك الإناث والمغاربة المقيمين في المدينة.

وتؤكد الوقفية أن هذا الوقف هو وقف أبدي «لا يبطله تقادم دهر، ولا يوهنه اختلاف عصر، كلما مر عليه زمان أكده، وكلما أتى عليه أوان بيّنه، وسدّده أبد الأبدان، ودهر الدهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

(٤٢) قرية المالحه قرية المالحه: تقع إلى الجنوب الغربي من القدس. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا

فلسطين، ١٠ أجزاء، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م، ج٨، ق٢، ص١٦٦.

(٤٣) عين كاوت: لم أعر على ترجمة لها.

(٤٤) قلونية: وتقع إلى الغرب من مدينة القدس على مسافة نحو ٦ كيلومتر. الدباغ، بلادنا فلسطين، جزء ٨ ص ١٦٠.

(٤٥) حاراش أو خربة حريش وتقع بين قريتي عين كارم وصوبا. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين،

١٠ أجزاء، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١، ج٨ ق٢، ص ١٦٠.

(٤٦) قرية صاطاف: وتقع إلى الغرب من مدينة القدس. الدباغ، ج٨، ق٢، ص ١٦٠. الخالدي، قري

فلسطين، ص ٦٢٩.

(٤٧) زاوية البختاري أو زاوية بختار وتقع شمال قرية عين كارم وغرب قرية بيت اكسا.

Hutteroth wolf dieter and Abdul Fattah kamal, historical geography of Palestine trans Jordan and southern Syria in the late 16th century, Erlanger, 1977, p. 177.

(٤٨) عين الشقاق: لم أعر على ترجمة لها.

(٤٩) بيت مزميل: وهي خربة صغيرة تقع إلى الشرق من قرية عين كارم الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨، ص ١٦٠.

(٥٠) قنطرة أم البنات: أطلق عليها فيما بعد اسم قنطرة ولسن تقع بجوار باب السلسلة. مايكل دمير،

سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨-١٩٨٨م، مؤسسة الدراسات

الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢١٦. وسيشار إليه فيما بعد: دمير، سياسة إسرائيل.

الجهة المستفيدة من الوقف

حدد الواقف الجهة المستفيدة من وقفه وتتمثل بالمغاربة المقيمين بمدينة القدس، والواردين إليها على اختلاف أصولهم، وأوصافهم، وحرفهم، ذكوراً وإناثاً، ينتفعون بذلك السكن، والإيجار، وسائر الانتفاعات والمقاسمة، والمزارعة في أراضي الوقف، ويُقدم فيه الواردون من المغاربة على المقيمين، والأحوج فالأحوج والأدين فالأدين. وفي حال انقراض المغاربة من مدينة القدس ولم يعد يقطنها أحد منهم، يعود الوقف على المغاربة المقيمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإذا لم يبق منهم أحد هناك يعود الوقف على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

شروط الوقف

اشترط الواقف أن تكون نظارة الوقف، وولايته لنفسه طوال حياته، ثم للأرشد فالأرشد من المغاربة المقيمين بمدينة القدس، على أن يكون ممن يشهد له بالتقوى، ويتولى المتولي تعمیر الوقف وصيانته وترميمه بما يحفظ بقاء عينه ويزيد في ريعه. واشترط أيضاً عدم تأجير مرفقات الوقف لأكثر من سنتين، وأن لا يستأنف عقد حتى ينتهي العقد الأول.

واشترط الواقف تخصيص ما يزيد من فائض الوقف بعد التعمير وإصلاح الزاوية، على شراء خبز يوزع على الزاوية خلال أشهر رجب وشعبان ورمضان، وذلك بقيمة رغيفين للذكر والأنثى سواء للواردين أو المقيمين، ويكون التوزيع بعد صلاة العصر، وبعد التوزيع يقرأ الحاضرون سورة الفاتحة سبع مرات، وسورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات، وتوهب إلى الرسول ﷺ ولأصحابه، والتابعين ولروح الواقف، ولجميع من ينسب له فعل الخير ويتسبب في هذا الوقف.

وخصص الواقف تقديم وجبة طعام لفقراء المغاربة في كل من: عيد الفطر وعيد الأضحى، وعيد المولد النبوي الشريف. واشترط تقديم كسوة لكل فقير قادم من المغرب، وقيم في الزاوية لتقيه من البرد. وإذا مات مغربي، ولم يكن عنده من المال شيء، فيصرف على تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف.

وأخيراً طالب الواقف احترام شروط الوقفية دون تعديل أو تغيير، ولا يحق لأحد أيّ كان إبطال هذا الوقف، فمما جاء فيها: «ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه العظيم صاير من أمرء مأمور وذي سلطان جائر أن يبطل هذا الوقف... ولا يسعى في إبطاله ولا في إبطال شيء منه بأمر ولا بإيحاء ولا بفتوى ولا

بمشورة ولا بتدقيق حيلة يعلم بها الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، فمن فعل ذلك وأعان عليه، فالله تعالى طليبه وحسيبه ومؤاخذ بفعله ومجازي بعمله ويلقى الله تعالى وهو غضبان عليه غير راض عنه... ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه، وتمرد عليه، واستبان وعيده، واستحق لعنته ولعنة الله لعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه...».

إدارة الموقوف

تولى إدارة وقف أبي مدين الغوث ناظر ومتولي حسب شروط الوقف. ويعد الناظر بمثابة المشرف العام على الوقف، وتتمثل سلطته في المحافظة على الوقف وصيانته وخدمته. أما المتولي فيتولى الإشراف المباشر على الوقف، ومن مهامه: تعمير الوقف حسب شروط الوقف، والعمل على تنفيذ شروط الوقف، وعدم مخالفتها مثل: كيفية استغلال الوقف، وتقسيم غلته، وصرف الأموال للمستحقين، والدفاع عن الوقف، والمحافظة عليه، وله حق إجارة الوقف لما في ذلك من تحقيق لإيراد يصرفه في الوجوه التي حددها الوقف^(٥١).

ويستدل من وثائق الوقف أنه شغل منصب أمور التولية متوليان يمثلان المغاربة على أسس إقليمية، ويظهر ذلك من نص رسالة بعث بها خمسة عشر شخصاً من المغاربة الجزائريين والتونسيين المقيمين بمدينة القدس لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ١٨ شوال ١٣٤٤هـ/ ٣ أذار ١٩٢٦م طالبوا فيها تعيين الحاج أحمد عامر متولياً ثانياً إلى جانب المتولي الأول الشيخ محمد المهدي، وذلك بعد وفاة المتولي الحاج محمد الدقاشي، ومما جاء فيها: «وحيث إننا فريقين أي فريق المغرب الأقصى الذي هو معين الحاج محمد المهدي، وفريق ثاني وهو نحن الجزائريين والتونسيين الذي مرادنا تعيين الحاج أحمد عامر، وحيث أنه قديماً صار تعيين اثنين بهذه الصورة متولين شرعيين أحدهم الحاج محمد المهدي والثاني الحاج محمد الدقاشي عنا نحن الفريق المستدعي. ونظراً لوفاته طلبنا تعيين هذا الأخير مكان المتوفى»^(٥٢).

(٥١) المدني، الأوقاف في القدس، ص ٢٥-٢٧.

(٥٢) وثائق التراث، نص رسالة مجموعة من المغاربة الجزائريين والتونسيين إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ١٨ شوال ١٣٤٤هـ/ ٣ أذار ١٩٢٦م، ملف رقم ١٠/٦٠٦/٧٠٢٢/١٣.

وينبغي على المتولي أن يقدم للقاضي الشرعي كشفًا سنويًا بالحسابات عن واردات الوقف ومصروفاته، فمثلاً قدّم الشيخ محمد عارف القسنطيني المغربي متولي وقف أبي مدين وزاوية عمر المجرّد كشفًا بحسابات الوقف لعام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، فبلغت قيمة الإيرادات ٣٦٧٧٤٢ قرشًا، بينما بلغت المصروفات ٣٧٨٦١١ قرشًا، وبذلك تكون قيمة العجز في ميزانية الوقف (١٠٨٥٨) قرشًا، وفي هذه الحالة يطلب من المتولي سد هذا العجز من ريع الوقف للعام التالي^(٥٣).

ووفقًا لكشف حسابات الوقف لعام ١٩٦٢/٦١م بلغت قيمة الواردات خلال الفترة ما بين ١/٤/١٩٦١م - ٣/٣/١٩٦٢م حسب مستندات القبض ٥٠٣,٠٠٠ دينارًا أردنيًا^(٥٤) بينما بلغت قيمة النفقات ٨٥٧,٨٥٧ دينارًا، وقد وزعت النفقات على النحو الآتي:

المبلغ	الشهر	المبلغ	الشهر
٢٧٦,٢٦٥	نيسان ١٩٦١م	٥٤٧,٥٦٠	تشرين الأول ١٩٦١م
١٠١,٢١٠	أيار ١٩٦١م	٩١,٣٤٢	تشرين الثاني ١٩٦١م
١٩,٧١٠	حزيران ١٩٦١م	١٥٧,٩٨٥	كانون الأول ١٩٦١م
١١٦,٣٢٠	تموز ١٩٦١م	٢٦٨,١٧٠	كانون الثاني ١٩٦٢م
١٥٠,٥٣٠	آب ١٩٦١م	٥٩,١٦٠	شباط ١٩٦٢م
٢٧٢,٨٦٠	أيلول ١٩٦١م	٤٩,٠٥٠	آذار ١٩٦٢م
	المجموع	٢١١٠,١٦٢	

يضاف إلى ذلك ٦٢٨,٦٩٥ دينارًا صرفت لأعمال التعمير لمختلف عقارات الوقف فيكون المجموع ٨٥٧,٨٥٧ دينار.

(٥٣) سجل شرعي ٢٤٦، اصفر ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٢٣٦.

(٥٤) وثائق التراث، وثيقة بعنوان «وقف أبي مدين والمغاربة- الداخل لسنة ١٩٦١/١٩٦٢م، ملف ١٠/١٣٥/٥.٦١/١٣.

ووزعت النفقات البالغة ١٦٢, ٢١١٠ دينار على النحو الآتي: (٥٥)

المبلغ	البيان	المبلغ	البيان
١٤٥, ٢٩٠	خبز	٨٧, ٤٠٠	أجرة عقارات
١, ٠٠٠	كسوة	٩٧, ٢٢٠	أعياد
٣٧, ٩٣٠	مياه	٢٥٥, ٩٤٢	متفرقة
٤٤, ٤٧٥	محروقات	٥٤٨, ٩٥٠	رواتب ومساعدات شهرية دائمة
٣٦٦, ٥٩٠	مساعدات طارئة	٢٧٤, ٠٥٠	عائدات الناظر والمتولين
٢٧٢, ٧١٥	ضرائب محاكم	٨, ٥٠٠	حفظة القرآن الكريم

وبذلك يكون الفرق بين الواردات والنفقات (العجز) هو ٦٤٦, ١ دينار وهو مبلغ قليل جداً إذا ما قورن بسنوات أخرى. ويتقاضى ناظر الوقف ومتوليه راتباً سنوياً من ريع الوقف، فقد بلغ راتب ناظر وقف أبي مدين الغوث لعام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م (٥٠) قرشاً بينما بلغ راتب المتولي (٩٠) قرشاً (٥٦).

وكان لوقف أبي مدين جاب وكاتب، وتعد وظيفة الجابي من الوظائف المهمة للشؤون المالية للوقف، حيث يتولى تحصيل عائدات الوقف ومحاصيله ومطالبة المستأجرين بقيمة الإيجارات، وتسليم ريع الوقف ومحاصيله وغلاله إلى الناظر أو المتولي (٥٧). وبلغ راتب جابي وقف أبي مدين لعام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، (١٨٠) قرشاً (٥٨). ويستدل من وثائق وقف أبي مدين خلال فترة الانتداب البريطاني أن راتب جابي الوقف حُدّد على أساس ٧٪ من قيمة تحصيلات واردات الوقف من المستأجرين، وكان عليه أن يقدم كفالة مالية لدائرة الأوقاف العامة بقيمة ١٠٠ جنيه (٥٩). ويبدو أن تحديد هذه النسبة جاء نتيجة لتخلف بعض المستأجرين عن دفع أجرة عقارات الوقف، وبالتالي حثّ الجابي على تحصيل تلك الأجرة، ومتابعة المستأجرين المتخلفين.

(٥٥) وثائق التراث، وثيقة بعنوان «كشف حساب وقف أبي مدين الغوث وأوقاف المحسنين المغاربة في القدس وخارجها» ملف ١٠/١٢٥/٥٠٦١/٣١.

(٥٦) سجل شرعي ٢٤٥، أوائل محرم ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، ص ٢٥٨.

(٥٧) المدني، الأوقاف في القدس، ص ٣٣.

(٥٨) سجل شرعي ٢٤٥، أوائل محرم ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، ص ٢٥٨.

(٥٩) وثائق التراث، أوراق دائرة أوقاف القدس، رسالة من مأمور أوقاف القدس إلى الشيخ محمد المهدي،

١٥ رجب ١٢٥٧هـ/١٠ أيلول ١٩٣٨م. ملف ١٠/٤٩/٩٠٣٨/١٣.

أما كاتب الوقف فكان يتولى تسجيل واردات الوقف، ومصروفاته، وبلغ راتبه لعام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م (٢٠٠) قرش^(٦٠) أي أكثر من ضعف راتب المتولي وأربعة أضعاف راتب الناظر ما يدل على مدى أهمية هذه الوظيفة.

تداعيات قضية متولي وقف أبي مدين الغوث

أخذ بعض أبناء الجالية المغربية بمدينة القدس يتذمرون من سوء إدارة متولي الوقف وهما: الشيخ أحمد عامر والشيخ محمد المهدي، وتردي أوضاع عقارات الوقف دون اهتمام المتوليين بذلك، وكان من بين الانتقادات التي وجهت لهما، عدم الالتزام بشروط الواقف المتعلقة بتوزيع الخبز على فقراء المغاربة خلال أشهر رجب وشعبان ورمضان، متذرعين بعدم وجود إيرادات للوقف^(٦١)، وذكرت إحدى رسائل الاحتجاج التي قدمت لقاضي محكمة القدس الشرعية، أن الشيخ أحمد عامر خصص له دارين من دور الوقف؛ الأولى بجارة المغاربة، وتتكون من ست غرف، والثانية، بباب السلسلة، وتتكون من خمس غرف^(٦٢).

ومن بين الانتقادات تخصيص متولي الوقف بيوتاً لعائلة واحدة مع أنها تتسع لأكثر من ذلك، ففي رسالة وجهها عدد من المغاربة بالمدينة إلى المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٨/٣/١٩٣٩م أوردوا فيها قائمة بأسماء العائلات التي تسكن في بيوت تابعة للوقف وتتسع لأكثر من ذلك على النحو الآتي:^(٦٣)

-
- (٦٠) سجل شرعي ٢٤٥، أوائل محرم ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، ص ٣٥٨.
- (٦١) وثائق التراث، رسالة من مجموعة من أبناء الجالية المغربية إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٩٤٧/٧/١م، ملف ١٠/٩٠٥١/٣٢٨.
- (٦٢) وثائق التراث، رسالة من عمر محمد المغربي وعلي محيي الدين المغربي إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٢٥٨/٤/٦هـ الموافق ١٩٣٩/٥/٢٥م، ملف ١٠/٩٠٤٩/٣٨.
- (٦٣) وثائق التراث، رسالة وجهها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٨/٣/١٩٣٩م، ملف ١٠/٩٠٤٩/٣٨.

الرقم	اسم رب العائلة المقيم في البيت	عدد العائلات التي يمكن استيعابها في البيت
١	الحاج صالح المغربي	٢
٢	الحاج صالح التونسي	٣
٣	الحاج أحمد المصلوحي	٢
٤	محمد الزواوي	٣
٥	الحاج حسن الصحار	٣
٦	أحمد السرحاني	٢
٧	سعيد الفيلاي	٣
٨	الحاج أحمد أبو الزعوط	٢
٩	الحج محمد الحيحي	٢
١٠	عبد باشا	٢

وفي رسالة أخرى وجهها كل من عمر محمد المغربي وعلي محيي الدين المغربي للقاضي الشرعي، ذكر فيها بأنه يوجد في حارة المغاربة بيوت مغلقة من عدة سنوات، ويقيم أصحابها خارج مدينة القدس وهم غير محتاجين لها، وذكروا أيضاً بأن هناك بعض الأشخاص يؤجرون بيوتهم لآخرين ليسوا من مستحقي الوقف، وهذه قائمة بأسماء البيوت المغلقة ومكان إقامة أصحابها: (٦٤)

الرقم	اسم الشخص	مكان إقامته
١	الحاج عبد الواحد	بيت صفافا
٢	الحاج عبيد حماد	أريحا
٣	سيد أحمد	أريحا
٤	سعيد المأمون	أريحا
٥	الحاج المكي	شرق الأردن
٦	أحمد المغربي	أريحا
٧	الحاج إبراهيم الدراجي	بئر معين
٨	دار بهجة	بيت لحم

وبين مدير الأوقاف العام في رسالة بعث بها إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى، أن وقف أبي مدين العوث أصبح في حالة يرثى لها نظراً لسوء إدارة متولي الوقف، إذ

(٦٤) وثائق التراث، رسالة من عمر محمد المغربي ومحيي الدين المغربي إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٣٥٨/٤/٦ هـ الموافق ١٩٣٩/٥/٢٥ م. ملف ١٠/٤٩/٩٠/٢٨/١٣.

إن أكثر المستحقين بالوقف يشكون من عدم حصولهم على مساكن لهم حسب شروط الوقف، كما أن جباية أموال الوقف تسير ببطء شديد، علاوة على تضائل قيمة الموجود من أموال الوقف، حتى لا تكاد تفي للقيام بإطعام فقراء المغاربة خلال أشهر رجب وشعبان ورمضان حسبما شرط الواقف في وقفيته^(٦٥).

وبالإضافة إلى الانتقادات التي وجهها عدد من أبناء المغاربة في القدس، فقد انتقدت أيضاً دائرة الأوقاف سوء إدارة متولّي الوقف، وارتكزت في ذلك على كشف الحسابات السنوية لإيرادات الوقف ومصروفاته كما قدّمها متولّي الوقف، من ذلك الحسابات المتعلقة بالفترة ما بين ١٣٧٤هـ/١٩٢٨م - ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م، وهي مفصلة على النحو الآتي:

أولاً: البقايا المدورة من سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م وقدرها (٤, ١٢٤٢٦) قرشاً حُصّل منها (٥٥٤٤٧) قرشاً وبقي (٦٩٧٩, ٧) قرشاً.

ثانياً: بلغ إيراد الوقف عن سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م (٣, ٨٠٦٦١) قرشاً، وقد حُصّل من ذلك (٣, ٧٧٥٤٦) قرشاً.

بلغت قيمة النفقات (٢٧, ١٣٩) قرشاً وهي تزيد عن الإيراد بمبلغ (٦, ٦٠٤٣) قرشاً وهذه مفرداتها:

نوع الإنفاق	جنيه	مل
عمارة	٦٣٩	٦١٠
خارطة لقرية عين كارم ونفقات القضية	٢٢١	٢٧٠
رواتب للفقراء والمتولين وبعض الخدم	٣١٥	٩١٠
شراء دار للوقف	٠٥٧	٥٣٥
نفقات قضايا البراق الشريف	٠٤٩	٣٩٥
ما أنفق على زاوية أبي مدين الغوث	٠٧٧	١٢٠
نفقات متفرقة	٣٩	٥٣٠
	١٣٩٠	٢٧٠

وبلاحظ أن المبلغ الذي انفق على أعمال التعمير يقرب من نصف الإيراد، كما أن المبلغ المصروف للرواتب بلغ ربع الإيراد السنوي.

(٦٥) وثائق التراث، أوراق مديرية الأوقاف العامة، رسالة من مدير الأوقاف العامة إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٥٨هـ/٢٦ أيلول ١٩٣٩م، ملف ١٠/٥١/٢٨/٢.

ثالثاً: بلغ إيراد الوقف سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م (١٠٢٨,٩٠٢) جنيته، وهو يزيد عن ريع العام السابق، وإذا أضيف إليه المتبقي من العام السابق يبلغ المجموع (١١٣٩,٨٤٥) جنيهاً، وقد حصل من ذلك (١٠٢٥,٢٣٧) جنيهاً، وأنفق (١٠٣٤,٤٥) جنيهاً، وتأخر دفع مبلغ (١١٤٦١,٨) قرشاً. ويلاحظ هنا أن نفقات الوقف تزيد عن إيراده كما هي في العام السابق وهذا ملخصها:

نوع الإنفاق	جنيه	مل
عمارة	٤٩٤	٥٩٥
رواتب المتولين والفقراء والمؤذن والخدم	٢٨٢	٧٥٥
نفقات حمامة	١١٩	٦٧٥
نفقات الزاوية	١٢٤	١١٥
متفرقة (دفن موتى، ونفقات سفر)	١٠	٢١٠
المجموع	١٠٣٤	٥٨٩

ويلاحظ أن نفقات التعمير بلغت نحو نصف إجمالي النفقات، وكانت حجة المتولين بأن ذلك يعود نتيجة للزلازل التي تعرضت لها البلاد عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م و ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م. أما ريع عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، فقد بلغ (١١٩٢,٢١) جنيهاً منها (١٠٧٧,٤٣١) جنيهاً إيرادات إيجارات الوقف و (١١٤٦١,٨) جنيهاً مدورة من العام السابق. وبلغت قيمة المتحصل منها (١٠٣٧,٥٩٨) جنيهاً.

وبمقابلة إيرادات العاملين يتبين أنه يوجد في إيراد عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م زيادة عن العام السابق، وكما زاد الإيراد في هذا العام فقد ازداد أيضاً المبلغ الذي لم يحصل إذ بلغ (١٥٤,٤٢٣) جنيته^(٦٦).

ووفقاً لتقرير آخر يتعلق بحسابات الوقف لعام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، بلغت قيمة مصروفات وقف أبي مدين الغوث (١٠٤٥٦٨,٢) قرشاً في حين بلغت قيمة الواردات (٩٠٣٥٦٢,٢) قرشاً أي بفارق (١٤١٦٢) قرشاً.^(٦٧)

(٦٦) وثائق التراث، أوراق دائرة أوقاف القدس، تقرير اللجنة المكلفة بشأن محاسبة متولين الوقف، ٢٣ صفر ١٣٥١هـ/٢٥ حزيران ١٩٣٢م، ملف ١٠/١٠٤/٥١٠٤/٣٢/١٣.

(٦٧) وثائق التراث، كشف بعنوان «بيان ومصروفات وقف سيدنا أبي مدين الغوث وملحقاته لسنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م»، ملف ١٠/٩٠٤٩/٣٨/١٣.

يبدو واضحًا أن الخلل يتمثل في عدم متابعة المتولين لعقارات الوقف، وجمع الإيجار من المستأجرين. ونتيجة لذلك قرر المجلس الإسلامي الأعلى عزل المتولين من مهامهما، وطلب من المحكمة الشرعية تشكيل لجنة لمحاسبة متولي الوقف.

موقف الجالية المغربية من عزل المتولي

احتج الكثير من أبناء الجالية المغربية بمدينة القدس على قرار المجلس الإسلامي الأعلى بعزل متولي الوقف، وإناطة الإشراف على الوقف لمديرية الأوقاف العامة، وأخذوا يقدمون العرائض يطالبون فيها بإعادة متولي الوقف إلى عملهما، أو تسليم الوقف لأحد أبناء المغاربة بالقدس تنفيذاً لشروط الوقف، ففي الخامس من نيسان عام ١٩٢٨م قدم نحو ثلاثين شخصاً من أفراد الجالية المغربية بالمدينة، رسالة احتجاج للمندوب السامي، وذكروا فيها أن مديرية الأوقاف العامة منذ تسلمها إدارة الوقف لم تبد الاهتمام اللازم بتعمير الوقف، وأن إدارتها للوقف مخالفة لشروط الواقف الذي حدّد بأن يكون متولي الوقف من المغاربة، وطالبوا باسترجاع الوقف للمغاربة لإدارة شؤونه بواسطة أحد أبناء الجالية^(٦٨).

وفي عريضة ثانية قدمتها مجموعة أخرى من المغاربة للمجلس الإسلامي الأعلى، هددوا فيها بأنهم «لن يتوانوا عن بذل المستحيلات وتكريس كل قوانا في سبيل إعادته إلى ما كان عليه ... ونحن نرفض كل الرفض أن تعبت بأوقافنا أي يد لا حق لها بهذا التدخل شرعاً...». وبينوا أن الوقف «أصبح بحالة يرثى لها من تدهور وانحلال»^(٦٩).

وفي عريضة ثالثة ذكروا أن إدارة الأوقاف «لا تعنى بالوقف المذكور أقل اعتناء، فكانت النتيجة أن دب الخراب في الوقف، وهناك عدة منازل في المحلة على وشك السقوط، ثم انقطاع العادات التي كانت متبعة وإلغاؤها، وخصوصاً ما أصاب العجزة والأرامل والمساكين من انقطاع الإمدادات الطفيفة التي كانوا يستعينون بها على شظف العيش». واستطرد موقعو العريضة قائلين بأن هذا الوقف «ليس محصوراً بأشخاص معينين حتى يتسنى لإدارة الأوقاف إدارته بكل سهولة، حيث إن الأوقاف الأخرى لها

(٦٨) وثائق التراث، رسالة وجهها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى المندوب السامي بتاريخ ١٩٢٨/٤/٥. ملف ٣/٢٨/٩٠٥١/١٠.

(٦٩) وثائق التراث، عريضة قدمها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٨هـ/٦ كانون ثاني ١٩٤٠م، ملف ١٠/٩٠٦٠/٤٠/١٣.

مستحقين، ولكل مستحق أسهم معينة ودخل معين مفهوم... كما أن إدارة الأوقاف ليس لها الحق بأن تتصرف في هذا الوقف ما دام هناك أفراد مغاربة هم أحق الناس بإدارته والتصرف بشؤونه»^(٧٠).

ودافع المغاربة في عرائضهم عن المتولي حيث عهدوا فيه أمانته والصدق والاستقامة، ولم يسبق له ارتكاب جنحة أو تقصير في القيام بواجبه، وأكدوا بأنه لا يوجد أي من أفراد الجالية المغربية أفضل منه في تولي هذا المنصب، ولذلك لا يجوز توقيفه عن العمل إلا لأسباب قاهرة يقرها الشرع وشروط الواقف، والأسباب التي ساقها المجلس الإسلامي الأعلى ليست مقنعة ومبررة بعزل المتولي عن منصبه^(٧١).

ويبدو أن المجلس الإسلامي الأعلى قد طلب من دائرة الأوقاف العامة إعادة النظر بإعادة إدارة الوقف إلى المغاربة، الأمر الذي دعا مدير الأوقاف عبد الله مخلص إلى مخاطبة هيئة المجلس، موضحاً أن موقعي بعض العرائض التي تطالب بإعادة تسليم الوقف إلى أبناء الجالية المغربية لا يمثلون أبناء الجالية، وأضاف بأن دائرة الأوقاف تعكف على محاسبة المتوليين السابقين، مبيناً بأنه يتضح من سير أمور المحاسبة بأنهما لم يحسنا القيام على أمور الوقف، وكانا يبددان أمواله، واختتم رسالته موضحاً مدى سوء إدارة متوليين الوقف وفسادهما قائلاً: «فلينما تتم المحاسبة على الوجه الشرعي الأكمل، وتظهر الحقائق، وتبين شروط وأعيان الوقف التي أصبحت أعبوة بأيدي المغاربة، يتصرفون بها بالإقامة وتأجير الأعيان التي وضعوا أيديهم عليها بزعم حقوقهم في السكن بها، مع أن السكن لا يستلزم أن يأخذ الرجل داراً مؤلفة من عدة غرف للسكن بإحداها ويؤجر الباقية لحسابه الخاص - لبيئنا يتم كل ذلك وتحصل الثقة لمن يمكنهم أن يحافظوا على أوقاف المغاربة لا بد من بقاء الأوقاف المذكورة تحت تولية وإشراف إدارة الأوقاف»^(٧٢).

(٧٠) وثائق التراث، عريضة قدمها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٧/١٠/١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ملف ١٠/٩٠٦/١٣/٤٠.

(٧١) وثائق التراث، عريضة قدمها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٨هـ/٣ شباط ١٩٤٠م، ملف ١٠/٩٠٦/١٣/٤٠.

(٧٢) وثائق التراث، أوراق مديرية الأوقاف العامة، رسالة من مدير الأوقاف العامة إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ١٧ ذي الحجة ١٣٥٨هـ/٢٧ كانون الثاني ١٩٤٠م، ملف ١٠/٩٠٦/١٣/٤٠.

لجنة المحاسبة

أصدرت المحكمة الشرعية قراراً بتاريخ ١٣/٤/١٩٣٩م بتشكيل لجنة لمحاسبة متولي وقف أبي مدين الغوث، تكونت من الشيخ موسى البديري والمحامي الشيخ محمد أديب رمضان السراج كمحام عن المتولين والشيخ حلمي المحتسب، ثم اعتذر الشيخ البديري عن الاستمرار بعضوية اللجنة بسبب المرض، فعين بدلاً عنه الشيخ مطيع الحمامي، وعقدت إحدى وعشرين جلسة، انتهت بتقديم تقرير بتاريخ ٢٤/٦/١٩٣٩م متضمناً عدم ثبوت التهم الموجهة للمتولين^(٧٣).

غير أن المجلس الإسلامي الأعلى ودائرة الأوقاف العامة لم يعترفا بهذا التقرير، بذريعة عدم إشراك مأمور الأوقاف بعضوية اللجنة، وفي ذلك مخالفة للمادة ٥٥ من نظام توصية الجهات المؤرخ في ٢ رمضان ١٣٣٢هـ التي تنفي بأنه في حال وفاة أو استغناء متولي الوقف أو عزله، يجري حساب الوقف وتسجيل موجوداته بدفتر من طرف مأمور الأوقاف والمحكمة الشرعية المحلية^(٧٤)، وبناءً على ذلك، شكلت المحكمة الشرعية لجنة ثانية تتكون من مأمور الأوقاف والشيخ سعد الدين العلمي والشيخ المحامي محمد أديب السراج والشيخ حلمي المحتسب، وفي الجلسة التي عقدها بتاريخ ٣٠/٩/١٩٣٩م أصر مأمور الأوقاف على أن يتسلم كتب الوقف التي تنص على عقاراته حسب الأصول، وبعد أن تم إحضار هذه المستندات تم عقد ثلاث جلسات بحضور وكيل مأمور الأوقاف جمال القاسم، الذي غادر الجلسة الثالثة قبل انتهائها^(٧٥) مما جعل المحكمة الشرعية تشكل لجنة ثالثة تتكون من نائب المحكمة الشرعية ومأمور الأوقاف والشيخ أديب السراج، وتقرر صرف (٩) جنيهاً لكل منهم تصرف من ريع الوقف^(٧٦). وانقسم أعضاء اللجنة إلى فريقين؛ فقد تشكل الفريق الأول من نائب المحكمة ومأمور الأوقاف، وقدماً تقريراً بينا فيه بأن المتولين مدينان للوقف بمبلغ (٧١٥, ٢٥٧) جنيهاً، أما الفريق الثالث فقد

(٧٣) وثائق التراث، رسالة من القاضي الشرعي إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٥٩هـ/٤ آذار ١٩٤٠م، ملف ١٠/٩٠٦٠/١٣/٤٠.

(٧٤) وثائق التراث، أوراق المحكمة الشرعية، رسالة من القاضي الشرعي إلى مفتش المحاكم الشرعية بتاريخ ٥ رجب ١٣٥٩هـ/٨ آذار ١٩٤٠م ملف ١٠/٩٠٦٠/١٣/٤٠.

(٧٥) وثائق التراث، رسالة من القاضي الشرعي إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٥٩هـ/٤ آذار ١٩٤٠م /ملف ١٠/٩٠٦٠/١٣/٤٠.

(٧٦) وثائق التراث، أوراق المحكمة الشرعية، رسالة من القاضي الشرعي إلى مأمور أوقاف القدس بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٥٩هـ/٧ نيسان ١٩٤٠م ملف ١٠/٩٠٦٠/١٣/٤٠.

اقتصر على المحامي أديب السراج وهو محامي المتهمين، حيث قدم تقريراً يبين فيه أن الوقف مدين للمتولين ولكن دون أن يحدد المبلغ^(٧٧). ووضح مأمور الأوقاف في رسالة بعث بها إلى مدير الأوقاف العام المخالفات التي قام بها المتوليّان وتتمثل في الأمور الآتية:

١. خلط ريع وقف أبي مدين العوث مع باقي أوقاف المغاربة، وصرفه خلافاً لما شرط له.
٢. عدم وجود كتب سائر أوقاف المغاربة ليعلم منها جواز تصرف المتولين بما صرفوه.
٣. تبين من المحاسبة لسنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م بأن المدور نفذ بذمة المتولين وقد بلغ ١٩٦ جنيهاً وهذا المبلغ لم يذكر بالدفتري الذي أبرزه المتوليّان عن سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.
٤. عدم وجود عقود إيجارات تثبت صحة ما ذكر بالدفاتر المبرزة.
٥. عدم وجود طوابع على القسم الأعظم من الوصولات.
٦. أن بعض المستندات المبرزة لم يشعر موقعها «ماضيها» قبضه المبلغ المحرر بها بل هي بصورة كشف يبين به ما يلزم إجراءاته.
٧. عدم وجود كشف ابتدائي أو اتفاقية بشأن التعميرات ذات المبالغ الباهظة ولم توضع موضع المناقصة.
٨. عدم وجود وصولات برواتب المتولين البالغة ١٢٠ جنيهاً.
٩. وجود جملة وصولات تنقص مجموعها عما هو محرر بالدفتري المبرز من المتولين.
١٠. تحقق مبلغ (٥٢٥, ٢٥٧) جنيهاً باقي بذمة المتولين^(٧٨).

ومهما يكن من أمر، فقد أصدر قاضي محكمة القدس الشرعية قراراً في ٣٠ تموز ١٩٣٨م نص على تعيين مأمور أوقاف القدس بمنصب قائم مقام متولي الوقف، بحيث يتولى إدارة جميع شؤونه من إجارة واستئجار ومحاكمة طالما كانت محاسبة المتولين مستمرة^(٧٩).

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) وثائق التراث، أوراق مديرية الأوقاف العامة، تقرير مأمور أوقاف القدس القديمة إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٥٩هـ/ ٧ نيسان ١٩٤٠م ملف ١٠/٩٠٦٠/٤٠/١٣.

(٧٩) وثائق التراث، أوراق مديرية أوقاف القدس. رسالة من وكيل مأمور أوقاف القدس إلى مدير الأوقاف العامة. التاريخ غير واضح. ملف ١٠/٤٩/٩٠/٣٨/١٣.

وقد استمرت قضية المحاسبة مدة ثلاث سنوات انتهت بعد صدور قرار من المحكمة الشرعية بتاريخ ٦/٤/١٩٤٠م، بتبرئة متولي الوقف من التهم المنسوبة لهما، وأقرت ضم مأمور أوقاف القدس بصفة شريك في التولية. وقد احتج مدير الأوقاف العام على ذلك في رسالة بعث بها إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى، ذكر فيها بأن هذا الضم لا يغير من وضع المتولي الأصلي، كما أن إشراك المأمور لا يحد من صلاحيات المتولي، بل هو «من قبيل جعله شاهداً على تلك التصرفات وموافقاً على ما فيها من خطأ أو صواب» لا سيما أن قانون توجيه الجهات لا ينص على نصب مأموري الأوقاف بصفة شركاء، وإنما يبيح للمحكمة الشرعية نصبهم بصفة قائم مقام المتولي إلى حين تعيين متولي آخر، وبذلك استأنف مأمور الأوقاف الحكم إلى محكمة استئناف شرعية القدس، غير أنها ردت الاستئناف وأيدت الحكم الابتدائي، وبذلك بقي الشيخ محمد المهدي متولياً على الأوقاف، وكان المتولي الثاني الشيخ أحمد عامر قد وافته المنية قبل صدور القرار^(٨٠).

ولم تكثر هيئة المجلس الإسلامي الأعلى باحتجاج مدير الأوقاف، فقد رد سكرتير المجلس على رسالة المدير بعبارة كتبها في أسفل الرسالة نفسها معلقاً: «بما أن القضية المتعلقة بأوقاف المغاربة قد فصلت واكتسبت الدرجة القطعية بتصديق محكمة استئناف الشرعية على الحكم، فيجب العمل بموجب الحكم المذكور، وبذل الجهود وتوجيه مزيد من الاهتمام لإزالة الفوضى، وإدخال النظام في إدارة الوقف المذكور»^(٨١). وبذلك تكون صفحة عزل متولي الوقف قد طويت بعد كسبهما للقضية.

تعمير الوقف

اهتمت إدارة وقف أبو مدين الغوث بتعمير العقارات والوقفية وترميمها وإصلاحها حفاظاً عليها والتزاماً بشرط الواقف، لا سيما أن دور حارة المغاربة كانت قديمة وبحاجة إلى ترميم بشكل مستمر، للحيلولة دون خرابها وسقوطها بفعل شدة الأمطار وتساقط الثلوج، إضافة إلى تعرض المدينة في بعض السنوات للزلازل مما يؤدي إلى تصدع جدران الدور وسقوطها.

(٨٠) وثائق التراث، أوراق مديرية الأوقاف العامة. رسالة من مدير الأوقاف العامة إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٤ تموز ١٩٤١. ملف ١٠/٩٠٦٠/٤٠/١٣.

(٨١) وثائق التراث، أوراق مدير الأوقاف العامة. تعليق سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى على كتاب مديرية الأوقاف بتاريخ ٥/٧/١٩٤١م. ملف ١٠/٩٠٦٠/٤٠/١٣.

وكانت أعمال التعمير والترميم تتم بناءً على تقرير مهندس الأوقاف الذي كان يتابع حالة العقارات الوقفية، وفي حال وجود منازل تحتاج للتعمير، كان يبلغ إدارة الوقف بذلك، ومن الأمثلة على ذلك أن سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى وجه كتاباً إلى مدير الأوقاف بالقدس بتاريخ ١٠ شوال ١٣٦٤هـ/ ٢٧ أيلول ١٩٤٥م أبلغه فيه موافقة المجلس على صرف (٧٠) جنيهاً لتعمير إحدى دور الوقف بناءً على تقرير مهندس الأوقاف، وأوصى بأن يتم صرف المبلغ من أمانات الوقف^(٨٢).

وأقر المجلس الإسلامي أيضاً صرف مبلغ (٥٥٠) جنيهاً لتعمير بعض دور المغاربة نظراً لتصدعها بناءً على تقرير مهندس الأوقاف، على أن يتم تعميم الضرورة بحيث يقدم الأهم على المهم، وأن تجري أعمال التعمير بمعرفة مأمور الأوقاف والمهندس وأحد أعضاء لجنة الأوقاف المحلية^(٨٣). وأقر أيضاً صرف مبلغ بقيمة (١١٠٠) جنيهاً على تعميم دور أخرى بحارة المغاربة تابعة للوقف نظراً لأنها أصبحت «في حالة يرثى لها، ومن الضروري جداً إصلاح ما يمكن إصلاحه قبل حلول فصل الشتاء، وخوفاً من الضرر الذي ربما يلحق بسكان الحارة من جراء الخراب» وتقرر تشكيل لجنة للإشراف على ذلك برئاسة الشيخ كمال أفندي عضو المجلس الإسلامي الأعلى، وعضوية كل من مأمور الأوقاف والمتولي الثاني للوقف الشيخ محمد المهدي ومهندس الأوقاف^(٨٤).

وبلغت قيمة المصروفات التي أنفقت على تعميم مختلف عقارات وقف أبي مدين بحارة المغاربة لعام ١٩٦١م (٥١٢، ٢١٥) ديناراً أردنياً، واشتملت أعمال التعمير على إصلاح دور مؤجرة وتبليط أزقة وبناء كراجين وطراشة وتكحيل وتركيب أبواب وطاقتات وترميم غرف الزاوية، وتقاسم هذا المبلغ عشرة حرفيين على النحو الآتي:^(٨٥)

(٨٢) وثائق التراث، أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ١٠ شوال ١٣٦٤هـ/ ٢٧ أيلول ١٩٤٥م. ملف ١٠/٩٠٥١/١٣/٣٨.

(٨٣) وثائق التراث، أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٦١هـ/ ٢٩ أيلول ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٦٠/١٣/٤٠.

(٨٤) وثائق التراث، أوراق دائرة أوقاف القدس. رسالة من مأمور أوقاف القدس إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢٨ رجب ١٣٦١هـ/ ١٩ آب ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٦/١٣/٤٠.

(٨٥) وثائق التراث. وثيقة بعنوان «تعميرات وقف المغاربة لسنة ١٩٦١-١٩٦٨م». ملف ١٠/١٣٥/١٣/٦١.

الرقم	الاسم	المبلغ	عدد الأعمال التي قام بها
١.	سعد الدين البشيتي	٤١,٢٥٥	٤
٢.	جمعة النتشة	١٩٧,٩٧٤	٢١
٣.	عبد الرحيم سلهب	٢,٠٥٠	١
٤.	محمد البلي	١,٨٦٥	١
٥.	داود القزاز	٤٥,٤٠٠	٨
٦.	أحمد الصالحي	١٦,٢٠٠	١
٧.	عبد الرحيم عبيسان	٣٧,٨٩٥	٦
٨.	أحمد شيخة	٥٨,٠٧٥	٥
٩.	رضا القدومي	٣٨,٤٨٠	٣
١٠.	عمر الأسمر	١٥,٨٣٠	١
١١.	علي المغربي	١٧,٢٨٥	١

يبدو من الجدول أن أكثر مبلغ كان قد حصل عليه المتعهد جمعة النتشة الذي قام بـ ٢١ عملاً، ويبلغ مجموع ما حصل عليه (١٩٧,٩٧٤) ديناراً، يليه أحمد شيخة بخمسة أعمال حيث حصل على (٥٨,٠٧٥) ديناراً، ثم داود القزاز الذي قام بثمانية أعمال وحصل مقابل ذلك على (٤٥,٤٠٠) ديناراً، وبلغ أقل مبلغ (١,٨٦٥) الذي صرف لمحمد البلي، و(٢,٠٥٠) ديناراً لعبد الرحيم سلهب حيث قام كل منهما برفع أنقاض وأتربة من مخزن الوقف.

وكانت أعمال التعمير تتم من خلال إعلان المناقصة لفترة زمنية محددة، ويتقدم خلالها عدد من أصحاب المهن بأسعار معينة يضعونها بظروف مغلقة تسلم لإدارة الوقف، وبعد انتهاء مدة المناقصة يجري فتح الظروف بحضور أعضاء لجنة الوقف، ويتم اختيار أرخص الأسعار، وبعد ذلك تنظم اتفاقية بين دائرة الأوقاف والملتزم تتضمن شروطاً عامة وخاصة.

ومن الأمثلة على ذلك المناقصة التي طرحتها دائرة الأوقاف عام ١٩٤٢م لأعمال القصارة والطراشة والتكحيل لعقارات الوقف بحارة المغاربة، وقد تقدم لذلك تسعة أشخاص وقدموا الأسعار الآتية:

الرقم	اسم صاحب المهنة	نوع العمل وسعر المتر بالمئات		
		قصاراة	طراشة	تكحيل
١.	محمد محمود إبراهيم السلواني	٦	١٠	٥٠
٢.	إبراهيم محمد القضماني	-	١٠	-
٣.	رأفت سميرة	-	-	٢٣
٤.	سري الفتياني	-	٨	-
٥.	خليل الحاج درويش	٤٧	-	٣٤
٦.	صبحي موسى بيدس	٤٦	-	-
٧.	داود حسين خليل	٤٦	٨	٣٤
٨.	رشيد مصطفى البليسي	-	-	٤٠
٩.	داود سليمان	٤٤	٧	٣٠

وبعد أن فضت لجنة الأوقاف المحلية ظروف المناقصة، أحالت إلى عهدة كل من داود حسين خليل السلواني أعمال التكحيل، وأحالت إلى محمد محمود إبراهيم أعمال الطراشة، بينما أحيل إلى صبحي موسى بيدس أعمال القصاراة^(٨٦).

بعد ذلك أبرمت إدارة الوقف اتفاقية مع كل من المتعهدين الثلاثة، وتضمنت الاتفاقية بنوداً عامة وأخرى خاصة، منها تحديد نوع الأعمال المتفق عليها، وتعهد الملتزم بمباشرة العمل خلال خمسة أيام من تاريخ إحالة التعهد القطيعة، وأن يقدم عدد كاف من العمال والصناع، و يدفع تأميناً مقداره عشرون بالمائة من قيمة الكشف للأعمال، ويحدد عقد العمل المدة التي ينبغي انتهاء العمل فيها ويعتمد ذلك على نوع العمل، فقد تضمن الاتفاق الذي أبرم مع داود حسين خليل السلواني بشأن تكحيل جدران وأسطح عقارات الوقف، بأن ينتهي من العمل خلال شهر واحد من تاريخ مباشرة العمل، وفي حال تأخره عن ذلك يدفع عن كل يوم تأخير غرامة مقدارها (٥٠٠) مل، ويتضمن الاتفاق أيضاً تحديد نسبة مئوية لإحداث تعديلات في كميات الأشغال من زيادة أو نقصان وذلك حسب نوع العمل، فمثلاً كانت النسبة المتفق عليها بين داود سليمان وإدارة الوقف ٢٥٪، بينما حددت في عقد العمل مع محمد محمود إبراهيم السلواني الذي رسي عليه العطاء بأعمال الطراشة بـ ١٠٪. علماً أن مدة العمل المتفق عليها معه بلغت شهراً واحداً من تاريخ البدء بالعمل، وبلغت النسبة المئوية نفسها بعقد العمل الذي أبرم مع صبحي بيدس ١٠٪.

(٨٦) وثائق التراث، رسالة وجهها عدد من أبناء الجالية المغربية إلى ٨٦- وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. قرار لجنة الأوقاف المحلية ٢٣ ذي الحجة ١٣٦١هـ/ ٣١ كانون الأول ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٠٠/٤٠/١٣.

وتعهدت دائرة الأوقاف بالاتفاقيات الثلاث، بأن تقدم المواد اللازمة للأعمال على نفقتها الخاصة، وأن توصلها إلى مكان العمل، وكان من الشروط الخاصة مع المتعهدين صبحي بيدس ومحمود إبراهيم السلواني أن يقوموا برفع الأنتقاض الناتجة عن أعمال القسارة وطرحها إلى الخارج في مكان مناسب يوافق عليه مهندس الأوقاف^(٨٧).

الدور الاجتماعي للوقف

أدى وقف أبو مدين دوراً مهماً في المجتمع المقدسي من حيث خدمته وتميمته، فقد ساهم في أعمال الخير وبخاصة في تقديم الطعام للفقراء المغاربة وإيواء الفقراء والمسافرين منهم، وقد جاء ذلك تنفيذاً لشروط الواقف، ويظهر ذلك في المصاريف التي كانت تنفق من ريع الوقف لإطعام الفقراء خلال أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف. ومن الأمثلة على ذلك صرف مبلغ (١٧, ٦٥٠) جنيهاً ثمن لوازم إطعام فقراء المغاربة في عيد المولد النبوي الشريف، وقد وزع هذا المبلغ على النحو الآتي:^(٨٨)

الكمية	النوع	جنيه	مل
٢٥ رطلاً	لحم	٤	٢٥٠
٣ شواتل	سميد	٣	٨١٠
١٠ أرطال	بصل	-	٢٠٠
١٤ رطلاً	قرعة	-	٥٠٠
٤ أرطال	سمنة	١	٨٠٠
أوقيتان	بهار وفلفل	-	٤٠
قنطاران	حطب	١	٤٤٠
أربعة أرطال	سكر	-	٣٢٠
أوقية	شاي	-	٨٠
-	أجرة فتالات لعمل المغربية	١	٣٥٠
-	أجرة أربعة طباطخين	١	٢٠٠
-	أجرة الموزع	-	٥٠٠
-	أجرة نقيب	-	٥٠٠
-	طعام للفتالات لمدة يومين	-	١٥٠
-	أجرة لوكسات	-	٣٠٠
-	بياض النحاس	١	٢١٠
المجموع		١٧	٦٥٠

(٨٧) تم الحصول على نصوص هذه الاتفاقيات من وثائق مركز إحياء التراث، ملف رقم ١٠/٦٢/٩٠/٤٠/١٣.

(٨٨) وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. رسالة من مأمور أوقاف القدس إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/ ٤ نيسان ١٩٤٠م. ملف ١٠/٦٩/٩٠/٤٠/١٣.

ووافق المجلس الإسلامي في عام ١٩٤٢م على صرف مبلغ (١٠٠, ٧٥) جنيهاً ثمن الأوقاف المقدرة من قبل المتولي ومأمور الأوقاف بعد مطالعة مدير الأوقاف على ذلك، وذلك لإطعامية فقراء المغاربة في عيد الأضحى^(٨٩). وبلغت تكاليف إطعامية فقراء المغاربة عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م بمناسبة عيد الفطر السعيد (٤٥) جنيهاً^(٩٠). ساهم وقف أبو مدين أيضاً بتغطية المرضى المغاربة وعلاجهم بالمستشفيات، وبخاصة المستشفى الفرنسي في بيت لحم، فبالرغم من أن الواقف لم يذكر قي قضيته إدخال المحتاجين من فقراء المغاربة في المستشفيات، بل اشترط إطعام المحتاجين وكسوتهم والصرف عليهم في الأيام المباركة، غير أن إدارة الوقف طلبت من مدير الأوقاف بأن يطلب من هيئة المجلس الإسلامي الأعلى إعطاء إدارة الوقف الأمر بالصلاحية بإدخال مَنْ ترى ضرورة إدخاله للمستشفى سواء بمدينة القدس أو بيت لحم لتقريبهما لمكان إقامة المغاربة^(٩١).

وقد وافق المجلس الإسلامي على ذلك، فتم علاج الكثير من أبناء المغاربة في تلك المستشفيات على نفقة الوقف، فقد أجريت عملية جراحية لسعيد إبراهيم السبتي بالمستشفى الفرنسي في بيت لحم وبلغت تكلفة ذلك خمسة جنيهاً^(٩٢). وتم علاج كل من عمر الحاج محمد دحمان وعلي أحمد الشاري بالمستشفى نفسه على نفقة الوقف^(٩٣). وأقرت إدارة الوقف صرف (٧٠٠, ١٣) جنيهاً للمستشفى نفسه بدل نفقات علاج لكل من عمر الزواوي وأحمد إبراهيم النائلي^(٩٤).

(٨٩) وثائق التراث، أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٣٦١هـ/١٠ كانون الأول ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

(٩٠) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من سكرتير المجلس الإسلامي بالوكالة إلى مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢٩ رمضان ١٣٦٤هـ/٦ أيلول ١٩٤٥م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

(٩١) وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. رسالة من المتولي الثاني لوقف أبو مدين الغوث ومأمور أوقاف القدس إلى وكيل مدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة ١٣٦٣هـ/١٥ تشرين الثاني ١٩٤٤م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

(٩٢) وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. رسالة من مأمور الأوقاف إلى مدير المستشفى الفرنسي في بيت لحم بتاريخ ١٤ شوال ١٣٦١هـ/٢٤ تشرين الأول ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

(٩٣) وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. رسالة من مأمور الأوقاف إلى مدير المستشفى الفرنسي في بيت لحم بتاريخ ١ تموز ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

(٩٤) وثائق التراث. أوراق من دائرة أوقاف القدس. قرار اللجنة المشرفة على أوقاف المغاربة بتاريخ ١٤ شوال ١٣٦١هـ/٢٤ تشرين الأول ١٩٤٢م. ملف ١٠/٩٠٠/١٣/٤٠.

وقامت إدارة الوقف بتقديم المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين المغاربة، فقد أقرت لجنة الوقف عام ١٩٤٠م صرف جنيه شهرياً من مال الوقف إلى سيد المختار الشنقيطي نظراً «لصلاحه وتقواه والتزامه الحرماً الشريف وشدّة فقره واحتياجه... ولكونه من المغاربة ومن الأشخاص الذين تشملهم الوقفية...»^(٩٥).

وأوصى كل من متولي الوقف ومأمور أوقاف القدس بصفته قائم مقام المتولي الثاني للوقف، بكتاب قدماه لمدير الأوقاف في ٢٣/٩/١٩٤٢م بصرف (٥٠٠) مل لـ ٤٨٠ شخصاً من أبناء الجالية المغربية بالقدس، غير أن مدير الأوقاف رفض ذلك، واقترح تخفيض المبلغ إلى ٣٥٠ ملاً نظراً لقلّة أمانات الوقف، وقد برر ذلك برسالة بعث بها إلى هيئة المجالس الإسلامي الأعلى بأن كل عائلة مغربية حصلت عام ١٩٤١م على جنيه واحد مقابل ثمن الخبز، كما أن وليمة عيد الفطر ستكلف فوق ما خصص لها مبلغ (٦٦,٥٠٠) جنيهاً وبالتالي يكون إجمالي المبلغ الذي سيدفع خلال شهر واحد (٣٠٠,٥٠) جنيهاً، وهو مبلغ عالي مقارنة مع إمكانيات الوقف، وأضاف أيضاً بأن الوقف يحتاج إلى تعميمات لازمة تزيد عن (٥٠٠) جنيه، واقترح صرف مبلغ (٢٣٤,٥٠) جنيهاً للخبز ووليمة العيد^(٩٦).

واحتج متولي الوقف الشيخ محمد المهدي على تخفيض المبلغ إلى (٣٥٠) ملاً، وخاطب المجلس الإسلامي قائلاً «إما أن تعطوهم نصف جنيه وإما نحن في غنى عنها. فأنا الذي أتحمل الصدمات من الكلام المؤلم، وسأحيل هؤلاء المتكلمين عليّ من المستحقين رجالاً ونساءً على حضراتكم وأنتم أتعوهم بأقل مما تفضل به سعادة مدير الأوقاف فلربما تقنعوهم بـ (٢٥٠) ملاً^(٩٧) غير أن المجلس الإسلامي رفض الموافقة على صرف المبلغ المحدد من قبل إدارة الوقف ووافق على اقتراح مدير الأوقاف بتخصيص (٣٥٠) ملاً لكل رب عائلة وصرف (٦٦,٥٠٠) جنيهاً وليمة عيد الفطر^(٩٨).

(٩٥) وثائق التراث. أوراق دائرة أوقاف القدس. قرار اللجنة المشرفة على وقف أبو مدين بتاريخ

٢٢ جمادى الثانية ١٣٦١هـ/ ٥ تموز ١٩٤٢م. ملف ١٠/٦٠/٩٠/٤٠/١٣.

(٩٦) وثائق التراث. أوراق دائرة الأوقاف العامة. رسالة من مدير الأوقاف العامة إلى هيئة المجلس

الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٣/٩/١٩٤٢م. ملف ١٠/٦٠/٩٠/٤٠/١٣.

(٩٧) وثائق التراث. رسالة من متولي وقف أبو مدين الغوث إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ

٣٠ رمضان ١٣٦١هـ/ ١ تشرين الثاني ١٩٤٢م. ملف ١٠/٦٠/٩٠/٤٠/١٣.

(٩٨) وثائق التراث. قرار اللجنة المشرفة على الوقف بتاريخ ٢٢ جمادى الثانية ١٣٦١هـ/ ٥ تموز ١٩٤٢م.

ملف ١٠/٦٠/٩٠/٤٠/١٣.

ووافق المجلس بناءً على طلب متولي الوقف وتزكية مأمور الأوقاف وموافقة مدير الأوقاف، على صرف ٣٥٠ مل لأحد عشر شخصاً من فقراء المغاربة والملازمين لزواية أبي مدين الغوث^(٩٩) وبعد شهرين أضيف لذلك ثلاثة أشخاص آخرين^(١٠٠).

كما أمر أيضاً بصرف مبلغ شهري ولمدة ستة أشهر بقيمة جنية و ٥٠٠ مل للشيخ عبد العال أحمد التونسي، و ٣٠٠ مل لكل من محمد حسين الزواوي والسيدة العلمية زوجة الحاج علي أبو رحمون وذلك اعتباراً من أول حزيران عام ١٩٤٢ م، وقد جاء ذلك بناءً على شهادة كل من شيخ الزاوية وشيخ المغاربة بأن طالبي المساعدة هم من الفقراء والمحتاجين المغاربة^(١٠١). وخصص المجلس الإسلامي ٣٠٠ مل شهرياً تدفع من أمانات الوقف للحاج محمد الرحماني المغربي لفقره وكبر سنه^(١٠٢).

وكان المجلس الإسلامي أحياناً وضمن ظروف معينة يزيد من قيمة المخصصات المالية لبعض الأفراد فقد أقر سكرتير المجلس إضافة ٥٠٠ مل لعائشة إبراهيم الجابي بحيث يصبح المبلغ المخصص لها شهرياً جنيهاً واحداً نظراً لاحتياجها للمعالجة بسبب مرضها وكبر سنها ولا يوجد من يقوم بإعالتها أو النظر إليها^(١٠٣).

ولم تقتصر المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين فقط، بل كانت تطول حَفْظَةَ القرآن الكريم، فكان من بين ملحقات الوقف دار القرآن والحفظة، وكان الحفظة يكلفون بتلاوة القرآن، لذا فقد تم صرف ٥٠٠، ٤ جنية لكل من الحفظة الحاج علي محمد الشناوي، والحاج محمد المهدي، والحاج عبد الله الجريدي، وأرملة الحاج عمر الأعرج^(١٠٤).

(٩٩) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي إلى مدير الأوقاف بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٦١ هـ / ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٢ م. ملف ١٠ / ٦٠ / ٩٠ / ٤٠ / ٤٠ / ١٣.

(١٠٠) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٦١ هـ / ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٢ م. ملف ١٠ / ٦٠ / ٩٠ / ٤٠ / ١٣.

(١٠١) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف بتاريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣٦٢ هـ / ٢٢ حزيران ١٩٤٢ م. ملف ١٠ / ٦٢ / ٩٠ / ٤٠ / ١٣.

(١٠٢) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مدير الأوقاف بتاريخ ٣ رجب ١٣٦٤ هـ / ٣ حزيران ١٩٤٦ م. ملف ١٠ / ٥١ / ٩٠ / ٣٨ / ٣.

(١٠٣) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من سكرتير المجلس الإسلامي بالوكالة إلى مدير الأوقاف بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٣٦٤ هـ / ١٥ نيسان ١٩٤٥ م. ملف ١٠ / ٦٢ / ٩٠ / ٤٠ / ٣.

(١٠٤) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من سكرتير المجلس الإسلامي إلى مدير الأوقاف بتاريخ ٢٢ رمضان ١٣٦٥ هـ / ١٩ آب ١٩٦٥ م. ملف ١٠ / ٥١ / ٩٠ / ٣٨ / ٣.

تنمية الوقف

حرصت إدارة وقف أبي مدين الفوثن على تنمية عقارات الوقف واستغلالها واستثمارها حتى تبقى مورداً ثابتاً للوقف يسد احتياجاته، خاصة أن نفقات الوقف ومصاريفه كانت عالية، ممثلة بالرواتب الشهرية لبعض الأسر المغربية، وتقديم الطعام في الأعياد الدينية، وعلاج المرضى، ونفقات التعمير، لذلك فقد لجأت إلى تأجير أراضي الوقف بقرية عين كارم لفلاحي القرية، وتأجير بعض ممتلكات الوقف في حارة المغاربة، إضافة إلى متابعة مستأجرى دور الوقف من المغاربة في الحارة.

وكان يتم تأجير أرض الوقف بقرية عين كارم بالمزاد العلني، حيث يبين نوع العقار ورقمه أو مقدار الحصة لمن يرغب باستجاره، ويشترط بأن يدفع المستأجر ثلث قيمة الإيجار عربوناً ويتعهد بدفع البديل جميعه إلى صندوق الأوقاف على ثلاثة أقساط، يكون القسط الأول عند إجراء الإحالة القطعية، ويمكن احتساب العربون مقابل هذا القسط، وفي حال انتهاء مدة المزايدة البالغة عشرين يوماً، يتم تعليق الأرض المطروحة بالمزاد وإعلانها لمدة ٤٨ ساعة، وبعد انتهاء مدة المزايدة والتعليق يرسو المزاد على من يدفع السعر الأعلى^(١٠٥).

وتحدد مدة الإيجار ما بين سنة إلى سنتين، فقد استأجر موسى محمد عوض الله قطعتي أرض خلة الفردة والشيخ أحمد جليجل البالغة مساحتها ٨٠ دونماً لمدة سنتين اعتباراً من تشرين الثاني ١٩٢٦م لغاية تشرين الثاني ١٩٢٨م مقابل ٦٥٠ قرشاً مصرياً^(١٠٦).

كما أجرت إدارة الوقف مجرى مياه داخل حارة المغاربة لبلدية القدس، وجاء ذلك بعد أن قامت البلدية بإحداث مجرى للمياه العادمة بأرض الوقف، ولما كان لا مناص من بقاء المجرى بأرض الوقف، أمر القاضي الشرعي بإرسال لجنة للكشف على الموقع تتكون من أصحاب الخبرة؛ وهم الحاج يوسف وفا الدجاني والحاج موسى هندية وحسن قليبو والشيخ رشيد الدنف والشيخ حسن أفندي كاتب ضبط المحكمة الشرعية وصبحي محمد عبد الرازق أحد مباشريها، وبعد معاينة اللجنة للمكان، قدمت تقريراً للقاضي الشرعي بينت فيه أن المجرى قد أحدث ضرراً بأرض الوقف، حيث فصلها من الجهة الغربية بمقدار عشرين متراً بطولها من الشمال إلى الجنوب، وبينت أن تأجير المجرى للبلدية بإجارتين فيه الحظ الأوفر والمصلحة التامة لجهة الوقف^(١٠٧).

(١٠٥) وثائق التراث. قائمة مزايدة لدائرة أوقاف القدس. ملف ١٠/٢٢/١٣/٢٨.

(١٠٦) وثائق التراث. لائحة بعنوان قائمة مزايدة لأراضي الأوقاف المندرسة. ملف ١٠/٢٢/١٣/٢٨.

(١٠٧) وثائق التراث. رسالة من اللجنة المكلفة للكشف على المكان إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٢ شعبان

١٣٤٥هـ/٢٦ شباط ١٩٢٧م. ملف ١٠/٢٥٦/٢/٢٧/١٣.

وبناءً على ذلك بعث وكيل رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الشيخ محمد مراد كتاباً إلى القاضي الشرعي، أخبره بموافقة المجلس الإسلامي على إعطاء الإذن لمتولي الوقف بتأجير مكان المجرى للبلدية^(١٠٨) لما في ذلك من «مصلحة البلدية العامة بوضع مجرى عمومي يمر من تلك الأرض إلى قرية سلوان حيث لا مفر منه، وضرورة استجلاب المنفعة للوقف لأن بذلك حفظ ومنفعة لجهة الوقف وصيانة للواقف من الضياع بعقد الإيجاريتين»^(١٠٩).

وبعد ذلك أبرم اتفاق بين راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس و متولي الوقف، نص على استئجار البلدية لمجرى للمياه العادمة بأرض الوقف بحارة المغاربة بطول ٨٧م وعرض ٢٠م، وتضمن الاتفاق بأن يكون ذلك بإيجاريتين؛ أحدهما معجلة ومقدارها ٦٠ جنيهاً، والثانية مؤجلة ومقدارها ٣ جنيهاً تدفع سنوياً من بداية أول شهر محرم في بداية كل سنة، ولا يحق لرئيس البلدية أيّاً كان بصفته المذكورة أن ينشئ في الأرض أو على المجرى أي بناء سوى المجرى، والأيعارض المتولين أيّاً كانوا بالانتفاع بالأرض المذكورة وفوق المجرى، وتضمن الاتفاق أيضاً بأن تكون مواسير المجرى مغطاة بالتراب على مستوى الأرض بحيث «لا يكون مانعاً من الحراثة والزراعة فوقه من طرف المتولين في أول فرصة ممكنة حسبما تقتضيه القوانين والنظامات الموضوعية في هذا الخصوص»^(١١٠).

وحرصت إدارة الوقف على متابعة المستأجرين المتخلفين عن تسديد أجرة المنازل التي يقيمون فيها، فكان مأمور الوقف يرسل لهم إخطاراً يبلغهم فيه بأن عليهم دفع قيمة المستحقات خلال سبعة أيام من تاريخ الإخطار وإلا ستقوم مديرية الأوقاف بمراجعة الطرق القانونية وإجبار المتخلفين دفع كافة المصاريف وأجرة المحاماة القانونية.^(١١١)

(١٠٨) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من وكيل المجلس الإسلامي إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٢٦ شوال ١٣٤٥هـ/ ٢٨ نيسان ١٩٢٧م. ملف ١٠/٢٥٦/٢٠٢٧/١٣.

(١٠٩) وثائق التراث. أوراق المحكمة الشرعية. ملف ١٠/٢٥٦/٢٠٢٧/١٣.

(١١٠) وثائق التراث. رسالة من متولي الوقف إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٦ شعبان ١٣٤٥هـ/ ٢٨ شباط ١٩٢٧م. ملف ١٠/٢٥٦/٢٠٢٧/١٣.

(١١١) وثائق التراث. نص صيغة الأخطار. ملف ٧٠/٥/١/٤٠٣/٣٩/١٣.

ففي ١٥ شوال ١٣٥٨هـ الموافق ٢٧/١١/١٩٣٩م بعث مأمور الأوقاف ثمانية إخطارات لبعض المستأجرين المتخلفين عن دفع قيمة الإيجار أو جزء منها ويظهر ذلك في الجدول الآتي: (١١٢)

اسم المستأجر	قيمة الأجرة السنوية بالجنيه	مجموع المبلغ المتبقي	توزيع المبلغ
محمد سعيد الزواوي	٨	٢٠	٤ جنيه من بواقي سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٦م ٨ جنيه أجرة سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م ٨ جنيه أجرة سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٩م
الحاج ديب الغزاوي	٢,٥	٥	١,٥ أجرة سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م ٢,٥ أجرة سنة ١٩٣٨هـ/١٩٣٩م
الخواجة جبرا جريس	غير واضح	٥٧٠م	عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م
جمعية يوسف شختورة	٧,٢٥٠	٧,٢٥٠	عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م
محمد عابدين الساعاتي	٧	١٠	٢ جنيه عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م ٧ جنيه عن سنة ١٩٣٨هـ/١٩٣٩م
أحمد محمد عابدين	٧	١١	٤ جنيه عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م ٧ جنيه عن سنة ١٩٣٨هـ/١٩٣٩م
الخواجة مسعود اليهودي	٢٧,٤٠٠	٣١,٧١٠	٤,٣٠٠ عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م ٢٧,٤٠٠ عن سنة ١٩٣٨هـ/١٩٣٩م
خورشيد داود	٣	٣	أجرة عن سنة ١٩٣٧هـ/١٩٣٨م

الاعتداءات على عقارات الوقف

تعرضت ممتلكات الوقف - بخاصة في حارة المغاربة - لاعتداءات وتجاوزات من قبل بعض أبناء المغاربة المقيمين بمنازل الوقف، محاولين إخراج سندات طابو بتملكهم تلك العقارات، فكان بعضهم يقيم في دور تتكون من عدة غرف، ويشغل غرفة أو غرفتين ويؤجر الباقي لأشخاص ليسوا من مستحقي الوقف، وبالرغم من أن هذه التصرفات تعد مخالفة للشرع وشرط الواقف، إلا أن إدارة الوقف فضلت عدم إقامة الدعاوى على المخالفين والمعتمدين في المحاكم، خوفاً من أن تعتبر المحكمة ذلك عرفاً وعادة ساروا

(١١٢) وثائق التراث. أوراق دائرة الأوقاف. رسالة من مأمور الأوقاف إلى المستأجرين. ملف ١٣/٣٩/٤.٣/١/٥/٧٠.

عليها من قديم الزمان، إضافة إلى التخوف من قانون حماية المستأجرين الذي أصدرته سلطات الانتداب البريطاني.

وكان من بين محاولات الاعتداء على الوقف، محاولة محمد عارف القسنطيني إخراج قيد من دائرة الطابو للدار التي يسكن فيها، مع أنها تابعة للوقف، مما دفع الشيخ محمد المهدي متولي الوقف تقديم المستندات الثبوتية لدائرة الطابو، والتي تثبت بأن الدار تابعة للوقف. وحتى تضع دائرة الأوقاف حداً لادعاءات تملك العقارات الوقفية بحارة المغاربة، عملت على مسح جميع العقارات، وتم عمل خريطة لكل دارين أو ثلاثة دور، وحددت من كافة الجهات بوقف المغاربة^(١١٣).

ورغمًا عن ذلك، فقد استمرت الاعتداءات على دور الوقف، فقد أخذ بعض المستأجرين المغاربة ينكرون ملكية الوقف للدور التي يقيمون فيها، ويدعون ملكيتها بمرور الزمن، وتشير إحدى الرسائل التي بعثها الشيخ عيسى هاشم المختار أحد متولي الوقف إلى قاضي المحكمة الشرعية في ٤/١٢/١٩٦٢م، أن عدد الدور المغتصبة من قبل المغاربة بلغ ستين دارًا، مما دفع متولي الوقف بصفتها مأذونين لهما، بإقامة الدعاوى لدى المحاكم ضد خصوم الوقف، فأقيمت دعوى ضد عبد السلام أحمد الجبلي الذي أنكر ملكية الوقف للدار التي يسكن فيها، وقد حضر المتولي السندات الثبوتية التي تثبت ملكية الوقف للدار، منها صورة مصدقة من قرار قاضي المحكمة الشرعية بهدم الدار، ورخصة بناء صادرة عن لجنة القدس المحلية للأبنية وتنظيم المدن باسم الحاج علي محمد الصالح بصفته متولي الوقف، وشهادات تسجيل باسم الوقف، وحجة وقفية صادرة عن المحكمة الشرعية في القدس، وسند صرف مصدق عليه من المحكمة وخارطة، إضافة إلى عدد من الشهود، وهم كايد رجب أبو جلال الذي قام بإعادة بناء الدار التي يقيم فيها المدعى عليه بعد هدمها بأمر المتولي نظرًا لشدة خرابها، ومحمد الشنقيطي مراقب العمال، إضافة إلى عادل شرف ومحمد حسنة، ونتيجة لقناعة محكمة البداية بحجة متولي الوقف والمستندات والشهود، أصدرت قرارًا جاء فيه: «لجميع ما تقدم نرجح بينة المدعيين على بينة المدعى عليه، ونرى أن المدعيين قد أثبتوا دعواهما وتقرر لذلك الحكم بملكية وقف أبي مدين الغوث وأوقاف المحسنين المغاربة للدار

(١١٣) وثائق التراث. أوراق دائرة الأوقاف. رسالة من متولي الوقف إلى مأمور الأوقاف بتاريخ ٤ رجب ١٣٥٩هـ/ ١٨ آب ١٩٤٠م. ملف ١٠/٩٠٦٢/٤/١٣.

موضوع الدعوى... مع تضمين المدعى عليه الرسوم والمصاريف...»^(١١٤). وكان محامي الوقف في هذه الدعوى أنور الخطيب التميمي الذي وصف المحاكمة بأنها «نموذجية بالنسبة لجميع الأشخاص الذين يعتدون على عقارات الوقف وأملاكه»^(١١٥).

ولم تقتصر التعدييات على العقارات الوقفية بحارة المغاربة على الأفراد فقط، بل قامت حكومة الانتداب بالاعتداء على أملاك الوقف، وتمثل ذلك في إزالة أشجار الصبر الموجودة بأرض الوقف بالحجارة وجعله «قاعاً نصفاً بعدما كان قوتاً لفقرء ومستحقي ذلك الوقف»^(١١٦). وكانت إدارة الوقف تقوم بتضمين ثمر الصبر سنوياً، فقد بلغ ريع ضمانه لعام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م، ٦٠٠ قرش^(١١٧) ونتيجة لاحتجاج إدارة الوقف على تصرفات حكومة الانتداب دفعت الحكومة ٤٠ جنيهاً تعويضاً على ذلك^(١١٨).

وتعرضت أيضاً أراضي الوقف بقرية عين كارم لاعتداءات من قبل اليهود وسكان مدينة القدس وفلاحي القرية، وذلك من خلال الإدعاء بتملك بعض قطع أراضي القرية وبيعها دون وجه حق، وجاءت أول محاولة اعتداء على أرض الوقف والادعاء بملكيته من قبل يوسف عبد الله النسناس من أهالي مدينة القدس، حيث تمكن من الحصول على سند نظامي من دائرة طابو القدس مؤرخ في ٢٠ تموز عام ١٩٢٠م بقطعة أرض من أراضي القرية وتعرف باسم «مراح بني زيادة» وتبلغ مساحتها دونمين، ويحدها من الشمال والشرق أرض اللفاتوة، ومن الجنوب الطريق العام، ومن الغرب أرض عفيفة عبد الله، وأقامت إدارة الوقف دعوى على النسناس، وقد وكلت في ذلك المحامي محمد حسن البديري الذي بلغ قاضي المحكمة الشرعية بأن أرض قرية عين كارم هي أرض وقف أبي مدين الغوث، ولا يجوز حسب شرط الواقف بيع أو شراء أو تناقل أي جزء منها،

(١١٤) وثائق التراث. قرار محكمة بداية القدس رقم ٦٠/٢٨٠ بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٦٢م. ملف ١٠/١٠٤/٩.١٣/٢.

(١١٥) وثائق التراث. أوراق الحامي أنور الخطيب التميمي. رسالة من المحامي إلى متولي الوقف بتاريخ ٢ كانون الأول ١٩٦٢م. ملف ١٠/١٠٤/٩.١٣/٢.

(١١٦) وثائق التراث. رسالة من مجموعة من أبناء الجالية المغربية بالقدس إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى ومدير الأوقاف العامة بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٢٩م. ملف ١٠/٤٩/٩.١٣/٢٨.

(١١٧) وثائق التراث. كشف بعنوان «بيان واردات وقف سيدنا أبو مدين الغوث وملحقاته عن واجبات سنة ١٣٥٦هـ. ملف ١٠/٤٩/٩.١٣/٢٨.

(١١٨) وثائق التراث. أوراق مديرية الأوقاف العامة. رسالة من مدير الأوقاف العامة إلى حاكم القدس بتاريخ ٦ جمادى الآخر ١٣٥٨هـ/٢٣ تموز ١٩٣٩م. ملف ١٠/٤٩/٩.١٣/٢٨.

وأن عمل النسناس يعد تجاوزاً على الوقف وتعدياً عليه، وطلب البديري من القاضي بأن يحضر النسناس إلى المحكمة الشرعية، وأن يبطل السند الموجود بيده، وتبلغ دائرة الطابو لإعطاء الشرح اللازم بإبطال السند المذكور، مع إلزام المدعى عليه برسوم المحكمة وأجرة أتعاب المحامي^(١١٩).

وبناءً على ذلك، وجه القاضي الشرعي كتاباً مؤرخاً في ١٩٢٢/٢/٤ م إلى دائرة الطابو، يطلب فيه تزويده بمعلومات حول وضع أراضي القرية وكيفية تسجيلها، وقبل تسلّم القاضي رداً من دائرة الطابو، بعث إليه المحامي البديري كتاباً مؤرخاً في ١٩٢٢/٢/١٥ م ذكر فيه بأن دائرة الطابو باشرت بقبول معاملات البيع والتصرف بحق أراضي القرية، وألح على القاضي بأن يعطيه قراراً بالحجز على أراضي القرية، وتبلغ دائرة الطابو بعدم قبول أي معاملة تتعلق بأراضي القرية^(١٢٠).

وبعد ذلك بثلاثة أيام أي في ١٩٢٢/٢/١٨ م، أجابت دائرة الطابو على استفسار القاضي الشرعي بكتابه المؤرخ في ١٩٢٢/٢/٤ م ذكرت فيه أنه «بعد الكشف والتدقيق بدفتر يوقلمه^(١٢١) عين كارم تبين أنه في سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨ م جرى قيد جميع الأراضي والأشجار على جميع أهالي القرية وخلافهم بدفتر يوقلمة من نمرة ١-١٢٣٢، وجرى تصديق الدفتر المذكور من مجلس إدارة اللواء، وأعطى بذلك الوقت علم وخبر مؤقتين لبيّنا يصدر سندات خاقانية بها، وان الأهالي كانت تتصرف بالأراضي والأموال حسب قانون الأراضي^(١٢٢).

(١١٩) وثائق التراث. رسالة من الحامي محمد حسن البديري إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٩٢٢/٢/٢ م. ملف ١٣/٢٢/١.١٨/١/١٠.

(١٢٠) وثائق التراث. رسالة من المحامي البديري إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٥ شباط ١٩٢٢ م. ملف ١٣/٢٢/١.٨/١/١٠.

(١٢١) دفاتر اليوقلمة: وهي دفاتر الطابو والتسوية ويسجل فيها الكشف الأولي الذي أجرته دائرة الطابو وسجلت فيه الحقوق بمعرفة أهالي الجوار والخبرة والمخاتير. وتبين هذه الدفاتر كيفية الحصول على الأرض، والضرائب التي يدفعها صاحب الأرض. وكان صاحب الأرض يدفع رسوم الطابو ثم يحصل على سند طابو من الأستانة يؤكد هذا الحق. هند غسان أبو الشعر، إربد وجوارها ١٨٥٠-١٩٢٨ م، منشورات بنك الأعمال، عمّان، ١٩٩٥ م، ص ٥.

(١٢٢) وثائق التراث، رسالة من مأمور دائرة الطابو بالقدس إلى القاضي الشرعي بتاريخ ١٨ شباط ١٩٢٢ م. ملف ٣/٢٢/١.١٨/١/١٠.

وقد رفع القاضي الشرعي هذا الجواب في اليوم ذاته للحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وأرفق بذلك كتاباً يبين فيه بأن طلب المحامي البديري من المحكمة الشرعية الحجز على أملاك قرية عين كارم وعقاراتها وأراضيها هو في غير محله، وأضاف بأن المحامي يقصد إثارة الشقاق بين القاضي الشرعي والمجلس الإسلامي «لعله يصطاد في الماء العكر»، وقال أيضاً «أما عداوة البديريين لشخص القاضي فقد سارت بها الركبان وصارت غير خافية على أي إنسان، وأيم الحق أنه لو كنت أعتقد أن المجلس بإمكانه أن يحرمني الحياة فضلاً عن العزل، ما خفت منه خوفاً يحملني على مخالفة الشرع الشريف». وخاطب الحاج أمين الحسيني قائلاً بأن «والدكم المرحوم الطاهر بن الطاهر كان عضواً في مجلس إدارة اللواء، وبالطبع كان القرار المذكور بموافقتهم، وقد كان أصلح أهل زمانه ولأمثالنا فيه أسوة حسنة»^(١٢٣).

وكان القاضي الشرعي قد عين تاريخ ١٥/٢/١٩٢٢م موعداً لرؤية الدعوى المقامة على النسناس، ولدى حضور أطراف القضية إلى قاعة المحكمة في الموعد المحدد، أجل القاضي الجلسة إلى ٢٧/٢/١٩٢٢م، دون أن يسأل المدعى عليه، أو يعطي المحامي المجال لشرح دعواه، وفقاً لما رواه المحامي بكتاب قدمه إلى المجلس الإسلامي الأعلى، غير أن المحامي لم يتمكن من حضور الجلسة المحددة بتاريخ ٢/٢/١٩٢٢م، فطلب من القاضي تأجيل الجلسة إلى ٢/٣/١٩٢٢م، غير أنه رفض ذلك، وأعلن عن إسقاط الدعوى بداعي عدم حضور المحامي. وبتاريخ ٢/٣/١٩٢٢م، قام المحامي بتجديد الدعوى، إلا أن القاضي لم يلتفت لطلبه، ثم قدم المحامي استدعاءً ثالثاً كرر فيه استرحاماته السابقة، وأبدى استعداده بتقديم الكفالة التي يراها القاضي، وطلب من القاضي بأن يعطيه قراراً بالحجز على أراضي القرية، وعدم إجراء وقبول أي معاملة كانت حتى تنتهي الدعوى المقامة على النسناس، وذكر بأن المحكمة المركزية أصدرت قراراً تضمن منع إجراء أي معاملة كانت في القرية ريثما تنتهي القضية، إلا أن القاضي رد الاستدعاء شارحاً عليه بالقول: «بعد أن يثبت مدعاه بالوجه الشرعي، ويتضح للمحكمة الشرعية أن طلب المستدعي في محله بالأدلة والبراهين التي يبديها، حينئذٍ يجب طلبه»^(١٢٤).

(١٢٣) وثائق التراث. رسالة من المحامي البديري إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٢ آذار ١٩٢٢م. ملف ٣١٢٢/١٠١٨/١/١٠.

(١٢٤) وثائق التراث. رسالة من المحامي البديري إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٢ آذار ١٩٢٢م. ملف ٣١٢٢/١٠١٨/١/١٠.

وبعد ذلك خاطب المحامي هيئة المجلس الإسلامي شارحاً لها القضية من بدايتها، وأبدى تخليه عن الاستمرار في الدعوى، واختتم رسالته بالقول: «أرفع لحضراتكم الأمر وإمعان النظر وإجراء ما ترونه حقاً وعدلاً حفظاً لحقوق العباد، وصيانة للمركز الشريف الذي يشغله، والشرع الجليل الأنور الذي يجب تقديسه وصيانتته»^(١٢٥).

واتهم القاضي الشرعي برسالة بعثها لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى، أن المحامي حسن البديري يحاول إقناع متولي الوقف الشيخ البشير المغربي بترك الدعوى، مدعياً بأن: «ذلك يخدم الوقف خدمة عظيمة»، وأنه لا يستطيع إكمال الدعوى إلا «إذا كان القاضي عمه الشيخ موسى أفندي البديري»^(١٢٦)، ولذلك بعث القاضي إخطاراً لمتولي الوقف، هدد فيه بأنه إذا ترك الدعوى المذكورة فهو يكون بذلك مقصراً في أداء وظيفته ويستحق العزل، «لذلك صار إخطارك بلزوم مواظبتك على الدعوى إلى النهاية، وإن لم تفعل نزلك حالاً ونصب متولياً خلافاً للمحافظة على حقوق الوقف المذكورة»^(١٢٧).

واستمر القاضي الشرعي بمتابعة القضية مع مأمور الطابو، حيث بعث إليه كتاباً بتاريخ ١٧ ذي الحجة ١٣٤٠هـ / ١٠/٨/١٩٢٢ م، طلب منه عدم إجراء جميع المعاملات في أراضي عين كارم نتيجة للدعوى المقامة ضد النسناس، غير أن مأمور الطابو أجابه بأن توقيف معاملات الأراضي غير المقيدة في دفاتر الطابو بصفة وقف، هو من اختصاص محكمة البداية فقط، وأنه لا يستطيع توقيف المعاملات دون أن يرد إليه أمر بالتوقيف من رئيس تلك المحكمة^(١٢٨). وقد اطلع القاضي رئيس المجلس الإسلامي على رد مأمور الطابو مطالباً إياه باتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على قرارات الشرع الشريف^(١٢٩)، وبناءً على ذلك، بعث رئيس المجلس الإسلامي رسالة إلى مساعد

(١٢٥) وثائق التراث. رسالة من المحامي البديري إلى هيئة المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٣/٣/١٩٢٢ م. ملف ١٠/١٨/١٠٠/٢٢/٣.

(١٢٦) وثائق التراث. أوراق المحكمة الشرعية. رسالة من القاضي الشرعي إلى رئيس المجلس الإسلامي بتاريخ ٢ حزيران ١٩٢٢ م. ملف ١٠/١٠/٧/٢٥/١٣.

(١٢٧) وثائق التراث. أوراق المحكمة الشرعية. رسالة من القاضي الشرعي إلى متولي الوقف بتاريخ ٧ حزيران ١٩٢٢ م. ملف ١٠/١٠/٧/٢٥/١٣.

(١٢٨) وثائق التراث. رسالة من نائب مدير الأراضي إلى القاضي الشرعي بتاريخ ٢٢/٨/١٩٢٢ م. ملف ١٠/١٠/٧/٢٥/١٣.

(١٢٩) وثائق التراث. أوراق المحكمة الشرعية. رسالة من وكيل القاضي الشرعي إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢ محرم ١٣٤١هـ / ٢٦ أيار ١٩٢٢ م. ملف ١٠/١٠/٧/٢٥/١٣.

السكرتير العام بحكومة الانتداب، طلب منه الإيعاز لدائرة الطابو بأن تجري إيجاب كتاب القاضي الشرعي وتوقف المعاملات حتى تنتهي المرافعة المتعلقة بأرض الوقف، واستند في ذلك للمادة ٢١ من أصول المحاكمات الشرعية؛ التي تنص على أنه للمحاكم الشرعية الصلاحية في كتابة المذكرات إلى الدوائر الرسمية، وان المادة الثانية من قانون حكام الشرع، تصرح بوجوب إنفاذ مذكرات حكام الشرع، وبالتالي، فإن مذكرات القضاة الشرعيين واجبة الإنفاذ لابتنائها على المصلحة^(١٣٠)، ورد مساعد السكرتير العام على ذلك بالطلب من المجلس الإسلامي بأن يقدم للمحاكمة كل طلب للتأشير على السجل بالحجز التحفظي، ريثما يتم الفصل في القضية وتنتهي المحاكمة.^(١٣١)

ومهما يكن من أمر، فقد رفض المجلس الإسلامي الأعلى اعتذار المحامي البديري عن الاستمرار في الدعوى والدفاع عن أراضي الوقف، وخصص له مبلغ ٤٠٠ جنيه للدفاع عن الوقف في الدعاوي المقامة عليه من قبل بعض الأفراد، وتم الاتفاق على أن يتسلم مائة جنيه عند الدخول بالدعوى، ومائة ثانية عند إعطاء القرار من محكمة البداية، ومائة ثالثة عند إعطاء القرار من المحكمة الشرعية، ومائة رابعة عند إعطاء القرار من محكمة الاستئناف^(١٣٢).

وافق البديري على عرض المجلس الإسلامي، فقدم له قائمة بمختلف الدعاوي المتعلقة بوقف أبي مدين الغوث على النحو الآتي:^(١٣٣)

(١٣٠) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى، رسالة من سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى إلى مساعد السكرتير العام بتاريخ ١٨ محرم ١٣٤١هـ/٩ أيلول ١٩٢٢م. ملف ١٠/١٠/٧، ١٣/٢٥.

(١٣١) وثائق التراث. رسالة من مساعد السكرتير العام إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٢٢م. ملف ١٠/١٠/٧، ١٣/٢٥.

(١٣٢) وثائق التراث. أوراق المحكمة الشرعية. رسالة من القاضي الشرعي إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٣ صفر ١٣٤١هـ/٣ أيلول ١٩٢٤م. ملف ١٠/٦، ١٣/٢٢.

(١٣٣) وثائق التراث. رسالة من المحامي البديري إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٤١هـ/٦ شباط ١٩٢٢م. ملف ٧/١٠/٧، ١٣/٢٥.

المحكمة	رقم القضية	المدعي	المدعى عليه	نوع الدعوى	تاريخ الجلسة	ملاحظات
الشرعية	٩٢٢/٣٧	متولي أوقاف أبي مدين	يوسف النسناس	طلب إبطال سند طاوو	-	تقرير الحجز على القرية ومنع الانتقال
الاستئناف	٢٢/١٤٦	جمعية باني بيت اليهودية	متولي أوقاف أبي مدين	طلب تحديد القرية	١٩٢٣/٣/٧ م	يقضي تقديم سند كفالة ولوائح من المتولي قبل يوم الجلسة
محكمة الأراضي	٢٢/١٢٣	يوسف الحمزة	سليمان اسماعيل	طلب تملك قطعة أرض	للكشف	تقرير الكشف على الموقع
محكمة الأراضي	٢٢/١٢٨	حسن خليل عبد الكريم	محمود خليل	طلب تملك قطعة أرض	١٩٢٣/٦/٧ م	طلب المحامي الدخول فيها بصفة شخص ثالث
محكمة الأراضي	٢٢/١٢٩	نعمة محمد أبو راس	علي محمد أبو راس	طلب تملك قطعة أرض	١٩٢٣/٣/٩ م	طلب المحامي الدخول فيها بصفة شخص ثالث
محكمة الأراضي	٢٣/٤	حسن صالح نعواس	علي أحمد أبو الكلبات	طلب تملك قطعة أرض	١٩٢٣/٣/١٠ م	طلب المحامي الدخول فيها بصفة شخص ثالث
محكمة الأراضي	٢٣/٦	عثمان رشيد	حسن الزعبي	تجاوز حدود	١٩٢٣/٣/١٠ م	إسقاط الدعوى مؤقتاً بسبب عدم حضور المدعي
محكمة الأراضي	٢٢/٣٤	إسماعيل الخطيب	حشمة عثمان	طلب تملك قطعة أرض	١٩٢٣/٣/٢٨ م	طلب المحامي الدخول فيها بصفة شخص ثالث
محكمة الأراضي	٢٣/٣٥	حسن أحمد عثمان	حشمة عثمان	طلب تملك قطعة أرض	١٩٢٣/٣/٢٨ م	طلب المحامي الدخول فيها بصفة شخص ثالث

وحرصاً من إدارة الوقف على إثباته، فقد كانت تقوم بإحضار مضبطة موقعة من بعض الوجهاء، ومخاتير قرية عين كارم، تثبت ملكية الوقف للأراضي المتنازع عليها، وهذه إحدى صور ذلك:

عين كارم - القطعة الفوق صورة أخرجت من الدفتر المحفوظ

نحن الموقعين أدناه نشهد ونعلم علمًا يقيناً أن قطعة الأرض هي عائدة للأوقاف المندرسية^(١٣٤) والواقعة في الجهة الشرقية من قريتنا عين كارم المسماه «أرض الشيخ أحمد جليجل» والبالغة مساحتها أربعين دونماً، والمحدودة قبلة أرض سليمان بن خليل حسين قاسم مع محمد عودة قوينص ومحمود منون، وشرقاً أرض عبد الله زيدان وأرض ورثة أبو علان، وشمالاً الطريق العمومية الجديدة، وغرباً أرض عائلة عبد الله وأرض

(١٣٤) الأوقاف المندرسية: فقدان العقار الموقوف أو جهة النبر الموقوف عليه. حمد عبد الله يوسف، الوقف الإسلامي في فلسطين، مؤسسة إحياء التراث القدس ٢٠٠٣ م، ص ٤٨٢.

جودة محمد حسن إسماعيل وشركاه هي من أرض الأوقاف المندرسية، وإقراراً بذلك قد أعطينا هذه المضبطة موقعة منا بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/ ١١ أيلول ١٩٢٦م.

مدرس اختيار مختار أول إسلام قرية عين كارم

إسماعيل محمد علي موسى محمد عوض الله سعيد أحمد^(١٣٥)

وفي عام ١٩٤٠م جرت محاولات من قبل بعض مختير قرية عين كارم بيع أراضي الوقف، الأمر الذي دفع مدير الأوقاف العام إلى مختير توجيه إنذارات إلى مختير القرية بشأن محاولتهم بيع قطعة أرض لأحد الأشخاص. كما تم الكتابة للقاضي الشرعي لإيقاف البيع المزعوم. ويبدو أن عملية البيع لم تتوقف، ما لم يتم إبراز ما يؤكد تسجيلها باسم وقف أبي مدين الغوث، مما دفع مدير الأوقاف إلى توجيه كتاب لمفتش الأوقاف والمدارس الإسلامية، يطلب منه البحث عن خرائط أراضي وقف القرية بين الطلبات المقدمة إلى دائرة الطابو في القدس. وفي حال لم يجد فيها مثل هذه الطلبات، دعاه بأن يتفق مع أحد المساحين لعمل هذه الخرائط وتوقيعها من مختير القرية وتقديم طلب تسجيل بها^(١٣٦).

ونظراً لشرع حكومة الانتداب في أعمال تسوية الأراضي والبدء بتحديد القسائم وتقديم الادعاءات، شكل المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٤٥م لجنة برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح قاضي المحكمة الشرعية في القدس، وعضوية كل من جميل وهبه مدير الأوقاف العام، وجمال القاسم مأمور أوقاف يافا، ومحمد فؤاد الإمام مأمور أوقاف القدس، ومتولي وقف أبي مدين الغوث، وذلك لتعيين محامين لتنظيم الادعاءات وتحضير الوثائق والمستندات وتقديمها لجهات الاختصاص حسب الأصول^(١٣٧).

وتنفيذاً لذلك تم الاتفاق مع المحامي محمد حسن البديري، ليقوم بتقديم الادعاءات التي تقام باسم الوقف أو عليه أمام مأمور تسوية الأراضي، وأقرت إدارة الوقف صرف مبلغ مائة وخمسين جنيهاً عند تقديم الادعاءات وستمائة جنيهاً عند

(١٣٥) وثائق التراث. ملف ١٠٢٣/١٠٢٨/١٢.

(١٣٦) عيلة المهدي، أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٢ وسيشار إليه فيما بعد: المهدي، أوقاف القدس.

(١٣٧) المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

الدخول في المحاكمات لآخر درجة من درجات المحاكم، وتصرف من ريع الوقف، وفي حال عدم وجود ريع للوقف، يتم دفع المبلغ من أموال الأوقاف العامة، وتقيد ذمة على وقف أبي مدين الغوث^(١٣٨).

وقام المجلس الإسلامي الأعلى فيما بعد بتوكيل المحامين أنور نسيبه وجودت الكاظمي إلى جانب المحامي البديري في جميع قضايا وقف عين كارم، من تقديم ادعاءات واعتراضات ومرافعات، وفي جميع ما تتطلبه هذه القضايا والادعاءات من جهود، مقابل أجرة مقدارها سبعمائة جنيه لكل منهما، وتم الاتفاق معهما بأن يتم دفع المبلغ على ثلاثة أقساط من إيرادات الوقف^(١٣٩).

غير أن أهم الاعتداءات التي تعرض لها الوقف، جاءت من قبل اليهود، فقد اعتاد اليهود زيارة حائط البراق اعتقاداً منهم أن الجزء الأسفل منه هو البقية الباقية من الهيكل الذي دمره تيطس عام ٧٠م، وكانوا يقفون عنده يبكون ذكرى خرابه، وقد تساهل الجانب الإسلامي معهم من باب سياسة التسامح الديني، حيث سمح لهم بممارسة الطقوس والشعائر الدينية، لاعتقاده أنه لا يوجد ضير من وقوف اليهود على الرصيف الكائن أمام الحائط، وهذا الرصيف هو عبارة عن زقاق ضيق عرضه أربعة أمتار وطوله ثلاثون متراً، وكان يسلكه المغاربة إلى بيوتهم في حارتهم على أرض الوقف، كما أنه غير نافذ يتوصل إليه من جهة الشمال فقط^(١٤٠).

(١٣٨) وثائق التراث. أوراق دائرة الأوقاف. قرار اللجنة المعينة بمقتضى نظام الدفاع عن الأوقاف الإسلامية لعام ١٩٢٧م تاريخ القرار ١٠ تشرين الأول ١٩٤٦م. ملف ٠٢/٢٨/٩٠٥/١٠ كذلك أوراق المجلس الإسلامي الأعلى، رسالة من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى رئيس لجنة الأوقاف المحلية بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٣٦٥هـ/ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٦م. ملف ٣/٢٨/٩٠٥١/١٠.

(١٣٩) وثائق التراث. أوراق المجلس الإسلامي الأعلى. رسالة من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى رئيس لجنة الأوقاف المحلية بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٣٦٥هـ/ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٦م. ملف ٣/٢٨/٩٠٥١/١٠.

(١٤٠) الحق العربي في حائط المبكى في القدس. تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠م، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٩. وسيشار إليه فيما بعد: تقرير اللجنة الدولية. كذلك انظر: المهدي، أوقاف القدس، ص ٢٧٥.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، أخذ بعض اليهود المقيمين في مدينة القدس بجلب الكراسي للجلوس عليها، ووضع ستار خشبي يفصل بين الرجال والنساء دون إذن من متولي الوقف، فتسد بذلك طريق السكان المجاورين للوقف، الأمر الذي أدى إلى قيام مجلس إدارة متصرفية القدس بمنعهم من ذلك، وعدم السماح لهم بوضع أي شيء يعتبر من دلائل الملكية، سواءً في الوقف أو عند الحائط، وأكد المجلس على ضرورة المحافظة على العادة القديمة المتمثلة ببقاء اليهود في أثناء زيارتهم للمكان واقفين على أقدامهم^(١٤١).

وبعد احتلال القوات البريطانية مدينة القدس أواخر عام ١٩١٧م، جدد اليهود محاولاتهم بوضع اليد وتملك جميع ما في ذلك الموقع من ممتلكات وأوقاف إسلامية، وكانت من ضمن هذه المحاولات احتجاجهم لدى حكومة الانتداب عام ١٩٢١م على قيام المجلس الإسلامي الأعلى بأعمال الإصلاح والترميم للحائط، وطالبوا بأن تجري تلك الأعمال من خلالهم. غير أن السلطات البريطانية لم تأبه لهذا الاحتجاج، وأصدرت تعليماتها أنه في حال وجود ضرورة لإصلاح الجزء الأسفل من الحائط، فيجب أن يتم من خلال دائرة الآثار، أما الجزء العلوي فيتم إصلاحه من قبل المجلس الإسلامي مع عدم العمل خلال يومي الجمعة والسبت^(١٤٢).

ورغم ذلك فقد استمرت الاعتداءات اليهودية على الحائط طوال فترة العشرينيات، لمحاولة تغيير الوضع الراهن، وتمثل ذلك بجلب الكراسي والمصاييح والحصر وتابوت العهد وكتب التوراة، ووضع الستار الفاصل بين الرجال والنساء^(١٤٣).

ونتيجة لاستمرار هذه التعديات، وقعت في المدينة عدة اضطرابات بين المسلمين واليهود، انتهت بقيام ثورة البراق عام ١٩٢٩م، مما دعا الحكومة البريطانية إلى تشكيل لجنة تحقيق عرفت باسم لجنة «شو»، وكان من ضمن توصياتها تعيين لجنة دولية للنظر في مسألة حائط البراق لتقرير الحقوق والمطالب المتعلقة به، فما كان من الحكومة البريطانية إلا أن عينت لجنة دولية بموافقة عصبة الأمم عرفت باسم «لجنة البراق الدولية».

(١٤١) التازي، أوقاف المغاربة، الملحق الخامس «قرار متولي أوقاف المغاربة عام ١٢٢٧هـ/١٩١٠م»، ص ٥٠-٥١.

(١٤٢) المهدي، أوقاف القدس، ص ٢٧٩. بيان نوبهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٧م، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢١٩. وسيُشار إليه فيما بعد: الحوت، القيادات والمؤسسات.

(١٤٣) الحوت، القيادات والمؤسسات، ص ٢١٩.

وصلت اللجنة الدولية إلى القدس في ١٩ حزيران عام ١٩٢٠م، وأقامت فيها شهرًا كاملاً عقدت خلاله ٢٣ جلسة، واستمعت بالإضافة إلى ممثلي الطرفين الرسميين إلى ٥٢ شاهدًا، استدعي ٢١ منهم اليهود و٣٠ منهم العرب. وأبرزت في أثناء الجلسات ٦١ وثيقة أو مجموعة من الوثائق منها ٣٥ وثيقة قدمها اليهود و٢٦ وثيقة قدمها العرب^(١٤٤). ثم وضعت تقريرها في الأول من كانون ثاني عام ١٩٢٠م جاء فيه:

«للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف. وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب الشرع الإسلامي لجهات البر والخير»^(١٤٥).

وأوصت اللجنة بمنع اليهود من إحضار أية أدوات عبادة إلى جدار الحائط، باستثناء الخزانة المحتوية على سفر أو أسفار التوراة، والمائدة التي توضع عليها الخزانة والأسفار، ويكون ذلك في مناسبتين فقط هما عند وقوع صوم أو اجتماع خاص للصلاة العامة، وفي أيام عيد رأس السنة ويعد الغفران والأعياد الأخرى المعترف بها من قبل الحكومة^(١٤٦).

أما بالنسبة لمصير وقف أبي مدين الفوثن، فبعد حرب عام ١٩٤٨م وقعت قرية عين كارم تحت الاحتلال الإسرائيلي، وتم طرد سكان القرية منها، وسيطرت سلطات الاحتلال على منازل العرب وأراضي الوقف، أما حارة المغاربة فبعد أربعة أيام من احتلال الجيش الإسرائيلي للبلدة القديمة من القدس أي في ١١/٦/١٩٦٧م، فوجئ سكان الحارة بالجرافات الإسرائيلية تزحف عليهم وتهدم عقاراتهم ومنازلهم، ولم ينقض النهار حتى أصبح نحو ١٤٠ منزلاً أطلالاً، وتشرد السكان المغاربة البالغ عددهم ٦٥٠ شخصاً^(١٤٧)، وتم هدم مسجداً

(١٤٤) انظر قائمة بتاريخ جلسات اللجنة وقائمة المستندات في تقرير اللجنة الدولية، ص ١١٤-١٢٣.

(١٤٥) تقرير اللجنة الدولية، ص ١٠٦.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ١٥٧-١٠٨.

(١٤٧) روجي الخطيب، «تهويد القدس» الموسوعة الفلسطينية، ٦ مجلدات بيروت، ١٩٩٠م، الدراسات الخاصة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠م، ٦، ص ٨٨٩. ويُشار إليه فيما بعد: الخطيب، تهويد القدس.

البراق والأفضلية وزاويتها ومقام الشيخ حسن ومقام الشيخ عبيد ومكتب إدارة الأوقاف ومخازنها^(١٤٨). أما الخانقاة الفخرية^(١٤٩) التي كانت تتكئ على الحائط الغربي للحرم فقد دمرت بعد ذلك بعامين خلال أعمال حفر أثرية إسرائيلية في المنطقة^(١٥٠).

وفي ١٨/٤/١٩٦٨م نشرت الجريدة الرسمية بعددها رقم ١٤٤٣ قرار سلطات الاحتلال الرامي إلى استملاك بعض الأراضي والعقارات التي كان من ضمنها ما تعود ملكيته لوقف أبي مدين الغوث، وأوقاف المحسنين المغاربة، الأمر الذي دعا متولي الوقف عيسى هاشم السوسي ومحمد إبراهيم الفكيكي إرسال عريضة احتجاج للسلطات الإسرائيلية، بينا فيها أن هذه العقارات والممتلكات هي أوقاف خيرية إسلامية لها قيمتها التاريخية، ومكانتها المقدسة، وحرمتها الشرعية والقانونية، وشروط الواقفين وأحكام الشريعة الإسلامية. وأن القوانين والشرائع الدولية، لا تجيز للدولة المحتلة أن تستملك أي قطعة أرض في الأراضي المحتلة، كما أن بيع هذه العقارات محرم شرعاً، ولا يجوز الإقدام على أي عمل يتفرع عن البيع أو التنازل أو قبول وضع اليد أو الهبة أو الهدم.

وذكرت العريضة أن هذا القرار من شأنه أن يعرض الكثيرين لفقدان منازلهم وأملاكهم وحقوقهم ومنافع أجيالهم القادمة التي هدف إليها الواقف أو الواقفون من هذه الأوقاف الخيرية، من الانتفاع والاستفادة بالوقف وعينه وغلته، التي تصرف على الفقراء والأيتام والأرامل والعجزة المغاربة بصورة دائمة على مر العصور والأيام منذ سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م.

واختتمت العريضة بالمطالبة بإعادة النظر بقرار الاستملاك بالنسبة لوقف المغاربة، للحفاظ عليها أسوة بممتلكات وأراضي وأوقاف ومقدسات الجاليات اليهودية في بلدان المغرب العربي^(١٥١).

(١٤٨) التازي، أوقاف المغاربة، ص ٨٢.

(١٤٩) الخانقاة أو الزاوية الفخرية: تقع داخل أسوار الحرم في الركن الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى، وتنسب لواقفها القاضي فخر الدين بن محمد بن فضل الله المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٢١م. وتتألف من أربعة عشر بناء. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجلدان، دار النهضة، بغداد، ١٩٩٥م، ص ٣٤. وسيُشار إليه فيما بعد: الحنبلي، الأنس الجليل. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس. مكتبة الأندلس، القدس، ١٩٦١، ص ٢٤٥. غوشه، تاريخ المسجد الأقصى، ص ١١٤.

(١٥٠) يوسف كمال الحسيني، فلسطين والاعتداءات الإسرائيلية على مقدساتها الإسلامية، مركز النهضة الإبراهيمي، القدس، ٢٠٠٠، ص ٤٤.

(١٥١) انظر النص الكامل للعريضة في التازي، أوقاف المغاربة، ص ٦٧-٧١، ملحق رقم ٨.

غير أن سلطات الاحتلال لم تأبه لهذه الاحتجاجات فاستمرت بأعمال المصادرة والهدم والحفر والتنقيب عن الآثار في الجهة الجنوبية الغربية للحرم القدسي الشريف، وأخذت تعمل على حفر الأنفاق في محيط الحرم، وما زالت هذه الحفريات قائمة، ولعل آخرها إزالة التلة الترايبية والطريق المؤدية إلى باب المغاربة في الجدار الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى المبارك، البالغ طولها ٧٥ متراً وتبدأ من قاعدة التلة وحتى باب المغاربة المؤدي إلى الحرم القدسي^(١٥٢).

وأوردت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في ١٥/٢/٢٠٠٧م مقالاً للباحث اليهودي اليساري «ميرون بنفستي» ذكر فيه أن تلة المغاربة تشكل عاملاً مزعجاً للإسرائيليين، فبإزالتها ستتسع ساحة الصلاة في ساحة البراق، وسيؤدي أيضاً إلى إزالة «الدينس المخزي» المتمثل في مرور اليهود الذين يخالفون الشريعة اليهودية والسياح إلى الحرم من خلال الساحة، وأضاف أن الشريعة اليهودية تحظر دخول اليهود إلى الحرم قبل تطهيره وفق التعاليم اليهودية^(١٥٣).

وتعمد سلطات الاحتلال حالياً لبناء جسر يبدأ من باب المغاربة إلى سور القدس طوله مائتي متر، وعرضه ثلاثة أمتار، وهو مخطط للوقوف على سبعة أعمدة، والاستجابة لمطلب الشرطة الإسرائيلية بأن يتحمل ثلاثمائة شرطي في آن.

ووفقاً لتقرير جمعية «عير عاميم» الصهيونية بأن صناع القرار الإسرائيلي يسعون إلى إجراء تغيير جوهري في التنقل والحركة في هذه المنطقة، وتغيير الوضع القائم منذ عام ١٩٦٧م، وفتح المجال لتدفق عدد كبير من اليهود على باحة المسجد الأقصى، ويمكن من دخول مئات رجال الأمن في آن واحد عن طريق الجسر المخطط.^(١٥٤)

(١٥٢) صحيفة القدس، ٢٥ عدد ١٣٤٩٥، ٣/٢/٢٠٠٧م، ص ٢٠.

(١٥٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(١٥٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

إدارة الوقف في القدس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

د. زهير غنايم*

المقدمة

حظيت القدس بمكانة مهمّة في العقيدة الإسلاميّة، فهي مسرى الرسول ﷺ، والقبلة الأولى للمسلمين قبل تحويلها إلى مكة، وفيها ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال ألا وهو المسجد الأقصى، ولذلك حظيت المدينة باهتمام الحكام المسلمين على مر العصور، فزارها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، وشيّد الأمويون فيها المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة.

ازداد الاهتمام بمدينة القدس منذ العصر الأيوبي، وخلال العصرين المملوكي والعثماني، وتمثل ذلك في تشييد العشرات من المدارس والزوايا والتكايا والأربطة في المدينة، وقد اتخذ الاهتمام بالقدس شكلاً آخر تمثل في الوقف على المدينة، وعلى مؤسساتها الدينيّة والعلميّة والاجتماعيّة.

بدأ الوقف على المدينة في العصر الأيوبي، وازداد وتوسع بشكل كبير في العصرين المملوكي والعثماني، وقد تنوعت العقارات الموقوفة، لتشمل الأراضي والدور والدكاكين والحواصل والحمامات والمصابن والطواحين، بل امتد الوقف ليشمل وقف النقود أيضاً. وتنوعت الجهات المستفيدة من الوقف لتشمل المساجد ولا سيما المسجدين الأقصى

* جامعة القدس، كلية الآداب، دائرة التاريخ/ فلسطين.

وقبة الصخرة، والمدارس والزوايا والتكايا والأربطة والأسبلة وقتوات المياه الواصلة إلى المدينة، كذلك الأفراد من الصوفية والمجاورين والمجاهدين.

ونظراً لتنوع العقارات الموقوفة والجهات المستفيدة من الوقف، فقد تعددت الجهات المشرفة على إدارة الوقف في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وكان على رأس هذه الجهات ناظر الأوقاف الشريفة، والحاكم الشرعي في القدس، إضافة إلى ناظر الحرمين الشريفين والنظار والمتولين والمباشرين والجبابة.

١- الدولة (ناظر الأوقاف الشريفة)

كانت أوقاف الحرمين الشريفين (القدس والخليل) تدار من قبل ناظر الحرمين وناظري أوقاف الصخرة والمسجد الأقصى بإشراف قاضي القدس، ولكن هذا لم يمنع الدولة من التدخل في إدارة الأوقاف عند اللزوم؛ ولا سيما من قبل ناظر الأوقاف الشريفة المقيم في العاصمة (الأستانة)، الذي كان من مهامه مراقبة إدارة الأوقاف في جميع أنحاء الدولة العثمانية. وكان نظر الأوقاف الشريفة من مهام آغاوات الباب^(١) العالي حتى نقلت إدارتها إلى آغاوات دار^(٢) السعادة^(٣)، وهذا ما توضحه الحجة التي ورد فيها: «بالمجلس الشرعي حضر فخر الأمراء الكرام عمدة الكبرا الفخام حضرة شاهين بك متولي أوقاف حضرة سيدنا الخليل وأبرز من يده حكماً شريفاً سلطانياً متوجاً بخط حضرة سلطان الإسلام خلاصة مضمونه خطاباً لحضرة مولانا الحاكم ولحضرة أمير الأمراء الكرام محمد باشا أبو الفول المحافظ^(٤) بمدينة القدس، ولحضرة متولي أوقاف

(١) آغا الباب العالي: وهو من الآغاوات البيض ورأس العاملين عند باب السعادة داخل السراي السلطاني، أوغلي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢) آغا دار السعادة: وهو من الآغاوات السود وهو رأس العاملين داخل الحرم الهمايوني، في السراي السلطاني، أوغلي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) صابان، المعجم، ص ٤٣.

(٤) المحافظ: من ينوب عن أمير الأمراء في حالة خروج الأخير لأداء المهام المطلوبة مثل قبل الخروج للقتال أو لقيادة قافلة الحج الشامي.

الخليل ومتولي الصخرة المشرفة، أن افتخار الخواص والمعتبرين مختار أصحاب العز والتمكين معتمد الملوك والسلاطين إدريس آغا، آغا دار السعادة، الناظر على الأوقاف الشريفة، عرض على العتبة العلية بأنه من مدة سنين سابقة على تاريخه قد أحدث على الوقف الشريف وظائف وجهات مخالفة لشروط الوقف، وقد حصل في الوقف ضعف، وأشرف على الخراب، بسبب هذه الإحداثيات وأن هذه الوظائف إذا انحلت عن صاحبها أو أراد صاحبها الفراغ عنها لا تعطى لأحد أبداً وتعود لجهة الوقف الشريف»^(٥).

كما تقوم الدولة بتعيين ناظر الحرمين الشريفين أو عزله ومحاسبته إذا ثبت سوء إدارته؛ فتذكر إحدى الحجج: «أنه ورد الأمر الشريف السلطاني ومضمونه تعيين فخر الأكابر علي جاويش^(٦) من جاويشان الباب العالي وحسين جلبي ليحررا مقبوضات ومصروفات فخر الأمجاد محمد جلبي ناظر وقف حضرة سيدنا خليل الرحمن والمسجد الأقصى لسوء إدارته للوقف»^(٧).

وقد تتدخل الدولة لزيادة نصيب أحد المستفيدين من ريع الأوقاف، فقد حضر إلى المحكمة الشرعية فخر المدرسين الكرام عمدة المصدرين الشيخ محمد عفيف الدين بن الشيخ هبة الله الشهير نسبه بابن الديري، وأبرز من يده براءة شريفة سلطانية مبنية على عرض افتخار الخواص والمعتبرين معتمد الملوك والسلاطين علي آغا، آغا دار السعادة، وعلى صورة البراءة السلطانية من مضمونها زيادة علوفته من الوظيفة (التصدير) المذكورة^(٨).

وتقوم الدولة بإصدار البراءات القاضية بتعيين شخص ما في إحدى الوظائف العائدة للوقف، فقد أبرز الشيخ إبراهيم بن حافظ السروري من يده صورة براءة شريفة مضمونها أن وظيفة قراءة قصيدة البردة بالصخرة المشرفة المعينة من قبل المرحوم بهرام كتخدا الكائن وقفه بدمشق قد وجهت لولده الشيخ إبراهيم^(٩).

(٥) س. ش، س، ١١٥، ص ٢٧٠ (غرة رجب ١٠٢٨ هـ / أواخر شباط ١٦٢٩ م).

(٦) من يقوم بنقل الرسائل من السلطان إلى الولاة وأمرء الألوية. اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٧) س. ش، س، ٧٢، ص ٤٦٦ (١٧ صفر ٩٩٩ هـ / ١٥ كانون الأول ١٥٩٠ م).

(٨) س. ش، س، ١٥١، ص ٢٧ (غرة محرم ١٠٦٦ هـ / أوائل تشرين الثاني ١٦٥٥ م).

(٩) س. ش، س، ١٥١، ص ٤٥ (١١ محرم ١٠٦٦ / ١ تشرين الثاني ١٦٥٥ م).

وقد بقي نظر الأوقاف الشريفة من مهام أגادار السعادة قائماً حتى عام (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م) عندما سُكّلت أول نظارة (وزارة) خاصة بالأوقاف في استانبول للإشراف على الأوقاف في جميع ولايات الدولة العثمانية، وتبعها تشكيل مديريات للإشراف على الأوقاف في الولايات، ومنها: مديرية أوقاف صيدا التي كانت تشرف على أوقاف القدس حتى عام (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٣م) عندما تم تشكيل أول مديرية للأوقاف في القدس تحت اسم (مديرية عموم الأوقاف)^(١٠).

٢- القاضي (الحاكم الشرعي)

كان دور القاضي مهماً وأساسياً في إدارة الأوقاف والإشراف عليها سواء نص على ذلك الواقف أم لا؛ فالقاضي هو الذي يقر الوقف عند تسجيله، ويؤكد موافقته للشرع الشريف، ويشرف على إدارته، ويقر تعيين المتولين والنظار والكتّاب والجبابة والمباشرين، ويوافق على طرق استغلاله؛ من تأجير واستبدال^(١١) وحكر^(١٢)، ويعيّن أو يقر متولي الوظائف حال تنازل أصحابها عنها أو وفاتهم، ويعزل المتولين والنظار عند ثبوت إخلالهم بشروط الوقف.

وقد أسهبت الحجج الشرعية في توضيح مهام الحاكم الشرعي، فتذكر إحداها إن الحاكم الشرعي عيّن الحاج إبراهيم حسين الطويل متولياً وناظرًا على وقف جدته فاطمة بنت محمد النعاجين ليتعاطى أمور التولية والنظارة على الوقف، لما فيه الحفظ والنفع التام لجهة الوقف، وأذن له بمباشرة النظر والتولية على الوقف وقبض أجوره وتوزيعها على المستحقين حسب شروط الواقف، وبالإستتابة عند الحاجة^(١٣).

(١٠) المهتدي، الأوقاف، ص ٣٢-٣٤؛ أبو بكر، ملكية، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(١١) الاستبدال: وهو بيع العقار الموقوف بعد تعطله وخرابه لما وقف له على أن يشتري بالثمن عيناً أخرى تكون وفقاً لمجموع في المناقلة والاستبدال، ص ١١، ١٢.

(١٢) الحكر: (الاستحكار): وهو أن تعطي الأرض أو الدار الخربة أو غيرهما من العقارات الموقوفة لمن يفرسها أو يعمرها فتكون بيده مؤبدة ما دام بناؤه أو غراسه فيها ويدفع عنها مبلغاً للجهة الموقوفة عليها في كل عام ويكون له الحق في التصرف في المباني والأشجار فإذا باعها أو أجزأها ينتقل الحكر معها. محمد قدرى باشا، قانون العدل والإنصاف، ص ١٤٥، ١٤٦.

(١٣) س. ش، ص ٥٥٤، ص ٦٠ (١٠ جمادى الأولى ١٢٥٠هـ/ ١٤ أيلول ١٨٣٤م).

وفي حجة أخرى أن الحاكم الشرعي أقر تعيين عباس بن مصطفى غضية، شيخ الحرم، متولياً على وقف جده صلاح الدين الفتياني، عوضاً عن والده بحكم وفاته؛ لما فيه من لياقة واستعداد ليتعاطى أمور التولية على الوقف، وقبض مستغلاته وصرفها على مستحقيها حسب شروط الواقف^(١٤).

وعلى الرغم من هذا الدور للقاضي سواء نص الواقف على ذلك أم لا، إلا أن الواقفين حددوا دوراً للقاضي في إدارة الوقف بشكل واضح، فمثلاً قرر أحد الواقفين على قراءة القرآن عثمان آغا بن عبد الله المصري لقراءة سورة الأنعام طوال حياته، ثم أعطى القاضي (الحاكم الشرعي) الحق في تعيين من يخلفه في القراءة^(١٥).

كذلك أقرت بلقيس خاتون للقاضي الحق في تعيين من يراه مناسباً خلفاً لكاتب الغيبة^(١٦) وللداعي ومفرق الأجزاء^(١٧) بعد وفاة الذين عينتهم على وقفها أو اعتزالهم^(١٨). ومنح بيرام جاويش قاضي القدس الحنفي الحق في تعيين شيخ الرباط والبواب بعد وفاة الذين نص على تعيينهم في هذه الوظائف في كتاب وقفه^(١٩).

كما كان بعض الواقفين يعطون الحاكم الشرعي الحق في تعيين متول على أوقافهم بعد وفاة المتولي المعين من قبل الواقف وانقراض ذريته، فقد جعل عبد الكريم جوربجي ابن الحاج مصطفى خدمة السبيل الذي أنشأه لعلي بن شعبان، ثم لأولاده وأولاد أولاده،

(١٤) س. ش، ص ٥٥٤، ص ٥٢ (١٠ جمادى الأولى ١٢٥٠هـ / ١٤ أيلول ١٨٣٤م).

(١٥) س. ش، ص ٧٦، ص ٤٠٠ (ربيع الأول ١٠٠٢هـ / أواخر تشرين الثاني ١٥٩٣م).

(١٦) كاتب الغيبة: وجدت هذه الوظيفة في وقف قراءة القرآن، حيث كان كاتب الغيبة يتابع القراء لمعرفة من حضر وتقيب عن القراءة وغالباً ما يكون كاتب الغيبة من القراء أنفسهم. س. ش، ص ٧٢، ص ٤٢٧، ١٧ محرم ١٠٠٠هـ / ٥ تشرين الثاني ١٥٩١م.

(١٧) مفروق الأجزاء: من يقوم بتوزيع أجزاء القرآن على القراء وقت القراءة وتجميعها ووضعها في مكان حفظها بعد القراءة. س. ش، ص ٤٨، ص ٤٠٨، ٤٠٩، ١٥ رجب ٩٧٣هـ / ٦ شباط ١٥٦٦م. س. ش، ص ٧٨، ص ٥٢٣، أوائل ربيع الأول ١٠٠٥هـ / أواخر تشرين الأول ١٥٩٦م.

(١٨) س. ش، ص ٧٢، ص ٤٢٧ (١٧ محرم ١٠٠٠هـ / ٤ تشرين الثاني ١٥٩١م).

(١٩) س. ش، ص ٦٨، ١٤٦ (أوائل شهر ذي الحجة ٩٩٧هـ / أواسط تشرين الأول ١٥٨٩م)؛ س. ش، ص ٤٠، ص ٢٨ (١٠ شوال ٩٦٨هـ / ٢٤ حزيران ١٥٦١م).

«فإذا انقضت ذريته ولم يبق منهم أحد يقرر نائب الشرع بمحكمة القدس وناظر الوقف من فيه لياقة وأهلية لخدمة السبيل»^(٢٠).

٣- ناظر الحرمين

استحدثت وظيفة ناظر الحرمين في العصر الأيوبي، واستمر وجودها في العصرين المملوكي والعثماني. وتتعلق مهمته بالإشراف على حرمي القدس والخليل والعناية بهما من ترميم وإصلاح وإدارة، وتحصيل عائدات أوقافهما وتأجيرها واستبدالها وتحجيرها^(٢١).

ويخضع عمل ناظر الحرمين الشريفين لإشراف القاضي؛ إذ كان عليه الحصول على موافقة القاضي قبل البدء بأي عمل يتعلق بالأوقاف. ويبدو أن عمل ناظر الحرمين كان مقصوراً على الأوقاف العائدة للحرمين التي لا متولين أو نظار عليها، أو تلك التي وقفها السلاطين والولاة. وقد أوضحت السجلات الشرعية الأعمال التي يقوم بها ناظر الحرمين مثل استبدال العقارات الخربة العائدة للحرمين؛ حيث تذكر إحدى الحجج: «أنه حضر لدى قدوة قضاة الإسلام فخر الأماجد والأماثل مولانا أحمد جلبي ناظر الحرمين، وأنهى للحاكم الشرعي أن من الجاري في وقف خليل الرحمن جميع الحمام القائم بدمشق الشام المعروف بحمام الدجى، وأنه قليل المنفعة وضعيف الغلة، وأنه يحتاج للترميم، واستأذن الحاكم الشرعي باستبداله بعقار آخر أكثر منفعة»^(٢٢).

ويقوم ناظر الحرمين بتأجير هذه الأوقاف، فقد أجر فخر الأماثل محمد جلبي ابن إلياس ناظر الحرمين الشريفين لمصطفى بن عبد الله اليسقجي جميع ربع قرية

(٢٠) س. ش، س ١٨٧، ص ٥١٥-٥١٧ (أوائل ذي الحجة ١٠٩٧هـ/ أواخر تشرين الأول ١٦٨٦م).

(٢١) الحنبلي، الأئس، ج ٢، ص ٣٤٨، ٣٩٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٨١؛ غوانمه، نيابة، ص ٨٣.

(٢٢) س. ش، س ٦٧، ص ١٩١ (٨ جمادى الثاني ٩٩٦هـ/ ٥ نيسان ١٥٨٨م).

بيت حنينا^(٢٣) الجارية في الوقفين الشريفين^(٢٤). كما يقوم بالاستدانة لتوفير ما يحتاجه الحرميين من زيت للتتوير والإضاءة أو نقل الغلال العائدة للحرميين؛ فقد أنهى فخر الأماجد حاوي المحامد محمد جاويش ناظر الحرميين للحاكم الشرعي، أن المسجدين قد احتاجا للتتوير، ولم يكن لديه شيء من مال الوقفين الشريفين، واستأذن الحاكم الشرعي أن يستدين على جهة الوقفين^(٢٥). وفي حجة أخرى أن فخر الأكارم والأكابر محمد جاويش ناظر الحرميين ذكر للحاكم الشرعي أن الوقف الخليلي احتاج سابقاً إلى نقل الغلال ولم يكن لديه مال لذلك، فاستدان مالاً من ملك الأمراء، أحمد باشا أمير لواء غزة للقيام بذلك^(٢٦).

وفي حجة أخرى أن مصطفى بك أمير لواء اللجون استأجر سنة ٩٦٧هـ/١٥٦٠م من محمد جلبي بن الياس ناظر الحرميين الشريفين نصف أراضي قرى معاوية وبيت شمس والمنسي ودابوره الواقعة في سهل مرج ابن عامر لمدة سنتين^(٢٧).

ويشرف ناظر الحرميين على بيع متروكات المتوفى ولا وريث له المحولة لصالح أوقاف الحرميين؛ فقد اشترى الحاج محمد درويش بن موسى، من تجار حيفا، من فخر الأماجد حاوي المحامد محمد جاويش ناظر الحرميين ما هو لجهة وقف المسجد الأقصى الموجه إليه من بيت المال متروكات الحاج علي البيطار المجاور بالقدس جميع الدويرة الخربة القائمة بالقدس^(٢٨).

(٢٣) بيت حنينا، كان ١٢ قيراطاً من أراضيها وقف على تربة سنقر العلائي وثلاث أخرى وقف على المسجد الأقصى وقبة الصخرة وثلاث أخرى على المدينة ومثلها على الكعبة ومثلها على المسجد الإبراهيمي، كانت عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م تضم ثمانية وعشرين خانة. دفتر ٤٢٧، ص ٢٠٨، ٢٠٩، Hutteroth, Abdul Fattah, Historical, P, 120.

(٢٤) س. ش. س، ٣٧، ص ٢٥ (١٥ ربيع الأول ٩٩٦هـ/ ١٣ شباط ١٥٨٨م).

(٢٥) س. ش. س، ٧٢، ص ٢٥٦ (٥ شوال ٩٩٩هـ/ ٢٧ تموز ١٥٩١م).

(٢٦) س. ش. س، ٧٢، ص ٤٢٨ (أواخر محرم ١٠٠٠هـ/ أواسط تشرين الثاني ١٥٩١م).

(٢٧) س. ش. س، ٣٧، ص ٨٦، ٢ جمادى الأولى ٩٦٧هـ/ ٣٠ كانون الثاني ١٥٦٠م.

(٢٨) س. ش. س، ٧١، ص ٤٤٨ (١٠ جمادى الأولى ٩٩٨هـ/ ١٧ آذار ١٥٩٠م).

- كانت تركة المتوفين دون ورثة في القدس تعود وفقاً على المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد وفاة صاحبها.

س. ش. س، ٧٥، ص ١٧١، ١٢ صفر ١٠٠١هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٥٩٢م.

٤- ناظر أوقاف الخليل والصخرة

كان هناك ناظر آخر على أوقاف خليل الرحمن والصخرة؛ فقد ورد في إحدى الحجج: «فخر الكتّاب والمحررين شاهين جلبي كاتب أوقاف الصخرة والوكيل عن قدوة الأكارم حسين آغا الناظر على أوقاف خليل الرحمن والصخرة المشرفة»^(٢٩). وفي حجة أخرى: «فخر المحررين شاهين جلبي كاتب أوقاف الصخرة المشرفة والوكيل عن قدوة الأمجاد حاوي المحامد حسين بك الناظر على أوقاف الصخرة وسيدنا الخليل»^(٣٠).

ويتولى ناظر أوقاف الخليل والصخرة تحصيل عائدات الأوقاف وضبطها، ففي إحدى الحجج أنه بمجلس الشريعة صدرت المحاسبة بين فخر الأمجاد علي جاويش ناظر وقف الخليل والصخرة وبين المعلم محمد بن أحمد الحمامي عن أجرة حمام العين الجاري نصفه في وقف الصخرة والنصف الثاني في وقف المدرسة التنكزية^(٣١).

ولم يكن ناظر الخليل والصخرة مطلق التصرف بعائدات الوقف؛ إذ كان مقيداً بأخذ موافقة القاضي، ففي إحدى الحجج أن فخر الأكابر والأكارم علي جاويشان، من جاويشان الباب العالي، وحسين جلبي القبجي بالباب ادعيا على محمد جلبي ناظر وقف سيدنا الخليل والصخرة المشرفة أنه باع الزيت العائد لجهة الوقفين بسعر أقل من السعر المتداول بغير إذن من الحاكم الشرعي^(٣٢).

٥- ناظر أوقاف الصخرة

تظهر السجلات الشرعية أن هناك ناظرًا آخر كان يتول إدارة الأوقاف العائدة للصخرة المشرفة ويقوم بتأجيرها وتحصيل عائداتها؛ فقد حضر فخر الأمجاد

(٢٩) س. ش، س، ٧٨، ص ٤٨٧ (جمادى الأولى ١٠٠٦هـ/ أواسط كانون الأول ١٥٩٧م).

(٣٠) س. ش، س، ٧٨، ص ٣٦٥ (٧ محرم ١٠٠٦هـ/ ٢٠ آب ١٥٩٧م).

(٣١) س. ش، س، ٧٢، ص ٢٣١ (أوائل شعبان ٩٩٩هـ/ أواخر أيار ١٥٩١م).

المدرسة التنكزية: أنشأها ووقفها تنكز بن عبد الله نائب الشام عام ٣٢٩هـ/ ١٢٢٨م، في القدس ووقف عليها قرية عين قينا. دفتر ٤٢٧، ص ٢٤٢، دفتر ١٠١٥، ص ٢٥٦، البيعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣١١، عبد المهدي، المدارس، ص ٣١-٤٣.

(٣٢) س. ش، س، ٧٢، ص ٤٦٦ (١٨ صفر ٩٩٩هـ/ ١٦ كانون الأول ١٥٩٠م).

مستجمع المحامد (لم تذكر الحجة اسمه) ناظر أوقاف الصخرة الشريفة إلى المحكمة الشرعية، وذكر أن قرية بيت أونيا^(٢٢) الجارية في وقف الصخرة، قد آلت إلى الخراب، وطلب من الحاكم الشرعي أن يأذن له في مقاطعتها^(٢٤). وفي حجة أخرى فخر الأماجد عمر جاويش، الوكيل الشرعي عن ولده لصلبه، إبراهيم جاويش ناظر وقف الصخرة، والشيخ أحمد بن محمد بيك، ناظر وقف المدرسة التنكزية بالقدس، أجرى جميع حمام العين العائد نصفه لجهة وقف الصخرة والنصف الثاني لجهة وقف المدرسة التنكزية^(٢٥).

ويتابع ناظر أوقاف الصخرة تحصيل الأموال من الأوقاف المحبوسة عليها، ففي إحدى الحجج أن فخر الأماجد أحمد جلبي ناظر وقف الصخرة طالب الشيخ شمس الدين بن أمين القباقي، جابي الوقف، ما جمعه من أهالي قريتي كفر لاثا والنيرب العائدتين لوقف الصخرة والتابعتين لحلب^(٢٦).

وقد يعين ناظر وقف الصخرة وكيلاً ينوب عنه في عمله؛ فقد تقدمت الإشارة إلى عمر جاويش جلبي الوكيل الشرعي عن ولده إبراهيم جاويش ناظر وقف الصخرة^(٢٧).

٦- ناظر أوقاف المسجد الأقصى

أشارت سجلات المحكمة الشرعية إلى وظيفة ناظر أوقاف المسجد الأقصى وكانت مهمته الإشراف على أوقاف المسجد الأقصى وتأجيرها وتحصيل عائداتها،

(٢٢) بيت أونيا: من قرى لواء القدس، كانت تضم عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ثمانين خانة.

Hutteroth, Abdul Fattah, Historical, P, 121.

(٢٤) س. ش.، ص ٩١، ص ٨٧ (١٢ رجب ١٠١٩هـ/ تشرين الأول ١٦١٠م).

- المقاطعة: وهي اتفاق بين متولي ونظار الأوقاف مع شخص أو عدة أشخاص يقوم بموجبه الطرف الثاني بجباية الموارد المالية من الأراضي مقابل مبلغ متفق عليه بين الطرفين يدفعه الطرف الثاني للطرف الأول. صابان، المعجم، ص ٣٥، س. ش.، ص ٥٣، ص ٥٤٧، ١٥ جمادى الأولى ٩٧٨هـ/ ١٤ تشرين الأول ١٥٧٠م. س. ش. ق، ص ٧٥، ص ٢٦٤، ٩ شعبان ١٠٠١هـ/ ٧ تشرين الثاني ١٥٩٢م.

(٢٥) س. ش.، ص ٧١، ص ١٢٥ (جمادى الأولى ٩٩٧هـ/ أواخر آذار ١٥٨٩م).

(٢٦) س. ش.، ص ٧١، ص ٧٨ (٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م).

(٢٧) س. ش.، ص ٧١، ص ١٢٥ (جمادى الأولى ٩٩٧هـ/ أواخر آذار ١٥٨٩م).

ففي إحدى الحجج أن فخر الأماجد عمر جاويش المتولي على وقف العمارة العامرة^(٣٨) بالقدس والوكيل عن فخر أقرانه إبراهيم جاويش الناظر على وقف المسجد الأقصى، ادعى على مصطفى بن عبد الله القبجي بالباب العالي المعين في مصالح العمارة، وقال في دعواه: «إن المبلغ الذي قبضه من نصارى اللد والرملة العائد لوقف المسجد الأقصى هو أقل من المبلغ المطلوب»^(٣٩).

وفي حجة أخرى أن فخر الأماجد حاوي المكارم محمد آغا الناظر على أوقاف المسجد الأقصى حضر للمحكمة الشرعية وذكر لمولانا الحاكم الشرعي أن من الجاري في وقف المسجد الأقصى جميع الدار الواقعة في القدس وطلب منه أن يسمح له باستبدالها^(٤٠).

وكان لناظر المسجد الأقصى نائب يقوم بعمله أحياناً، إذ ورد أن الشيخ عبد القادر ابن محمد نائب الناظر بالمسجد الأقصى أجر الدكان الواقعة بسوق القطنين والجارية في وقف المسجد الأقصى لمحمد بن موسى بن بكر^(٤١). وفي حجة أخرى أن الشيخ عبد القادر بن الحاج محمد نائب الناظر بالمسجد الأقصى ادعى لدى الحاكم الشرعي على عثمان بن محمود الأسعدي أحد الخدام بالصخرة أنه أخذ ما فيها من شمع وشمعدانات وسجاداتان روميتان^(٤٢).

(٣٨) العمارة العامرة: التكية العامرة أو تكية خاصكي سلطان التي انشأتها روكسلانه زوجة السلطان سليمان القانوني في القدس سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م لتأمين الطعام والمأوى للفقراء والمجاورين في القدس ووقفت عليها عدداً من القرى في فلسطين وخارجها، دفتر ٢٤٢، ص ٧٥-٧٨؛ المهدي، أوقاف القدس، ص ٥٠٦-٥١٦، س. ش، ص ٧٠، ص ١٨-٢٤، أواسط شعبان ٩٦٤هـ/ ١٢ حزيران ١٥٥٧، اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٤.

(٣٩) س. ش، ص ٩١، ص ٣٢٩ (١٧ محرم ١٠٢٠هـ/ ١ نيسان ١٦١١م).

(٤٠) س. ش، ص ٧١، ص ١٧١ (١٨ شعبان ٩٩٧هـ/ ٢ تموز ١٥٨٩م).

(٤١) س. ش، ص ٧١، ص ٢٥١ (١٨ شوال ٩٩٧هـ/ ٣٠ آب ١٥٨٩م).

(٤٢) س. ش، ص ٩١، ص ٤٣١ (٥ ربيع الأول ١٠٢٠هـ/ ١٨ أيار ١٦١١م).

٧- ناظر أوقاف المسجد الأقصى وقبة الصخرة

ويتولى إدارة الأوقاف على المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهو غالباً ما يكون من كبار موظفي العاصمة (الأستانة)، فأشارت إحدى الحجج إلى أن فخر الأماجد والأكارم محمد آغا، البواب بالباب العالي الناظر على أوقاف الصخرة والمسجد الأقصى، أجر جميع الربع العلوي الواقع بداخل خان الفحم بالقدس لفخر أقرانه مصطفى بن محمد الإسكيلي^(٤٣).

وقد يعين ناظر خاص للإشراف وإدارة الأوقاف المحبوسة على جماعة من أصحاب الوظائف في الحرم القدسي؛ فقد عين الحاكم الشرعي الشيخ عبد القادر بن الشمس محمد شمس الدين الكردي نائب الناظر على أوقاف حرم القدس الشريف في وظيفة النظر على الأوقاف المحبوسة على المؤذنين والخدام بالحرم الشريف^(٤٤).

٨- نظار الأوقاف الأخرى

حرص الواقفون على تعيين نظار أو متولين لإدارة أوقافهم، وقد جمع بعضهم بين وظيفتي النظر والتولية وجعلها وظيفة واحدة، أو فصلوا الوظيفتين فعين بعضهم ناظراً وملتولياً؛ في حين عين البعض متولياً ولم يعين ناظراً.

وغالباً ما عين الواقف نفسه ناظراً على وقفه، ومن بعده جعل النظر لأولاده؛ فقد شرط محمد باشا أبو الفول النظر على وقفه لنفسه مدة حياته، ثم من بعده للأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد أولاده وذريته^(٤٥). كما اشترط محمد صنع الله بن خليل الخالدي النظر على وقفه لنفسه مدة حياته ثم من بعده لولديه خليل وفيض الله^(٤٦).

أما الشيخ شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحيم بن شمس الدين أبو عبد الله بن محمد اليمانلي الداري، فقد جعل النظر لنفسه مدة حياته، ثم من بعده للأرشد

(٤٣) س. ش. س، ١٠٤، ص ١٤٢ (٣ ربيع الثاني ١٠٣٠هـ/ ٢٥ شباط ١٦٢١م).

(٤٤) س. ش. س، ٧٨، ص ٢٩٠ (غرة صفر ١٠٠٦هـ/ أواسط أيلول ١٥٩٧م).

(٤٥) س. ش. س، ١٣١، ص ٢٣٦-٢٣٢ (٢٥ محرم ١٠٤٢هـ/ ١٢ آب ١٦٢٢م).

(٤٦) س. ش. س، ٢٠٨، ص ١٠ (أوائل رجب ١١٢٥هـ/ أواخر تموز ١٧١٣م).

فالأرشد من أولاده وذريته ونسله وعقبه، فإذا لم يكن فيهم رشيداً وتعذر ذلك، فالناظر على حرم بيت المقدس يعين من يراه ناظرًا^(٤٧).

وشرطت بيمينه خاتون أن يكون متولياً وناظرًا على وقفها «من هو ماهر في المعاملة والأربحة يحفظ أصل المال وربحه، وشرطت التولية والنظر لنفسها ثم لبعها يتصرف فيها كيف شاء ويكون ناظرًا ومتولياً، وإن أراد يفوض التولية والنظر لأصلح أولاده وأولاد أولاده ثم لأخيه سيدي محمود وأولاده وأبنائه وأحفاده وأنسابه، ثم لمن يراه الحاكم الشرعي من المسلمين الموصوفين بالإصلاح والديانة والمؤمنين المعروفين بالاستقامة والديانة»^(٤٨).

وقد يعين الواقف نفسه ناظرًا إلى جانب آخرين يشاركونه النظر على وقفه؛ فاشترط محمد بن إبراهيم أن يكون نفسه ناظرًا ومعه اثنان آخران، تقول الحجة: «إنه شرط النظر على وقفه هذا لنفسه أيام حياته ولكل واحد من فخر المدرسين الكرام الشيخ محمد الخليلي والشيخ علي شيخ السادة المولوية»^(٤٩).

أما بلقيس خاتون، فقد جعلت النظر على وقفها لستة أشخاص في وقت واحد، ونصت عليهم في حجة وقفها «... وأن يكون النظر لمولانا الشيخ أحمد بن عبد الكريم الصامت وولده الشيخ محمد ومنلا محمود السمرقندي والشيخ أبي العون الضيائي ومنلا باكير بن ولي ومنلا محمد بن أحمد النحوري»^(٥٠).

وربما عين الواقف نفسه ناظرًا مدة حياته، وجعل النظر من بعده لشخص آخر من غير ذريته؛ فقد شرط بيرام جاويش النظر لنفسه مدة حياته، ثم من بعده لذردار^(٥١) القلعة كائنًا من كان بالقدس، ثم بعد ذلك للذردارية بالقلعة، ثم بعد ذلك لمولانا

(٤٧) س. ش، س، ٥٤، ص ٣٧٧ (أوائل ربيع الآخر ٩٥٢هـ / أواسط حزيران ١٥٤٥م).

(٤٨) س. ش، س، ٧٢، ص ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩٤هـ / أواخر كانون الثاني ١٥٨٥م).

(٤٩) س. ش، س، ١٢٧، ص ٦٠٦ (أواخر ذي القعدة ١٠٤٨هـ / أوائل نيسان ١٦٣٩م).

(٥٠) س. ش، س، ٧٢، ٤٢٧ (١٧ محرم ١٠٠٠هـ / ٤ تشرين الثاني ١٥٩١م).

(٥١) الوزراء: من يتولى إدارة شؤون قلعة القدس. اليعقوب، ناحية، ج ١، ص ٢١٩، ٢٢٠.

الحاكم الحنفي بالقدس كائناً من كان^(٥٢). كما أن الحاج مصطفى بن محمد جعل النظر لنفسه مدة حياته، ثم لخليل بن علي بن عبد القادر القارئ في وقفه، ومن بعده لمن يكون مستحقاً القراءة في الوقف^(٥٣)؛ بينما جعل عبد الرحمن بن محمد العلمي النظر لنفسه «لا يشاركه مشارك ولا ينازعه منازع ثم من بعده يكون كل واحد من المستحقين للوقف ناظرًا على حصته»^(٥٤). وجعل الحاج محمد طاهر الحسيني النظر والتولية لنجلاه مصطفى^(٥٥).

وقد يعين الواقف ناظرًا من غير أقاربه، ويجعلها وظيفه وراثية في ذرية الناظر المعين، فقد شرط قاسم بن شرف الدين بن أرغون النظر على وقفه لفخر الصالحين الشيخ حجازي بن أحمد بن محمد الكرمي مدة حياته، ثم من بعده لأولاده وذريته ونسله وعقبه^(٥٦). كما شرط أبو سعيد أسعد بن سعد الدين التبريزي النظر للشيخ محمد بن عمر بن سراج الدين العلمي، ومن بعده لابنه الشيخ عبد القادر مدة حياته^(٥٧).

وقد يعين الواقفون ناظرًا على أوقافهم من الدراويش أو المدرسين أو القضاة أو المؤذنين أو المفتين؛ فقد عين سليمان بن عبد الرحمن المدني المنلا عبد الحلیم بن مصطفى ناظرًا على وقفه^(٥٨)، بينما عين محمد باشا أبو الفول محافظ القدس الشيخ عبد القادر السمين خادم القدم الشريف ناظرًا على وقفه^(٥٩)، وعين أبو سيفين خدوردي أمير لواء القدس القاضي الشافعي محمد بن بدر الدين ناظرًا^(٦٠)، أما حسن بن جلبي ابن يوسف فقد اشترط النظر لفخر الأماجد سليمان جاويش متولي وقف العمارة العامرة

(٥٢) س. ش. س، ١٤، ص ١٥٥ (٩٤٨هـ / ١٥٤١م).

(٥٣) س. ش. س، ٦٧، ص ١٨٢ (١٦ جمادى الأولى ٩٩٧هـ / ٢ نيسان ١٥٨٩م).

(٥٤) س. ش. س، ٢٢٩، ص ٥٢ (١٥ ذي الحجة ١١٥٠هـ / ٥ نيسان ١٧٢٨م).

(٥٥) س. ش. س، ٣٢١، ص ٣٤ (٣ شوال ١٢٦٤هـ / ٢ أيلول ١٨٤٨م).

(٥٦) س. ش. س، ٨٥، ص ٧٦ (١٩ شعبان ١٠١٢هـ / ١٠ كانون الثاني ١٦٠٥م).

(٥٧) س. ش. س، مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف (٧ / ٢٠١٢ / ٢٣ / ١٢).

(٥٨) س. ش. س، ٦٦، ص ٥٦٣ (١٦ شعبان ٩٩٥هـ / ٢٢ تموز ١٥٨٧م).

(٥٩) س. ش. س، ١٨٧، ص ٥١٧-٥١٥ (أوائل ذي الحجة ١٠٩٧هـ / أواخر تشرين الأول ١٦٨٦م).

(٦٠) س. ش. س، ٦٦، ص ٥٥٢-٥٥١ (أوائل رجب ٩٩٥هـ / أوائل حزيران ١٥٨٧م).

بالقدس الشريف^(٦١)، واشترطت خديجة بنت عيسى الرومية النظر للشيخ محمد بن عز الدين المؤذن بالقلعة المنصورة^(٦٢).

واشترط واقفون آخرون أن تكون وظيفة الناظر لأحد الموقوف عليهم، فقد شرط صلاح الدين الأيوبي في وقفه على الخانقاة الصلاحية أن يكون الناظر من جماعة الصوفية فيها ويتولى مشيخة الخانقاة والأحقية من بعد الناظر لابنه الأكبر على أن لا يشاركه أحد من إخوته في النظارة والمشيخة^(٦٣). وشرط عبد الكريم جوربجي النظر على وقفه المخصص للفقراء القاطنين بالرواق بالمسجد الأقصى لمن يكون شيخاً فيه^(٦٤). وفي وقف آخر له، اشترط النظر عليه لمن يكون نائباً بمحكمة القدس^(٦٥).

وقد تتولى المرأة وظيفة الناظر، فذكرت إحدى الحجج عفيفة خاتون ابنة قاسم بك الناظرة على وقف والدها^(٦٦). وقد يعين الواقف ناظرًا أعلى يشرف على الناظر والمتولي ويعطيه صلاحيات واسعة أعلى منهما، فقد عين أبو سيفين خداوردي أمير لواء القدس الشيخ مصطفى الشهير بعلمي زاده ناظرًا على المتولي والناظر وأعطاه حق العزل والنصب^(٦٧).

وقد اختلف الواقفون في منح الناظر أجرًا عن عمله؛ فبعضهم جعلها حسبته لله تعالى دون أجر، والبعض الآخر قرر مبلغًا للناظر عن عمله، فقد شرط حسن جلبي بن يوسف أن يكون الناظر على وقفه لفخر الأماجد سليمان جاويش حسبته لله تعالى^(٦٨). واشترطت خاصكي سلطان (روكسلانه) زوجة السلطان سليمان القانوني، أن يكون

(٦١) س. ش، س، ٧٢، ص ٢٧٢ (١٨ شوال ٩٩٩هـ / ٩ آب ١٥٩١م).

(٦٢) س. ش، س، ٧٢، ص ٢٧٧ (أوائل ذي القعدة ٩٩٩هـ / أواخر آب ١٥٩١م).

(٦٣) المهتدي، أوقاف، ص ٢٢٢.

(٦٤) س. ش، س، ١٨٧، ص ٢١٧ (أوائل شوال ١٠٩٧هـ / أواخر آب ١٦٨٦م).

(٦٥) س. ش، س، ١٨٧، ص ٥١٥-٥١٧ (أوائل ذي الحجة ١٠٩٧هـ / أواخر تشرين الأول ١٦٨٦م).

(٦٦) س. ش، س، ٢٦٦، ص ١٤٠ (أواخر جمادى الأولى ١١٤٦هـ / أوائل تشرين الثاني ١٧٢٣م).

(٦٧) س. ش، س، ٦٦، ص ٥٥١-٥٥٢ (أوائل رجب ٩٩٥هـ / أوائل حزيران ١٥٨٧م).

(٦٨) س. ش، س، ٧٢، ص ٢٧٢ (١٨ شوال ٩٩٩هـ / ٩ آب ١٥٩١م).

النظر على وقفها حسبة لله تعالى وأن يكون أميراً في باب السعادة العليا على أن يأخذ ما فضل من ريع الوقف في كل سنة بعد محاسبة المتولي ويحفظ ذلك^(٦٩).

وفي حجة أخرى أن الحاكم الشرعي قرر الشيخ علي بن محمد الدقاق في وظيفة التولية والنظر على زاوية السيوفي حسبة لله تعالى^(٧٠). بينما عيّن الشيخ إسماعيل زاده الشيخ عبد القادر السمين ناظرًا على وقفه وأقر له نصف قرش في كل سنة^(٧١). أما عبد الكريم بن مصطفى جوربجي، فقد جعل للناظر في وقفه الأول قرشين، وجعل عمل الناظر في وقفه الثاني حسبة لله^(٧٢). وكان الشيخ عناية الله أبو الهدى الغزي يتولى وظيفة النظر على وقف نور الله بن جماعة ويتلقى أربعة ونصف سلطاني سنويًا^(٧٣).

ويقوم الناظر على الوقف بتأجير الوقف والمقاطعة لتحصيل عائداته، فقد قام سليمان جلبي كتحدا قلعة القدس الوكيل عن أمير الأمراء أحمد بك أمير لواء غزة سنة ١٥٥٩هـ/١٥٥٩م بمقاطعة حسين بن إبراهيم بن والي وهو الناظر على وقف جده الأمير والي على جميع الحصة وقدرها ١٢ قيراط من أراضي قرية كفر مالك وجميع الحصة وقدرها ٦ قيراط من قرية البيرة على ما يتحصل من القرى المذكورة من غلال وحبوب وصيفي وشتوي وعداد زيتون وغير ذلك مما هو لجهة الوقف في سنة ١٥٥٩هـ/١٥٥٩م بمبلغ قدره ٤٥ سلطاني ذهب لجهة الوقف^(٧٤).

وفي حجة أخرى أن حسام الدين بن يعقوب الناظر على المدرسة الحسنية وأوقافها أجر سنة ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨م ١٦ قيراطًا من أراضي قرية العنب (أبو غوش) للأخوين شهاب الدين أبي العباس أحمد والشيخ زين الدين عبد القادر ولدي الشيخ كريم الدين الشهير نسبه بابن أبي الوفا الحسيني الشافعي إمام المسجد الأقصى^(٧٥).

(٦٩) س. ش، ص ٢٧٠، ص ١٨-٢٤ (أواسط شعبان ٩٦٤هـ/ أواسط حزيران ١٥٥٧م).

(٧٠) س. ش، ص ١٩٣، ص ٦٥ (١٢ شوال ١١٠٢هـ/ ٩ تموز ١٦٩١م).

(٧١) س. ش، ص ١٣٠، ص ٢٣ (أوائل ربيع الأول ١٠٥٢هـ/ أواخر أيار ١٦٤٢م).

(٧٢) س. ش، ص ١٨٧، ص ٥١٥-٥١٧ (أوائل ذي الحجة ١٠٩٧هـ/ أواخر تشرين الأول ١٦٨٦م).

(٧٣) س. ش، ص ٩١، ص ٤٢٤ (٣ محرم ١٠٢٠هـ/ ١٨ آذار ١٦١١م).

(٧٤) س. ش. ق، ص ٧٥، ص ٨٦، ٢٧ رجب ١٠٠٠هـ/ ٤ أيار ١٥٥٩م.

(٧٥) س ش ق، ص ٥٢، ص ٢٢٥، ٥ محرم ٩٧٨ هـ / ٤ حزيران ١٥٧٨م.

بينما قاطع محمد أغا الناظر على أوقاف الصخرة الشيخ علي بن يونس شيخ الحرم القدسي على ما يتحصل من قرية بيتونيا الجارية في وقف الصخرة من حبوب صيفي وشتوي وزيت زيتون لمدة تسع سنوات^(٧٦).

٩- المتولي

مهمته الإشراف على الوقف واستثمار أمواله وتحصيل عائداته وتعيين موظفيه وعزلهم ومراقبتهم، فتذكر إحدى الحجج أن المتولي على الوقف (وقف النقود) يعامل في أصل الوقف بالمراوحة الشرعية^(٧٧)، كما أنه يقبض الأرباح ويوزعها على مستحقيها وفق ما حدد الواقف، فقد حدد أبو سعيد بن سعد الدين بن حسن بن جان التبريزي مهمة المتولي أن يتعاطى بمعرفة الناظر قبض محصول الوقف في كل عام وصرفه على مستحقيه^(٧٨). وقد يحدد الواقف مهامًا أخرى للمتولي، فقد جعل أحمد باشا من مهام المتولي أن يعيّن القارئ والداعي والخادم للشمع حال وفاة أحد متولي هذه الوظائف أو فراغهم عنها^(٧٩).

وتتمثل مبررات تعيين المتولي في وقف النقود في علمه وديانته وعفته ومعرفته بالمراوحة الشرعية؛ فقد عيّن أبو سيفين خداوردي أمير لواء القدس الشيخ درويش عبد القادر المولوي متوليًا لعلمه بديانته وعفته وأمانته^(٨٠). واشترطت خاصكي سلطان (روكسلانه) أن يكون المتولي على وقفها رجلاً أميناً ذا رأي صائب وفكر ثاقب يسعى في تحصيل غلات الوقف^(٨١)، واشترط الشيخ عمر بن شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي اللطف التولية للشيخ صدر الدين داود مدة حياته لوثوقه بعفته وديانته^(٨٢). أما بيمانة

(٧٦) س ش ق، س ٩١، ص ٢٥٨، ١٥ جمادى الثاني ١٠١٩ هـ / ١٦ آب ١٦١٠ م.

(٧٧) س. ش، س ٧٦، ص ١٢٩، ١٣٠ (٨ شوال ١٠٠٢ هـ/ ٢٧ حزيران ١٥٩٤ م).

(٧٨) س. ش، مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف (٧/ ٢-١٢ / ٣٣ / ١٢).

(٧٩) س. ش، س ١٠٥، ص ٦٤٥-٦٤٨ (٢٥ محرم ١٠٢٢ هـ/ ٢٩ تشرين الثاني ١٦٢٢ م).

(٨٠) س. ش، س ٦٦، ص ٥٥١ (أوائل رجب ٩٩٥ هـ/ أوائل حزيران ١٥٨٧ م).

(٨١) س. ش، س ٢٧٠، ص ١٨-٢٤ (أواسط شعبان ٩٦٤ هـ/ أواسط حزيران ١٥٥٧ م).

(٨٢) س. ش، س ٦٦، ص ٤١٦-٤١٩ (أواسط ربيع الأول ٩٩٥ هـ/ أواخر شباط ١٥٨٧ م).

خاتون فقد شرطت أن يكون المتولي والناظر ماهرين في المعاملة والأريحية يحفظان أصل المال وربحه^(٨٣).

وقد يحدد الحاكم الشرعي بعض مهام المتولي عندما يصدر أمراً بتعيين أحد المتولين، فنذكر إحدى الحجج الشرعية أن الحاكم الشرعي عين الشيخ خليل بن إبراهيم العيزراوي في وظيفة التولية والنظر على وقف الجامع العمري بقرية اللطرون^(٨٤) ليتعاطى أمور التولية والنظر على الوقف ويقبض إيراده ويصرفه في تعميره وترميمه وجميع لوازمه من تنوير وحصر وغير ذلك^(٨٥).

ومن مهام المتولي الإشراف على معاملات الوقف من تأجير أو استبدال أو استئانة أو مقاطعة أو مغارسة أو مزارعة، والإشراف على تعمیر الوقف، ومراقبة العاملين فيه، فمثلاً ذكرت إحدى الحجج أن خليل اللطفي متولي أوقاف المدرسة الصلاحية^(٨٦) أجر جميع أراضي قرية سلواد^(٨٧) لعقل بك متسلم القدس لمدة سنة بمبلغ خمسين قرشاً^(٨٨).

بينما قاطع القاضي الديري الحنفي المتولي على وقف المدرسة الحنفية^(٨٩)، حسين بك الزعيم بالقدس، على ما يتحصل من قرية بتير الجارية في الوقف من المحاصيل الصيفية والشتوية وعدا الأشجار ومحصول البستان وغير ذلك بمبلغ ٥٠ سلطاني^(٩٠).

(٨٣) س. ش، ص ٧٢، ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩١هـ / أواخر كانون الثاني ١٥٨٣م).

(٨٤) اللطرون: تقع إلى الغرب من القدس. الدباغ، بلادنا، ج ٤، قسم ٢، في الديار اليافية، ص ٥١٤، ٥١٧.

(٨٥) س. ش، ص ٢٤٦، ٦٥ (٢٢ محرم ١١٨٠هـ / ٣٠ حزيران ١٧٦٦م).

(٨٦) المدرسة الصلاحية: أنشأها ووقفها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م على فقهاء المذهب الشافعي. اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠.

(٨٧) سلواد: تقع إلى الشمال الشرقي من رام الله. الدباغ، بلادنا، ج ٨، قسم ٢، في ديار بيت المقدس، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٨٨) س. ش، ص ١٩٣، ٢٢٦، ٢٢٧ (أواخر صفر ١٠١٣هـ / أواخر تموز ١٦٠٤م).

(٨٩) المدرسة الحنفية (العظمية) أمر الملك المعظم عيسى بإنشائها في القدس سنة ٦١٤هـ.

(٩٠) س ش ق، ص ٥٧، ٤١٥، ٤ ذي الحجة ١٠٠١هـ / ٣١ آب ١٥٩٣م. السلطاني: عملة ذهبية عثمانية بدأ بسكها في زمن السلطان محمد بن مراد سنة ٨٢٨هـ / ١٤٧٧م. باموك، التاريخ، ص ١٢٣، أينجالك/ك،

التاريخ، الاقتصادي، ج ٢، ٧٤٧ - ٧٤٨.

وقد تنوعت فئات المتولين، فكان بعضهم من الشيوخ والتجار والقضاة والدرأويش والمدرسين وكبار رجال الدولة في القدس، فمثلاً عيّن أحمد بك ومصطفى ولدا الأمير محمود بك شيخ التجار بالقدس، الخواجة جمال الدين بن سعد الدين بن الربيع متولياً على وقفهما^(٩١)، وعيّن محمد باشا أبو الفول فخر التجار زبدة الأتقياء، الخواجة عبد الجواد العسلي شيخ السادة التجار بالقدس^(٩٢)، وفي حجة أخرى عين محمد باشا أبو الفول فخر التجار بالقدس الخواجة محمد بن نور الدين صاحب^(٩٣).

وقد تكون التولية من نصيب أحد القضاة أو الدرأويش أو المدرسين؛ حيث عيّن خداوردي أبو سيفين غازي، الدرأويش عبد القادر جلبي المولوي^(٩٤)، وعيّن زيرك آغا، الدرأويش علي بن خضر ثم من بعده للأرشد فالأرشد من ذريته^(٩٥)، وكذلك فعل إسلام بك أمير لواء القدس عندما عيّن الدرأويش علي بن خضر المشد بالمسجد الأقصى^(٩٦)، أما سليمان بن عبد الرحمن المدني فقد عيّن منلا إبراهيم بن حسام الدين^(٩٧)، وشرط أحمد باشا رضوان أمير لواء غزة التولية والنظر للشيخ إسحاق بن أبي اللطف فقيه الشافعية^(٩٨)، وشرط محمد باشا أبو الفول محافظ القدس التولية على وقفه لعمدة الناسكين منهل الواردين مربي الفقراء المريدين محمد أفندي شيخ المولوية بالزاوية الموقوفة عليها وعليهم^(٩٩)، بينما شرط إسماعيل زادة التولية على وقفه للشيخ عبد الغفار، فقيه الحنفية بالقدس، ومن بعده للأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد أولاده وذريته من الذكور، ثم من بعدهما لمن يكون رئيس الكتاب بالقدس^(١٠٠).

(٩١) س. ش، س، ٧١، ص ٦٥ (غرة محرم ٩٩٥هـ/ غرة كانون الأول ١٥٨٦م/ أواسط كانون الثاني ١٥٨٦م).

(٩٢) س. ش، س، ١٢٠، ص ٢٢ (٨ جمادى الثاني ١٠٥٢هـ/ ٣ أيلول ١٦٤٢م).

(٩٣) س. ش، س، ١٢١، ص ٢٢٢-٢٣٦ (٢٥ محرم ١٠٤٣هـ/ ١ آب ١٦٢٣م).

(٩٤) س. ش، س، ٦٦، ص ٥٥١، ٥٥٢ (أوائل رجب ٩٩٥هـ/ أوائل حزيران ١٥٨٧م).

(٩٥) س. ش، س، ٦٧، ص ٦٤ (٣ محرم ٩٩٦هـ/ ٤ كانون الثاني ١٥٨٧م).

(٩٦) س. ش، س، ٧٦، ص ١٢٩، ١٣٠ (٨ شوال ١٠٠٢هـ/ ٢٧ حزيران ١٥٩٤م).

(٩٧) س. ش، س، ٧٢، ص ٣٧٢ (١٨ شوال ٩٩٩هـ/ ٩ آب ١٥٩١م).

(٩٨) س. ش، س، ٨٥، ص ٤١، ٤٢ (١٥ رمضان ١٠١٣هـ/ ٤ شباط ١٦٠٥م).

(٩٩) س. ش، س، ١٠٧، ص ٢٢ (٦ ربيع الثاني ١٠٣٣هـ/ ٢٧ كانون الثاني ١٦٢٤م).

(١٠٠) س. ش، س، ٧٦، ص ١٢٦، ١٣٠ (٨ شوال ١٠٠٢هـ/ ٢٧ حزيران ١٥٩٤م).

ونال المدرسون نصيباً من التولية، فقد عينت بلقيس خاتون فخر المدرسين الشيخ عماد الدين إسماعيل بن القاضي أبي العون الديري^(١٠١)، بينما عين عثمان آغا فخر المدرسين الشيخ عبد القادر زين الدين بن المرحوم الشيخ صلاح الدين الشهير نسبه بابن داود^(١٠٢)، وعين محمد أفندي بن إبراهيم فخر القضاة المكرمين وزبدة المحققين الشيخ شرف الدين الديري^(١٠٣).

وحظي كبار رجال الدولة العثمانية المقيمين بمدينة القدس بنصيب من هذه الوظيفة، فمثلاً عينت بلقيس خاتون افتخار الأكابر والأماجد مستجمع الفضائل والمحامد، مولانا نجمي محمد بك الأرك بلواء القدس الشريف^(١٠٤)، وعين فتح الله بن الأمير درويش محمد افتخار الأكابر والأماجد مستجمع الفضائل والمحامد شمس الدين محمد بك الينكجري^(١٠٥) بلواء القدس^(١٠٦). بينما عين حسن بن يوسف متولياً على وقفه يوسف بن عبد الله الأنباري^(١٠٧) بالعمارة العامرة^(١٠٨)، واشترط الملك الأفضل الأيوبي أن يكون المتولي على وقفه على المغاربة قدوة مشايخ المغاربة في القدس، وأن يتابع كل صغيرة وكبيرة في شؤون الوقف^(١٠٩).

وجعل الواقفون في الوقف الذري التولية على أوقافهم حال انتقالها إلى إحدى المؤسسات الدينية، إلى من يتولى إدارة هذه الأماكن، فقد حدد نجيب بن مصطفى المصري أنه إذا آل وقفه إلى الحرم القدسي فمتولي الحرم يكون ناظرًا على الوقف^(١١٠).

(١٠١) س. ش. س، ٧٢، ص ٤٢٧ (١٧ محرم ١٠٠٠هـ / ٤ تشرين الثاني ١٥٩١م).

(١٠٢) س. ش. س، ٨٢، ص ٤٠٠ (ربيع الأول ١٠٠٩هـ / أواسط أيلول ١٦٠٠م).

(١٠٣) س. ش. س، ١٢٧، ص ٦٠٦ (أواخر ذي القعدة ١٠٤٨هـ / أوائل نيسان ١٦٣٨-١٦٣٩م).

(١٠٤) س. ش. س، ٤٠، ص ٣٩ (١٠ شوال ٩٦٨هـ / ٢٤ حزيران ١٥٦١م).

(١٠٥) الينكجري: وهو قائد وحدة أوفوج في الجيش الانكشاري، أوغلي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ٢٨٥.

(١٠٦) س. ش. س، ٤٠، ص ٣٩ (١٠ شوال ٩٦٨هـ / ٢٤ حزيران ١٥٦١م).

(١٠٧) الأنباري: المسؤول عن مخزن الحبوب الأنسي، الدراري، ص ٤٨.

(١٠٨) س. ش. س، ٦٦، ص ٥٦٣ (١٦ شعبان ٩٩٥هـ / ٢٢ تموز ١٥٨٧م).

(١٠٩) المهدي، الأوقاف، ص ٢٦٠.

(١١٠) س. ش. س، ٣٢٥، ص ٥٩، ٦٠ (٢٣ شعبان ١٢٥٧هـ / ١٠ تشرين الأول ١٨٤١م).

وبين محمد أفندي المولوي أنه إذا آل الوقف إلى الحرم الإبراهيمي، يكون المتولي عليه المتولي على أوقاف الحرم الإبراهيمي^(١١١)، وحدد خليل بن علي اسكندراني أنه حال انتقال وقفه على مصالح الصخرة، فمتولي أوقافها يكون هو المتولي على الوقف^(١١٢).

وكان المتولون يتلقون أجورًا متفاوتة عن عملهم يحددها صاحب الوقف، ففي حين كان المخصص للدرويش علي خضر المتولي على وقف إسلام بك، تسعة دنانير سلطانية سنويًا عن كل يوم قطعة مصرية^(١١٣)، كان مخصص جمال الدين بن سعد الدين شيخ التجار بالقدس ستة ونصف سلطاني سنويًا^(١١٤).

وكان بعض أصحاب الوقف يحددون علوفة (أجر) المتولي سنويًا أو يوميًا أو كليهما معًا، وقد تفاوتت هذه المبالغ من متولٍ إلى آخر، فقد تلقى الدرويش عبد القادر المولوي بن أحمد جلبي عثمانية^(١١٥) في كل يوم^(١١٦)، ويوسف بن عبد الله الأنباري ستين قطعة كل سنة^(١١٧)، وفخر التجار عبد الجواد العسلي قرشين في كل سنة^(١١٨). كما تلقى الشيخ عبد القادر زين الدين صلاح الدين الشهير نسبه بابن داود ثلاثين سلطانيًا في كل سنة^(١١٩)، ونور الدين صاحب ستة قروش^(١٢٠).

-
- (١١١) س. ش. س. ٢٢٩، ص ١٣٩، ١٤٠ (ربيع الأول ١٢٦٣هـ / ١٧ شباط ١٨٤٧م).
- (١١٢) س. ش. س. ٢٨١، ص ١٢٧ (٢١ جمادى الأولى ١٢١٤ / ٢١ تشرين الأول ١٧٩٩م).
- (١١٣) س. ش. س. ٧٦، ص ١٢٩، ١٣٠ (٨ شوال ١٠٠٢هـ / ٢٧ حزيران ١٥٩٤م).
- القطعة المصرية: وهي البارة وهي من النقود الفضية التي سكت في مصر باموك، التاريخ، ص ١٨٤، ١٨٥، الكرمل، النقود، ص ٢١١، ٢١٢. س. ش. س. ١٠٤، ص ١٨٤، ٧ جمادى الأولى ١٠٣٠هـ.
- (١١٤) س. ش. س. ٧١، ص ٦٥ (غرة محرم ٩٩٥هـ / غرة كانون الأول ١٥٨٦م).
- (١١٥) العثمانية: وهي العملة العثمانية الأفجة، اينالجك، التاريخ، ج ٢، ص ٧٤٣، ٧٤٤، أوغلي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ٦٦٣.
- (١١٦) س. ش. س. ٦٧، ص ٦٤ (٣ محرم ٩٩٦هـ / ٤ كانون الأول ١٥٨٧م).
- (١١٧) س. ش. س. ٧٢، ص ٢٧٢ (١٨ شوال ٩٩٩هـ / ٩ آب ١٥٩١م).
- (١١٨) س. ش. س. ١٣٠، ص ٢٣ (٨ جمادى الثاني ١٠٥٢هـ / ٣ أيلول ١٦٤٢م).
- (١١٩) س. ش. س. ٨٢، ص ٤٠٠ (ربيع الأول ١٠٠٩هـ / أواسط أيلول ١٦٠٠م).
- (١٢٠) س. ش. س. ١٢١، ص ٢٢٢-٢٣٦ (٢٥ محرم ١٠٤٣هـ / ١ آب ١٦٢٣م).

وعينت خاصكي سلطان لمتولي وقفها ثلاثين قطعة شهرياً^(١٢١)، وحدد عبد الله أفندي لمتولي وقفه قرشين كل سنة لقاء خدمة التولية^(١٢٢)، وأشارت حجة أخرى إلى أن الشيخ نور الدين بن علي الثوري كان يتولى وظيفة النظر والتولية على وقف مراد باشا، ويتقاضى ثمانية سلطاني سنوياً^(١٢٣). وخصصت بيمانة خاتون خمسمائة عثمانية سنوياً لمن يكون متولياً وناظراً على وقفها^(١٢٤)، وبقيس خاتون لمتولي وقفها الشيخ عماد الدين إسماعيل أبي العون الديري تسعين قطعة مصرية سنوياً^(١٢٥). وجعل درناقي بن زيان الشيخ محمد آغا، نائب الناظر بحرم القدس، متولياً على وقفه وله في كل سنة قرشاً ونصف^(١٢٦). أما أبو سعيد أسعد بن سعد الدين بن حسن بن خان التبريزي فقد حدد للمتولي خمسة عشر قرشاً كل سنة^(١٢٧). وكان الشيخ قدوة المصدرين عبد القادر زين الدين بن صلاح الدين الشهير بابن داود يتولى وظيفة التولية على وقف مراد باشا ويتلقى تسعين قطعة مصرية سنوياً^(١٢٨).

وكان القاضي يقر تعيين المتولي حال شغور الوظيفة بوفاة متوليها أو تنازله عنها، فقد أقر الحاكم الشرعي كل من موسى وشقيقه ضياء ابني الشيخ عبد الرحمن العسلي في وظيفة التولية على وقف الشيخ إسماعيل الأزرق، عوضاً عن الحاج موسى بن علي النحاس بحكم وفاته^(١٢٩). وأقر الحاكم الشرعي تعيين خليل بن إبراهيم العيزراوي في وظيفة التولية، والنظر على وقف الجامع العمري بقرية اللطرون، ليتعاطى أمور التولية والنظر لخلو الوظيفة ممن يباشرها^(١٣٠).

(١٢١) س. ش، س ٢٧٠، ص ١٨-٢٤ (أواسط شعبان ٩٦٤هـ / أواسط حزيران ١٥٥٧م).

(١٢٢) س. ش، س ١٨٧، ص ٨٧ (أوائل جمادى الأولى ١٠٨٧هـ / ١٢ تموز ١٦٧٦م).

(١٢٣) س. ش، س ٦٧، ص ١٠٦ (٩ ربيع الأول ٩٩٦هـ / ٦ شباط ١٥٨٨م).

(١٢٤) س. ش، س ٧٢، ص ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩٤هـ / أواخر كانون الثاني ١٥٨٥م).

(١٢٥) س. ش، س ٧٢، ص ٤٢٦ (١٧ محرم ١٠٠٠هـ / ٤ تشرين الثاني ١٥٩١م).

(١٢٦) س. ش، س ١٤٦ (٢٠ رجب ١٠٦١هـ / ٤ أيار ١٦٥٧م).

(١٢٧) س. ش، مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف (٧ / ٢٠١٢ / ٢٣ / ١٣).

(١٢٨) س. ش، س ٧٨، ص ٢٦٧ (ختام ذي الحجة ١٠٠٥هـ / أواسط آب ١٥٩٧م).

(١٢٩) س. ش، س ٢١٣، ص ٢٠ (شوال ١١٣٠هـ / ١٦ أيلول ١٧١٨م).

(١٣٠) س. ش، س ٦٥، ص ٢٤٩ (٢٢ محرم ١١٨٠ / ٣٠ حزيران ١٧٦٦م).

وفي حجة أخرى، أن الحاكم الشرعي أقر قدوة قضاة الإسلام الشيخ أبا الهدى في وظيفة التولية على وقف المرحوم علي بن يونس شيخ الحرم، ليعامل في المال الموقوف، لما رأى الحاكم الشرعي من ديانتته واستقامته وعفته وأمانته^(١٣١).

وقد يتنازل المتولي لشخص آخر عن التولية برضاه واختياره، ويقر القاضي ذلك، وهو ما نجده في تقرير الحاكم الشرعي الحاج سليمان بك العسلي في ثمن وظيفة التولية على وقف المدرسة المنجكية^(١٣٢) عوضاً عن المتصرف صالح بن الشيخ صالح موسى الحموري بحكم فراغه له عن ذلك^(١٣٣).

وهناك ما يشير إلى إمكانية تنازل المتولي عن وظيفته لشخص آخر، مقابل مبلغ معين من المال يدفعه المفروغ له للمتنازل (الفارغ) عن الوظيفة؛ فقد قرر الحاكم الشرعي الشيخ سليمان العسلي في ثمن وظيفة التولية على وقف المدرسة المنجكية، بالقدس عوضاً عن متصرف ذلك خليل بن موسى الحموري بحسن رضاه واختياره، وقبض نظير هذا الفراغ ثمانين زولطة^(١٣٤).

وتذكر حجة أخرى، أن السيد علي بن محمد شمس الدين بن داود ذكر للحاكم الشرعي أن من المقرر باسمه وظيفة التولية على وقف جده بدر الدين بن قطيبا الأنصاري، وأنه عاجز عن خدمة التولية، وأنه فرغ بحسن اختياره عن الوظيفة لعمه أبيه صالحة بنت محمد بن سعد بعوض قدره خمسين قرشاً عديده^(١٣٥).

(١٣١) س. ش. س. ٨١، ص ٢٠٨ (غرة محرم ١٠٢٠هـ / أواسط آذار ١٦١١م).

(١٣٢) المدرسة المنجكية: تنسب إلى الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري (ت٧٧٦هـ/١٢٧٤م)، كان موقوفاً عليها ٦,٥ قيراط من قرية بيت صفافا. دفتر ٤٢٧، ص ٢٠٥، ٢٠٦، البيعوب، ناحية، ج ٢، ص ٢٢٢. عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ٧٦-٨٢.

(١٣٣) س. ش. س. ٢٤٩، ص ٤٦ (أواخر ذي الحجة ١١٧٩هـ / أوائل حزيران ١٧٦٦م).

(١٣٤) س. ش. س. ٢٤٩، ص ٦٥ (٢٢ محرم ١١٨٠هـ / ٣٠ حزيران ١٧٦٦م).

* الزولطة: وهي عملة بولندية جلبها التجار الأوروبيون إلى الدولة العثمانية واستخدمت في المعاملات المالية في الدولة العثمانية. اينالجك، التاريخ الاقتصادي، ج ٢، ص ٧٦٤، س. ش. س. ٢٥٦، ص ١٤٨، أواخر ربيع الثاني ١١٩٧هـ / ٢ نيسان ١٧٨٢م.

(١٣٥) س. ش. س. ١٨٥، ص ٧٢ (١٢ ربيع الثاني ١٠٩٢هـ / ٢٠ نيسان ١٦٨٢م).

* القرش العديدي: من العملات العثمانية الفضية، وكان يساوي ٣٠ قطعة مصرية، س. ش. س. ١٨٧، ص ١٢١، ١٥ رمضان ١٠٦٦هـ / ٨ حزيران ١٦٥٦م. باموك، التاريخ المالي، ص ١٩٠.

ونظراً للتنافس على وظيفة التولية، وتعدد المستحقين، وانتقالها بالوراثة، فقد أصبح يتولى الوظيفة الواحدة عدد من الأشخاص، يتولى كل واحد منهم حصة منها كالنصف أو الثلث أو الربع، فذكرت إحدى الحجج أن الحاكم الشرعي عين عباس ومحمد ولدا الحاج مصطفى بن محمد غضية في ثلث وظيفة التولية والنظر على وقف النبي موسى والنبي لوط، شركة كل من فيض الله غضية وأولاد صالح غضية بحق الباقي^(١٣٦). وذكرت حجج أخرى جود الله وعبد الباقي ونجم الدين وعبد الله وعبد الغني وأبو العلا العلمية (العلمي) المتولون على وقف الخانقاة الصلاحية^(١٣٧)، وإسحاق وعماد الدين ولدا محمد الخطيب بالمسجد الأقصى، اللذان كانا يتوليان وظيفة النظر على وقف جدهم الأعلى لأبيهم^(١٣٨).

ويُعزل المتولي عن وظيفته بناء على طلب من المستفيدين، فقد حضر عدد من المستفيدين من وقف المغاربة، وطلبوا عزل محمد بن وارث عن المشيخة، والتولية، لكونه ليس فيه قابلية ولياقة للتولية^(١٣٩)، وقد يعزل الحاكم الشرعي المتولي والناظر كما عزل السيد عبد الرحيم أفندي عن وظيفة النظر والتولية على وقف المدرسة العثمانية^(١٤٠) لثبوت شقاوته وفساده بعد ثبوت ذلك بإخبار الثقات^(١٤١). ويظهر الجدول التالي أسماء بعض المتولين والأوقاف التي تولوا إدارتها:

-
- (١٣٦) س. ش، ص ٢٢٠، ص ٩٦ (١١ جمادى الأولى ١٢٥٠هـ / ١٥ أيلول ١٨٢٤م).
- (١٣٧) س. ش، ص ٢٢٨، ص ٥٧ (١٢ ربيع الثاني ١١٥٠هـ / ٩ آب ١٧٣٧م).
- * الخانقاة الصلاحية: أنشأها ووقفها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٧م للصوفية في القدس. البيهقي، ناحية، ج ٢، ص ٢٤٩، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ٤٠٢-٤٢٥.
- (١٣٨) س. ش، ص ٢٠٨، ص ٨٤ (١٠ شوال ١١٢٥هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٧١٣م).
- (١٣٩) س. ش، ص ١٩٢، ص ٣٠٦ (أواخر ربيع الثاني ١١٠٣هـ / أواخر كانون الثاني ١٦٩٢م).
- (١٤٠) المدرسة العثمانية: أنشأتها ووقفها أصفهان شاه خاتون بنت محمود العثمانية في القدس سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦. البيهقي، ناحية، ج ٢، ص ٣١٧، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ١٣٠-١٣٩.
- (١٤١) س. ش، ص ١٩٢، ص ٩ (أوائل شعبان ١١٠٣هـ / أواخر نيسان ١٦٩٢م).

الوقوف	المتولي
الثريا بالصخرة المشرفة	مفخر السادات والعلماء وفا أفندي
المسجد الأقصى وقبة الصخرة	فخر الأمائل والأعيان سليمان آغا
المسجد الأقصى	إبراهيم بن عمر جاويش
البيمارستان الصلاحي	الشيخ صلاح الدين الجعبي
المدرسة الخاتونية	الشيخ طه بن جماعة
البيمارستان الصلاحي	صلاح الدين بن أبي بكر
المدرسة الأمينية	بدر الدين عبد المعطي و خليل ومصطفى أولاد إبراهيم الدجاني
المدرستان الخاتونية والزمنية	عبد الله بن محمد العفيفي
المدرسة الجوهريّة	مصطفى أفندي مفتي السادة الحنفيّة
الرباط المنصوري	سليمان العسلي
المدرسة المنجكية	جود الله وعبد الباقي ونجم الدين وعبد الله وعبد الغني أبو العلا العلمي
الخانقاة الصلاحية	غانم بن علي بن حسين الأنصاري
الخانقاة الصلاحية	أحمد بن رضوان باشا بن مصطفى
العمارة العامرة	عمر جاويش
قبة الصخرة	حسين آغا
قبة الصخرة	وفا أفندي
المحيا الشريف	سليمان الداودي
وقف بلقيس خاتون	عمدة قضاة المسلمين القاضي إسماعيل عماد الدين بن أبي العون الديري
الشيخ عبد القادر بن عبد القادر شيخ الحرم	إبراهيم آغا، آغا دار السعادة
وقف مراد باشا	قدوة المصدرين الشيخ عبد القادر زين الدين بن الشيخ صلاح الدين بن داود

وقد تجمع وظيفتا النظر والتولية معاً لشخص واحد. وغالباً ما كان الواقفون يجعلون هذه الوظيفة لهم طوال حياتهم؛ ولكنهم تباينوا في أيلولة الوظيفة من بعدهم؛ فبعضهم جعلها لنفسه مدة حياته، ثم من بعده للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم، وهذا ما نص عليه كل من الحاج مصطفى قويدر^(١٤٢)، وفقية الله جلبي بن عمر الشهير بابن نمر^(١٤٣)، والحاج أويس بن طرخان بن عبد الله الرومي^(١٤٤)، وعلاء الدين بن غرس الدين خليل^(١٤٥).

(١٤٢) س. ش. س ٢٣٦، ص ٣٠٥ (أواخر شعبان ١١٦٣هـ / أوائل آب ١٧٥٠م).

(١٤٣) س. ش. س ١٩٨، ص ٤٤ (١٣ ربيع الآخر ١١٠٩هـ / ٢٩ تشرين الأول ١٦٩٧م).

(١٤٤) س. ش. س ٢٧، ص ٣٣٥، ٣٣٦ (شوال ٩٠٦هـ / أواخر نيسان ١٥٠١م).

(١٤٥) س. ش. س ٢٣، ص ٢٧٦ (١٥ رجب ٩٦٣هـ / ٢٥ أيار ١٥٥٦م).

بينما شرط البعض الآخر النظر والتولية لنفسه مدة حياته، وجعلها من بعده لواحد أو اثنين من أبنائه، فقد جعل نجيب بن مصطفى المصري النظر والتولية له مدة حياته، ثم من بعده لولده درويش، ثم للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم^(١٤٦). وجعل محمد صنع الله بن خليل أفندي الخالدي، النظر والتولية لنفسه مدة حياته، ثم من بعده لولديه خليل وفيض الله، ثم من بعدهما للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم^(١٤٧).

وجعل محمود بن محمود بن نجم الدين الغزي، النظر والتولية لنفسه مدة حياته، ثم من بعده للأرشد من المستحقين^(١٤٨). وشرط محمد نجم الدين بن محمد بن بدر ابن جماعة النظر والتولية لأولاده الأرشد فالأرشد منهم^(١٤٩). وجعل شمس الدين محمد ابن تاج الدين عبد الوهاب التولية من بعده لولديه محمود وعلي، ثم من بعده للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم^(١٥٠) وجعل عماد الدين أبو النجا محمد بن بدر الدين بن الحسن بن علاء أبي الحسن بن السائح الشافعي النظر والتولية لنفسه مدة حياته، ثم من بعده لابنته فاطمة، ثم من بعدها للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم^(١٥١). وجعل الحاج باكير بن محمد الهكاري النظر لزوجته ثم من بعدها للأرشد فالأرشد من الموقوف عليهم^(١٥٢). أما راغب أفندي بن نعمان بن راغب الخالدي، فقد جعل التولية والنظر على وقفه لنفسه مدة حياته، ثم من بعده للأرشد فالأرشد من أولاده، على أن يقدم الأعم والأصلح، فإن لم يوجد منهم أحد فالتولية لأولاد وذرية شقيقته فطومة^(١٥٣).

وقد تعطى وظيفة النظر والتولية للنساء؛ فقد جعل جار الله بن إسحاق الجورملي التولية والنظر لنفسه طوال حياته، ثم من بعده لست المصونة واجدة خاتون، ثم من

(١٤٦) س. ش، س ٣٢٥، ٥٩، ٦٠ (٢٣ شعبان ١٢٥٧هـ/ ١٨ أيلول ١٨٤١م).

(١٤٧) س. ش، س ١١٠، ص ٨٦ (١٤ شوال ١٠٣٤هـ/ ٢١ تموز ١٦٢٥م).

(١٤٨) س. ش، س ٧٥، ص ٤٦ (أوائل ربيع الثاني ١٠٠٠هـ/ أواسط كانون الثاني ١٥٩٢م). انظر أيضاً: س. ش، س ٣٠، ص ٧٦، ٧٧ (أواخر جمادى الأولى ٩٦٣/ أواسط نيسان ١٥٥٦م)؛ س. ش، س ٧٢، ص ٢ (٢٣ رجب ٩٩٨هـ/ ٢٨ أيار ١٥٩٠م).

(١٤٩) س. ش، س ٢٧، ص ٢ (٢٣ رجب ٩٩٨هـ/ ٢٨ أيار ١٥٩٠م).

(١٥٠) س. ش، س ١٨، ص ٣٨١ (شعبان ٩٥٣هـ/ أواخر أيلول ١٥٤٦م).

(١٥١) س. ش، س ٧، ص ٥٧٥-٥٧٩ (مستهل ذي القعدة ٩٠٩هـ/ أواسط نيسان ١٥٠٤م).

(١٥٢) س. ش، س ١، ص ٢٧٧ (٢٩ رمضان ٩٣٧/ ١٦ أيار ١٥٣١م).

(١٥٣) س. ش، س ٢٩٨، ص ٦٢ (٨ ربيع الثاني ١٣٢٢هـ/ ٢٢ حزيران ١٩٠٤م).

بعدها للأرشد فالأرشد ممن يؤول الوقف إليهم، فإذا لم يكن ثمة رشيد فالحاكم الشرعي في القدس يقرر من يرى أهليته وصلاحيته^(١٥٤).

وقد تجمع وظيفة النظر والتولية إلى جانب وظائف أخرى لشخص واحد، فقد قرر الحاكم الشرعي تعيين بدر الدين عبد المعطي و خليل ومصطفى ولدا إبراهيم الدجاني، في وظيفة التولية والنظر والمشیخة على المدرسة الأمينية^(١٥٥). وذكرت حجة أخرى أن الشيخ محمد بن منصور بن الحاج حسن كان يتولى وظيفة التولية والنظر والمشیخة بالرباط المنصوري^(١٥٦).

ويقوم المتولون بتأجير العقارات الوقفية، ففي إحدى الحجج أن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل عن عسّاف بك أمير لواء نابلس استأجر سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م من الشيخ محمود بن إسحاق الدجاني، وهو أحد المتولين على أوقاف النبي داود، جميع الحصة الشائعة وقدرها النصف من قرية الزاوية الجارية في الوقف لمدة ثلاث سنوات^(١٥٧).

هذا، وكان تصرف أحد النظائر أو المتولين بعائدات الوقف دون موافقة القاضي إحدى المخالفات التي تسبب توبيخ الناظر أو عزله^(١٥٨).

١٠. الكاتب

كان الكاتب يتولى كتابة وتسجيل معاملات الوقف وحساباته، وكان يشترط فيه أن يكون من الثقات المتدينين، العارفين بقوانين الكتابة وقواعدها؛ فقد اشترطت خاصكي سلطان أن يكون الكاتب في وقفها من الأمناء الثقات الموصوفين بما فضل من الصفات، العارف بقوانين الرقم والكتاب، الخائف من عذاب الله يوم الحساب، يكتب كل قليل

(١٥٤) س. ش، ص ٤٨، ٤٠٨، ٤٠٩ (١٥ رجب ٩٧٣هـ/ ٥ شباط ١٥٦٦م).

(١٥٥) العسلي، وثائق، ج ٢، ص ٨١، ٨٢ (أواخر ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ أواخر كانون الأول ١٧٨٨م).

* المدرسة الأمينية: وقفها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م. اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٢٢٤، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ٤٤-٤٧.

(١٥٦) س. ش، ص ١١٣، ٧٢ (٦ محرم ١٠٢٨هـ/ ٧ شباط ١٠٢٨م).

* الرباط المنصوري: وقفه المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م على الصوفية في القدس.

اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٢٥٤، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(١٥٧) س. ش. ن (نابلس) - ١، ص ١٦٧، غرة رجب ١٠٦٧هـ/ ١٤ نيسان ١٦٥٧م.

(١٥٨) س. ش، ص ٧٢، ٤٦٦ (١٨ صفر ٩٩٩هـ/ ١٦ كانون الأول ١٥٩٠م).

وكثير دون تسويق ولا تأخير؛ كما أنها عينت كاتباً للخرج (للفنقات) يكتب ما كثر وقل من غير تسويق في إدارته. وهذا يعني أنها عينت كاتبين: الأول للواردات، والثاني للمصروفات؛ وذلك لكثرة الموقوفات وكثرة واردات الوقف ونفقاته^(١٥٩). واشترطت بيمانة خاتون أن يكون كاتباً على وقفها مَنْ يعلم قوانين الكتابة والكتّاب، محاسباً يعرف أساليب المحاسبة والحساب^(١٦٠).

وذكرت سجلات المحكمة الشرعية الكتّاب الذين يتولون الكتابة على الأوقاف العائدة للمسجد الأقصى وقبة الصخرة، فأشارت إحدى الحجج إلى قدوة الكتّاب حمزة جليبي بن محمود جليبي كاتب أوقاف الحرم الشريف^(١٦١). وذكرت أخرى عبد الله الملاح كاتب وقف الصخرة والمسجد الأقصى^(١٦٢)، وشاهين بن محمد جليبي كاتب أوقاف الصخرة^(١٦٣)، وحسن بن خضر الرومي كاتب ترميمات^(١٦٤) أوقاف المسجد الأقصى^(١٦٥).

كذلك كان هناك كتّاب لأوقاف المدارس والخانقاوات والأوقاف التي يسبها الأفراد على الجهات المختلفة، فأشار السجل الشرعي إلى محمد صنع الله الخالدي الكاتب بالمدرسة الفارسية^(١٦٦). ومنلا عبد الحليم بن مصطفى كاتب أوقاف جار الله أفندي قاضي القدس^(١٦٧)، وكاتب المرمات بأوقاف البيمارستان الصلاحي^(١٦٨).

(١٥٩) س. ش.، ص ٢٧٠، ١٨-٢٤ (أواسط شعبان ٩٦٤هـ / أواسط حزيران ١٥٥٧م)؛ المهدي، أوقاف، ص ٥١٧.

(١٦٠) س. ش.، ص ٧٢، ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩٤هـ / أواخر كانون الأول ١٥٨٥م).

(١٦١) س. ش.، ص ٣١، ٢٢٨، ٢٢٩ (١٥ صفر ١٠٩٣هـ / ٢٤ شباط ١٦٨٢م).

(١٦٢) س. ش.، ص ٢٤٩، ٧٥ (٨ صفر ١١٨٠هـ / ١٧ تموز ١٧٦٦م).

(١٦٣) س. ش.، ص ٧٨، ٤٥ (٧ جمادى الأولى ١٠٠٥هـ / ٢٨ كانون الأول ١٥٩٦م).

(١٦٤) كاتب المرمات: من يتولى كتابة وتسجيل الأموال التي تنفق على أعمال الترميم والصيانة في وقف ما.

(١٦٥) س. ش.، ص ٧٨، ٤٦ (أواخر ربيع الثاني ١٠٠٥هـ / أواسط كانون الأول ١٥٩٦م).

(١٦٦) س. ش.، ص ٢٢٠، ٢٢٤ (أواسط ربيع الأول ١١٢٨هـ / أواسط تشرين الثاني ١٧٢٥م).

* المدرسة الفارسية: أوقفها الأمير فارس الدين البكي بن قطلوة ملك بن عبد الله سنة ٧٥٥هـ / ١٢٥٤م، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ٤٤-٤٧. اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(١٦٧) س. ش.، ص ٧١، ١٦٠ (١٠ جمادى الأولى ٩٩٧هـ / ٢٨ كانون الثاني ١٥٨٩م).

(١٦٨) س. ش.، ص ٧١، ٢٠٦ (١٧ رمضان ٩٩٧هـ / ٣١ تموز ١٥٨٩م).

* البيمارستان الصلاحي: بناه صلاح الدين الأيوبي في القدس سنة ٥٨٥هـ / ١١٩٢م. اليعقوب، ناحية، ج ١، ص ٢٤٧، عبد المهدي، المدارس، ج ١، ص ٣٤٣-٣٥٠.

وكان الكتاب يتلقون أجورهم من الأوقاف العائدة للمؤسسات التي يعملون كتبة فيها، فكان الشيخ إبراهيم الديري كاتباً على وقف مراد باشا ويتلقى أربعة ونصف سلطاني كل سنة^(١٦٩). وقررت بيمانة خاتون ثلاثمائة وستين عثمانياً لمن يكون كاتباً على وقفها^(١٧٠). وكان الكتبة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة يتلقون علوفتهم من الأوقاف العائدة لهما، فتذكر إحدى الحجج أن الشيخ عبد القادر جلبي بن أحمد الخلوتي، تنازل لشاهين جلبي بن محمود جلبي عما هو بيده؛ نصف وظيفة الكتابة في وقف الصخرة بما لها من المعلوم وقدره في كل يوم ثمانية عشرة عثمانياً^(١٧١). كما كان هؤلاء الكتاب يتلقون أموالاً من الصرة الرومية^(١٧٢)، فذكرت دفاتر الصرة الرومية أن من المستفيدين من أموال الصرة جماعة الكتاب البالغ عددهم اثنان وثلاثون كاتباً^(١٧٣).

وكان الحاكم الشرعي يعين مَنْ يتولى هذه الوظيفة حال شغورها بوفاء متوليها أو تنازله، مبرراً ذلك بمعرفته علم الحساب، فتذكر إحدى الحجج أن الحاكم الشرعي قرر زبدة النحاة والأصوليين، الشيخ زكريا بن صالح الشهير بابن الديري، في وظيفة كاتب محصول كنيسة القيامة، لمعرفته في علم الحساب والتوزيع وغير ذلك على ما يتحصل من محصول كنيسة القيامة الكائنة بالقدس^(١٧٤). وفي حجة أخرى أن الحاكم الشرعي عين بدر الدين بن شمس الدين الجاعوني في وظيفة الكتابة على وقف المدرسة المنجكية، بما لها من المعلوم، وقدره في كل يوم ثلاث عثمانية عوضاً عن والده بحكم وفاته^(١٧٥).

وقد يتولى الشخص الواحد نصف وظيفة الكتابة أو ربعها، فقد قرر الحاكم الشرعي السيد عبد الواحد الجاعوني في ربع وظيفة الكتابة على أوقاف المدرسة

(١٦٩) س. ش. س، ص ٧١، ص ٣٤٣ (١٠ محرم ٩٩٨هـ / ٢٠ تشرين الثاني ١٥٨٩م).

(١٧٠) س. ش. س، ص ٧٢، ص ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩٤هـ / أواخر كانون الأول ١٥٨٥م).

(١٧١) س. ش. س، ص ٧١، ص ٢٦١ (٦ ذي القعدة ٩٩٧هـ / ١٧ أيلول ١٥٨٩م).

(١٧٢) الصرة الرومية: الأموال التي تأتي كل سنة من العاصمة العثمانية استانبول لتوزع على العلماء والفقراء والصلحاء والمجاورين من أهالي القدس. س. ش. س، ص ٢٢٠، ص ٧٢، أواخر ذي الحجة ١١٤٥هـ / أوائل حزيران ١٧٣٦م. س. ش. س، ص ٢٧٩، ص ٥٧، أواسط جمادى الأولى ١٢١٢هـ / أواخر تشرين الأول ١٧٩٧م.

(١٧٣) صابان، صرة القدس، ص ١-٢٥، دفتر تقسيمات صرة شريفة، ص ٢٥-٨٠.

(١٧٤) س. ش. س، ص ٣١، ص ٢٢٨، ٢٢٩ (١٥ صفر ١٠٩٣هـ / ٢٤ شباط ١٦٨٢م).

(١٧٥) س. ش. س، ص ٧٨، ص ٤٦ (أواخر ربيع الثاني ١٠٠٥هـ / أواخر تشرين الثاني ١٥٩٦م).

الباسطية^(١٧٦) بما لذلك من المعلوم وقدره في كل يوم عثمانى^(١٧٧)، كذلك كان محمد صنع الله الخالدي يتولى نصف وظيفة الكتابة بالمدرسة الكيلانية بما لها من المعلوم نصف قطعة مصرية^(١٧٨).

وقد تكون هذه الوظيفة وراثية حسبما يحدد ذلك الواقف، فقد عينت بيمانة خاتون محمود بن أبا النعم كاتباً في وقفها، ثم جعلتها لأصلح أولاده وأعقابه وأرشد أحفاده وأنسابه، وبعد الانقراض لمن يراه الحاكم الشرعي^(١٧٩).

وقد يعين الكاتب في وظيفته بموجب أمر من الصدقات السلطانية، فقد ذكر الشيخ صلاح الدين بن أبي بكر أن الصدقات السلطانية أنعمت عليه بكتابة المرمات بوقف البيمارستان الصلاحي^(١٨٠).

١١. الجابي

تتلخص مهمته بجباية الأموال العائدة للوقف، سواء من الأراضي أو الدكاكين أو المصابن أو الغراس أو الدور، وهذا ما توضحه الحجة التي تذكر أن الشيخ صالح بن أحمد الدهان جابي وقف المدرسة الخاتونية^(١٨١) حضر إلى المحكمة الشرعية وأقر أن جميع السبعين مد^(١٨٢) حنطه والسبعين مد شعير من مزرعة باطن جمل هي جملة العائد للمدرسة من الوقف^(١٨٣).

وفي حجة أخرى أن فخر الأماجد أحمد جلبي ناظر وقف الصخرة الشريفة، ادعى

(١٧٦) س. ش.، ص ٢٤٩، ص ١٥ (٤ رجب ١١٧٩هـ / ١٨ كانون الأول ١٧٦٥م).

(١٧٧) المدرسة الباسطية: أوقفها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي في سنة ٨٢٤هـ / ١٤٣٠م، كان ١٨ قيراط من أراضي قرية صور باهر وقف على المدرسة. دفتر ٤٢٧، ص ٢٠١. اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣٢٥، عبد المهدي، المدارس، ج ٢، ص ١١٢-١١٨.

(١٧٨) س. ش.، ص ٢٢٠، ص ٢٢٤ (أواسط ربيع الأول ١١٢٨هـ / أواسط تشرين الثاني ١٧٢٥م).

(١٧٩) س. ش.، ص ٧٢، ص ٤٧١ (أوائل محرم ٩٩٤هـ / أواخر كانون الأول ١٥٨٥م).

(١٨٠) س. ش.، ص ٧١، ص ٢٠٦ (٣ رمضان ٩٩٧هـ / ١٧ تموز ١٥٨٩م).

(١٨١) المدرسة الخاتونية: أوقفها أوغول خاتون بنت شمس الدين محمد الفازانية سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م كان موقوفاً عليها مزرعة باطن جمل. دفتر ٤٢٧، ص ٢٨٦، اليعقوب، ناحية، ج ٢، ص ٣٢٦.

(١٨٢) المد: من المكابيل التي استخدمت في الدولة العثمانية ويختلف مقداره من منطقة إلى أخرى، والمد الرسمي يعادل ٢٠ كيلة بعيار استانبول. هنتس، المكابيل، ص ٧٥.

(١٨٣) س. ش.، ص ٦٧، ص ٢٨٧ (١١ ذي القعدة ٩٩٦هـ / ٣ تشرين الأول ١٥٨٨م).

على شمس الدين بن أمين الدين القباقي جابي الوقف، أنه تناول من قريتي كفر لاثا والنيرب ما هو مقطوع^(١٨٤) عليهم لجهة وقف الصخرة المشرفة عن سنة (٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م) وطالبه بتسليمه ذلك^(١٨٥).

وكان الواقفون يعينون الجباة على أوقافهم ويحددون أجورهم مقابل عملهم؛ فقد حدد الأشرف قايتباي مائة درهم شهرياً لجابي الأوقاف الذي عينه على المدرسة الأشرفية^(١٨٦). وكان الشيخ محمد الغزي جابياً على وقف مراد باشا مقابل أربعة ونصف سلطاني سنوياً^(١٨٧). وقرر أبو سعيد أسعد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزي أن يصرف اثني عشر قرشاً كل سنة لرجل يكون جابياً على الوقف^(١٨٨).

ونظراً لاتساع أوقاف العمارة العامرة؛ فقد عينت خاصكي سلطان في وقفها خمسة جباة، وحددت أن «يكونوا من الصالحين المتدينين الأمناء القادرين على الخدمة، ويخدمون على وجه الأمانة والاستقامة ويجتنبون التقصير، ويسعون في أمور الأوقاف سعياً جميلاً ويجدون في مصالحتها، ويسلمون ما حصلوه وجبوه إلى المتولي من غير ماطلة ولا تأخير، وأجرة كل منهم ستة دراهم شهرياً»^(١٨٩).

ويبدو أن أعداد الراغبين في هذه الوظيفة كانت في تزايد؛ ما أدى إلى التنافس عليها. ولضمان استقرارها وانتظام عملها، تم تجزئة الوظيفة الواحدة إلى أجزاء، فكان الواحد يتولى حصة فيها، فأشير إلى أن محمد الخالدي كان يتولى ربع وظيفة الجباية على وقف المدرسة الصلاحية^(١٩٠).

وأشار السجل الشرعي إلى بعض من تولى وظيفة جباية أوقاف المسجد الأقصى وقبة الصخرة؛ فقد ورد ذكر إبراهيم بن محمود جليبي بن شاهين الشهير نسبه بابن

(١٨٤) المقطوع: وهو مبلغ مقطوع يدفعه الفلاحون مستغلو الأرض الوقفية للجهة الموقوفة عليها الأرض سنوياً بغض النظر عن جودة المحصول أو رداً عنه. دفتر ٤٢٧، ص ٢٥٠، س. ش، س ٩١، ص ١٦٤، ٦ رمضان ١٠١٩هـ/ ٢٣ تشرين الثاني ١٦٦٠هـ.

(١٨٥) س. ش، س ٦٧، ص ٣٨٧ (٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م).

(١٨٦) س. ش، س ١٠٨، ص ١١١ (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) إعادة تسجيل (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م).

(١٨٧) س. ش، س ٧١، ص ٣٤٣ (١٠ محرم ٩٩٨هـ/ ٢٠ تشرين الثاني ١٥٨٩م).

(١٨٨) س. ش، مؤسسة إحياء التراث، ملف (٧/ ٢٠١٢/ ٢٣/ ١٣).

(١٨٩) س. ش، س ٢٧٠، ص ١٨-٢٤ (أواسط شعبان ٩٦٤هـ/ أواسط حزيران ١٥٥٧م). المهدي، الأوقاف، ص ٥١٢.

(١٩٠) س. ش، س ٢٢٠، ص ٢٢٤ (أواسط ربيع الأول ١١٣٨هـ/ أواسط تشرين الثاني ١٧٢٥م).

ولي، الذي قرره الحاكم الشرعي في وظيفة الجباية على وقف الصخرة، بما لها من المعلوم وقدره في كل يوم خمس عثمانيات عوضاً عن ابن عمه ولي جليبي بن شاهين جليبي بحكم وفاته^(١٩١).

وكان جباة أوقاف الصخرة والمسجد الأقصى يتلقون نصيباً من أموال الصرة الرومية، فذكر دفتر الصرة لسنة (١٠٨٢هـ / ١٦٧١م) أن عدد هؤلاء ثمانين جباة يتلقى الواحد منهم سكة واحدة^(١٩٢). وكان على أوقاف المدرسة العثمانية مباشرون أيضاً، بلغ أجرهم السنوي ثلاثمائة أجرة^(١٩٣).

١٢. المباشر

يظهر أن وظيفة المباشر تتمثل في الإشراف وإدارة القرى التابعة، للوقف ومتابعة شؤون الفلاحين فيها؛ فقد أشارت إحدى الحجج إلى أن محمد بن إبراهيم الصافوطي وإبراهيم الدرويش مباشرين على قرية قاقون^(١٩٤) الجارية في أوقاف التكية العامرة، وزراع القرية من أهالي قرية شويكة^(١٩٥)، وكان كل منهما يتقاضى نصف مد حنطة ونصف شعير عن فدان^(١٩٦).

وعين الأمير ناصر الدين بن محمد بن خليل السيفي دلغادر المالكي، رجلاً مباشراً على الأوقاف التي حبسها على المدرسة الغادرية^(١٩٧) وخصص له ثلاثين درهماً في كل شهر، وحدد مهمته في أن يحصل غلال الوقف ويصرفها^(١٩٨).

(١٩١) س. ش، س ١٥١، ص ٥٤ (١٥ محرم ١٠٦٦هـ / ١٥ تشرين الأول ١٦٥٥م).

(١٩٢) صابان، صرة أهل القدس، ص ٦، ٧.

(١٩٣) دفتر ١٢١، ص ٣٠٧.

(١٩٤) قاقون: من قرى طولكرم إلى الشمال الغربي منها. الدباغ، بلادنا، ج ٢، قسم ٢، في الديار النابلسية (٢) ص ٢٣٧-٢٤٠.

(١٩٥) شويكة: من قرى طولكرم إلى الشمال منها. الدباغ، بلادنا، ج ٢، قسم ٢، في الديار النابلسية (٢) ص ٢١٣-٢١٦.

(١٩٦) س. ش، س ٦٧، ص ١٩٢ (٨ جمادى الثاني ٩٩٦هـ / ٥ أيار ١٥٨٨م).

(١٩٧) المدرسة الغادرية: أنشأتها مصر خاتون سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م ووقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر سنة ٨٤٦هـ / ١٤٣٢م على الأتراك المتجولين وغيرهم من الأتراك في القدس. اليعقوب، ج ٢، ناحية، ص ٣٣٩.

(١٩٨) س. ش، س ٢٤، ص ٤٠٦، ٤٠٧ (ربيع الأول ٩٥٨هـ / آذار ١٥٥١م).

ولعل الأوقاف الواسعة والمنتشرة في مناطق عديدة كان يشرف عليها أكثر من مباشر، فوفقاً لما ذكره مجير الدين الحنبلي، فإن القاضي زين الدين محمود بن بدر الدين حسن بن البريك بك الحنفي، كان من أعيان المباشرين على أوقاف المسجد الأقصى^(١٩٩).

١٣. الشاد

أطلقت لفظة الشاد ابتداءً على رئيس الورشة، أو رئيس الجند الذي يراقب الجند ويحثهم على العمل. ثم أصبحت تطلق على الموظف الذي يراقب الفلاحين العاملين في أراضي الوقف ويحثهم على العمل^(٢٠٠).

وقد أشارت حجتا وقف من العصر المملوكي إلى وظيفة الشاد، فالأشرف قايتباي عين شاداً للإشراف على الأوقاف التي حبسها على المدرسة الأشرفية، وجعل له مائة درهماً شهرياً^(٢٠١). كما عين جوهراً القنباي شاداً على أوقاف مدرسته، وجعل له أربعين درهماً ونصف رطل من الخبز في كل شهر^(٢٠٢).

١٤. المشاركة

ذكرت السجلات الشرعية هذه الوظيفة، ولكنها لم توضح عمل متوليها، فقد تنازل الشيخ حسين بن مصطفى لولي الدين بن جماعة عن نصف وظيفة المشاركة بالبيمارستان الصلاحي، بما لها من المعلوم وقدره عثمانى في كل يوم^(٢٠٣)؛ وكذلك عندما قرر الحاكم الشرعي الحاج مصطفى بن محمد أفندي أبو السعود في ربيع عثمانى عن وظيفة المشاركة بالجامع الكائن بالقدس في محلة اليهود^(٢٠٤). كما ذكرت عندما وقف الحاج داود بن عبد الله مصحفاً يوضع في الصخرة، وجعل النظر للشيخ محمد الخليلي بمشاركة الشيخ محمد شيخ الحرم^(٢٠٥).

(١٩٩) الحنبلي، الأئس، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٢٠٠) صابان، المعجم، ص ١٢٣.

(٢٠١) س. ش، س ١٠٨، ص ١١١.

(٢٠٢) مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، ملف (٤/٧٠١٣/١٣/٨٤٣) (١٣/٨٤٣هـ/١٤٣٩م).

(٢٠٣) س. ش، س ٧٢، ص ٢٧٥ (١٣ جمادى الثاني ٩٩٩هـ/ ١١ آذار ١٥٩١م).

(٢٠٤) س. ش، س ٢٨٢، ص ٥٩ (٩ جمادى الثاني ١٢١٥هـ/ ٢٩ تشرين الأول ١٨٠٠م).

(٢٠٥) س. ش، س ٧٢، ص ٤٧٢ (غرة ربيع الأول ٩٩٩هـ/ أواخر كانون الأول ١٥٩٠م).

دور نظام الوقف في مدارس بيت المقدس مطلع العهد العثماني

أ.د. هند غسان أبو الشعر*

مدخل

فتحت الدراسات الحديثة في العقود الثلاثة الماضية، أرشيف بيت المقدس في العهد العثماني، ونشرت مجموعة جيدة من الدراسات، تستند إلى سجلات المحاكم الشرعية، وتزامنت هذه الدراسات مع جهود مميزة لنشر السجلات العثمانية مترجمة ومحققة، فضلاً عن الجهود الجيدة لفهرسة السجلات ونشر هذه الفهارس، وقد انعكس هذا على طبيعة الدراسات المنشورة في العقد الأخير كماً ونوعاً، ومع هذا، فما زالت الدراسات التي تتناول بيت المقدس قليلة قياساً بحجم المصادر المتوافرة، سواء في الأرشيف العثماني أم في المكتبات المقدسية، ونأمل أن تلتزم أقسام الدراسات العليا في الجامعات العربية، ومراكز البحوث العربية بالعمل على دراسة أحوال المدينة المقدسة بالمنهجية المطلوبة، فالمصادر متوافرة، والجامعات العربية تضم الإمكانيات المادية والبشرية المناسبة، ومستقبل المدينة المقدسة مرهون بنا.

تقوم هذه الورقة على المصادر الآتية:

١- سجلات المحاكم الشرعية المقدسية، وقد اخترنا أقدم سجل شرعي في مطلع العهد العثماني ورقمه (١) ويعود للسنوات ٩٣٦ للهجرة/١٥٢٠م، و٩٣٨ للهجرة/١٥٢١م، وهو من محفوظات مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية.

* جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ/الأردن.

٢- دفتر تحرير مفصل لواء صفد وغزة والقدس الشريف (دفتر رقم ٤٢٧)
العائد لسنوات ٩٣٢ - ٩٣٤ للهجرة / ١٥٢٥ - ١٥٢٨ م، تحقيق ودراسة ونشر
الأساتذة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، عمّان، ١٤٢٦ للهجرة/
٢٠٠٥ م.

٢- دفتر أوقاف القدس الشريفة وغزة ورملة رقم ٦٠٢، نسخة محفوظة في مركز
الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، العائد لمطلع العهد العثماني.

٤- دفتر أوقاف وأملاك قدس شريف رقم ٣٤٢ (اس) دفتر أوقاف وأملاك در
لواء قدس شريف، نسخة محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة
الأردنية، العائد لمطلع العهد العثماني.

٥- سجل محكمة القدس الشرعية رقم ١٥٠ العائد للسنوات ١٠٤٥-١٠٦٥
لهجرة / ١٦٥٥-١٦٥٤ م.

٦- مصادر المرحلة وعلى رأسها الكتاب الموسوعي «الأنس الجليل بتاريخ القدس
والخليل» لمجير الدين العليمي الحنبلي (ت سنة ٩٧٢ للهجرة / ١٥٢٠ - ١٥٢١ م).

وقبل تناول موضوع الدراسة، نشير إلى الملحوظات الآتية:

أولاً: جاء اختيار هذا الموضوع تأكيداً على الصلة الوثيقة بين نظام الوقف والحركة
التعليمية في بيت المقدس، بدءاً بالعهد الأيوبي، وانتقالاً للعهد المملوكي، ووصولاً إلى
الفترة التي اخترنا تناولها مطلع العهد العثماني، هذه العهود التاريخية تتداخل فيها
الأوقاف، ولا بد لمن أراد دراسة حال الوقف مطلع العهد العثماني من البحث في أصولها
في العهدين الأيوبي والمملوكي وخاصة في المدارس.

ثانياً: تتوافر مجموعة جيدة من المصادر المباشرة التي تناولت مدارس بيت
المقدس ووثقتها، بعضها رسمي، يسجل الوقف ومصادره، وهو محفوظ في الأرشيف
العثماني سواء في سجلات المحاكم الشرعية المقدسية، أم في سجلات الأوقاف،
فضلاً عن المصنفات المعاصرة التي ترفد المصدر الرسمي وتعززه، ومنها كتاب الأنس
الجليل لمجير الدين العليمي (ت سنة ٩٢٨ للهجرة / ١٥٢٠ / ١٥٢١ م) الذي عاصر

وأواخر العهد المملوكي ومطلع العهد العثماني، وكتاب المدارس في المدارس للنعيمي (ت سنة ٩٢٧ للهجرة/١٥٢٠م) الذي رصد حركة التعليم في دمشق تحديداً في أواخر العهد المملوكي.

ثالثاً: قامت الإدارة العثمانية بتسجيل الأوقاف وحفظها في سجلات التحرير وفي سجلات خاصة بالوقف في كل بلاد الشام، وتحديداً في دمشق وبيت المقدس، وسجلوا في الحجج الشرعية كتب الوقف العائدة للعهدين الأيوبي والمملوكي، وحفظوا بذلك أصول الكتب الوقفية التي فقدت مع الزمن من أيدي أصحابها، لذا تعتبر الحجج الشرعية في العهد العثماني مصدراً لأوقاف العهدين الأيوبي والمملوكي.

رابعاً: قام نظام الوقف بدور كبير في إنشاء المدارس وتوفير الإيرادات المالية ورعاية العملية التعليمية والتربوية بديلاً عن الأجهزة الرسمية للدولة، وقد حقق الواقفون حالة من الاستقلال في مؤسساتهم التي قاموا عليها ورفدوها بالمرافق التي تتولى الإنفاق على أهل العلم، لتحصيله واستمرار ديمومته، وهذا يؤكد على أن الأوقاف التي تدر المردود السنوي أو الشهري هي مصدر الحياة التعليمية.

خامساً: تمثل كتب الوقف التي حفظتها حجج المحاكم الشرعية المصدر الثمين لقراءة نصوص الوقفية، وشروط الواقف، وطبيعة الأوقاف الموقوفة على المدارس، وحجم إيراداتها، وعدد الدارسين، وعدد الشيوخ والمدرسين والمعيدين والموظفين، ومرافق المدرسة وتفاصيل الحياة التعليمية التي اعتاد الواقف على تحديدها، والكتب الموقوفة، والكتب التي تدرس، والرواتب التي يخصصها الواقف للمتعلمين والشيوخ والمعيدين والموظفين، وكل هذه المعلومات تغني الدراسة، وتضع أمام الدارس إمكانية مقارنة حال المدارس، ثم مقارنة كتب الوقف وشروطها ومدى الالتزام بتطبيقها.

سادساً: تعطى مجموعة المصادر المعاصرة فرصة ثمينة للاستزادة والبحث، ومنها كتب التراجم التي تقدم الصورة المباشرة للفقهاء والقضاة والمصنفين من العاملين في هذه المدارس، وكتب الرحلات التي حرص أصحابها عند زيارة بيت المقدس على زيارة المدارس فيها ووصفها، وبسبب تعاقب الرحلات، يمكن للدارس أن يطل على التطور والتبدل الذي عاشته دور العلم المقدسية، فضلاً عن المصادر التي تدرس المدارس في بلاد الشام وتبادل الفقهاء والمدرسين والشيوخ.

سابعاً: تعددت الفئات التي قامت على إنشاء الأوقاف، وكانت بداية تنظيم الأوقاف في ديوان في العصر الأموي، حين تم إنشاء ديوان خاص يشرف على الأوقاف ويسجلها ويضبطها في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (ت سنة ٨٧ للهجرة / ٧٠٥ م)^(١)، وعهد الخليفة للقاضي توبة بن نمر بن حوئل الحضرمي بالإشراف عليه^(٢)، فعمل على حفظ أصول الوقف، وقبض ريعها لصرفها حسب شروط الواقف، وهي إشارة إلى الحاجة لضبط الأوقاف بسبب تزايدها وتعددتها، وقد استمر نمو ظاهرة الوقف في العصور الإسلامية اللاحقة من عباسيين وفاطميين وزنكيين، وتعددت معهم مؤسسات الرعاية والخدمات، ما بين رعاية الفقراء وإعانة أبناء السبيل والمرضى وفك الأسرى، ومساعدة غير القادرين على الحج، وتوفير دور العلم والمدارس، وهذا يعني أن الأوقاف تطورت تبعاً لتطور المجتمعات الإسلامية، لكنها بالتأكيد ارتبطت بالحياة الدينية، واتسعت لتصبح ظاهرة أساسية في المجتمع أيام الأيوبيين لأسباب مذهبية وأمنية، وتعمقت في العهدين المملوكي والعثماني وهو موضوع بحثنا.

ثامناً: يبدو أن النقلة الحقيقية التي ربطت التعليم بالوقف، كانت مع نشوء المدارس النظامية، ورغم أن السمة المذهبية غلبت على العاملين والدارسين فيها، فكانوا على المذهب الشافعي حسبما اشترط الواقف، لكن القرار الجريء الذي اتخذه الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد بإنشاء المدرسة المستنصرية عام ٦٣١ للهجرة/١٢٣٣ م، ووقفها على المذاهب الأربعة، ألغى النموذج التقليدي في المدارس التي عرفت الفترات السابقة، والتي كان الواقف يشترط فيها مذهب المدرسة والمدرسين والدارسين^(٣)، لكن خطوة الخليفة المستنصر بالله لا تعني تخلي الواقفين عن شروطهم

(١) الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف ت سنة ٣٥٥ للهجرة / ٩٦٥ م) الولاية والقضاة، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، الطبعة الأولى، سنة ١٩٠٨ م، وسيُشار إليه لاحقاً: الكندي، الولاية، انظر ص ٣٤٦.

(٢) راجع بشأن ترجمة القاضي ثوبة: الرازي (أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ت سنة ٣٢٧ للهجرة / ٩٣٨ م) الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ نشر (ج ١ - ج ٢) وسيُشار إليه لاحقاً: الرازي، الجرح، انظر ج ٢، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٥ م، طبعة ثانية، وسيُشار إليه: معروف، تاريخ علماء انظر ص ١٢، وانظر: عماد عبد السلام، مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد، دار البصري، سنة ١٩٦٦ م، وسيُشار إليه لاحقاً: عبد السلام، مدارس بغداد، ص ١٣ و ص ٢٥.

في اختيار مذهب مدارسهم الوقفية أو تجاوزها، فقد أصبحت المدارس في العهد الأيوبي الوسيلة الرسمية لتخذيّل الشيعة الإسماعيلية مع سقوط الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وإحلال المذهب الشافعي محل الإسماعيلية بمكاتبها ودعاتها ومؤسّساتها^(٤).

تاسعاً: علينا أن نميز بين مؤسّسات الدولة والسلطين في دراستنا لظاهرة المدارس الموقوفة، وتعزيز ظاهرة الوقف على التعليم، فمؤسّسات الدولة لم تقم بدورها في إنشاء المدارس والإنفاق عليها، منذ العهد الراشدي وحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، في حين قام السلطين وأصحاب المناصب والوظائف بهذا الدور سواء أكانوا رجالاً أم نساء، وعلى الأخص في العهدين الأيوبي والمملوكي ووصولاً للعهد العثماني.

عاشراً: يجب التمييز بين حجم الأوقاف التي يقوم عليها السلطين وأصحاب السطوة والجاه، وبين أوقاف المدارس التي يقوم عليها الأفراد، مهما كان اقتدارهم، وهذا يؤشّر على استمرار وديمومة الوقف، وعند متابعتنا للمدارس التي عمرت زمنّاً طويلاً في القدس، وجدناها من أوقاف السلطين والأمراء، التي أوقفوا عليها قرى ومطاحن وحوانيت وقيساريات وأراض وكروم وأشجار مثمرة ومصابن ومعاصر وبرك وبساتين وحواكير وحمّامات وأفران واصطبيلات ومزارع، بعضها في حدود بيت المقدس والبعض الآخر موزعة في بلاد الشام أو في مصر.

(٤) راجع بخصوص السلطان صلاح الدين الأيوبي المصادر الآتية: ابن شداد (بهاء الدين ت سنة ٦٣٢ للهجرة / ١٢٢٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد ابيش، دمشق، ٢٠٠٠ م، وسيّشار إليه لاحقاً: ابن شداد، النوادر وانظر أيضاً: أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ت سنة ٦٦٥ للهجرة / ١٢٦٦م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج ١ - ٤) دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت. ن) وسيّشار إليه لاحقاً: أبو شامة، الروضتين، وراجع أيضاً: ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم، ت سنة ٦٩٧ للهجرة / ١٢٩٨ م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (ج ١ - ٥) حققه ووضع حواشيه حسنين محمد ربيع، راجعه وقدم له سعيد عاشور وسيّشار إليه لاحقاً: ابن واصل، مفرج الكروب وراجع أخيراً: الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيّيك (ت سنة ٧١١ للهجرة / ١٣١١ م) الدر المطلب في أخبار ملوك بني أيوب (ج ٧ من: كنز الدرر وجامع الغرر) حققه سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢ م، وسيّشار إليه لاحقاً: الدواداري، الدر المطلب.

حادي عشر: أدت النساء دورًا مؤثرًا في حركة الوقف، فقد كانت أميرات العائلة الأيوبية من أكثر السيدات الواقفات على المدارس في بلاد الشام، وتحديدًا في دمشق، وهن «الخواتين ذوات الأقدار» في اصطلاح ذلك العصر^(٥)، وعندما خضعت بلاد الشام ومنها بيت المقدس للحكم العثماني، أوقفت النساء الروميات اللواتي أقمن بدمشق أو بيت المقدس أوقافًا معلومة ومشهورة في مطلع العهد العثماني.

ثاني عشر: تفاوتت شروط الحجج الوقفية تبعًا للمرحلة التي تم فيها الوقف، لكن معظم الوقفيات اشترطت تخصيص جزء من ريع الوقف لعمارة الوقف وصيانته على يد الناظر المكلف، كما كان يتم تحديد مخصصات لشراء الكتب أو الأثاث أو الشموع والزيوت للإضاءة وشراء الحصر وغيرها من الحاجات اليومية للمقيمين في المدارس.

ثالث عشر: تؤرخ مصادر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي في بلاد الشام حالة من الاعتداء على موارد الوقف من قبل المشرفين عليها، وخاصة في الفترة الواقعة بين سقوط الدولة المملوكية الثانية واستيلاء العثمانيين على بلاد الشام، وكان القضاة والنظار هم الفئة التي تدير الأوقاف التابعة للمدارس، وهم الذين أشارت إليهم أصابع الاتهام بالتعدي على أموال الوقف ومصادرتها لمصالحهم، وتبين مصادر المرحلة تكرار إرسال السلاطين المماليك في أواخر أيام الدولة لخاصكية يدققون على الأوقاف، ويحاسبون النظار والقضاة عن موارد أوقافهم، وهي ظاهرة تلفت النظر، وقد تحولت بعض الأوقاف إلى حالة الملك أو الإقطاع، وفقدت شروط بعض الواقفين بسبب تهاون النظار وغالبيتهم من القضاة الذين لاحقتهم السلطة واستدعتهم إلى القاهرة للتحقق من الشكاوى بحقهم.

رابع عشر: تبين لنا من مراجعة دفاتر التحرير في الفترة العثمانية المبكرة أن الأوقاف الذرية كانت توازي الأوقاف الخيرية، ويبدو أن أهالي بيت المقدس عمدوا إلى تأييد ممتلكاتهم ووقفها لأسباب أمنية وحفاظًا على استمرار الملكية في ذرية المالك من الذكور، كما أن اللجوء إلى الوقف الخيري شمل المسلمين والمسيحيين على حد سواء

(٥) ابن جبير (محمد بن أحمد، ت سنة ٦١٤ للهجرة / ١٢١٧م) رحلة ابن جبير، دار الشرق العربي، بيروت، د. ن، وسيُشار إليه لاحقًا: ابن جبير، الرحلة. انظر ص ٢١٣.

وخاصة بين الرهبان وبعضهم من طائفة الكرج أو الأرمن، وكان نص الوقفيات الخيرية عادة على الحرمين الشريفين وفقراء بيت المقدس أو فقراء مكة، ولم نعثر على أي وقفية خيرية تنص على وقف المال الخاص لمدرسة في القدس.

تقودنا هذه الملحوظات العامة إلى قراءة واقع حال أوقاف المدارس في مطلع العهد العثماني من مصادر المرحلة ومقارنتها، لملاحظة التطابق أو الاختلاف بين المصدر الرسمي الذي تمثله سجلات التحرير، وسجلات المحاكم الشرعية التي تعتبر الصورة الواقعية لأحداث المرحلة، وبين ما دونته المصادر ورصدته لواقع الأوقاف على مدارس القدس في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

أوقاف مدارس القدس كما أوردها دفتر أوقاف القدس الشريف وغزة والرملة
حرص العثمانيون على تسجيل الأوقاف في سجل خاص، وتوثق مادة السجل لواقع حال المدارس وأوقافها وما تدره هذه الأوقاف على المدارس، حيث ورد فيه أوقاف المدارس الآتية:

١- وقف أصبهان شاه خاتون بنت الأمير محمود على المدرسة العثمانية، تاريخ الوقفية سنة ٨٤٤ للهجرة:

قرية كفر قرع تابع نابلس وحاصلها ٣٤٠٠^(٦).

٢- وقف المدرسة الطازية في باب السلسلة: قرية منبه تابع صنف حاصلها تماماً، وحاصل دكان مع فرن خباز في القرية المذكورة، وحاصل طاحونة في القرية عينها.^(٧)

٣- وقف المدرسة الطيلونية فوق سور الصخرة المسجل سنة ٨٨١ للهجرة:^(٨)
قطعة أرض تعرف ببيت ريمه في الأرض المذكورة وحاصلها ٢٥٠ أقبه، وقطعة أرض تعرف بمرج الذياب (أو الذباب) في القرية المذكورة كاملاً، وقطعة أرض تعرف ببيت نوري في أرض قرية صور باهر في القدس الشريف وحاصلها ٢٠٠ أقبه.

(٦) دفتر أوقاف القدس الشريف وغزة والرملة رقم ٦٠٢، رقم ٨، وسنشير اعتباراً من هذا الهامش إلى أرقام الأوقاف كما وردت في الدفتر وليس إلى الصفحات.

(٧) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ١٥.

(٨) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ١٨.

٤- وقف السلطان قايتباي على مدرسته بالقدس الشريف وتاريخ الوقفية سنة ٨٧٧ للهجرة: (٩)

- قرية بشرة التابعة لغزة وحاصلها ٣٠٠٠٠ أقبه تماماً.
- قرية نحالين التابعة لغزة ٢ قراريط و ١٠ قيراط ٣٠٠ أقبه.
- قرية بربير تابع للمزبور ١٠ قراريط ١٤٢٤ أقبه.
- قرية جولس تابعه للمزبور ٥ قراريط ٦١٥ أقبه.
- قرية دمر النجد التابعة للمزبور ١ ونصف قيراط ٨٦٧ أقبه.
- قرية حي قيفا تابع للمزبور ٢١ ونصف قيراط حاصل ٢٨٥ أقبه.
- قرية بيت عفا تابع المزبور ١٨ قيراط ٣٠٦ أقبه.
- قرية فطرا تابعة للمزبور ٢ قيراط وثلثي القيراط ٩٦٠ أقبه.
- قرية المنشية تابعة للمزبور ١٨ قيراط ٣٤٣ أقبه.
- مزرعة سهيلة تابعة للمزبور ١٨ قيراط ٤٦ أقبه.
- مزرعة قرط السيل تابعة للمزبور ٣ ونصف قيراط.
- قرية دوير تابعة للمزبور ٣ قيراط.
- قرية اخصاص عجلان تابعة للمزبور ٨ قيراط ٧٨٩ أقبه.
- قرية جهين تابعة للمزبور ١ ونصف قيراط ٢٥٦ أقبه.
- قرية خرشا تابعة للمزبور ٨ قيراط ١٤٥٦ أقبه.
- مزرعة ماهيل تابعة للمزبور ٦ قيراط ٦٦٦ أقبه.
- قرية عين دير غافر تابعة للمزبور ٥ ونصف قيراط ٢١٤٥ أقبه.
- قرية عجز الرأس تابعة للمزبور ٦ قيراط ١٣٥٠ أقبه.
- قرية عراق أبوخوان تابعة للمزبور ٤ ونصف قيراط ٩٤٤ أقبه.
- مزرعة أرزن تابعة للمزبور ٢ قيراط ١٠٩ أقبه.

(٩) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٢٤، والمزبور مصطلح متداول آنذاك من السجلات وتعنى (المذكور).

- قرية جديدة تابعة للمزبور ٣ قيراط.
- قرية سكرية القاضي تابعة للمزبور ٤ قيراط ١٠١٤ أقيجه.
- قرية زيتا الحرادين تابعة للمزبور ٦ قيراط ٤٠٠٠ أقيجه.
- قرية شمشم تابعة للمزبور ١٢ قيراط ١٠٣٦ أقيجه.
- قرية سنافرة تابعة للمزبور.
- قرية المنصورة تابعة للمزبور.
- قطعة أرض تعرف بمارس عطا تماماً حاصل ٥٠٠ أقيجه.
- قطعة أرض تعرف بالسابورة ١٢ قيراط حاصل ٥٠٠ أقيجه.
- مزرعة القابون تابعة للمزبور ٢ قيراط ١٠٨ أقيجه.
- مزرعة بينله تابعة للمزبور ٩ قيراط تماماً.
- قرية بيت دجن تابع للرملة ٢ قيراط ١٣٢٣ أقيجه.
- قرية النجمة تابع القدس ٤ قيراط ١٦٧ أقيجه.
- قرية ماجد تابع سواد تماماً.
- مزرعة منجل تابع غزة ٣ قيراط ٢٨ أقيجه.
- مزرعة جبين تابع المزبور ١٣ أقيجه.
- أرض المنخز من نابلوس ١١ قيراط.
- قرية بليس تابع الرملة ٦ قيراط.
- الخان والحوانيت الثمانية بظاهر غزة تعرف بسوق التركمان بخط دار الوكالة.
- حمام النوبجي في محلة سوق التركمان قرب المدرسة بغزة.
- دكاكين بسوق الغنم بظاهر غزة تجاه المدرسة الباسطية.
- المعصرة في ظاهر غزة بخط الخضرية تماماً.
- دكان معشر القمح بجوار سوق الغنم.
- قاعات ٣ أبواب في حارة التركمان بجوار الفرن.

- القاعة الكائنة بظاهر غزة بالخط المذكور.
- قاعتان بجوار الخان وتعرف بسوق التركمان.
- قاعة بجوار المذكور والطاحون بسوق التركمان وغراس يعرف الآن بكرم الصفر في غزة.
- الفرن والطاحونة في سوق التركمان.
- غراس الكرم ويعرف بكرك الفضالة بظاهر غزة.
- ٥ - وقف الأمير منجك على مدرسته وتاريخ الوقفية سنة ٧٧٣ للهجرة: ^(١٠)
 - حمام أرض وبناء في مدينة صنف تعرف قلعتها قديماً والآن جديدة تماماً.
 - الحوانيت المعروفة بالوكالة في القدس الشريف بثلاثة أبواب.
 - قاعة برأس عقبة الحرافيش في القدس قيراط واحد فقط.
- ٦ - وقف الملك المعظم عيسى بن أيوب على المدرسة وتاريخ الوقفية سنة ٦٠٦ للهجرة: ^(١١)
 - قرية بتير تابعة للقدس الشريف تماماً حاصل ٢٥٠٠ أقة.
 - مزرعة دير سلام تابعة للمزبور ١٣٢٠ أقة.
 - مزرعة عمار السفلى تابعة للمزبور تماماً وحاصل ٢٠٠٠ أقة.
- ٧ - وقف المدرسة المزهرية في القدس الشريف: ^(١٢)
 - قرية بيت ساحور الوادي تابعة للقدس الشريف ١٢ قيراط ١٢٥٠ أقة.
 - بستان بني سعد وأراضيه.
- ٨ - وقف السلطان الملك الناصر يوسف بن أيوب على مدرسته بالقدس الشريف: ^(١٣)
 - أرض تعرف بالجثمانية وتوابعها تماماً.
 - قرية عين سلوان تابعة للمزبور تماماً حاصل ٦٠٠٠ أقة.
 - حمام في باب الأسباط في القدس الشريف في السنة ٦٩٦ أقة.
 - فرن في محلة باب الحطة في سنة ١٤٤٠ أقة.

(١٠) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٤٠.

(١١) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٤٢.

(١٢) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٤٥.

(١٣) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٤٨.

- دكاكين في سوق العطارين ٨١ باباً في سنة ٤٣٣٤ أقيجه.
 - الدكان المعروف بخط دوار ١٢ قيراط في سنة ٢٤ أقيجه.
 - سوقية باب الحطة ١٢ باباً في السنة ٣٥٩ أقيجه.
 - الدور المتفرقة في القدس الشريف ١٢ باباً في السنة ٣٥٠ أقيجه.
 - القاعات في القدس الشريف ١٥ باباً في السنة ٢٥٨ أقيجه.
 - خان في باب الحطة في السنة ٢٦ أقيجه.
 - بستان بير أيوب.
 - بستان صنف في باب الحطة.
 - بستان الجورة في باب المغاربة في القدس الشريف في السنة ٢٤٠ أقيجه.
 - مزرعة قصطال تابعة للمزبور.
 - قرية تاليا تابعة للقدس الشريف ٨ قيراط ٢٣٢٨ أقيجه.
- ٩- وقف مدرسة حسام الدين أبي محمد الحسن بن الناصري محمد نائب القدس
وتاريخ الوقفية في السنة ٨٣٨ أقيجه: (١٤)
- قرية عصيرة تابع نابلوس ١٢ قيراط ٢٠٠٣ ونصف أقيجه.
 - قرية أم طوبى تابعة للقدس ٨ قيراط ١١٤٨ أقيجه.
 - مزرعة مالحة الكبرى تابعة للمزبور تماماً حاصل ٢٠٠٠ أقيجه.
- ١٠- وقف الأمير دنكز على مدرسته في باب السلسلة ورباط النساء، تاريخ نسخة كتاب
الوقف في سنة ٧٣٠ للهجرة: (١٥)
- حمام في باب القطنين يعرف بحمام عين في سنة ١١٩٥٢ أقيجه، منها لجهة
المسجد الأقصى ٥٩٧٦ أقيجه.
 - حمام محاكرة صغير جوار المزبور في سنة ٢٤ أقيجه.

(١٤) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٥٨.

(١٥) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٦٩.

- قرية عين قينه تابعة للقدس ٨ قيراط ٢٨٤ أقبه.
- دكاكين بجوار المدرسة وسوق القطنين ١٢ باباً في السنة ٢٢٢ أقبه.
- مخازن في درج العين.
- بيوت الحمام أرضاً وبناء في مدينة الرملة في السنة ٧٢٢ أقبه.
- دكاكين في مدينة غزة أرضاً وبناء ٢١ باب.
- ١١- وقف المدرسة المالكية المعروفة بالقبة تاريخ سجل المحضر ٧٧٠ للهجرة: (١٦)
- دكاكين جوار الزردخانه ١٢ قيراط في السنة ٥٠٠ أقبه.
- ١٢- وقف مدرسة البدري لولو غازي مع زاويته ورباطه في القدس الشريف وتاريخ الوقفية سنة ٧٧٥ للهجرة: (١٧)
- قرية بيت ساوير تابعة للقدس وحاصل ١٠٠٠ أقبه.
- أوقاف مدارس القدس الشريف حسب دفتر أوقاف وأملاك القدس الشريف رقم ٣٤٢ (اس)
- يمكننا رصد أوقاف مدارس القدس بدقة من خلال هذا السجل المبكر، ومقارنته بما أورده سجل الوقف السابق، لمتابعة واقع حال أوقاف المدارس بعد مرور نصف قرن على الحكم العثماني، وفيما يأتي توثيق لهذه المادة التي تؤرخ لواقع حال الأوقاف على مدارس القدس:
- ١- وقف المدرسة المعظمية الحنفية في القدس الشريف:
- قرية بتير التابعة للقدس الشريف تماماً حاصل ١٨٠٢ أقبه. (١٨)
- قرية عرار الفوق تابعة تماماً ١٠٠٠٠ أقبه.
- قرية عرار السفلى تابعة تماماً للمزبور ٢٩٢٠ أقبه.
- قرية دير السلام تابعة للمزبور تماماً ١٢٢٠ أقبه.
- مزرعة دير السلام تابعة للمزبور تماماً حاصل ٢٥٠ أقبه.

(١٦) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٧٧.

(١٧) دفتر أوقاف ٦٠٢، رقم ٨٩.

(١٨) دفتر أوقاف وأملاك القدس رقم ٣٤٢ (اس) وسنشير إلى رقم الوقف في دفتر فقط دون الصفحة،

انظر رقم ١٩.

٢- وقف المدرسة الملكية في القدس الشريف: (١٩)

- قرية دير بزاع تابعة للمزبور تماماً وحاصل ٣١٠٠ أقبه.

٣- وقف المدرسة الحسنية في القدس الشريف: (٢٠)

- قرية دير دبان تابعة للقدس الشريف حصة ١٢ قيراط ٦٥٠٠ أقبه.

- قرية أم طوبى تابعة للمزبور حصة ٨ قيراط ٢٥٠٠ أقبه.

- قرية عين تابعة للمزبور حصة ١٦ قيراط ٣٢٥٣ أقبه.

- قرية طيبة الاسم النصرى تابعة للمزبور حصة ٦ قيراط ٥٠٧٢ أقبه.

- مزرعة المالحه الكبرى تابعة للمزبور تماماً حصل ٢٠٠٠ أقبه.

- قرية عصيرة الشامي تابعة جبل الشامي في نابلس حاصل ١٢٠٠ أقبه.

٤- وقف مدرسة البدرى لؤلؤ مع زاويته ورباطه في القدس الشريف: (٢١)

- قرية بيت ساور تابعة للقدس الشريف تماماً حاصل ٣٢٤٠ أقبه.

٥ - وقف المدرسة المزهرية في القدس الشريف: (٢٢)

- مزرعة خان بني سعد واسمها الآخر مزرعة الإفرنج تابعة للقدس الشريف حصة ٨ قيراط ٢٠٠ أقبه.

- قطعة أرض حيران ظاهر القدس الشريف حصة ٨ قيراط ١٢١٢ أقبه.

- قرية بيت ساحور الوادي تابعة لناحية القدس الشريف حصة ١٢ قيراط ١٨٨٥ أقبه.

(١٩) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١٠.

(٢٠) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١١.

(٢١) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١٢.

(٢٢) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ٤.

٦ - وقف السلطان الملك الناصر يوسف بن أيوب على مدرسته في القدس الشريف: (٢٣)

- قطعة أرض الجثمانية وتوابعها تماماً حصل ١٥٠٠ أوجه.
- قرية عين سلوان تابع للقدس الشريف حاصل ١٢٧٩٠ أوجه.
- حمام في باب الأسباط في القدس الشريف في سنة ٧٦٠٠ أوجه.
- فرن في محلة باب الحطة ثمان في سنة ٢٠٠ أوجه.
- دكاكين في سوق العطارين ٨١ باباً في سنة ٧١٠٠ أوجه.
- الدكان المعروف بخط داود في سنة ٣٠ أوجه.
- سوقية باب الحطة ١٢ باباً في سنة ٤١٤ أوجه.
- الدور المتفرقة في القدس الشريف ١٢ باباً في سنة ١٠٠٠ أوجه.
- القاعات في نفس القدس الشريف ١٥ باباً في سنة ١٠٠٠ أوجه.
- خان في باب الحطة.
- بستان بني أيوب تماماً في سنة ١٢٠ أوجه.
- بستان صغير في باب الحطة تماماً في سنة ٢٠٠ أوجه.
- مزرعة قسطال تابع للقدس الشريف تماماً في سنة ٥٠٠ أوجه.
- بستان الجورة في باب المغاربة في القدس الشريف تماماً في سنة ٥٠٠ أوجه.
- قرية نعليا تابع خليل الرحمن حصة ٨ قيراط (خراب).
- طاحون في محلة باب الحطة تماماً في السنة ١٠٦٠ أوجه.

٧ - وقف الأمير منجك على مدرسته في القدس الشريف: (٢٤)

- حمام أرض وبناء في مدينة صنف قرب قلعتها قديماً والآن جديدة تماماً في سنة ٦٤٠٠ أوجه.

(٢٣) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ٧.

(٢٤) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ٨.

- الحوانيت وتعرف بالوكالة في القدس الشريف ٢ باب في سنة ١٣٠٠ أقيمه.
- قاعة رأس عقبة الحرافيش في القدس الشريف حصة قيراط واحد (خراب).
- حكر أرض حريقة العرب في القدس الشريف تعرف بأرض الواقف تماماً (خالي).
- قرية بيت صفا تابعة للقدس الشريف حصة ٦ قيراط وثلاث وعشر القيراط ٢٢٦٠ أقيمه.
- قطعة أرض تعرف بمنجك والربايح تابعة للقدس الشريف تماماً الحاصل مع خراج الكروم والأشجار ٢٥٠٠ أقيمه.

٨ - وقف المدرسة السلامية الكبرى في باب شرف الأنبياء في القدس الشريف: (٢٥)

- قرية جبعا البطيخ تابعة للقدس الشريف حصة ٤ قيراط ١٢٨٠ أقيمه.
- غراس أشجار بأرض الصلاحية في القدس الشريف.
- مزرعة بيت راس تابعة للمزبور حصة ١٦ قيراط ٥٨٠ أقيمه.
- مزرعة عداسا تابعة للمزبور حاصل ١٤٥٧ أقيمه تماماً.

٩ - وقف المدرسة الطيلونية في القدس الشريف: (٢٦)

- قرية بيت نوا تابع القدس الشريف تماماً حاصل ٣٥٨٠ أقيمه.
- قطعة أرض تعرف ببيت نوري تماماً حاصل ٣٥٠ أقيمه.
- قطعة أرض تعرف بمرج الذياب (الذبان) تابعة للمزبور حاصل ٢٠٠ أقيمه.
- قطعة أرض تعرف بخارجة وسوق الكبير حصة ١٢ قيراط ٣٧٠ أقيمه.

١٠ - وقف الأمير دنكز على مدرسته بباب السلسلة ورباط النساء في القدس الشريف: (٢٧)

- دكاكين في مدرسته ٩ أبواب.
- طبقتين مستحم علو درجة العنب...؟

(٢٥) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١٣.

(٢٦) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١٤.

(٢٧) دفتر أوقاف ٣٤٢ (اس) رقم ١٥.

- محاكرة ظهر الرباط.
- حكر خان بالقرب من الحمام المزبور ٢٤ أوجه، وطواحين ٣ باب ٩... ٩
- حكر أرض الدكاكين في باب السلسلة... أحمد بن نصوح... ٩
- ١١- وقف المدرسة المالكية المعروفة بالقبّة بحارة المغاربة بالقدس الشريف المعروف بالأقواس المتسعة المتلاصقة بالجدار القبلي من الزردخانة بالقدس الشريف.^(٢٨)
- ١٢- وقف المدرسة الزمنية في القدس الشريف على مصالح المدرسة:^(٢٩)
 - قرية بركة تابع نابلوس ١٢ قيراط.
 - قرية كفر سابا تابعة المزبور حصة ٧ فدان من ٧٤.
 - قرية جبلى تابعة المزبور حصة ١٦ قيراط.
 - قرية كفر قيس (ظ) تابعة الرملة حصة ٦ قيراط.
- ١٣ - وقف مدرسة ذو الغادرية في القدس الشريف:^(٣٠)
 - جميع الخان الكائن بالقدس الشريف بخط وادي الطواحين وستة حوانيت على باب الخان وأمامه من جهة القبلة.
 - جميع القيسارية ودار الوكالة والحوانيت الثلاثة والرابع الذي على ظهر الخان الكائن بالدخلة بخط الحلق.
 - الغراس الكائنة بالقدس الشريف بأرض وقف الصلاحية المشتملة على عنب وأشجار تين وغير ذلك بالقرب من كرم ابن مامولة (٩٠٠) ومهندس من جهة الغرب.
 - جميع الغراس المتلاصقة الكائنة بالقدس الشريف بأرض وقف الصلاحية بالوادي المعروف بقبر مريم، ويشتمل على أشجار مختلفة النوع وغير ذلك بالقرب من غراس عبد الملك الموصلي من القبلة.

(٢٨) دفتر أوقاف ٢٤٢ (اس) رقم ١٦.

(٢٩) دفتر أوقاف ٢٤٢ (اس) رقم ١٧.

(٣٠) دفتر أوقاف ٢٤٢ (اس) رقم ١٨.

١٤ - وقف عبد الغني الأسعدي جميع المدرسة الخانقاه الأسعدية الكائنة بالقدس الشريف على نفسه أيام حياته ثم من بعده ذريته ثم من بعد انقراض الذرية على جهة... تاريخ الوقفية سنة ٩٥٣ للهجرة والآن بيد الشيخ شمس الدين محمد الأسعدي من ذرية المزبور.^(٣١)

تمثل هذه المادة التوثيقية لسجلات الوقف العثمانية، محاولة الدولة لتسجيل الأوقاف ومتابعتها، وفيها ضبط للوقف الذري والوقف الخيري، وتضم تفاصيل لها دلالاتها، تقدم مادة ممتازة لواقع حال أوقاف المدارس في القدس، وتكشف عن تفاصيل الأوقاف على المدارس واتساعها، في القدس وجوارها من قرى ومزارع وقطع أراض، إلى مرافق متنوعة من طواحين ودكاكين وحوانيت، وفيها تفاصيل للقدس في مطلع العهد العثماني وللمرحلة اللاحقة، بعد استقرار الدولة العثمانية في بلاد الشام. وتكشف بعض التفاصيل حالات الخراب التي أصابت بعض مرافق الوقف، والتي وصفها السجل بأنها «خراب» أو «خالي». ولا بد من تنحس واقع الحال لمدارس بيت المقدس وأوقافها، بمقارنة ما جاءت فيه سجلات الأوقاف، بمصادر المرحلة والتي يمثلها العلمي أصدق تمثيل.

صورة مدارس القدس وأوقافها عند العلمي

يمكن تصنيف المادة التي وردت في «الأنس الجليل» بما يأتي:

أولاً: رصد وتوثيق مدارس القدس وموقعها من المسجد الأقصى المبارك والسور، وقد حرص العلمي على رؤية كتب وقف المدارس وتوثيق زمن وقفها، وتحديد حالها وأوقافها، كما حرص على رصد المادة المنقوشة على أبوابها إن وجدت، وتمثل مادة العلمي الوثيقة المباشرة لرجل مقدسي نعتمدها ونبني عليها.

ثانياً: التأريخ لمشايخ مدارس القدس ضمن تراجمه لأهالي القدس، وقد أفاض العلمي بترجمة مشايخ المدرسة الصلاحية، وهو ما يعطى الدارس صورة متكاملة لواقع حال المدارس في القدس والقائمين عليها.

ثالثاً: أفرد مادة ممتازة لمدارس مختارة وتوسع في التأريخ لها ووصفها بتفاصيل دقيقة يعتمد عليها، نظراً لموقعه ومصادقته ولأنه شاهد عيان وموثوق، وهي للمدرسة الصلاحية والمدرسة الأشرفية.

(٣١) دفتر أوقاف ٢٤٢ (اس) رقم ٦٩.

وسنجدول مادة العليمي التي رصدها لأوقاف المدارس حسب موقعها:

ملحوظات	أوقافها	زمن وقفها	موقعها	التسلسل واسم المدرسة
مجلد ٢ / ص ٣٢	بئر الورقة والحاكورة التي تقع قربها بظاهر المسجد عند الباب الشرقي وهي معروفة بحاكورة الفارسية	غير مذكور	جوار سور المسجد الأقصى	١- المدرسة الفارسية
مجلد ٢ / ص ٣٤		٦٠٤ للهجرة بناها الملك المعظم عيسى	على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب	٢- المدرسة النحوية
مجلد ٢ / ص ٣٤	وقفها عليها كتباً من جملتها «إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت»	وقفها على كراسة بخط ابن الخشاب وعلى ظهر الكراسة الوقف وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة ٦١٠ للهجرة	على برج باب الرحمة	٣- المدرسة الناصرية
مجلد ٢ / ص ٣٥	لم يذكرها العليمي	واقفها الأمير تنكز الناصري نائب الشام وهي بخط باب السلسلة وعلى باب المدرسة تاريخها في سنة ٧٢٩ للهجرة	تجاور المسجد والسور من جهة الغرب	٣- المدرسة التنكزية
		لم يذكرها العليمي وواقفها الأمير منكلي بغا الأحمدي نائب حلب (ت سنة ٧٨٢ للهجرة)	بياب السكينة بجوار باب السلسلة	٤- المدرسة البلدية
مجلد ٢ / ص ٣٥	سترد تفاصيل لاحقة لوصف المدرسة وأوقافها	بناها الأمير حسن الظاهري للملك الظاهر خشقدم وبعد وفاته أهداها للملك الأشرف قايتباي فأمر بهدمها وأعاد بناءها سنة ٨٠٥ للهجرة	داخل المسجد الأقصى الشريف بالقرب من باب السلسلة	٥- المدرسة الشرفية السلطانية الأشرفية

التسلسل واسم المدرسة	موقعها	زمن وقفها	أوقافها	ملحوظات
٦- المدرسة العثمانية	تقع بباب المتوضأ	واقفتها امرأة من أكابر الروم اسمها «أصفهان شاه خاتون وتدعى خانم» وعلى بابها تاريخها سنة ٨٤٠ للهجرة	عليها أوقاف ببلاد الروم وغيرها في هذه البلاد	مجلد ٢ / ص ٣٦
٧- المدرسة الخاتونية	بباب الحديد	واقفتها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية وتاريخ وقفها في ٥ ربيع الأول سنة ٧٥٥ للهجرة	أوقافها المزرعة المعروفة بظهر الجمل واشتهرت في عصرنا وقبله بباطن الجمل ووقفت عليها أصفهان شاه بنت الأمير فازان شاه وأكملت عمارتها في عام ٧٨٢ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٦
٨- المدرسة الأرغونية	باب الحديد مجاورة للصور من جهة الغرب	واقفها أرغون الكاملي نائب الشام وأكملت عمارتها بعد وفاة أرغون سنة ٧٥٩ للهجرة	لم يذكر أوقافها	مجلد ٢ / ص ٣٧
٩- المدرسة المزهريّة	باب الحديد تجاور الجامع من الغرب	واقفها المقر الزماني أبو بكر بن مزهر الأنصاري الشافعي صاحب دار الإنشاء بالديار المصرية وبعضها راكب على ظهر الأرغونية	عام ٨٨٥ للهجرة ولم يذكر العلمي أوقافها	مجلد ٢ / ص ٣٧
١٠- المدرسة الجوهريّة	بباب الحديد غربي المسجد	واقفها الصفوي جوهر زمام الأدر الشريفة	سنة الوقف ٨٤٤ للهجرة ولم يذكر أوقافها	مجلد ٢ / ص ٣٧
١١- المدرسة المنجكية	بباب الناظر غربي المسجد	واقفها الأمير منجك نائب الشام وهو مرسم عليه بالإقامة بالقدس الشريف	سنة ٧٦٢ للهجرة بناها لنفسه وأوقف عليها ورتب لها فقهاء وأرباب وظائف	مجلد ٢ / ص ٣٧ وقد درست آثارها زمن العلمي
١٢- المدرسة الجاولية	شمالي المسجد	واقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة وكان من أهل العلم وله مصنفات	لم يحدد زمن بنائها لكن واقفها توفي سنة ٧٤٥ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٨ وقد تحولت المدرسة أيام العلمي إلى سكن لنواب القدس
١٣- المدرسة الصببية	شمالي المسجد	واقفها الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصببية كان نائباً للقدس	لم يذكر العلمي سنة بنائها بالتحديد	مجلد ٢ / ص ٣٨

التسلسل واسم المدرسة	موقعها	زمن وقفها	أوقافها	ملحوظات
١٤ - المدرسة الإسعردية	شمالي المسجد	واقفها الخوaja مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر بن يوسف الإسعردى	لا يذكر أوقافها وتاريخ وقفها في العشرين من ربيع الأول سنة ٧٧٠ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٨
١٥ - المدرسة الملكية	شمالي المسجد	عمرها الحاج ملك الجوكندار في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١ للهجرة وقد رأى العلمي التاريخ مكتوب على حائطها القبلي فوق الرواق الشمالي بالمسجد الأقصى	واقفتها زوجة ملك وهي بنت السيفي قاطلقتشم الناصري وتاريخ وقفها سنة ٧٤٥ للهجرة ويبدو أنها عمرتها من مالها الخاص ولم يتم ذكر أوقافها.	مجلد ٢ / ص ٢٨
١٦ - المدرسة الفارسية	شمالي السور علمًا بأن العلمي ذكر مدرسة أخرى بنفس الاسم قرب السور	واقفها الأمير فارسي البيكي ابن قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطنة بالأعمال السلطانية والجبلية ونائب غزة وهو المنسوب إليه الفارسية بالمسجد الأقصى	رأى العلمي كتاب الوقف وفيه وقف الحصنة من قرية طور كرم عام ٧٥٥ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٩
١٧ - المدرسة الأمينية	شمالي المسجد الأقصى	بباب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية	واقفها الصاحب أمين الدين عبد الله سنة ٧٢٠ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٩
١٨ - المدرسة الدويدارية	شمالي المسجد الأقصى	بباب شرف الأنبياء وقد رأى العلمي كتاب الوقف وفيه تذكر بأنها «دار الصالحين»	واقفها الأمير الكبير الغازي المجاهد علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدويدار الصالحي النجمي وعمارتها عام ٦٩٥ للهجرة ووقفها عام ٦٩٦ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٣٩
١٩ - المدرسة الباسطية	شمالي المسجد ملاصقة للمدرسة الدويدارية	عمرها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين لكنه توفي فعمرها عبد الباسط وعرفت به	الواقف سنة ٨٢٥ للهجرة، القاضي زين الدين عبد الباسط ابن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة، وشرط على الصوفية قراءة الفاتحة عقب الحضور وإهدائها للهروي	مجلد ٢ / ص ٣٩
٢٠ - المدرسة الأوحديّة	بباب حطه	تاريخ وقفها سنة ٦٩٧ للهجرة	واقفها الملك الأوحّد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم الملك عيسى	مجلد ٢ / ص ٣٩

ملحوظات	أوقافها	زمن وقفها	موقعها	التسلسل واسم المدرسة
مجلد ٢ / ص ٣٩	لم يذكر العلمي أوقافها	واقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكاسن ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية وتاريخ كتاب الوقف ليلة الثامن من شهر ذي الحجة سنة ٧١٨ للهجرة	بباب حطه	٢١- المدرسة الكريمة
مجلد ٢ / ص ٣٩	لا يوجد للمدرسة كتاب وقف فكتب محضر بوقفها من مال الواقف وتم تشييده سنة ٨٩٧ للهجرة	واقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر وعمرتها زوجته مصر خاتون وذلك سنة ٨٢٦ للهجرة في سلطنة الملك الأشرف برسباي	داخل المسجد	٢٢- المدرسة الغادرية
مجلد ٢ / ص ٣٩	لم يذكر العلمي أوقافها	بناها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري زمن الملك الظاهر برفوق قبل عام ٨٠٠ للهجرة وكتاب وقفها متأخر تاريخه ٨٢٧ للهجرة	داخل المسجد على الرواق الشمالي ويصعد منها إلى منارة باب الأسباط	٢٣- المدرسة الطولونية
مجلد ٢ / ص ٤٠	أوقافها على يد الملك الناصر فرج بن الملك برفوق رتب لها قراء وأقام نظامها وجعل لها معالم تصرف ولم يكن لها كتاب وقف فاشتراها بعد وفاته رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفنري الرومي ووقفها وسميت بالفنرية	أنشأها شهاب الدين الطولوني وعمرها مع المدرسة الطولونية وجعلها للملك الظاهر برفوق	شمالي المسجد مقابل الطولونية من جهة الشرق	٢٤- المدرسة الفنرية
مجلد ٢ / ص ٤٠	لاحظ العلمي أنها في أيامه تتخذ للسكن وهي من جملة جهات المسجد الأقصى يستوفى ريعها لوقف المسجد	تشكك العلمي بوضعها فلم يكن لها كتاب وقف ومعلوماته بأنها وقف شاهين الحسيني الطواشي ولم يكن لها حكم المدارس في النظام والشعائر	على باب الأسباط	٢٥- المدرسة الحسينية
مجلد ٢ / ص ٤١	وقف الملك صلاح الدين الأيوبي وقفها في ١٣ رجب سنة ٥٨٨ للهجرة ويقول العلمي أن وظيفة مشيختها من الوظائف السننية بمملكة الإسلام	كانت كنيسة زمن الروم تعرف بقبر حنة وهي أم مريم عليها السلام	باب الأسباط وهي من المدارس غير المسجد غير ملاصقة للسور من جهة الشمال	٢٦- المدرسة الصلاحية

التسلسل واسم المدرسة	موقعها	زمن وقفها	أوقافها	ملحوظات
٢٧- المدرسة الكاملة	بخط باب حطة بجوار الكريمة من جهة الشمال	الواقف الحاج كامل من أهل طرابلس	يذكر العلمي أنه لم يوجد لها كتاب وقف فكتب لها محضر بوقفها سنة ٨١٦ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٤١
٢٨- المدرسة المعظمية	مقابل باب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية شمالي المسجد	واقفها الملك المعظم عيسى وتاريخ وقفها في ٢٩ جمادى الأولى سنة ٦٦٠ للهجرة	اطلع العلمي على كتاب الوقف وفيه جهات كثيرة من القرى وقد أخذ غالبها وصار بأيدي الناس إقطاعاً وملكاً	مجلد ٢ / ص ٤٢
٢٩- المدرسة السلامية	بباب شرف الأنبياء تجاه المعظمية وهي بجوار المدرسة الدويدارية من جهة الشمال	واقفها الخوجا مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي	لم يحدد العلمي أوقافها لكنه ذكر بأنه لم يطلع على كتاب وقفها وأكد بأنه بعد عام ٧٠٠ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٤٢
٣٠- المدرسة الوجيحية	شمالي المسجد بخط درج المولة	وقف الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن النجا الحنبلي توفي سنة ٧٠١ للهجرة	لم يذكر العلمي أوقافها أو أي تفاصيل أخرى	مجلد ٢ / ص ٤٢
٣١- المدرسة المحدثية	شمالي المسجد بالقرب من المدرسة الوجيحية عند قبو باب الفوانمه	واقفها رجل من أهل العلم كان محدثاً واسمه عز الدين أبو محمد عبد العزیز العجمي الأردبيلي	تاريخ وقفها ٤ محرم سنة ٧٦٢ للهجرة ولم يذكر العلمي أوقافها	مجلد ٢ / ص ٤٢
٣٢- المدرسة الحسينية	بباب الناظر على باب علاء الدين البصير/قرب المسجد من جهة الغرب	واقفها الأمير حسن الكشكيلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف	بنيست سنة ٨٢٧ للهجرة ولا يذكر العلمي أوقافها	مجلد ٢ / ص ٤٣
٣٣- المدرسة التثتمرية	بباب الناظر بالقرب من الحسنية	واقفها الأمير تثتمر السيفي الملك الناصري حسن بن محمد بن قلاوون	تاريخ وقفها ١٢ ذي القعدة سنة ٧٥٩ للهجرة ولم يذكر العلمي أوقافها	مجلد ٢ / ص ٤٣
٣٤- المدرسة الباوردية	بباب الناظر بالقرب من التثتمرية	واقفها الست الحاجة سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر بن محمود المعروف والدها بالبواوردي	تاريخ وقفها يوم الأحد ٥ رجب سنة ٧٦٨ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٤٣

التسلسل واسم المدرسة	موقعها	زمن وقفها	أوقافها	ملحوظات
٢٥- المدرسة الجهاركسية	بجوار الزاوية اليونسية وهي واليونسية كنيسة من بناء الرومان قسمت نصفين الأول للمدرسة الجهاركسية والثاني للزاوية اليونسية	واقفها الأمير جهاركس الخليلي أمير آخور الملك الطاهر برقوق المتوفى سنة ٧٩١ للهجرة	لم يذكر العليمي سنة وقفها أو بنائها أو أوقافها	مجلد ٢ / ص ٤٤
٢٦- المدرسة الحنبلية	تقع بباب الحديد	واقفها الأمير بيدمر نائب الشام وكان متولياً نيابة دمشق في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧٧ لهجرة	بني في سنة ٧٨١ للهجرة ولم يذكر العليمي أوقافها أو سنة وقفها	مجلد ٢ / ص ٤٤
٢٧- المدرسة الطازية	بخط داود من باب السلسلة	واقفها الأمير طاز توفي سنة ٧٦٣ للهجرة	لم يذكر العليمي معلومات عن الواقف أو الأوقاف.	مجلد ٢ ص ٤٥
٢٨- المدرسة الأفضلية	بحارة المغاربة	وقف الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي ابن الملك صلاح الدين	وقفها على فقهاء المالكية بالقدس الشريف وكان الوقف حين سلطنته على دمشق ولم يوجد لها كتاب وقف فكتب محضر بالوقت لكل جهة وثبت مضمونه لدى حكام الشرع بعد وفاة الواقف	مجلد ٢ / ص ٤٥
٢٩- المدرسة اللؤلؤية	بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال	واقفها الأمير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين	كانت المدرسة موجودة سنة ٧٨١ للهجرة	مجلد ٢ / ص ٤٧
٤٠- المدرسة البدرية	بخط مرزبان بالقرب من اللؤلؤية	وقفها سنة ٦١٠ للهجرة	واقفها بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري أحد أمراء الملك المعظم	مجلد ٢ / ص ٤٧
٤١- المدرسة الميمونية	تقع عند باب السامرة وهي كنيسة من بناء الروم	واقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون الفهري خازن دار الملك صلاح الدين. وتاريخ وقفها في جمادى الأولى سنة ٥٩٢ للهجرة	ينص العليمي على اندثار المدرسة بقوله: ولم يبق لها نظام في عصرنا بل صارت من المهملات	مجلد ٢ / ص ٤٨

تمثل هذه المادة خلاصة توثق لواقع حال مدارس بيت المقدس منذ العهد الأيوبي وحتى أيام العليبي أواخر أيام دولة المماليك الثانية ومطلع العهد العثماني، ويبدو منها أن مدارس القدس كلها كانت أوقافاً، وكانت غالبية الواقفين من أصحاب المواقع الرسمية وبالتالي من أصحاب الاقتدار والثروة، وهذا سبب استمرارها وديمومتها، لأن الوقف عليها كان متنوعاً بين قطع الأراضي والكروم والحوانيت والقرى والمطاحن والمعاصر والمصايف والحمامات وأحياناً القيساريات، وكلها مرافق تدر الدخل إذا ما أحسن استخدامها، مع تفاوت في طبيعتها، فالأراضي الزراعية عرضة للجفاف وعوامل المناخ المتغيرة ولخطر الأوبئة والقوارض، وهو ما يجعل نتائجها غير مضمون، في حين أن استثمار باقي الأوقاف يعتمد على متابعة الناظر وإدامته للوقف، لذا فإن غالبية هذه المدارس استمرت ولم يوثق العليبي إلا لخراب مدرستين فقط، وتميزت مادة العليبي بتحديد مواقع المدارس، وبتحقيقه من كتب الوقف واعتمادها، وتوثقه من النقوش المدونة على مداخل المدارس وحوائلها والتي تؤرخ لسنة البناء.

شيوخ المدارس المقدسية عند العليبي

أحسن العليبي في كتابه الموسوعي بتاريخ مشايخ بعض المدارس، وتوقف عند تراجمهم بشكل محمود، ومنهم مشايخ المدرسة الصلاحية التي أولاها اهتماماً خاصاً، كذلك الحال عند المدرسة الأشرفية، ويبدو من متابعة تراجم مشايخ المدرسة الصلاحية وعددهم ٢٤ شيخاً، أنهم كانوا في غالبيتهم يحملون لقب (شيخ الإسلام) وكانوا قضاة وبعضهم كان قاضياً للقضاة، ويجمعون بين التدريس في الصلاحية ومناصب أخرى، وقد بينت بعض التراجم أن راتب الصلاحية كان كبيراً، كما صرح بذلك بعض المشايخ ممن تولوها، وربما يفسر هذا سبب التناحر بين بعض المشايخ للحصول على هذا الموقع المتميز، لكن غالبية المشايخ كانوا من أصحاب الفضل ومن المصنفين والعلماء، وفيما يأتي قائمة بأسماء شيوخ الصلاحية حسبما أوردها العليبي حسب سنوات توليهم التدريس بالتتابع: (٣٢)

(٣٢) العليبي، الأئس الجليل، المجلد الثاني، ص ١٠١ - ١١٨.

- ١- قاضي القضاة شيخ الإسلام بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأَسدي الموصلي المولد والحلي المنشأ الشافعي المعروف بابن شداد.
- ٢- شيخ الإسلام علاء الدين طاهر بن نصرالله بن جهبل الحلي الشافعي.
- ٣- شيخ الإسلام فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن عساكر الدمشقي شيخ الشافعية بالشام.
- ٤- شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الإمام البارع صلاح الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر النصري نسبة إلى جده المشهور بابن الصلاح.
- ٥- القاضي محي الدين قاضي غزة وهو الإمام العالم الفاضل الورع محي الدين أبو حفص عمر ابن القاضي عز الدين موسى بن عمر الشافعي.
- ٦- الشيخ جمال الدين الباجري وهو شيخ الإسلام جمال الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن عثمان الباجري الموصلي ولي قضاء غزة وتدریس الصلاحية.
- ٧- الشيخ نجم الدين داود الكردي.
- ٨- الشيخ شهاب الدين بن جهبل وهو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محي الدين بن يحيى بن الشيخ الإمام تاج الدين إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل الحلي.
- ٩- شيخ الإسلام علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي أيوب بن منصور المقدسي الشيخ العالم العلامة البارع.
- ١٠- شيخ الإسلام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله العلائي الدمشقي ثم المقدسي.
- ١١- قاضي القضاة شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب زين الدين أبي محمد عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن سعد الدين ابن جماعة الكناني ،
- ١٢- محي الدين بن أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة ولي بعد أبيه وهو دون سن البلوغ فتأب عنه ابن عمه شيخ الإسلام نجم الدين حتى تولاها.
- ١٣- قاضي القضاة عماد الدين أبو عيسى أحمد ابن القاضي شرف الدين عيسى بن موسى العامري الأزرق الكركي الشافعي.

- ١٤- شيخ الإسلام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي المقرئ الشافعي.
- ١٥- الشيخ العلامة زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات القمني المصري الخزرجي.
- ١٦- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المصري ثم المقدسي المشهور بابن الهائم.
- ١٧- قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الأصل من ذرية الفخر الرازي.
- ١٨- شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى العسقلاني الأصل البرماوي المصري.
- ١٩- قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن الصلاح محمد بن عثمان الأموي المصري المشهور بابن المجرمة.
- ٢٠- شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام السعدي المقدسي مولده بقرية كفرالما من عجلون.
- ٢١- قاضي القضاة شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن محمد الحمصي المخزومي الشافعي.
- ٢٢- قاضي القضاة شيخ الإسلام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن الإمام العلامة نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي.
- ٢٣- قاضي القضاة شيخ الإسلام نجم الدين أبو البقاء محمد بن قاضي القضاة برهان الدين بن إسحاق إبراهيم بن القاضي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن جماعة الكناني الشافعي.
- ٢٤- شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف، وقد أعيدت الصلاحية في أيام العليمي لنجم الدين بن جماعة مرة أخرى واختتم العليمي القائمة بقوله: (وهو مستمر في تدريس الصلاحية إلى يومنا هذا).
- تبين هذه القائمة التي حرص العليمي فيها على ترتيب المشايخ في الصلاحية حسب تسلسلهم، على الموقع الاستثنائي لمشايخ المدرسة التي حظيت بمتابعة أوقافها منذ أنشأها صلاح الدين الأيوبي وهذا سبب ازدهارها وتنافس الشيوخ والقضاة والعلماء

على التدريس فيها، نظرًا لمكانتها ورواتبها الممتازة، وكان بعضهم يستمر في وظيفته بالصلاحية ثلاثين عامًا بلا انقطاع، في إشارة إلى ديمومة أوقافها وازدهار أحوالها، ويبدو للدارس أن الصفة الغالبة على مشايخ المدرسة أنهم من سلك القضاء، ومن المصنفين وكانوا عادة يجمعون بين عدة مناصب، وقد توارثت بعض العائلات وظيفة التدريس في المدرسة، ومع ذلك فقد عمل فيها مشايخ على درجة كبيرة من الكفاية من غير المقادسة وكانوا من مصر أو دمشق أو حلب أو الموصل أو الكرك أو عجلون.

أوقاف مدارس القدس في سجل تحرير رقم ٤٢٧: (٣٣)

يتوافر للباحث فرصة ممتازة لاستكمال مادة العليمي، بمراجعة أقدم سجل تحرير للقدس العائد لسنوات ٩٣٢ للهجرة/ ١٥٢٥م - ١٥٢٦م، وحتى ٩٣٤ للهجرة/ ١٥٢٧ - ١٥٢٨م، ويحتوي السجل على مادة تحدد الأوقاف على مدارس القدس التي تابعناها عند العليمي، وقد تابعنا تحرير أوقاف مدارس القدس في السجل، فكانت المادة التي دونها سجل التحرير كالآتي:

- ١- الأوقاف على المدرسة المزهرية: بيت ساحور الوادي ٧٥٠ أقبه.
- ٢- الأوقاف على المدرسة الصلاحية: عين سلوان ٩٠٠٠ أقبه، بير أيوب ٢٧٠٠ أقبه، شويكة بني قيس / بني سليم ٢١٠١ أقبه، قصطال ١٤٤ أقبه.
- ٣- المدرسة الباسطية: صور باهر ٨٠٠ أقبه.
- ٤- المدرسة الحسنية: أم طوبي ٢١٠٠ أقبه، دير دبوان ٣٢٧٥ أقبه، طيبة الاسم ٢٩٢٥ أقبه، عنب ٤٠٧ أقبه، بيت كيسا (لم يحدد السجل مقدار الريع).
- ٥- المدرسة المنجكية: بيت صفافا ٣٤٧ أقبه.
- ٦- المدرسة اللؤلؤية: بيت ساوير ٣١٥٠ أقبه.
- ٧- المدرسة البرقوقية: سيعير ٢٢٥٠٠ أقبه.

(٣٣) دفتر مفصل لواء صفد وغزة والقدس الشريف رقم ٤٢٧ العائد للسنوات ٩٣٢-٩٣٤ للهجرة / ١٥٢٥ - ١٥٢٨م، تحقيق ودراسة ونشر محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه، عمان، ١٤٢٦ للهجرة/ ٢٠٠٥م، وسيشار إليه لاحقًا، دفتر مفصل رقم ٤٢٧.

- ٨- المدرسة التنكزية: عين قينيا ١٧٦ أقبه.
- ٩- المدرسة الشيوخونية: قلونية ٣٦٠٠ أقبه. (المدرسة في مصر)
- ١٠- المدرسة الجوهرية: تموع ٥٠٦٧ أقبه.
- ١١- المدرسة المعظمية الحنفية: بتير ٢٧٠٠ أقبه، العلار فوق ١٠٨٠ أقبه، العلار السفلى ٩٠٠ أقبه، دير السدلي ١٢٦٠ أقبه.
- ١٢- المدرسة الفخرية: بيت عطاب ١٠٠ أقبه، بيت السلا ٢٧٠٠ أقبه.
- ١٣- المدرسة الطيلونية: أرض بيت قول ٢٥٠، أرض بيت أورنجه ٢٠٠ أقبه، أرض بيت لوزي ٢٠٠ أقبه، أرض مرج الذياب ٢٠٠ أقبه، أرض جبعة ١٠٠ أقبه، خارجة قبلي ٩٠ أقبه.
- ١٤- المدرسة المالكية: دير بروج ١٢٦٠ أقبه.
- ١٥- المدرسة الخاتونية: باطن الجمل ١٨٠ أقبه.

تمثل هذه المادة أقدم تحرير لأوقاف مدارس القدس بعد دخول العثمانيين إلى بلاد الشام، وتعطينا تصورًا دقيقًا لدخل الموقوفات على هذه المدارس، ومع أننا نأخذ بهذه المادة باهتمام، إلا أن علينا أن نلاحظ أن الدولة العثمانية قامت بتسجيل أوقاف القدس بسجلات مستقلة، في محاولة منها لضبط الوقف مع مطلع العهد العثماني نظرًا لتردي أحوال الأوقاف والاعتداء عليها من قبل النظار والقضاة على وجه الخصوص، وتحويلها على يد بعض الأهالي إلى ملك أو إقطاع في أواخر العهد المملوكي، كما لاحظ العليمي وأشار إليه في توثيقه لمدارس القدس في أيامه.

سجل شرعي محكمة القدس الشرعية رقم ١٥٠ العائد لتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٠٥٤ للهجرة - ١٩ ذي الحجة ١٠٦٥ للهجرة / الموافق ١٠/٢/١٦٥٤م - ٢٠/١٠/١٦٥٥م:

لا بد للدارس من متابعة أحوال المدارس في العهد العثماني من خلال السجل الشرعي الذي يمثل تفاصيل الحياة اليومية، وهو ما لا توفره المصادر التقليدية أو سجلات التحرير، وما رصدناه من قبل من خلال سجل التحرير يمثل بدايات العهد العثماني، أو نهايات العهد المملوكي، لذا عدنا إلى زمن لاحق باستشارة السجل الشرعي

لمحكمة القدس في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد رصدنا الحالات الآتية في السجل الشرعي الأول العائد لمطلع العهد العثماني وتحديداً ١٥٣٠ - ١٥٣١ م:

- ١- إشارة لأوقاف المدرسة الفنارية.^(٣٤)
- ٢- إجارة لحمام العين المعروف بحمام تنكز من أوقاف المدرسة التنكزية بالقدس.^(٣٥)
- ٣- إشهاد بالمدرسة الحنفية حيث كانت مدارس القدس تضم فعاليات المدينة، وتستضيف ضيوفها، ويقام فيها النواب والقضاة والقادمين من القاهرة مبعوثين من السلاطين.^(٣٦)
- ٤- إجارة قطعة أرض فيها غراس تابعة للخانقاه الصلاحية.^(٣٧)
- ٥- إجارة لأرض المدرسة الفخرية بالقدس.^(٣٨)
- ٦- حجة تخص المدرسة الفارسية.^(٣٩)
- ٧- متحصل غراس المدرسة الفخرية عن أربع سنوات ضمن سجل الفخرية.^(٤٠)
- ٨- براءة شريف همايوني بتعيين القاضي شرف الدين موسى الديري بوظائف المدرسة المنجكية بالقدس الشريف.^(٤١)
- ٩- والحجة الأخيرة الخاصة بأوقاف مدارس القدس في أقدم سجل شرعي ورقمها ٦٠٨ بصفحة ١٤٨ من السجل وتاريخها في ٥ ربيع الثاني عام ٩٣٧ للهجرة/ الموافق ١٥٣٠/١١/٢٦ م، تضم سجل وقف المدرسة الطيلونية.

(٣٤) سجل شرعي محكمة القدس رقم ١٥٠، حجة ٤، ص ٢.

(٣٥) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ١٥٩، ص ٤١.

(٣٦) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ١٦٠، ص ٤٢.

(٣٧) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ٢١٧، ص ٥٧.

(٣٨) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ١٢٨، ص ٦٢.

(٣٩) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ٤٠٧، ص ١٠٧.

(٤٠) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ٥٨٣، ص ١٤٢.

(٤١) س، ش، القدس، ١٥٠، حجة ٦٠١، ص ١٤٧.

ويلفت الانتباه أن الحجج، الوقفية في السجل الشرعي المبكر للعهد العثماني لم تكن كثيرة، فعدنا لسجل شرعي يرجع إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، لقراءة واقع حال أوقاف المدارس، وكانت نتيجة البحث كالآتي^(٤٢):

١- إجارة وقف المدرسة الباسطية (قطعة أرض بقرية صور باهر) فقد استأجر حسين بن ذويب ويعقوب بن حمدان من قرية صور باهر من الشيخ صالح بن عمر اللطفي المتولي والناظر على الوقف، على أن يفرسها المستأجر وينتفع فيها لمدة ٩٠ سنة بتسعين عقد كل سنة بقرش واحد والأرض خالية من الغراس.

٢- شهادة بقبض مستحقات وظيفة الدرس والنظر في المدرسة العثمانية مما هو مخصص لها من مال الصرة المصرية. والوكيل هنا هو الشيخ علي أفندي بن جار الله اللطفي مفتي الحنفية في القدس والمدرس في المدرسة العثمانية.^(٤٣)

٣- حجة نصف وظيفة التولية على وقف المدرسة القايتبانية في القدس وغزة وفراغ المتولي عن الوظيفة لأخيه الترجمان بمحكمة القدس براتب ١٠ عثمانيات يومياً من مال الوقف.^(٤٤)

٤- حجة تقرير مفصل لتعمير وحساب المدفوعات والمصروفات وما تم تعميره من وقف المدرسة الصلاحية، ونصها:^(٤٥)

قدم الشيخ أبو اللطف مفتي الشافعية بالقدس والناظر على وقف المدرسة الصلاحية، طلب لإعمارها وقد طلبا الناظر على الوقف الكشف على تعمير وقف المدرسة الصلاحية فكانت كما يأتي:

- حمام الأسباط: يحتاج إلى ٧٣٤ غرشاً.

- الطاحونة: تحتاج إلى ٤٣ غرشاً.

- الطابونة: تحتاج إلى ٢٠ غرشاً.

(٤٢) س، ش، القدس رقم ١٥٠، (من ٢٠ ذي القعدة ١٠٥٤ هـ - ١٩ ذي الحجة ١٠٦٥ هـ/ الموافق ١٦٥٤/٢، ١٠، ١٠/٢٠-١٦٥٥ م. حجة ١، ص ٤ في ٢٥ محرم ١٦٥٤ للهجرة/ ١٢/٥/١٦٥٤ م).

(٤٣) س، ش، القدس رقم ١٥٠، حجة ٢ في ٨ صفر ١٠٥٦ للهجرة/ ١٨، ١٢/ ١٧٥٤ م.

(٤٤) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ٤٢، في ٦ ربيع الأول ١٠٦٥ للهجرة/ ١٤/ ١/١٦٥٥ م.

(٤٥) س، ش، القدس، رقم ١٥٠ حجة ١، ص ٥٤-٦٥.

وقد كشف على التعمير كل من الشيخ سليمان الداودي وفخر الأعيان رمضان كتحدا باشا وكاتبه الدجاني، والمعلم عمر بن نمر بن حسن وفخر الدين أبي خليل بن نمر المعمار باش، وكان الناظر على الوقف قبض محصول الوقف من الطاحونة والطابونة ودكاكين باب حطة ودكاكين الحياكة وسوق الخضر وقرية القسطل وحكر أرض الجثمانية وأجرة مقبرة اليهود (٦٦٠٤٨) قطعة شامية تعادل ١١٠٠ قرش أسدية و٢٤ قطعة مصرية.

وبالمقابل كانت الرواتب كالاتي:

- عمر اللطفي المدرس والناظر السابق: ١٩٥٠ شامية (= ٤ قطعة مصرية...٩).
- الشيخ شرف الدين الديري وكيل الشيخ عبد الباقي أفندي الناظر والمدرس سابقاً: ١٤٢٦٠ قطعة شامية = ٢٣٧.
- أرباب الجهات أي رواتب العاملين في الوقف: ٨٦٦٧ قطعة شامية = ١٤٦ قرشاً و٣ قطع مصرية ونصف.
- الشيخ أبي اللطف: ٦٠٠٠ قطعة شامية = ١٥٠ قرشاً أسدياً.
- الكاتب والجابي: ٣٠١٦ قطعة شامية = ٥٠ قرشاً و٦ قطع مصرية.
- حوالات موظفي الوقف: ١١٧٢ قطعة شامية ومصاريف أخرى.
- الباقي بعد المصاريف: ١١٠٤ قروش وقطعة ونصف مصرية = ٦٦١٤٣ قطعة شامية.
- ٥ - وظيفة الشعالة والفراشة والبوابة بالمدرسة القايتبانية براتب ٧ عثمانيات يومياً من مال الوقف.
- ٦ - وظيفة النظر على أوقاف المدرسة المالكية بمرتب ٨ عثمانيات يومياً من مال الوقف.^(٤٦)
- ٧ - وظيفة الجباية على وقف المدرسة المالكية بمرتب ٧ عثمانيات من مال الوقف.^(٤٧)

(٤٦) س، ش، القدس رقم ١٥٠، حجة ٤، ص ٥٩، في ١١ ربيع الأول ١٠٥٦ للهجرة /١٩/١٦٥٥م.

(٤٧) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ٦٠، في ٢١ ربيع الأول ١٠٥٦ للهجرة /٧/٢٩/١٦٥٥م.

٨- حجة حوالة لقبض ما كان استدانه الناظر على وقف المدرسة الصلاحية بقصد التعمير، الشيخ أبو اللطف مفتي السادة الشافعية في الديار المقدسية والمدرس في المدرسة والناظر على وقفها بحضور الأمير عبد القادر السباهي بالقدس ونص الحجة أن يستلم القرض من أجرة حمام الأسباط الجاري في الوقف.^(٤٨)

٩- حجة سفر المدرس الشيخ محمد السروري بمدرسة المأمونية إلى الديار الرومية لقضاء مصالحه وتوكيل الشيخ أبو الوفا العلمي للتدريس مكانه.^(٤٩)

١٠- حجة تبين إجارة قبو حمام العين أنه جاري في وقف المدرسة التنكزية والأقصى مناصفة.^(٥٠)

١١- حجة وظيفة التولية والنظر و المشيخة والبوابة بالمدرسة الجركسية مجموعة من الوظائف بيد الشيخ بكر بن خليل القدسي.^(٥١)

١٢- حجة طلب تسجيل براءة سلطانية شريفة تاريخها ربيع الأول من عام ١٠٦٩ للهجرة/١٦٥٩م، صادرة للشيخ محمد اللطيفي بوظيفة الدرس بالمدرسة المأمونية في السجل المحفوظ بمحكمة القدس.^(٥٢)

١٣- حجة وظيفة الجباية على وقف المدرسة الباسطية بمرتب ٤ عثمانيات يومياً من مال الوقف.^(٥٣)

١٤- حجة إجارة أرض الصرارة الجارية في وقف المارستان الصلاحي والمدرسة المزهرية.^(٥٤)

(٤٨) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ٩٧، في ١٠ ربيع الثاني ١٠٦٥ للهجرة / ١ / ٢ / ١٦٥٥ م.
(٤٩) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ١٥٨، في ١٩ ربيع الثاني ١٠٦٥ للهجرة / ٢٦ / ٢ / ١٦٥٥ م.
(٥٠) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٥، ص ١٧٤، في ١٣ جمادى الأولى ١٠٦٥ للهجرة / ٢١ / ٢ / ١٦٥٥ م.
(٥١) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٧، ص ٢٣٠.
(٥٢) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ١، ص ٢٦٣، في ٤ جمادى الثاني ١٠٧١ للهجرة.
(٥٣) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ١، ص ٢٨٨، في ٢ شعبان ١٠٦٥ للهجرة / ٧ / ٦ / ١٦٥٥ م.
(٥٤) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ١، ص ٣٥٨، في ٩ شوال ١٠٦٥ للهجرة / ١٢ / ٨ / ١٦٥٥ م.

١٥- وظيفة الفراشة والشعالة بالمدرسة التنكزية بمرتب ٣ عثمانيات يومياً من مال وقف المدرسة^(٥٥).

١٦- حجة وظيفة السقاية بالمدرسة العثمانية.^(٥٦)

١٧- حجة شكوى أهالي قرية عين سلوان على الناظر والمتولي على وقف المدرسة الصلاحية، وقد رفع الشكوى مشايخ وزراع القرية الجارية في وقف المدرسة، فقد منعهم المتولى الشيخ أبو اللطف من جمع المحصول وطلبوا من القاضي التحري في الدفتر السلطاني للوقف والمسجل بمحكمة القدس الشرعية، وقد تبين بعد الكشف أن مال الوقف مقطوع من القرية البالغ محصولها ١٢٧٩٠ عثمانية وللوقف منها ٤٠٠٠ عثماني، وترتب على البحث في السجل والتأكد من الوضع أن نبه القاضي المتولي على الوقف بعدم التعرض للمزارعين.^(٥٧)

١٨- حجة وفيها تحديد لمصروفات تعمير المدرسة التنكزية وفيها ثمن الحجر والشيد والتكحيل وأجرة العمال وصرفها من ثمن الزيت من قرية عين قينية في وقف المدرسة.^(٥٨)

خاتمة

تمثل هذه الحجج وثائق ثمينة تؤرخ لتطور حال الوقف في مدارس القدس بعد مرور أكثر من قرن على الحكم العثماني، ويبدو أننا لم ندرس بعد واقع حال المدارس في العهد العثماني من مصادر مباشرة ما زالت في دور الأرشيف العثماني وسجلات المحاكم الشرعية، وقد تبين لنا أن الوقف كان عاملاً أساسياً في نشوء وتطور واستمرار التعليم وإنشاء المدارس في بيت المقدس منذ العهد الأيوبي وحتى نهاية القرن الثامن عشر

(٥٥) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ١، ص ٤٣٩ في ذي الحجة ١٠٦٦ للهجرة / ٦ / ١٠ / ١٦٥٥ م.

(٥٦) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ١، ص ٢٢٣، في ٢ رمضان ١٠٦٥ للهجرة / ٦ / ٧ / ١٦٥٥ م.

(٥٧) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ٣٢٩، في ٤ رمضان ١٠٦٥ للهجرة / ٨ / ٧ / ١٦٥٥ م.

(٥٨) س، ش، القدس، رقم ١٥٠، حجة ٢، ص ٤٦٢، في منتصف جمادى الآخرة ١٠٦٥ للهجرة / ٢٢ / ٤ / ١٦٥٥ م.

الميلادي، ومن المعروف أن الدولة العثمانية بدأت بممارسة دورها في رعاية التعليم وإقامة المدارس في فترة التنظيمات العثمانية، وكان إشهار الدستور ونشره والعمل بمضمونه، مرحلة جديدة وفاصلة بين تخلي الدولة عادة عن واجبها في رعاية التعليم وإسناد هذا الدور للوقف ومؤسساته الأهلية، وبين مباشرتها لهذه المهمة المحمية بنصوص من الدستور وبمؤسسات الدولة.

لم تتطرق الدراسة لتفاصيل الحياة التعليمية، ولا لشروط الواقفين، لئلا ندخل في تفاصيل تخرج بنا عن حدود الوقف، مع أنها أساسية وتركها لدراسة موسعة لاحقة، نظراً لطبيعة الورقة المقدمة لمؤتمر، لكننا نأمل أن نجد دراسات معمقة للباحثين العرب في هذا المجال، لحماية عروبة وهوية المدينة التي تتعرض لأبشع أنواع محو الهوية وانتزاع الذاكرة ومصادرتها.

أوقاف النُّقود في القدس في القرن السَّابع عَشَرَ الميلاديّ (١٦٠٠ - ١٧٠٠م)

د. زياد عبد العزيز المدني*

مفهومُ الوقف لغةً واصطلاحاً

حظي الوقف بالاهتمام منذ بداية العصور الأولى للإسلام. وقبل تناول الوقف، يجب أن نذكر المعنى اللغوي للوقف، ثم المعنى الفقهيّ له.

المعنى اللغوي للوقف: إن كلمة وقف هي مصدر الفعل وقف التي تعني الحبس والمنع، مثل وقفت الشيء أي حبسته، ومنه وقف الأرض على المساكين ووقفت الدابة، أي جعلتها محبوسةً على ما وقفت عليه، وليس لأحد تغييرها ولا التصرف فيها. والأصل (وقف)، فأما (أوقف) في جميع ما تقدم من الدواب والأرضين وغيرهما فهي لغة رديئة، وقيل (وقف) أو (أوقف) سواء.^(١)

والحبس: فعيل بمعنى مفعول، أي محبوس على ما قصد له، لا يجوز التصرف فيه لغير ماصير له، وتحبيس الشيء أي يبقى أصله ويجعل ثمره في سبيل الله^(٢).

أما الوقف بمعنى المنع، فلأن الواقف يمنع التصرف في الموقوف، ومقتضى المنع

* باحث في التاريخ، الأردن، ويعمل حالياً في البحرين.

(١) انظر أبو الفضل جمال الدين ابن محمد ابن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م: لسان العرب، باب الفاء. فصل القاف، مادة (وقف) ج ٩ ص ٣٥٩ - ٣٦٠. وباب السين فصل الحاء، مادة (حبس) ج ٦ ص ٤٤ - ٤٥) سيشار له عند وروده فيما بعد: ابن منظور: لسان العرب.

(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادي: باب السين، فصل الحاء مادة (حبس) ج ٢ ص ٢٠٦، والحبس بالضم: مأوقف، الصحاح للجوهري: باب السين، فصل الحاء مادة (حبس) ج ٣ ص ٩١٥.

أن يحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، ويقال هو تحجير الشيء، من منعه يمنعه منعاً، فامتنع منه وتمنّع.^(٣)

المعنى الفقهي للوقف: اختلف أئمة المذاهب الفقهية الأربعة في إسناد تعريف موحد للوقف، إذ إن هنالك اختلافاً واسعاً في التعريف بين هذه المذاهب، نتيجة اختلافهم في كثير من المسائل، وكان من نتيجة ذلك أن تعددت التعاريف ليس بين المذاهب فحسب، بل داخل المذهب الواحد:

أما تعريف الحنفية للوقف: فيقول السرخسي طبقاً لأبي حنيفة، حبس المملوك عن التملك من الغير، وهذا يعني أن الواقف له حق الملكية التامة خلال الوقف. أما التملك من الغير فيعني أنه لا يجوز البيع أو الهبة^(٤). ويقول ابن نجيم: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة. أما ابن عابدين: فيقول إن كلمة الحبس لا تعني الوقف وإنه لا يحق للواقف نقل الوقف أو الهبة إلى شخص آخر^(٥).

وتعريف الوقف عند الشافعية: الوقف صدقة محرمة موقوفة وأنها مسبلة وبحبوسها، أي أنها محبوسة في سبيل الله^(٦) (وهنالك تعريفات أخرى للوقف عند الشافعية مثل ابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي الكبير والنووي، مع اختلاف في

(٣) ابن منظور: لسان العرب: فصل الميم، مادة (منع) ج ٨، ص ٢٤٣.

(٤) شمس الدين محمد بن أحمد السرخسي ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦ م: المبسوط في الفقه، القاهرة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ م ج، ص ٢٧ سيشار عند وروده فيما بعد: السرخسي: المبسوط. زين الدين ابن ابراهيم ابن نجيم الحنفي: البحر الرائق شرح الدقائق، القاهرة ١٢١١هـ/ ج ٥، ص ١٨٨ سيشار له عند وروده فيما بعد: ابن نجيم: البحر الرائق. برهان الدين ابراهيم بن موسى بن أبي بكر الشيخ علي الطرابلسي الحنفي: كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، المكتبة الأزهرية للتراث ص ٢، سيشار عند وروده فيما بعد، الطرابلسي: الإسعاف.

(٥) الشيخ ابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ/): رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار وتكملته المسماة حاشية قرة عيون الأخبار لمحمد علاء الدين افندي (ت ١٢٠٦هـ/) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤ م، ج ٣، ص ٤٩٥. سيشار له عند وروده فيما بعد: ابن عابدين، التكملة. محمد عبيد الكبيسي: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، بغداد ١٩٧٧، ص ٦٧. سيشار له عند وروده فيما بعد: الكبيسي: أحكام الوقف.

(٦) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٠ م (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠ م): كتاب الأم، ج ٣ ص ٢٧٤، طبعة بولاق ص ٢٧٤، سيشار له عند وروده فيما بعد الشافعي: كتاب الأم. أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣ م): الفتاوى الكبرى الفقهية. سيشار له عند وروده فيما بعد الهيتمي: الفتاوى الكبرى.

بعض الكلمات وليس في المعنى، وهو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح وجهه^(٧).

تعريف الوقف في الفقه المالكي

ورد تعريف الوقف عند المالكية بأنه صدقة موقوفة أو حبس موقوف. والحبس والصدقة هما ذات معنى واحد.^(٨) ويعرف ابن عرفة الوقف حسب المذهب المالكي بأنه، إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً^(٩).

تعريف الوقف عند الحنابلة

عرّف الحنابلة الوقف بأنه: تحبیس الأصل وتسبیل الثمرة^(١٠) ويرد هذا التعريف أيضاً عند الإمامية لفظاً ومعنى.^(١١)

وقوله (تحبیس الأصل) معناه إمساك الذات عن دوافع التملك مع إنهاء ملكه فيها.^(١٢) وقوله (تسبیل المنفعة) أي أن منافع العين الموقوفة من ثمر وغلة هي للجهة المعنية.^(١٣)

(٧) أبو بكر البكري: إعانة الطالبين على حل ألفاظ المعين، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، دون تاريخ، بيروت ج ٣، ص ١٥٨. سيشار له عند وروده فيما بعد: البكري: إعالة الطالبين.

(٨) مالك بن أنس (٩٣هـ/٧١١ - ١٧٩هـ/٧٩٥م): المدونة الكبرى، ج ١٤ ص ١٠١.

(٩) محمد بن محمد بن عرفة المالكي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وكان قاضياً حسب المذهب المالكي في تونس: انظر شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

(١٠) شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٢م): شرح الكبير على متن المغني ج، ص ١٨٥ وسيشار له عند وروده فيما بعد: ابن قدامة، الشرح الكبير. محمد موفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسي: الكافي في فقه الإمام ابن حنبل، ج ٢، ص ٤٤٨. صالح بن ابراهيم البليهي: التسبيل في معرفة الدليل، مكتبة المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٦م الرياض، ج ٢، ص ٢١٩. عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، المطبعة السلفية ج ٢، ص ٣٠٧.

(١١) محمد الحسني البغدادي النجفي: هداية الأنام، ج ٢ ص ٢٢٨، أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ/المبسوط في فقه الإمامية ج ٣، الشرح الأوسط للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٢٨٤، سيشار له عند وروده فيما بعد، الطوسي: فقه الإمامية.

(١٢) منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١هـ): كشف القناع على متن الإقناع، دار الفكر، بيروت ١٩٨٢م، ج ٤، ص ٢٤٠-٢٤١.

(١٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٠-٢٤١.

وهذا التعريف هو أفضل من التعاريف السابقة وأقواها؛ لأن هذا التعريف يتطابق مع حديث الرسول العربي محمد ﷺ؛ لأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب سهماً بخيبر وجاء إلى الرسول وقال ماذا أفعل بها فقال رسول الله ﷺ حبس الأصل وسبل الثمرة. (١٤)

مشروعية الوقف

لا خلاف بين الأئمة بأن الوقف عمل من أعمال البر، ووسيلة من وسائل التقرب إلى الله عز وجل. وقد دلت على مشروعيته آيات كريمة منها ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١٥)، وحديث رسول الله محمد ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (١٦)

أنواع الوقف

الوقف الذري: وهو ما أوقفه الواقف على نفسه أولاً وجعل استحقاق الربح فيه أولاً لنفسه أو لغيره من أشخاص يعينهم أو الوصف مثل زوجته (١٧) أو على أولاده ونسلهم ذكوراً أو إناثاً إلى أن ينقرضوا حيث يرجع الوقف إلى جهة أحد المساجد التالية: المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة أو إلى الحرمين الشريفين أو الحجرة النبوية أو الفقراء، سواء في القدس أو في مكان آخر. (١٨)

(١٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى: كتاب الوقف، باب المشاع دار الفكر بيروت، د. ت ج ٦، ص ١٦٢. سيشار له عند وروده فيما بعد البيهقي: السنن الكبرى. ابن قدامة: الكافي، ج ٢، ص ٤٤٨.

(١٥) سورة آل عمران الآية ٩٢.

(١٦) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تصحيح وتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢م، ج ٢، ص ١٣٥٥.

(١٧) سجلات محكمة القدس الشرعية رقم ١٢٠، ١٩ محرم ١٠٤٢هـ/ ٨ حزيران ١٦٢٢م، ص ٢٥٤ يوجد منها نسخة مايكروفيلم في مركز المخطوطات ودراسات بلاد الشام في الجامعة الأردنية ونسخة أخرى في شعبة الأرشفة والمصغرات الفيلمية في مكتبة الجامعة الأردنية، سيشار له حين وروده، س ش القدس.

(١٨) س ش القدس ١٠٧، محرم ١٠٢٢هـ/ ٢٥ تشرين الأول ١٦٢٢م، ص ١١٧-١١٩. س ش القدس ١٢٠، ٢٥ محرم ١٠٤٢هـ/ ٨ تموز ١٦٢٢م، ص ٢٣٢-٢٣٦.

الوقف الخيري: وهو ما أوقفه الواقفون من أوقاف منقولة وغير منقولة على المساجد والزوايا والمدارس والبيمارستانات، وما تحول من الوقف الذري إلى وقف خيري نتيجة انقراض ذرية الواقف حسب شرط الواقف. ويقع ضمن الوقف الخيري وقف النقود.

الوقف المشترك: وهو ما عين الوقف جزءاً من وقفه على ذريته والجزء الآخر إلى وجوه الخير.

بداية وقف النقود

ظهر وقف النقود في الدولة الإسلامية في القرن الثاني للهجرة،^(١٩) لكن هذا الوقف انتشر في الدولة العثمانية في القرن التاسع الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي؛ إذ ظهر أول وقف في تلك الفترة في مدينة أدرنة في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، إذ أوقف الحاج مصلح الدين دكاكين عدّة، و(١٠) آلاف آقجة يصرف عائدها لثلاثة من قراء القرآن الكريم في جامع كليسة بمعدل آقجة لكل قارئ.^(٢٠) وقد اختلف وقف النقود عن غيره من العقارات الوقفية بأنه يوظف النقود، ويصرف عائدها على أعمال خيرية.

موقف الفقهاء من وقف النقود

اختلف موقف الفقهاء في وقف النقود بين موجز ومانع، وكان مدى الاختلاف هو مدى الانتفاع بالنقود مع بقائها؛ ولذلك من قال من الفقهاء إن النقود تستهلك بالاستعمال أي أن الإنتفاع لا يكون إلا بإتلافها، وقال بهذا الرأي أكثر من بعض متقدمي فقهاء الحنفية وأكثر الشافعية والحنابلة وغيرهم،^(٢١) في حين أن البعض الآخر من فقهاء

(١٩) مالك بن أنس الأصبجي: المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١، ص ٣٤٢.

(٢٠) محمد الأرنؤوط: دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٤. سيشار له عند وروده: الأرنؤوط: دور الوقف.

(٢١) ناصر عبد الله الميمان: وقف النقود والأوراق المالية وأحكامه في الشريعة الإسلامية، منتدى قضايا الوقف الفقهية، ٨-١٠ مايو ٢٠٠٥م، ط١، الكويت، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، البنك الإسلامي للتنمية، ٢٠٠٦، ص ١١٣، سيشار له عند وروده، منتدى قضايا الوقف الفقهية: موقف الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٣٠هـ/المغني، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، ج٨، هجر للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٢م، ٢٢٩. سيشار له عند وروده، ابن قدامة، المغني.

الحنفية رأى أن المقصود بوقف النقود وظيفتها لا أعيانها، فقد أجاز محمد بن عبد الله الأنصاري نقلًا عن زفر وقف النقود،^(٢٢) كما أن الطرابلسي مؤلف كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف أشار إلى رأي محمد بن عبد الله الأنصاري بجواز وقف النقود.^(٢٣)

وقف النقود في القدس

بعد الفتح العثماني لبلاد الشام حظيت مدينة القدس باهتمام بعض السلاطين العثمانيين، فقام السلطان سليمان القانوني بعمارة سور القدس، كما أنشأت خاصكي سلطان تكية أدت أدوارًا اجتماعية وثقافية في مدينة القدس. وقد نشأت أوقاف النقود في مدينة القدس جنبًا إلى جنب مع أوقاف العقارات الزراعية والتجارية والسكنية والصناعية. وقد بلغ عدد وقفيات النقود خلال فترة الدراسة ٥٢ وقضية وتشكل ما نسبته ٨٠٪ من الأوقاف الخيرية، وتقدم لنا هذه الوقفيات - أي وقف النقود - صورة حول التعامل التجاري، وهي أشبه بالمصارف في عصرنا الحالي. وقد وردت هذه الوقفيات جميعها في سجلات محكمة القدس الشرعية، وتبدأ كل وقضية من هذه الوقفيات بديباجة تختلف عن ديباجة الوقفيات الأخرى، ونورد أمثلة على ذلك:

«الحمد لله الذي فتح للواقفين باب... أبواب الهدى والتوفيق واطلع عليهم من ذلك الهداية... وإحراز جزيل ثواب الأوقاف الوارد عنه ﷺ برواة العدول التقاة» إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها الصدقة الجارية...» فلما صدر الموالي العظام بدر سما المعالي الفخام المولى الأكابر والهمام المولى عبد الباقي أفندي عين العلماء الأعلام ما أعد الله للمحسنين ووعد المتصدقين...».

وتبدأ وقضية أخرى بديباجة مختلفة: «أشهد عليه يوم تاريخه أدناه وهو فخر الأفاضل مولانا الشيخ فخر المشايخ الحاج عبد الجواد الشهير نسبه بالعسلي...».

(٢٢) ابن عابدين: رد الدر المختار، ج ٦، ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

(٢٣) الطرابلسي: الإسعاف في أحكام الأوقاف، ص ٢٦. وانظر أيضًا: عبد الرحمن هاويل: وقف النقود الأهلي وأهميته للعمل المصرفي الإسلامي، مجلة أوقاف، مجلة نصف سنوية تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف العدد ٩، السنة الخامسة، شوال ١٤٢٦هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٥م، ص ١٤٧ - ١٤٨.

«الحمد لله الذي فتح للواقفين باب كرمه أبواب السعادة ووفق لفعل الخيرات وإجراء المثوبات من أراده... من الذين أحسنوا وزيادة الصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير الوارد عنه في رواية العدول التقاة» «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...» ولما علم مصطفى الوزير القائم قام بدار السلطنة العلية». (٢٤)

ومثال آخر على أوقاف القضاة: «الحمد لله الذي يسر الخيرات لمن اختاره وأحبه وبشر من تقرب إليه بالمنزلة الرفيعة... بنهل أسباب الخيرات لمن أهله للبر والتقوى فلما علم مولانا وسيدنا العالم الكبير العامل الشهير محرر دقائق التقارير محرر قواعدهما أحسن تقدير أقضى قضاة الإسلام أولى ولاية الأنام معدن العلم والحلم وارث علوم الأنبياء صدر أساطين العلماء الأعلام مولانا حسن أفندي القاضي بالقدس حالاً». (٢٥)

أما أوقاف النساء فقد خلت من الديباجات السابقة إذ وردت فقط العبارات التالية «...أشهدت على نفسها الحرمة زاهدة خاتون ابنة المرحوم الحاج محمد الدهينة». (٢٦)

بعد هذه الديباجة يشير الواقفون إلى مصدر المال الموقوف؛ إذ ترد عبارة من ملكه، بينما ترد عبارة من ماله الخاص عند كبار الموظفين أمثال العسكر والمتسلمين. (٢٧) ويرد كذلك العملة المتداولة في الوقف وهي السلطاني المضروبة من الذهب (٢٨)، ثم القرش الأسدي (٢٩)، ثم يحدد نسبة الربح السنوية التي تتراوح نسبتها ما بين ١٠-١٢٪ من المبلغ الموقوف؛ حيث يتم الانتفاع بعائد الربح في وجوه الخير يُعَيَّنُها الواقف مثل إضاءة المصابيح في المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة ووجوه أخرى. ويتم تسجيل الربح السنوي في سجل خاص (٣٠)، ثم يرد تعيين المتولي لإدارة الوقف والشروط

(٢٤) س ش القدس ١٦٨، جمادى الثانية ١٠٩٠هـ/ ٦ آذار ١٦٥٨م، ص ٣٦٨.

(٢٥) س ش القدس ١٧٢، ذي القعدة ١٠٨١هـ/ ٧ حزيران ١٦٦٢م، ص ٨-٩.

(٢٦) س ش القدس ١٧٤، محرم ١٠٨٣هـ/ ٢٩ نيسان ١٦٧٢م، ص ١١١.

(٢٧) س ش القدس ٨٥، ١٩ شعبان ١٠١٢هـ/ ٢٣ كانون الأول ١٦٠٢م، ص ٢٥.

(٢٨) س ش القدس ٨٦، ٢ رجب ١٠١٥هـ/ ٢ تشرين الثاني ١٦٠٦م، ص ٢٢٥.

(٢٩) س ش القدس ١٧٢، شعبان ١٠٨٢هـ/ ٣ كانون الأول ١٦٧١م، ص ٣١٨.

(٣٠) س ش القدس ٩٨، ربيع الثاني ١٠١٥هـ/ ٦ آب ١٦٠٦م، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

التي يعينها الواقف، وفي نهاية حجة الوقف يعلن الواقف في المجلس الشرعي تراجعاً عن الوقف وعزل المتولي؛ إلا أن القاضي يعلن صحة الوقف والحكم بصحته.

كما تضمنت الوقفية الشروط الآتية:

١- استثمار المبلغ الموقوف على الوجه الشرعي الحلال، وتأكيد الواقف على المتولي اتقاء شبهات الربا. (٢١)

٢- عدم التعامل مع المفلسين (لمن يعسر الخلاص منه).

٣- طلب رهن نقدي يفوق قيمة القرض أو كفيل مليء بالمال. (٢٢)

٤- قبض الربح بدءاً من المعاملة.

٥- استبعاد شخصيات بعينها من التعامل معها مثل أصحاب السلطة؛ خشية عدم رد القرض. (٢٣)

٦- بالرغم من أن جميع أوقاف النقود مؤبدة كسائر أوقاف العقارات إلا وبقية واحدة خرجت عن المألوف واشترط واقفها أن تجدد الوقفية في بداية كل عام.

أما الهدف من وقف النقود في القدس خلال فترة الدراسة فيلاحظ أن أرباحها كانت تنفق على أعمال الخير؛ إذ تردّ عبارة «أوقف الواقف وقفه على جهات برّ عينها ومصارف خير بينها»؛ إذ إن الربح العائد من الوقف يخصص للإنفاق على قراءة سور من القرآن الكريم في أوقات صلاة يحددها الواقف، ويسمي الواقف القراء الذين سيقومون بقراءة تلك السور، كما يقوم الواقف بتحديد مبالغ مقطوعة من الربح تدفع لهؤلاء القراء، لقاء قراءتهم لسور معينة من القرآن الكريم، ثم الدعوة للواقف وأسرته، وبعد ختم أجزاء معينة من السور التي حددها الواقف يقوم القراء بإهداء تلك القراءة إلى النبي ﷺ وإلى أرواح جميع المسلمين (٢٤) وقد بلغ عدد الوقفيات التي يصرف ريعها لقراءة القرآن

(٢١) س ش القدس ١١٣، ١٥ شعبان ١٠٢٧هـ، ص ٦٣٤. س ش القدس ١٤٣، محرم ١٠٦٠هـ، ص ٤.

(٢٢) س ش القدس ١٤٣، محرم ١٠٦٠هـ/ ٤ كانون الثاني ١٦٥٠م، ص ٤.

(٢٣) س ش القدس ١١٣، ١٥ شعبان ١٠٢٧هـ/ ٦ نيسان ١٦٢٨م، ص ٦٣-٦٤.

(٢٤) س ش القدس ٨٢، ١٣ شعبان ١٠١١هـ/ ١٤ كانون الثاني ١٦٠٢م، ٤٤٧-٤٤٩.

في المسجد الأقصى المبارك وفي مسجد الصخرة المشرفة وزاوية الشيخ لولو (١٣) وقفية، في حين بلغ عدد الوقفيات التي يصرف ريعها على إنارة المسجد الأقصى (١٠) وقفيات وإضاءة مسجد قبة الصخرة المشرفة، في حين اشترط بعض الواقفين صرف ريع وقف النقود على نواح اجتماعية مثل الخانقاه الصلاحية والبيمارستان الصلاحي في القدس^(٣٥) وشراء الخبز وتوزيعه على فقراء المغاربة خلال شهر رمضان المبارك^(٣٦)، وقراءة المولد وشراء ماء ورد وبخور للمسجد الأقصى^(٣٧)، وتقديم الطعام للمقيمين في الزاوية المولوية^(٣٨)، وتعبئة الأسبلة بالماء، في حين خصص ريع وقفية واحدة لحراسة قبر ابن الواقف وتوزيع الفائض من الربيع على الفقراء^(٣٩) وترميم دار تقع قرب مقام النبي داود في القدس^(٤٠) وإضاءة المصاييح عند قدم النبي محمد ﷺ^(٤١).

أما طريقة استثمار المال فيتم بالمراوحة الشرعية، والمراوحة الشرعية هي البيع بمثل الثمن الأول مع زيادة في الربح، كأن يقول للمشتري تربحني درهماً لكل دينار^(٤٢)، ويسمى هذا العمل بالمعاملة الشرعية، وقد أكد جميع الواقفين أن يكون استثمار نقودهم الموقوفة بالمراوحة الشرعية باستثناء وقفيتين: الأولى اشترط واقفها أن يكون استثمارها بالمضاربة^(٤٣)، أما الثانية فقد اشترط صاحبها شراء دار بالمبلغ الموقوف وتأجير الدار وشراء طعام بالإيجار وتوزيعه على الفقراء.

(٣٥) س ش القدس ١١١، جمادى الأولى ١٠٢٥هـ/ ٢٩ كانون الثاني ١٦٢٦م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣٦) س ش القدس ١٤١، ١٥ رمضان ١٠٥٨هـ/ ٨ أيلول ١٦٤٩م، ص ٤١.

(٣٧) س ش القدس ٨٦، ٣ رجب ١٠١٥هـ/ ٢ تشرين الثاني ١٦٠٦م، ص ٣٢٥.

(٣٨) س ش القدس ١٢٧، ٨ ذي القعدة ١٠٤٨هـ/ آذار ١٦٣٩م، ص ٦٠٦.

(٣٩) س ش القدس ١٠٥، ١١ رجب ١٠٢٩هـ/ ١٢ أيار ١٦٢٢م، ص ٢٢٨.

(٤٠) س ش القدس ٩٦، رجب ١٠٢٣هـ/ ١٧ آب ١٦١٤م، ص ٢٨.

(٤١) س ش القدس ١٧٣، شعبان ١٠٨٢هـ/ ص ٣١٩. س ش القدس ١٣٩، ١٨ محرم ١٠٥٧هـ/ ٦ شباط

١٦٤٧م، ص ١٩٨.

(٤٢) الزحيلي: الفقه الإسلامي، ج٤، ص ٧٠٣.

(٤٣) س ش القدس ١٥٢، ١٩ جمادى الأولى ١٠٦٧هـ/ ١٥ شباط ١٦٥٧م، ص ١٤٧.

هوية الواقفين

بلغ عدد وقفيات النقود خلال فترة الدراسة ٥٢ وقضية منها (٤٤) وقضية للرجال، في حين بلغ عدد وقفيات النساء (٩) وقفيات.

وينقسم الواقفون من ناحية اجتماعية إلى الآتي:

- المجموعة الأولى: هم المتسلمون الذين تولّو إدارة لواء القدس وبلغ عددهم (٨) وكان لبعض هؤلاء أكثر من وقضية، فقد كان لمحمد باشا ثلاث وقفيات^(٤٤)، وليحيى وقفتين^(٤٥)، كما وردت وقضية لمحافظ الشام.

- المجموعة الثانية من الرجال: هم من قضاة القدس، وبلغ عددهم (١٤) وكان لبعض هؤلاء أكثر من وقضية؛ إذ كان لمحمد أفندي وقفتين^(٤٦)، وعبد الله أفندي وقفتين^(٤٧)، ومن القضاة خارج القدس ثلاثة وهم محمد أفندي الدراج قاضي العسكر بالأناضول سابقاً^(٤٨)، وعبد الرحمن أفندي قاضي مصر^(٤٩)، وإبراهيم أفندي قاضي الشام.

- المجموعة الثالثة: بلغ عددهم (١٣) ويمثلها العسكر من الأغوات وغالبيتهم من العناصر الرومية التي وفدت إلى القدس بحكم أن القدس كانت مركز الإدارة، ومن هؤلاء أحمد آغا كتخدا وإبراهيم آغا كتخدا، ومحمد آغا^(٥٠) ورضوان آغا بكر

(٤٤) س ش القدس ١٤١، ذي الحجة ١٠٥٨هـ/ ١٧ كانون الأول ١٦٤٨م، ص ١٣٠-١٣١.

(٤٥) س ش القدس ١٥٦، ٦ رجب ١٠٦٩هـ/ ٢٩ أيار ١٦٥٩م، ص ٣٢٠. س ش القدس ١٣٢، جمادى الثانية ١٠٥٢هـ/ ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٤٦) س ش القدس ١٣٢، ربيع الأول ١٠٥٢هـ/ ٢٠ أيار ١٦٤٢م، ص ٤٥٩.

(٤٧) س ش القدس ٨٣، ١٣ شعبان ١٠١١هـ/ ص ٤٤٨ - ٤٤٩. س ش القدس ١١١، جمادى الأولى ١٠٣٥هـ/ ٢٩ كانون الأول ١٦٢٦م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤٨) س ش القدس ١٧٣، منتصف شعبان ١٠٨٢هـ/ ٣ كانون الأول ١٦٧١م.

(٤٩) س ش القدس ١٢٣، ٢٠ ربيع الأول ١٠٤٤هـ/ ٢٥ آب ١٦٣٤م، ص ٦٤٠ - ٦٤١.

(٥٠) س ش القدس ١٦٢، ٢٣ رمضان ١٠٧٣هـ/ ٩ نيسان ١٦٦٣م، ص ٤٣٢.

الرومي.^(٥١) ومصطفى آغا رئيس البوابين بالبواب العالي،^(٥٢) ومحمد أفندي الكاتب بالبواب العالي،^(٥٣) وأحمد آغا الرومي،^(٥٤) وإسماعيل آغا،^(٥٥) ومحمد آغا،^(٥٦) وسليم أفندي الرومي،^(٥٧) ويحي باشا نائب دفتر دار دمشق،^(٥٨) ومحمد آغا متولي وقف خاصكي سلطان الذي أوقف وقفيتين^(٥٩).

- المجموعة الرابعة: وهم الرجال من العناصر المحلية من سكان القدس، وكان لهم دور في وقف النقود إذ بلغ عدد الوقفيات التي أوقفها الرجال من العناصر المحلية (٩)، وهؤلاء الواقفون هم محمد شمس الدين الدجاني،^(٦٠) محمد أبي اليسر عليان،^(٦١) مصطفى فخر الدين عثمان العلمي،^(٦٢) إبراهيم علي كاتب أوقاف النبي إبراهيم،^(٦٣) أحمد شهاب الدين الكيلاني،^(٦٤) أحمد شهاب الدين الحسيني،^(٦٥) حسن عبد النبي أسعد،^(٦٦) عثمان بيك الصوفي،^(٦٧) إسماعيل محمد^(٦٨).

- المجموعة الخامسة: هم النساء وبلغ عدد النساء اللواتي أوقفن النقود (٩) نساء ست منهن من أصول محلية وثلاث من العناصر الرومية. وهؤلاء هن: يُمنى

-
- (٥١) س ش القدس ١٣٩، ١٨ محرم ١٠٥٧هـ/ ٦ شباط ١٦٤٧م، ص ٢٠١.
(٥٢) س ش القدس ١٠٣، جمادى الأولى ١٠٢٩هـ/ ١٤ آذار ١٦٢٢م، ص ٩٣.
(٥٣) س ش القدس ١٢٧، ذي القعدة ١٠٤٧هـ/ آذار ١٦٣٩م، ص ٦٠٦.
(٥٤) س ش القدس ١٦٧ شوال ١٠٧٧هـ/ ٢٧ آذار ١٦٦٧م، ص ١٦٩.
(٥٥) س ش القدس ١٥٥، ربيع الأول ١٠٦٨هـ/ كانون الأول ١٦٥٧م، ص ٥٧ - ٥٨.
(٥٦) س ش القدس ١٦٢، ٢٣ رمضان ١٠٧٣هـ/ ٩ شعبان ١٦٦٢م، ص ٤٢٢.
(٥٧) س ش القدس ١٦٦، ربيع الثاني ١٠٧٦هـ/ ١١ تشرين الثاني ١٦٦٥م، ص ٣.
(٥٨) س ش القدس ١٢٢، جمادى الأولى ١٠٤٢هـ/ ٣ تشرين الثاني ١٦٢٣م، ص ١٠٥ - ١٠٦.
(٥٩) س ش القدس ٩٤ ٣١ صفر ١٠٢٢هـ/ ٢٣ آذار ١٦١٣م، ص ١٩٣.
(٦٠) س ش القدس ٩٦، رجب ١٠٢٢هـ/ ١٧ آب ١٦١٤م، ص ٢٨.
(٦١) س ش القدس ٩٦، صفر ١٠٢٤هـ/ ١٢ آذار ١٦٢٥م، ص ١٢٩.
(٦٢) س ش القدس ١٤٤، جمادى الأولى ١٠٦٠هـ/ ٢ أيار ١٦٥٠م، ص ٢٢.
(٦٣) س ش القدس ١٤٢، محرم ١٠٦٠هـ/ ٤ كانون الأول ١٦٥٠م، ص ٤.
(٦٤) س ش القدس ٩٢، رجب ١٠٢٢هـ/ ١٧ آب ١٦١٣م، ص ٢٢٠.
(٦٥) س ش القدس ٩٤، شعبان ١٠٢٥هـ/ ١٤ آب ١٦١٦م، ص ١٢٥.
(٦٦) س ش القدس ١٨٧، رمضان ١٠٩٦هـ/ آب ١٦٨٥م، ص ١٣٦.
(٦٧) س ش القدس ٩٨، ربيع الثاني ١٠٢٥هـ/ ٩ آذار ١٦١٦م، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.
(٦٨) س ش القدس ١١٩، محرم ١٠٤٢هـ/ ١٩ تموز ١٦٢٢م، ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

الحاج محمد المدبوح،^(٦٩) جاني خاتون،^(٧٠) كنجار عبد الله الرومية،^(٧١) آمنة الحاج محمد بحوش،^(٧٢) قمر محمد الجاعوني،^(٧٣) زاهدة محمد موسى الدهينة،^(٧٤) ألفية علي الرومي،^(٧٥) رحيمة الشيخ أسعد،^(٧٦) صافية عبد الله الجزائرية^(٧٧).

ولاية وقف النقود

مفهوم الولاية

الولاية لغةً: مصدر ولي وهو الناصر، وقيل: المتولي لأموال العالم والخلائق القائم بها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، ومالم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الوالي.

وقيل الولاية: الخطة، كالإمارة والنقابة وقيل السلطان، والولاية - بكسر الواو وفتحها - النصر، يقال هم على ولاية، أي مجتمعون في النصر.

ويقال: ولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، وولي المرأة يلي عقد النكاح عليها.^(٧٨)

الولاية اصطلاحًا: عرّف الفقهاء الولاية بتعاريف تتفق معنى وإن اختلفت لفظًا ونذكر منها الآتي:

-
- (٦٩) س ش القدس ٨٣، ٣ شعبان ١٠١١هـ/ ١٤ كانون الثاني ١٦٠٣م، ص ٤٤٨ - ٤٤٩.
- (٧٠) س ش القدس ٨٦، ٣ رجب ١٠١٥هـ/ تشرين الثاني ١٦٠٦ م، ص ٣٢٥.
- (٧١) س ش القدس ٩٥، رمضان ١٠٢٣هـ/ تشرين الأول ١٦١٤م، ص ٢٠٢.
- (٧٢) س ش القدس ٩٨، محرم ١٠٢٥هـ/ ٢ كانون الثاني ١٦١٦م، ص ١١٧.
- (٧٣) س ش القدس ١٠٩، شوال ١٠٢٣هـ/ ١٧ تموز ١٦٢٤م، ص ١٦٠ - ١٦١.
- (٧٤) س ش القدس ١٤٩، ٢٩ رجب ١٠٦٤هـ/ ٨ أيار ١٦٥٤م، ص ٢١٨.
- (٧٥) س ش القدس ١٦٣، ٢ شوال ١٠٧٣هـ/ ٩ أيار ١٦٦٣م، ص ٨.
- (٧٦) س ش القدس ١٥٧، جمادى الثانية ١٠٦٩هـ/ ٨ أيار ١٦٥٤م، ص ٢١٨.
- (٧٧) س ش القدس ١٤١، ١٥ رمضان ١٠٥٨هـ/ ٨ أيلول ١٦٤٩ م، ص ٤١.
- (٧٨) ابن منظور: لسان العرب، باب الياء، فصل الواو، مادة ولي، ج ١٥، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

الولاية هي: تنفيذ القول على الغير شاء هذا الغير أم أبى.^(٧٩)

وقيل في معناها: التصرف على الغير شاء أم أبى.^(٨٠)

أما الولاية على الوقف فهي ما يهمنها وهي ليست ناشئة عن نقص أهلية ولا علاقة لها بالنفس أصلاً، وإنما هي ولاية يفوض صاحبها بحفظ المال الموقوف، والعمل على إبقائه صالحاً نامياً بحسب شروط الواقف.^(٨١) وهي أيضاً عبارة عن سلطة شرعية تجعل لمن تثبت له القدرة على وضع يده على الوقف وإدارة شؤونه، من استغلال وعمارته وصرف الربح للمستحقين.^(٨٢)

ومن التعاريف الأخرى: بأنها سلطة محدودة برعاية الوقف وإصلاحه واستغلاله وانفاق غلاته في وجوهها.^(٨٣)

أما ولاية وقف النقود خلال فترة الدراسة فيديرها عمال من فئات اجتماعية مختلفة يدعون بالمتولين والنظار ويعينهم الواقفون، ويتم اختيارهم وفق صفات معينة وهي: الأمانة والديانة والعفة. وهذا التعيين غير دائم، إذ يعزل المتولي أو الناظر إذا أخل بعمله؛ بسبب الإهمال أو سوء الإدارة. وقد حظيت إدارة أوقاف النقود بإدارة شيوخ الحرم القدسي وكبار الوظائف لعاملين في الوظائف الدينية في القدس؛ إذ اشترط بعض الواقفين إدارة الوقف لشيوخ الحرم القدسي وأصحاب الوظائف الدينية الأخرى

(٧٩) الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ص ٢٥٤. سيشار له فيما بعد: الجرجاني: التعريفات.

(٨٠) أحمد بن محمد الحنفي الحموي: غمر عيون البصائر وشرح كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٤٥٥. سيشار له فيما بعد: الحموي: غمر عيون البصائر.

(٨١) مصطفى أحمد الزرقا: المدخل الفقهي العام، الطبعة العاشرة، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٨٢٨.

(٨٢) بدران أبو العينين بدران: أحكام الوصايا والأوقاف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢. ص ٢٠٧. سشار له فيما بعد، بدران: أحكام الوصايا والأوقاف. أحمد فرّاح حسين: أحكام الوصايا والأوقاف في الشريعة الإسلامية، مطبعة منيمنة، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٥٢. سيشار له فيما بعد، حسين: أحكام الوصايا والأوقاف.

(٨٣) محمد جواد مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م، ج ٥، ص ٧٢. سيشار له فيما بعد، مغنية: فقه الإمام جعفر الصادق.

وهو مسلك منطقي؛ لأن الواقف أعرف من غيره بحرص الشيوخ وأصحاب الوظائف الدينية على تنفيذ شروطه (خاصة شرط الابتعاد عن شبهة الربا) ورغباته المشروعة التي يتوخاها من عمله الخيري التطوعي. وقد تولى ١١ شيخاً من شيوخ الحرم القدسي ولاية أوقاف النقود، وتولى بعضهم ولاية أكثر من وقفية كلاً على حدة وفي فترات مختلفة، فعلى سبيل المثال تولى الشيخ صالح عبد الرزاق شيخ الحرم القدسي ولاية وقف النقود أربع وقفيات كل على حدة،^(٨٤) فيما تولى الشيخ عبد القادر شيخ الحرم القدسي ولاية وقف النقود سبع مرات في فترات مختلفة، كما تولى الشيخ عبد القادر السمين ولاية وقف النقود ثلاث وقفيات كل على حدة وفي فترات مختلفة.^(٨٥) في حين أشارت ثلاث وقفيات إلى ولاية شيوخ الحرم القدسي لولاية الوقف دون ذكر أسمائهم،^(٨٦) كما شغل مفتو القدس ولاية وقف النقود، فقد تولى جار الله اللطفي مفتي القدس ولاية الوقف،^(٨٧) وتولى عبد الغفار ولاية وقف النقود^(٨٨)، وتولى عبد اللطيف الحسيني نقيب الأشراف ولاية وقف النقود،^(٨٩) كما تولى شمس الدين نقيب الأشراف بالقدس ولاية وقف النقود،^(٩٠) كما تولى إمام المالكية في المسجد الأقصى المبارك ولاية وقف النقود،^(٩١) وتولى قاسم بيك ترجمان محكمة القدس ولاية وقف النقود.^(٩٢)

(٨٤) س ش القدس ١٥٥، ربيع الأول ١٠٦٨هـ/ كانون الأول ١٦٥٧م، ص ٥٧ - ٥٨. س ش القدس ١٥٦، ٦ رجب ١٦٩هـ/ ٢٩ آذار ١٦٥٩م، ص ٣٢٠. س ش القدس ١٧٢، منتصف شعبان ١٠٨٢هـ/ ص ٣١٩. س ش القدس ١٦٨، ٢٩ ربيع الأول ١٠٧٨هـ/ ص ١٠٦.

(٨٥) س ش القدس ١٢٩، ١٨ محرم ١٠٥٧هـ/ ٦ شباط ١٦٤٧م، ص ١٩٨، س ش القدس ١٢٩، ٢٠ محرم ١٠٥٧هـ/ ٦ شباط ١٦٤٧م، ص ٢٠١. س ش القدس ١٥٢، ١٩ جمادى الأولى ١٠٦٧هـ/ ١٥ شباط ١٦٥٧م، ص ١٤٧، س ش القدس.

(٨٦) س ش القدس ١٥٧، رجب ١٠٧٠هـ/ ١٣ آذار ١٦٦٦م، ص ٨٦ - ٨٧. س ش القدس ١٦٢، ٢٣ رمضان ١٠٧٣هـ/ ٩ نيسان ١٦٦٣م، ص ٤٢٢. س ش القدس ١٥٢، ربيع الأول ١٠٦٨هـ/ كانون الأول ١٦٥٧م، ص ٥٧ - ٥٨.

(٨٧) س ش القدس ١٤٧، ربيع الأول ١٠٦٣هـ/ ٢٠ كانون الثاني ١٦٥٣م، ص ٩٢ - ٩٣.

(٨٨) س ش القدس ١٣٢، ربيع الثاني ١٠٥٢هـ/ ٢٩ نيسان ١٦٤٢م، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٨٩) س ش القدس ١٨٧، رمضان ١٠٩٦هـ/ آب ١٦٨٥م، ص ١٣٦.

(٩٠) س ش القدس ١٤١، ذي الحجة ١٠٥٨هـ/ ١٧ كانون الأول ١٦٤٨م، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٩١) س ش القدس ١٥٥، ربيع الأول ١٠٦٨هـ/ كانون الأول ١٦٥٧م، ص ٥٦ - ٥٨.

(٩٢) س ش القدس ١٩٦، ٢٩ شعبان ١١٠٦هـ/، ص ٤٢٩.

كما تولت العناصر المحلية ولاية أوقاف النقود: فقد تولى ثلاثة أفراد من عائلة الداودي ولاية وقف النقود، وهم فخر الدين صلاح الدين الداودي،^(٩٣) وعبد الله الداودي،^(٩٤) وسليمان الداودي،^(٩٥) كما تولى أفراد من عائلة العسلي ولاية وقف النقود وهم: عبد الجواد العسلي شيخ التجار في القدس الذي شغل أربع مرات،^(٩٦) ويوسف محمد العسلي،^(٩٧) ومن عائلة الجاعوني الشيخ محمد الجاعوني،^(٩٨) ومحمد العنبوسي،^(٩٩) ومحمد الخليلي الذي شغل منصب متولي الوقف أربع مرات في فترات مختلفة.^(١٠٠)

من جانب آخر تولى بعض الواقفين ولاية وقفهم بأنفسهم فقد تولى مصطفى فخر الدين العلمي ولاية وقفه.^(١٠١)

نظر وقف النقود

الناظر في اللغة تعني المشرف أو المراقب العام أو الحافظ^(١٠٢)، وهو الشخص - سواء الرجل أو المرأة الذي يشغل إدارة بعض وظائف الوقف - ووظيفة الناظر أعلى من وظيفة المتولي، ويقول ابن عابدين إن متولي الوقف يرجع إلى الناظر في بعض الأمور التي تتعلق بالوقف^(١٠٣).

-
- (٩٣) س ش القدس ٩٨، ربيع الثاني ١٠٢٥ هـ / ١٨ نيسان ١٦١٦ م، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
- (٩٤) س ش القدس ١٤٢، محرم ١٠٦٠ هـ / ٤ كانون الأول ١٦٥٠ م، ص ٤.
- (٩٥) ٤٦٢، س ش القدس ١٣٢، جمادى الثانية ١٠٥٢ هـ / ١٧ آب ١٦٤٢ م، ص ٤٦٣.
- (٩٦) س ش القدس ١٤٩، ٢٩ رجب ١٠٦٤ هـ / ١٨ أيار ١٦٥٤ م، ص ٢١٨. س ش القدس ١٢٦، جمادى الأولى ١٠٤٧ هـ / ٢١ أيلول ١٦٣٧ م، ص ٤٠٤ - ٤٠٥. س ش القدس ١٣٢، جمادى الثانية ١٠٥٢ هـ / ٢٨ حزيران ١٦٤٢ م، ص ٤٦٢. س ش القدس ١٣٢، جمادى الثانية ١٠٥٢ هـ / ١٧ آب ١٦٤٢ م، ص ٤٦٣.
- (٩٧) س ش القدس ١٥٧، جمادى الثانية ١٠٦٩ هـ / ٢٤ شباط ١٦٥٩ م، ص ٦٦ - ٦٧.
- (٩٨) س ش القدس ١٠٩، ١٩ شوال ١٠٢٣ هـ / ١٧ تموز ١٦٢٤ م، ص ١٦٠ - ١٦١.
- (٩٩) س ش القدس ١٧٤، محرم ١٠٨٣ هـ / ٢٩ نيسان ١٦٧٢ م، ص ٨١.
- (١٠٠) س ش القدس ١١٨، ١٥ ربيع الأول ١٠٤١ هـ / كانون الأول ١٦٢١ م، ص ٣٢٦ - ٣٢٧. س ش القدس ١٢٢، جمادى الأولى ١٠٤٣ هـ / ٢ تشرين الثاني ١٦٢٣ م، ص ١٠٥ - ١٠٦. س ش القدس ١٠٥، ٤ شعبان ١٠٣١ هـ / ١١ حزيران ١٦٢٢ م، ص ٤٠٤. س ش القدس ١١١، جمادى الأولى ١٠٣٥ هـ / ٢٩ كانون الثاني ١٦٢٦ م، ص ١٢٩ - ١٣٠.
- (١٠١) س ش القدس ١٤٤، جمادى الأولى ١٠٦٠ هـ / ٢ أيار ١٦٥٠ م، ص ٢٢.
- (١٠٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (نظر) ج٦ م، ذ ٤، ص ١٩٤.
- (١٠٣) ابن عابدين: الدرالمختار، ج ٦، ص ٥٣٦.

ويتضح من الحجج الوقفية أن عمل الناظر هي متابعة أمور الوقف وتوزيع ريع الوقف حسب شرط الواقف. وقد عيّن بعض الواقفين نظاراً لإدارة أوقافهم فقط ومن هؤلاء النظّار: عبد القادر العلمي^(١٠٤) شمس الدين نقيب الأشراف، وتولى ذلك العمل مرتين كل على حدة^(١٠٥)، وإبراهيم كاتب أوقاف النبي إبراهيم^(١٠٦)، وعلي أفندي الدقاق^(١٠٧) والشيخ محمد شيخ المغاربة،^(١٠٨) وقد لجأ بعض الواقفين إلى توليهم بأنفسهم منصب المتولي والناظر في آن واحد.^(١٠٩) وفي هذه الحالة يشير ابن عابدين أن وظيفة الناظر هي الإشراف على الوقف^(١١٠).

وقد خصص الواقفون أجور العاملين في الوقف سواء المتولين أم النظّار من أرباح المبالغ الموقوفة. وقد تراوحت هذه الأجور ما بين نصف قرش^(١١١) وسبعة قروش^(١١٢)، باستثناء الواقف محمد شمس الدجاني الذي اشترط عدم دفع أجور كل من الناظر والكاتب والجابي واعتبار عملهم لوجه الله تعالى.^(١١٣)

-
- (١٠٤) س ش القدس ١١٩، محرم ١٠٤٢هـ/ ١٩ تموز ١٦٢٢م، ص ٣٥٢ - ٣٥٤.
(١٠٥) س ش القدس ١٢٦، جمادى الأولى ١٠٤٧هـ/ ٢١ أيلول ١٦٢٧م، ص ٤٠٤ - ٤٠٥. س ش القدس ١٥٥، ربيع الأول ١٠٦٨هـ/ كانون الأول ١٦٥٧م، ص ٥٧ - ٥٨.
(١٠٦) س ش القدس ١٢٢، ١٠ جمادى الأولى ١٠٤٣هـ/ ص ١١٠ - ١١٢.
(١٠٧) س ش القدس ١٧٤، محرم ١٠٨٢هـ/ ٢٩ نيسان ١٦٧٢م، ص ٨١.
(١٠٨) س ش القدس ١٤١، ١٥ رمضان ١٠٥٨هـ/ ٨ أيلول ١٦٤٩م، ص ٤١.
(١٠٩) س ش القدس ١٢٣، ٢٠ ربيع الأول ١٠٤٤هـ/ ٢٥ آب ١٦٤٣م، ص ٦٤٠ - ٦٤١.
(١١٠) ابن عابدين، الدر المختار، ج٣، ص ٤٣٠.
(١١١) س ش القدس ١٤٠، ٣ ربيع الثاني ١٠٥٨هـ/ ٢٥ نيسان ١٦٤٨م، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.
(١١٢) س ش القدس ١٢٢، جمادى الأولى ١٠٥٠هـ/ ١٩ آب ١٦٤٠م، ص ١٤٢.
(١١٣) س ش القدس ٩٦، رجب ١٠٢٣هـ/ ١٧ آب ١٦١٤م، ص ٢٨.

البُعد التاريخي للأوقاف الإسلامية في القدس الشريف

مديرية عموم أوقاف القدس ١٨٤٣-١٩٤٨م

ودورها في خدمة وتوثيق أوقاف فلسطين

د. نائلة الوعري*

المقدمة

تركز هذه الدراسة في مضامينها على الجوانب الإدارية في أوقاف فلسطين بعامة والقدس بخاصة، وتتناول مؤسسة مديرية عموم الأوقاف في مدينة القدس التي تشكلت عام ١٨٤٣م، وواكبت مسيرتها في إدارة أوقاف لوائي القدس ونابلس وجنين منذ تأسيسها عام ١٨٤٣م، وحتى رحيل الحكم العثماني عن فلسطين عام ١٩١٨م، وفي ظل الاحتلال البريطاني تابعت مسيرتها في إدارة جميع أوقاف فلسطين بعد انضمام أوقاف لواء عكا إليها عام ١٩٢١م، وحتى نكبة عام ١٩٤٨م، وذلك تحت إشراف وزارة الأوقاف العثمانية ١٨٤٣-١٩١٨م، والمجلس الإسلامي الشرعي الأعلى ١٩٢١-١٩٤٨م، وتناولت في هذا الجانب المهم ثلاث نقاط رئيسية وهي: الأولى تشكيلاتها الإدارية ١٨٤٣-١٩٤٨م، وقسمت إلى مرحلتين حسب الجهات الفاعلة فيها، وتتمثل في التشكيلات العثمانية ١٨٤٣-١٩١٨م، وتشكيلات فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨م، بينما ركزت الثانية على التبعية الإدارية التي انتظمت فيها خلال فترة الدراسة، في حين

* باحثة في تاريخ القدس وفلسطين، وعضو ممتدى الفكر العربيّ/فلسطين -البحرين.

عرضت النقطة الثالثة أهم الأعمال التي قامت بها خلال مسيرتها الإدارية وتتضمن توثيق الأوقاف وحفظ أرشيفها ورفع التعديلات عنها.

أولاً: تشكيلاتها ١٨٤٣-١٩٤٨م

أ- تشكيلاتها العثمانية ١٨٤٣-١٩١٨م: شكلت مديرية عموم القدس عام ١٨٤٣م، وذلك في إطار التشكيلات الجادة والطموحة التي قامت فيها الدولة العثمانية عام ١٨٢٦م لإصلاح وتنظيم الأوقاف، عندما بادرت لإنشاء وزارة الأوقاف، وفي سبيل تفعيل دورها في ولايات الدولة شكلت مديريات فرعية لتحقيق تطلعاتها وأهدافها في مراكز الولايات، والألوية^(١)، وبما أن القدس عادت ضمن تشكيل ولاية صيدا بعد انسحاب الجيش المصري من بلاد الشام عام ١٨٤٠م، فإن أوقافها المنقولة وغير المنقولة الخيرية والذرية قد وضعت تحت إشراف مديرية أوقاف ولاية صيدا^(٢)، وفي عام ١٨٤٣م أقدمت الدولة العثمانية على فصل لوائي القدس ونابلس عن ولاية صيدا ووضعها في ولاية خاصة مع بعض الإشراف غير المباشر لولاية صيدا عليها، وعملاً بذلك بادرت وزارة الأوقاف على فصل مديرية أوقاف القدس عن صيدا، وإنشاء مديرية خاصة بها تتسجم مع تشكيلاتها الإدارية الجديدة المدرجة تحت اسم «ولاية القدس الشريف»، وضمت ألوية القدس ونابلس وجنين وغزة ويافا، واتخذت من مدينة القدس مقراً لها^(٣).

(١) سجلات محكمة القدس الشرعية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمّان، وسيُشار لهذه المصدر بالقدس وإلى جانبها رقم السجل على النحو الآتي: -القدس ٣٣٧، ١٢٧٠هـ/١٨٥٣، ص ٢٧؛ القدس ٢٤٢، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص ٨٦، ١١٨؛ القدس ٢٤٦، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص ٢٠٦؛ القدس ٢٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٣٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١؛ سجلات محكمة نابلس الشرعية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمّان، وسيُشار لهذه المصدر بنابلس وإلى جانبها رقم السجل على النحو الآتي: -نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص ١٠٧.

(٢) القدس ٣٣٧، ١٢٧٠هـ/١٨٥٣، ص ٢٧؛ القدس ٣٤٢، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص ٨٦؛ نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص ١٠٧.

(٣) القدس ٣٣٩، ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، ص ٥٨؛ القدس ٣٤٣، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص ٨٦، ١١٨؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٣٨٦؛ نابلس ١١، ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م، ص ١٢٢-١٢٧.

ومن الجدير بالذكر أن الإشراف غير المباشر لولاية صيدا على «ولاية القدس الشريف» لم يكن انتقاصاً من دورها الحضاري أو إظهار عجزها الإداري وعدم قدرتها على النهوض بنفسها، وان ما جنحت إليه الدولة بعد عام ١٨٤٠م كان من باب الحرص الكبير الهادف إلى فرض الحكم المركزي، والتخلص من مخلفات الحكم المصري والحد من نشاط التغلغل الأجنبي^(٤).

أما على صعيد الأوقاف، فقد انسجمت تشكيلات ولاية القدس مع غيرها من الولايات العثمانية، فشكل فيها مديرية خاصة تعنى بشؤون الأوقاف عرفت بـ «مديرية عموم الأوقاف»^(٥). وفي عام ١٨٦٤م تراجعت تشكيلة القدس الإدارية من ولاية إلى لواء، ولم نلاحظ أي تغيير في بنية تشكيلات مديرية عموم أوقافها، ويرجع ذلك إلى أهميتها الدينية ووجود المسجد الأقصى بها الذي يعد المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، وأيضاً إلى سعة المساحة التي تولت الإشراف عليها، وتشمل جميع أراضي فلسطين باستثناء لواء عكا بمساحته البالغة (٢٢٠٠٠) كم^٢ من أصل (٢٧٠٠٠) كم^٢^(٦) وإلى كثافة الأوقاف الخيرية والذرية المحبوسة في ربوعها سواء حُبست على مؤسسات محلية أو مؤسسات خارجية ومنها المسجد الحرام والمسجد النبوي، وإلى انتشار بعض أوقافها في مصر وحبلى والأناضول^(٧). ولهذا حافظت على

(٤) سجلات محكمة يافا الشرعية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمّان، وسيُشار لهذه المصدر بـ يافا وإلى جانبها رقم السجل على النحو الآتي: يافا ١٦، ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، ص ١٢؛ يافا ١٩، ١٢٧٢هـ/١٨٤٠م، ص ١٨٦؛ يافا ٢٧، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ص ٧٣.

(٥) القدس ٣٤٢، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص ٨٦، ١١٨؛ القدس ٣٤٦، ٢٠٦؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٢٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١؛ القدس ٣٥٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص ٢٧٠؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٣١٣.

(٦) أبوبكر، أمين، ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان، ١٩٩٦م، ص ٥٧.

(٧) سجل أراضي ألوية صفد نابلس غزة وقضاء الرملة حسب الدفتر رقم ٣١٢ تاريخه ٩٦٤هـ/١٥٥٦م، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، ١٩٩٩هـ/١٤١٩م، ص ٦٣-٣٩١؛ سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢/تاريخه ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، دراسة وتحقيق، محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٥٧-١٧٧؛ يافا ١٢، ١٢٥٦هـ/١٨٢٨م، ص ٩١.

تشكيلتها كمديرية عموم أوقاف، بالرغم من تراجع تشكيلاتها الإدارية عام ١٨٦٤م،^(٨) وضمها إلى مدينة دمشق مركز ولاية سورية وفصلها عن دمشق عام ١٨٧٤م، واتباعها للعاصمة استانبول مباشرة^(٩) وفصل لواء نابلس عنها عام ١٨٦٩م^(١٠).

وتتجلى قوة التشكيلات الإدارية لمديرية عموم أوقاف القدس في استمرارها بالحفاظ على بنيتها الإدارية كمديرية عموم بالرغم من تراجع بنية تشكيلات القدس الإدارية من ولاية إلى لواء، وإشرافها على إدارة أوقاف لواء نابلس بعد عام ١٨٦٩م بالرغم من انفصاله عن القدس من الناحية الإدارية والعسكرية، كما أقامت علاقات وطيدة مع مديريات الولايات العثمانية الأخرى، نظرًا لانتشار أوقافها في عدد من الولايات ومنها مصر وسورية وحلب وبيروت^(١١)، وبالتالي فإن اتساع صلاحياتها في فترة الانتداب البريطاني لتشمل جميع أنحاء فلسطين لم تأت من فراغ. وبما يليق بتشكيلاتها، فقد عهدت الدولة العثمانية بإدارتها، ومنذ تشكيلها عام ١٨٤٣م، لشخصيات محلية على قدر كبير من التعليم والمراس والخبرة والدراية في أمور الأوقاف والقضاء والإفتاء، وحازوا على ذلك من خلال مستويات التعليم الرفيعة التي تلقوها في أروقة المسجد الأقصى والمدارس المحيطة به، والأزهر في القاهرة، والمناصب والوظائف الإدارية التي تقلدوها وشغلوها، في سلك التدريس والخطابة والإمامة والإفتاء والقضاء الشرعي ونقابة الإشراف ومشيخة المسجد الأقصى ونظارة وتولية أوقاف المؤسسات الكبيرة

(٨) القدس ٢٤٨، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ١-٥٣؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ١٠-١١؛ القدس ٣٥٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص ٤٦، ٦٠، ٩١؛ القدس ٣٥٥، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، ص ٨٥-٨٧؛ القدس ٣٦١، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ٣١٧؛ القدس ٣٦٥، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ١٤٩-١٥٠؛ القدس ٣٧٠، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ٧٣؛ سجلات محكمة الخليل الشرعية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمّان، وسيُشار لهذه المصدر بالخليل وإلى جانبها رقم السجل على النحو الآتي: -الخليل ٦، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ١٩٩؛ أبوبكر، ملكية ص ١٥٩.

(٩) يافا ٦٢١٤، ١٢١٤هـ/١٨٩٦م، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ القدس ٣٨٥، ١٢١٥هـ/١٨٩٧م، ص ١٤٨-١٤٩.

(١٠) القدس ٣٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص ٤٦، ٦٠، ٩١؛ نابلس ١٥، ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، ص ٢٩٢؛ أبوبكر، ملكية، ص ٥٧.

(١١) القدس ٤، ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، ص ٤٨؛ القدس ٣١، ٩٦٣هـ/١٥٥٥م، ص ٤٩٨؛ القدس ٤٦، ٩٧٢هـ/١٥٦٤م، ص ١٣٠؛ القدس ٥٣، ٩٧٨هـ/١٥٧٠م، ص ٣٢٢، ٣٥٣؛ نابلس ٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص ١٠٧.

مثل المسجد الأقصى وقبة الصخرة والحرم الإبراهيمي وتكية خاصكي سلطان^(١٣)، الأمر الذي يفسر كثافة ألقاب التفخيم والتبجيل التي أحيطوا بها^(١٣) ومنها «صاحب المكرمة»^(١٤).

وكانت أوامر العزل والتولية بحق مديرها تصدر إبان الفترة العثمانية عن القصر السلطاني^(١٥)، ففي عام ١٨٦٢م، تولاهما أمين عمر طهبوب، وكان على قدر كبير من الخبرة في مجال الأوقاف نتيجة لعمله الطويل في إدارة أوقاف الحرم الإبراهيمي في الخليل^(١٦)، وخلفه فيها مفتي القدس محمد أمين الحسيني، الذي جمع بين منصب الإفتاء وإدارة الأوقاف، وكان موروث أسرته الثقافي والإداري في منصب الإفتاء ونقابة الأشراف والقضاء ومشيخة المسجد الأقصى وتولي نظارته قد جعلها تهيمن على رئاستها حتى رحيل الحكم العثماني عام ١٩١٨م^(١٧) وفرض شروطها على إدارتها في ظل الانتداب البريطاني من خلال المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني^(١٨). وبموجب ذلك فقد انتظمت تشكيلاتها وتبعيتها الإدارية في الفترة العثمانية في الهيكلية التي يظهرها شكل رقم (١).

(١٢) القدس ٢٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص ٢؛ القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص ١٢٠؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٢٨٦؛ القدس ٣٨٤، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ٤؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٣١٣؛ نابلس ١٨، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، ص ٧٦؛ مسعود، قدرتي جمال جميل، عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف محمد رجائي ريان، جامعة اليرموك، د. ت، ص ٤٥٥.

(١٣) القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص ١٢٠.

(١٤) القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ٥١.

(١٥) القدس ٢٧٨، ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، ص ٧٠؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١؛ القدس ٣٨٤، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ٤؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٧٦.

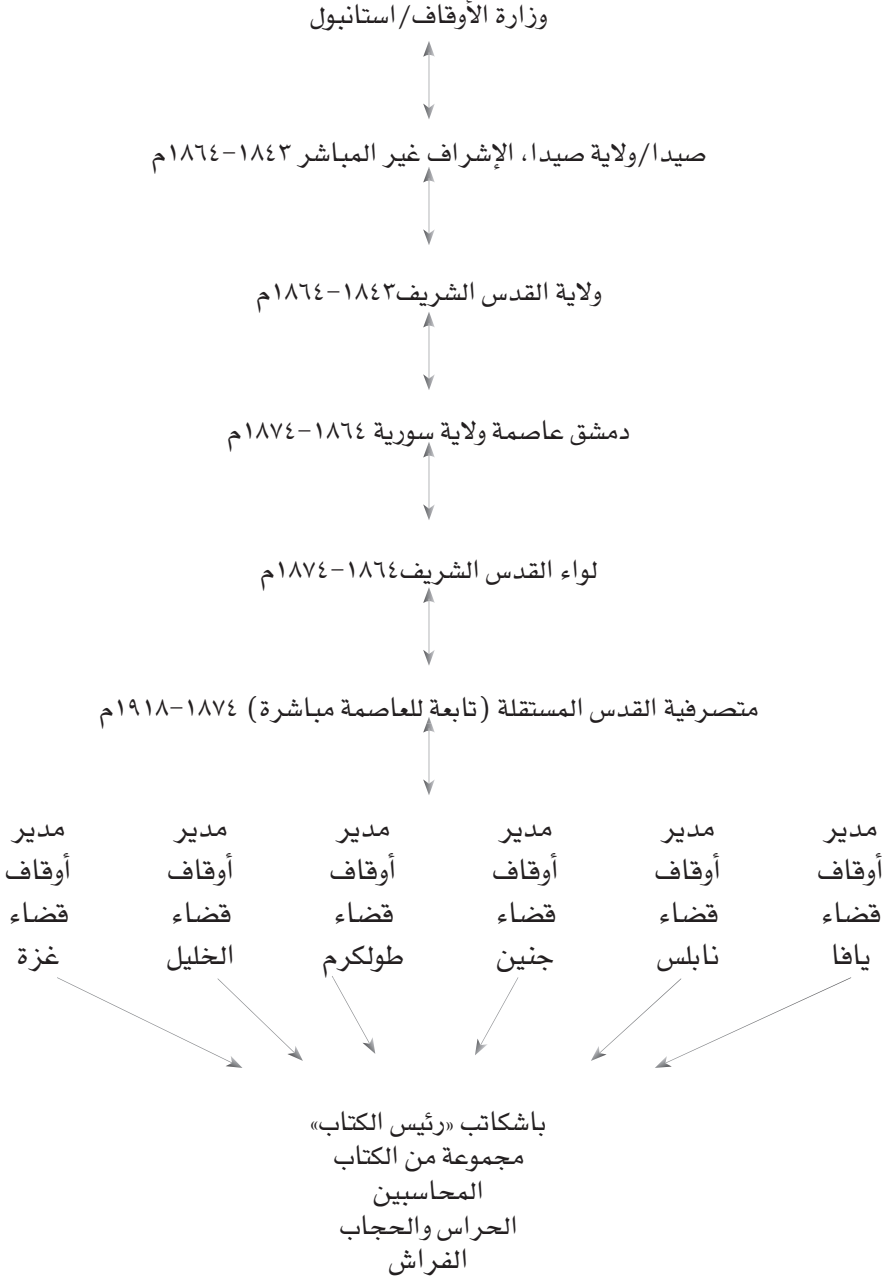
(١٦) القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص ١٢٠؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ١٨٢؛ الخليل ١٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص ١٠٩؛ الخليل ١٨، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص ١٩-٢٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٣٥٥-٣٥٦؛ الخليل ١٩، ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م، ص ٢٣، ٧٢، ١١٢، ١٨٠؛ الخليل ٢١، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ١٠٣، ١١٢، ٢٢٤؛ الخليل ٢٥، ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، ص ٣، ٩، ١٧.

(١٧) القدس ٢٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص ٢؛ القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص ١٢٠؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٢٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١.

(١٨) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا، فلسطين، ١٩٣٧م، ص ٥٢.

شكل (١)

هيكلية التشكيلات والتبعية الإدارية لمديرية عموم الأوقاف ١٨٤٣-١٩١٨م



ومن الجدير بالذكر أنه لا تتوافر لدينا بيانات مؤكدة حول المقر الدائم للمديرية في مدينة القدس إبان الحكم العثماني، وإن كنا نرجح أنه كان في دار الحكومة القريب من المسجد الأقصى، أو في إحدى المدارس القديمة القائمة على مقربة من مبنى الحكومة، وذلك قبل نقلها إلى خارج الأسوار لما للأوقاف من علاقة وثيقة بالدوائر المدنية الأخرى وخاصة الطابو^(١٩)، ولم يتوان مديرها عن الخروج من مقره في جولات ميدانية للاطلاع على أحوال الأوقاف وعائداتها^(٢٠)، ومراسلة نوابه في الأقضية والأجهزة المدنية والعسكرية القائمة فيها، فيما يتعلق بالأوقاف^(٢١)، وحضور اجتماعات مجالس الإدارة التي كانت تتولى مناقشة القضايا الملحة للأوقاف^(٢٢)، وكان يساعده في تسيير مهامها عدد من الكتبة والمحاسبين والمدققين والمراسلين والفراشين والحراس^(٢٣).

وفي سبيل تفعيل دورها ميدانياً، فقد عمدت المديرية العامة للأوقاف إلى فتح دوائر تنفيذية لها في مراكز الأقضية الملحقة بها^(٢٤)، وعملاً بذلك، ألحق بها ست

(١٩) القدس ٣٣٩، ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، ص: ٨٦؛ القدس ٢٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص: ٦٥؛ القدس ٣٥٢، ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، ص: ٥٢؛ القدس ٣٥٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص: ٦٠، ٨٠، ٩١؛ القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص: ٧١؛ القدس ٣٦٨، ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، ص: ٣٤؛ القدس ٣٩١، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص: ٣٨؛ نابلس ١١، ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، ص: ١٢٢-١٢٧؛ نابلس ١٢، ١٢٥٦هـ/١٨٣٨م، ص: ١٢٢-١٢٧؛ نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص: ١٠٧؛ نابلس ١٧، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ص: ١٩١؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص: ٣١٢؛ نابلس ١٠، ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، ص: ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٦.

(٢٠) القدس ٣٤٢، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص: ٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص: ٥١؛ القدس ٣٥٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص: ٢٧٠؛ نابلس ١٢، ١٢٥٦هـ/١٨٣٨م، ص: ١٠٧-١٢٧؛ يافا ٢٧، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ص: ٧٣؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص: ٣١٣؛ يافا ٦٢، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص: ٣٠٥-٣٠٦.

(٢١) يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص: ٣١٣.

(٢٢) القدس ٣٣٢، ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، ص: ١٦؛ القدس ٣٣٤، ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م، ص: ٣٣؛ القدس ٣٤٢، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص: ٤٣؛ القدس ٣٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص: ٢؛ القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص: ٣-٤؛ القدس ٣٩١، ص: ٢٨؛ نابلس ١٢، ١٢٥٦هـ/١٨٣٨م، ص: ٨٥، ١٥٣؛ نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص: ٨٥، ١٨٦؛ يافا ١٧، ١٢٧٣هـ/١٨٤٠م، ص: ٢٦٢؛ الخليل ٢٤، ١٣٣٤هـ/١٩١٥م، ص: ٤٦.

(٢٣) نابلس ١٧، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ص: ١٠٧، ١٢٦-١٢٧؛ القدس ٣٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص: ١٤٤-١٤٥؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص: ١٨٢؛ القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص: ٧١؛ القدس ٣٨٩، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص: ٧٣؛ يافا ٤٦، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص: ١٧.

(٢٤) القدس ٣٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص: ١٤٤-١٤٥؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص: ١٨٢؛ القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص: ٧١.

دوائر للأوقاف، وتتمثل في كلٍّ من الخليل^(٢٥)، ويافا^(٢٦)، وغزة^(٢٧)، وجنين، وطولكرم، ونابلس^(٢٨)، وهي عبارة عن دوائر مصغرة عن مديرية عموم الأوقاف في القدس وذلك من حيث العزل، والتولية الصادرة بحق متوليها^(٢٩)، والمهام المنوطة بها، وترتيب تبعيتها الإدارية من استانبول وإليها^(٣٠)، والموظفون العاملون بها، حيث عهد بإدارتها إلى شخصيات محلية ممن أثبتت كفاية عالية في الوظائف الدينية والمؤسسات الوقفية^(٣١).

وبموجب التشكيلات الجديدة التي انتظمت فيها مديرية عموم الأوقاف بعد عام ١٨٤٢م، حلَّ مدير الأوقاف العام محل المتولي الذي أنيط به الإشراف العام على جميع الأوقاف^(٣٢) قبل ذلك التاريخ واستخدم للدلالة على أصغر تشكيلة إدارية في جهاز الأوقاف، وغالبًا ما تولى كل من أنيط به بأوقاف أحد المؤسسات مثل متولي وقف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي والنبوي موسى وغيرها، وبالرغم من ذلك، فقد صدرت أوامر العزل والتولية بحقه عن السلطان أسوة بمدير العموم ومدير دائرة القضاء، وروعي فيها التنسيبات الصادرة عن دوائر الأوقاف المحلية، والقضاء الشرعي، وإجماع الذرية، في حالة الوقف الذري، والأعيان، والوجوه والمجالس المحلية، والمختير، في

(٢٥) مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، دفاتر مديرية عموم الأوقاف/تركي، شريط (٢٧) سجل ٢٨، ص ٣٤، ٤٦، ٤٧.

(٢٦) دفاتر مديرية عموم الأوقاف/ تركي، شريط (٢٧) سجل ٢٨، ص ٢١.

(٢٧) دفاتر مديرية عموم الأوقاف/ تركي، شريط (٢٧) سجل ٢٦، ص ٥٢.

(٢٨) نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٥م، ص ١٠٧.

(٢٩) يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٣١٢.

(٣٠) يافا ٢٧، ١٢٧٢هـ/ ١٨٤٠م، ص ٧٣؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ص ٣١٣؛ يافا ٦٢، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٣١) القدس ٢٤٥، ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، ص ٢، ١٤٤-١٤٥؛ القدس ٢٤٦، ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٩م، ص ١٢٠؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، ص ٢٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، ص ٥١؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، ص ١٨٢؛ القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، ص ٧١؛ القدس ٣٨٩، ١٣١٤هـ، ص ١٨٢؛ نابلس ١٨، ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ص ٧٦.

(٣٢) العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية تاريخية، م ٢، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٨٥م، م ٢، عمّان، الأردن، ١٩٨٩م، ص ١١٧-١٣٨؛ المدني، زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥-١٢٤٥هـ/ ١٨٠٠-١٨٣٠م، بنك الأعمال، عمّان، الأردن، ١٩٩٦م، ص ٢٠١.

الأوقاف الخيرية والتي غالبًا ما أنيطت بأسر تناوبت عليها وحولتها إلى تولية وراثية،^(٣٣) وقد ظل المتولي يدين بالتبعية لنظارة الأوقاف عبر مديرية أوقاف القضاء والعموم تبعًا لتراتب التبعية الإدارية السائدة^(٣٤)، ففي عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، أقدمت مديرية عموم الأوقاف على تسيب عزل متولي أوقاف مقام النبي رويين القائم إلى الجنوب من يافا لعدم استقامته وخلو يده من البراءة السلطانية، والعهد بها للشيخ حسن الخيري، لما يتمتع به من أمانة، واستقامة، وأهلية، وعلم، وظلت تولية مؤقتة إلى حين صدور البراءة السلطانية الشريفة عن السدة السلطانية^(٣٥) وفي عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، تم عزل الخيري منها والعهد بها إلى عبد الحميد التاجي الفاروقي^(٣٦).

ب- تشكيلات الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨م: أغلقت مديرية عموم الأوقاف أبوابها في ظل الحكم العسكري البريطاني الذي خيم على فلسطين في أعقاب انسحاب الجيش العثماني منها، شأنه في ذلك شأن بقية الدوائر وعلى رأسها دائرة الطابو التي لها علاقة وثيقة بالأوقاف غير المنقولة، وإزاء ذلك لم يظهر أي دور يذكر لها في ظل الحكم العسكري الذي جمد القوانين والنظم المدنية نحو ثلاث سنوات منذ احتلالها لمدينة القدس عام ١٩١٧م إلى أن أعيد فتحها للمراجعين عام ١٩٢٠م.

وفي عام ١٩٢١م تم تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني، واتضحت تشكيلاتها وطبيعة مهامها أسوة بما كانت عليه في العهد العثماني،

(٣٣) القدس ٣٤٣، ١٢٥٧هـ/١٨٥٨م، ص ٨٦؛ القدس ٣٤٥، ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ص ٢، ١٤٤-١٤٥؛ القدس ٣٤٦، ١٢٧٩هـ/١٨٦٩م، ص ١٢٠؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ص ٢٨٦؛ القدس ٣٤٩، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص ٥١. القدس ٣٥٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، ص ٢٧٠؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص ١٨٢؛ القدس ٣٨٤، ص ٤؛ نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص ١٠٧؛ نابلس ١٨، ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، ص ٧٦؛ الخليل ١٨، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص ٦٩، ١٦٩-١٧٠؛ الخليل ١٩، ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، ص ٧١-٧٢، ٢٥٢؛ يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٣١٣؛ يافا ٤٦، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ١٧.

(٣٤) يافا ٢٧، ١٢٧٣هـ/١٨٤٠م، ص ٧٣؛ يافا ٦٢، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٣٥) يافا ٢٩، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص ٣١٣.

(٣٦) يافا ٤٦، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص ١٧.

واستمرت في ذلك حتى رحيل الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨م، ويظهر ذلك من خلال المكانة التي حظي بها المجلس في الأوساط الرسمية والشعبية بصفته أعلى هيئة إسلامية تشكلت لسد الفراغ الذي أحدثه الرحيل العثماني^(٣٧)، واتخذ من مدينة القدس مقرًا له^(٣٨)، وعهد إليه برعاية المقدسات الإسلامية^(٣٩).

وعملًا بذلك وحد الحاج أمين الحسيني جميع مديريات الأوقاف في فلسطين تحت لوائها وأصبحت تعرف باسم مديرية الأوقاف العامة ومنحها صلاحيات واسعة في إدارة أمور الأوقاف المنقولة وغير المنقولة، ووسَّع صلاحياتها لتشمل الأمور التي تهم الخطابة والوعظ والإرشاد ورعاية أسر الشهداء والجرحى والدفاع عن الأراضي الأميرية والموات المهددة بالبيع أو المصادرة من جانب الحركة الصهيونية ودوائر الانتداب وسماسة الأراضي وتجارها، إضافة إلى عائدات المجلس ونفقاته، واعتمادها الأداة التنفيذية في المجلس وقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية^(٤٠) في مواجهة حكومة الانتداب والحركة اليهودية^(٤١).

ومن مقره في القدس أصدر المجلس الإسلامي أوامر العزل والتولية بحق مديرها^(٤٢)، وفي سبيل إنفاذ سياسة المجلس وعدم المعارضة فيما يصدر عنه من أوامر، فقد عهد الحاج أمين برئاسة كرسيها^(٤٣) إلى شخصيات مقربة من خطه السياسي

(٣٧) السفري، فلسطين، ص ٥٣.

(٣٨) الشهادات، ص ١٢-١٣؛ علوش، المقاومة، ص ٥٩.

(٣٩) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ٤/١١/١٩٢٣م؛ صندوق (٣) ملف عرب الغوا رنة، ٢٨/٢/١٩٤٢م؛ علوش، ص ٥٩.

(٤٠) السفري، فلسطين، ص ٥٣.

(٤١) جبارة، دراسات، ص ٧٧.

(٤٢) نظام المجلس الإسلامي الأعلى، المادة (٨).

(٤٣) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف عرب النفيعات، ١٥/٣/١٩٤٤م؛ ٢/١٢/١٩٤٦م؛ صندوق (٣) ملف عرب الغوارنة، ٢٨/٢/١٩٤٢م.

العام^(٤٤)، سواء أكانوا من أقاربه أم من غيرهم^(٤٥) وهم على قدر كبير من الانتماء والكفاءة، والخبرة الواسعة في إدارة الأوقاف الإسلامية، وكان يساعده في مهامه وكيله أو نائبه، وعدد من الكتبة والمحاسبين، والمدققين^(٤٦)، والمفتشين، والمراقبين^(٤٧)، ومن الشخصيات التي تولتها محمد عزة دروزة المنحدر من أسرة نابلسية^(٤٨)، وأقاربه وفي مقدمتهم محمد سعيد الحسيني^(٤٩)، وإبراهيم سعيد الحسيني^(٥٠)، وجمال الحسيني^(٥١).

وفي سبيل ضبط الأمور والإشراف المباشر على ما يجري في الأوقاف من تطورات وتحولات، فقد وضعت جميع أوقاف فلسطين المنضوية تحت لوائها ثلاثة ألوية كان كل واحدة منها بمثابة مديرية مستقلة تدير شؤون الأوقاف المناطة بها^(٥٢) وتتواصل معها عبر البرق والبريد والهاتف^(٥٣)، وهو ما تظهره الهيكلية الإدارية المدرجة في شكل رقم (٢).

(٤٤) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٨/٦/١٩٣٥م؛ صندوق (٢)، ملف أم العلق، ١٢/٢/١٩٤٠م.

(٤٥) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع النصر، ٢٣/٧/١٩٣١م.

(٤٦) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ملف عرب الفوارنة، ٦/٣/١٩٣٥م.

(٤٧) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع النصر، ١٣/١٢/١٩٣٠م.

(٤٨) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٨/٦/١٩٣٥م؛ صندوق (٢)، ملف أم العلق، ١٢/٢/١٩٤٠م.

(٤٩) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف عرب النفيعات، ١٥/٣/١٩٤٤م.

(٥٠) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف عرب الفوارنة، ١٠/١٠/١٩٤٦م؛ صندوق (٣٨) ملف طبريا، ١/٤/١٩٤٦م.

(٥١) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع النصر، ٢٣/٧/١٩٣١م.

(٥٢) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف نبع عين القزق، ٢٢/٣/١٩٣٢م؛ جامع النصر، ٢٨/٩/١٩٣٨م.

(٥٣) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ملف عرب الزبيدات، ٥/٥/١٩٣٧م؛ أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)،

ملف عرب النفيعات، ٣٠/١٢/١٩٣٢م، ١٥/٣/١٩٤٤م، ٢/١٢/١٩٤٦م. ملف رهنبة بارسكي،

٢٤/٥/١٩٣٢م؛ ملف عرب الفوارنة، ٦/٣/١٩٣٥م؛ صندوق (٣٧) ٢٥/٢/١٩٣٢م؛ أوقاف لواء عكا،

صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٩٣٤؛ صندوق (٣٧) ٢٥/٢/١٩٣٢م.

شكل رقم (٢)

هيكلية التشكيلات والتبعية الإدارية لمديرية عموم أوقاف القدس ١٩٤٨-١٩١٧م



فمأمورية الأوقاف في اللواء كانت بمثابة الأداة التنفيذية للمديرية في القدس^(٥٤)، وكانت تقسيماتها منسجمة مع التقسيمات الإدارية التي وضعتها الدولة العثمانية وسلطات الانتداب، وبموجب ذلك، وجدت ثلاث مأموريات، هي مأمورية اللواء الشمالي في عكا، واللواء الأوسط في نابلس وجنين، واللواء الجنوبي في القدس، وعهد بإدارتها إلى شخصيات على قدر كبير من الخبرة والدراية، حازت عليها من خلال العمل في أجهزة الأوقاف والمحاكم والقطاع الخاص^(٥٥) ففي عام ١٩٣٤م، تولى المحامي صبحي الخضرا من أهالي صفد ومن المقربين للحاج أمين الحسيني إدارة أوقاف اللواء الشمالي، وخلفه في ذلك علي رضا النحوي من أهالي صفد^(٥٦)، وبدورها قسمت الألوية إلى مأموريات أصغر قوامها القضاء، وكانت بمثابة حلقة الوصل بين المتولين من جهة ومأموريات الألوية والهيئات العليا من جهة أخرى^(٥٧) ويتضح ذلك من خلال المكاتبات والمراسلات التي كانت تجري بين مأمورية القضاء والمتولين والمتصرفين من جهة، والهيئات الإدارية العليا من جهة أخرى، وإزاء ذلك، عُهد بإدارتها إلى شخصيات على درجة من العلم والدراية بموضوع الأوقاف وغالبًا ما رُفِع بعضهم لإدارة مأموريات الألوية^(٥٨).

(٥٤) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ملف عرب الزبيدات، ١٩٣٧/٥/٥م.

(٥٥) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف عرب النفيعات، ١٩٣٣/١٢/٣٠م، ١٩٤٤/٣/١٥م، ١٩٤٦/١٢/٢م؛ ملف رهنية بارسكي، ١٩٣٢/٥/٢٤م؛ ملف عرب الغوارنة، ١٩٣٥/٣/٦. صندوق (٣٧) ١٩٣٢/٢/٢٥م.

(٥٦) صبحي الخضرا: من مواليد صفد عام ١٨٩٥م تعلم في المدرسة السلطانية في بيروت والكلية العسكرية في استانبول وقد برع في مجال الحمامة. تعرض للاعتقال على يد السلطات البريطانية عدة مرات وقد عينه الحاج أمين مأمورًا للأوقاف لواء عكا. وفي عام ١٩٤٨م رحل إلى دمشق حيث تولى فيها عام ١٩٥٤م. ونلاحظ أن النحوي لا يقل كفاءة عن الخضرا حيث تخرج من الكلية الملكية في استانبول وتولى العديد من المناصب الإدارية في حلب وحمص وعكا وإربد خلال العهد العثماني: - صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٩٣٤؛ صندوق (٣٧) ١٩٣٢/٢/٢٥م؛ صندوق (١٠١)، ١٩٣٤/١٠/٣م؛ العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، عمان، ١٩٧٦م، ص ١٦١-١٦٢.

(٥٧) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٩٣٠م. ملف عثليث، ١٩٣٤/٥/٢١م. ملف عرب النفيعات، ١٩٣٩/٥/١٩م؛ ملفات صندوق (٣٨) الخاص بأراضي أوقاف قضاء طبريا الملحق باللواء الشمالي.

(٥٨) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣٧) وصندوق (٣٨). ملفات أوقاف قضاء طبريا.

أما لجنة الأوقاف العمومية فبموجب المادة (١٠) من نظام المجلس الإسلامي، تألفت هذه اللجنة من ثمانية أعضاء برئاسة الحاج أمين الحسيني، ومدير الأوقاف العام، ومأمور أوقاف الألووية الثلاثة، وممثل واحد من أعضاء اللجان المحلية التابعة لها^(٥٩). وكانت هذه اللجنة بمثابة حلقة الوصل المباشرة التي تربط بين مديرية عموم الأوقاف برئاسة المجلس الإسلامي الأعلى من جهة، ومديريات الأوقاف المنتشرة في الألووية والأقضية من جهة أخرى، وكانت تجتمع بين فترة وأخرى برئاسة الحاج أمين الحسيني في مقر المجلس^(٦٠)، وبعد أن حملته سلطات الانتداب على المنفى (١٩٣٧-١٩٤٨م) أصبحت تعقد على ما يبدو برئاسة سكرتير المجلس الذي غالباً ما صدرت مراسلات المجلس مذيلة بتوقيعه^(٦١).

وعلى غرار لجنة الأوقاف القائمة في القدس، تشكلت لجان محلية في الألووية الفلسطينية الثلاثة، وتعرف باسم «لجنة الأوقاف المحلية»^(٦٢)، وتتألف من مفتي اللواء، ومأمور أوقافه، وممثلي الأقضية التابعة له، وكانت تعقد برئاسة أكبر الأعضاء سنّاً^(٦٣)، ففي لواء عكا، تولاهما مفتي عكا الشيخ عبد الله الجزار حتى وفاته عام ١٩٣٩م، وخلفه في ذلك، لفترة مؤقتة، قاضي عكا الشرعي، إلى أن تم انتخاب الشيخ أسعد الشقيري رئيساً، بصفته أكبر علماء مدينة عكا سنّاً، وذلك بالرغم من انضمامه إلى صفوف المعارضة بزعامة آل النشاشيبي^(٦٤)، وكانت من صلاحياتها مراقبة أداء الهيئات التنفيذية^(٦٥).

(٥٩) نظام المجلس، المادة (١٠). عكا، صندوق (٢) ملف عرب النفيعات، ١٥/٣/١٩٤٤م.

(٦٠) أوقاف لواء عكا صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٩٣٠-١٩٣٤م؛ تقرير فلسطين ١٩٣٨، ص ٢١٤.

(٦١) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ملف خربة الشركس، ١٣/١/١٩٤٨م.

(٦٢) أوقاف لواء عكا، صندوق (٦٥) لجنة توجيه الجهات، ١٥/٥/١٩٣٩م؛ ١٩/٥/١٩٣٩م. صندوق (٦٥)

لجنة توجيه الجهات، ١٥/٥/١٩٣٩م؛ ١٩/٥/١٩٣٩م.

(٦٣) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١٩٣٠-١٩٣٤م؛ صندوق (٦٥) ملف توجيه

الجهات، ٢٧/٢/١٩٣٩م؛ ١/٤/١٩٣٩م؛ ١٩/٤/١٩٣٩م؛ تقرير فلسطين ١٩٣٨، ص ٢١٤.

(٦٤) أوقاف لواء عكا، صندوق (٦٥) ملف لجنة توجيه الجهات، ٢٥/٢/١٩٣٩م؛ ١/٤/١٥/٥/١٩٣٩م.

(٦٥) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع النصر، ١٩٣١م.

أما المتولي فيعد أصغر هيئة إدارية في جهاز الأوقاف، وكان في فترة الانتداب يعين على النسق العثماني، وتصدر أوامر العزل والتولية بحقه عن المحاكم الشرعية^(٦٦).

ونلاحظ أن تشكيلات الأوقاف التي وضعها المجلس الأعلى، كانت غايتها حماية أراضي الأوقاف من السياسة الاستعمارية، التي كانت تستهدفها من جانب حكومة الانتداب البريطاني، والحركة الصهيونية، من سمسرة الأراضي وتجارها المتعاونين مع الحركة الصهيونية، وهو ما عرضها للإجراءات التعسفية التي استهدفت جهاز الأوقاف وفي مقدمتهم رئيس المجلس الإسلامي وأعضاءه، حيث أجبر الحاج أمين الحسيني عام ١٩٣٧م، على الرحيل إلى لبنان، في حين أجبر عضو المجلس أمين التميمي على النفي إلى جزيرة سيشل في المحيط الهادي، وظل فيها حتى وفاته، كما أجبر بعض أعضاء المجلس على الإقامة الجبرية^(٦٧).

ثانياً: تبعيتها الإدارية ١٨٤٣-١٩٤٨م

أ- تبعيتها العثمانية ١٨٤٣-١٩١٨م:

شكلت أول وزارة للأوقاف في الدولة العثمانية عام ١٨٢٦م؛ وكانت غايتها رعاية شؤون المقدسات، والمؤسسات الخيرية وما يتبعها من أوقاف منقولة وغير منقولة^(٦٨)، وجاء ذلك في إطار حركة التنظيمات التي شرعت بها الدولة العثمانية لمؤسساتها في الربع الأول من القرن التاسع عشر ومن بينها الأوقاف التي عمته حالة من الفوضى

(٦٦) أوقاف لواء عكا، صندوق(٢) ملف جامع النصر، ٤/١١/١٩٢٣م؛ ملف جامع الاستقلال، ٢٨/٩/١٩٢٨م؛ ١٠/١٠/١٩٢٨م.

(٦٧) العارف، المفصل، ص ٥١٥.

(٦٨) يافا ٢٩٨، ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، ص ٢١٣؛ يافا ٨٦، ١٣١٩هـ / ١٩٠١م، ص ٦٠-٦١؛ نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ / ١٨٦٥م، ص ١٨٤؛ الحنبلي، شاكر، موجز أحكام الأراضي والأموال غير المنقولة، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م، ص ٣٣.

والاضطرابات^(٦٩)، مما أدى إلى تعطيل عمل المؤسسات الخيرية^(٧٠) ويتجلى ذلك في كثافة التعديلات التي تعرضت لها وُرُفِعَ العديد من قضايا بشأنها إلى المحاكم الشرعية للنظر فيها^(٧١). وعملاً بذلك فقد وضعت جميع أوقاف ألوية فلسطين الثلاثة: عكا، ونابلس، والقدس الملحقة بولاية صيدا، تحت إشراف دائرة أوقاف الولاية التي اتخذت من مدينة عكا عاصمة لها حتى قدوم الحملة المصرية واحتلال بلاد الشام عام ١٨٣١/١٨٣٢ م^(٧٢). كما أن الظروف غير المستقرة للحكم المصري لم تساعده على القيام بتنظيم أمور الأوقاف على غرار ما قام به في مصر^(٧٣).

(٦٩) القدس ٢٦٥، ١١٩٨ هـ/١٧٨٤ م، ص ٧.

(٧٠) قارن بين الآتي: - القدس ٢٦٦، ١١٩٩ هـ/١٧٨٤ م ص ٨٧-٨٨؛ القدس ٢٧١، ١٢٠٤ هـ/١٧٨٩ م، ص ٥٧، ٦٨؛ القدس ٢٧٤، ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢ م، ص ٤٦-٤٧؛ القدس ٢٧٧، ١٢٠٩ هـ/١٧٩٤ م، ص ١١٢؛ القدس ٢٧٩، ١٢١١ هـ/١٧٩٦ م، ص ١٥١-١٥٢؛ القدس ٢٨٠، ١٢١٢ هـ/١٧٩٧ م، ص ٢٠؛ القدس ٢٨١، ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م، ص ١٥٩-١٦٠، ٢٠٩؛ القدس ٢٨٧، ١٢١٩ هـ/١٨٠٤ م، ص ١٧، ٤٧-٤٨؛ القدس ٢٩٥، ١٢٢٦ هـ/١٨١١ م، ص ١١٠؛ القدس ٢٩٧، ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م، ص ٨٢؛ القدس ٢٩٨، ص ١٠؛ القدس ٣٠٢، ص ٣٥، ٤٢؛ القدس ٣٠٨، ص ٨٧؛ القدس ٣١٢، ص ٢، ٩٦؛ القدس ٣١٣، ١٢٤٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٢؛ القدس ٣١٤، ١٢٤٥ هـ/١٨٢٩ م، ص ٥٥، ١٢٠؛ القدس ٣١٥، ١٢٤٦ هـ/١٨٣١ م، ص ١٣، ٧١-٧٢، ١٢٣، ١٢٩؛ القدس ٣١٦، ١٢٤٧ هـ/١٨٣١ م، ص ١٨؛ نابلس ٦، ١٢٢٣ هـ/١٧١٧ م، ص ٣٩٦-٣٩٨؛ نابلس ٨، ١٢٤٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٢٨٩، ٢٥٩؛ نابلس ٩، ١٢٥٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٩٨؛ يافا ٨٦، ١٣١٩-١٣٢٠ هـ/١٩٠١-١٩٠٢ م، ص ٦٠-٦١؛ أبوبكر، ملكية، ص ٢٥٠.

(٧١) نابلس ٩، ١٢٥٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٠٦، ٣٨٩، ٣٩٦؛ القدس ٣١٩، ١٢٤٩ هـ/١٨٣٥، ص ١٦٤؛ القدس ٣٢٢، ١٢٤٥ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٢؛ المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها، ٤ م، تحرير أسد رستم، بيروت، لبنان، ١٩٤٠ م، ١ م، ص ١٢٨-١٢٩، ٢ م، ص ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣ م، ص ٤٠٣؛ أبوبكر، ملكية، ص ٢٨٨.

(٧٢) القدس ٣١٤، ١٢٤٥ هـ/١٨٢٩ م، ص ٦٣-٦٦؛ القدس ٣١٩، ١٢٤٩ هـ/١٨٣٥، ص ١٦٤؛ القدس ٣٢٢، ١٢٤٥ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٣؛ القدس ٣٢٧، ص ٢٧؛ نابلس ٨، ١٢٤٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٩٧-١٠٠، ٣٢٦، ٣٤٦؛ نابلس ٩، ١٢٥٤ هـ/١٨٢٨ م، ص ٣٠٦، ٣٨٩، ٣٩٦؛ المحفوظات الملكية ١ م، ص ١٢٨-١٢٩، ٢ م، ص ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣ م، ص ٤٠٢؛ الشهابي، حيدر أحمد، (ت ١٨٣٥ م)، لبنان في عهد الشهابيين وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب الغرر الحسان في أخبار أنباء الزمان، ج ٢، تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩ م، ج ٢، ص ٨٢٠-٨٢٥؛ أبوبكر، ملكية، ص ٢٨٨.

(٧٣) القدس ٣٢١، ١٢٥٢ هـ/١٨٣٦ م، ص ٩٦؛ يافا ١١، ١٢٥١ هـ/١٨٢٨ م، ص ١٤-١٥؛ المحفوظات، ٢ م، ص ٣٨٥، ٣ م، ص ١٨٦، ٣٢١، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٨٤؛ الرافي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٥٢٧-٥٣١١؛ أبوبكر، ملكية، ص ٢٨٨-٢٩٣.

وبانسحاب الجيش المصري من بلاد الشام عام ١٨٤٠م، عادت أوقاف القدس ملحقة بوزارة الأوقاف العثمانية التي لم تتوان عام ١٨٤٢م عن وضع أوقاف ولاية القدس الشريف في تشكيلة مديرية عموم مستقلة عن ولاية صيدا أسوة بغيرها من الولايات، وفي ضوء ذلك، استمرت تدين بالتبعية لها حتى رحيل الحكم العثماني عنها عام ١٩١٧م، وتعززت هذه التبعية بفرض نظام الحكم المركزي، والسرعة في نقل الرسائل من استانبول وإليها، بعد إدخال القوارب والسفن البخارية^(٧٤)، والقاطرات والسيارات^(٧٥)، وخطوط البرق والتلغراف، والهاتف إلى حيز الخدمة^(٧٦)، وبموجب ذلك سويت قضية أراضي أوقاف دير الأرمن بالقدس عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م بناء على الإرادة السلطانية، التي أبرقت إلى مدينة القدس، عبر التلغراف أو «بالمخبرة مع متصرفية القدس»^(٧٧).

ومن الجدير بالذكر أن وضع القدس في تبعية مباشرة للباب العالي ووزارة الداخلية عام ١٨٧٤م، قد عزز من تبعية مديرية العموم في القدس لوزارة الأوقاف والدوائر الحكومية الأخرى في العاصمة استانبول، ومن الشواهد الدالة على ذلك الأوامر التي عممتها الصدارة العظمى عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م إلى جميع الولايات وتؤكد «بعدم وجوب اعتبار وقفية الأراضي التي يصير وقفها من طرف الرهبان الأجانب أو التبعية بدون إذن، والتملك السلطاني توفيقاً للمأذون العالي ولزوم معرفة الأراضي الموقوفة بكل الأحوال تابعة للقانون العمومي»^(٧٨).

(٧٤) القدس ٢٨٩، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص٧٣؛ شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢م، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨م، ص٦، ٣٠٦، ٣٦٦؛ عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧-١٩١٩م، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص٢٥٢-١٦٠.

(٧٥) دفترطابو(٢٨)سكة الحجاز١٣٢٢مالية، دائرة الأراضي والمساحة، عمان، ص١-٨.

(٧٦) القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص١٤٨-١٤٩. شولش، ص٢٥.

(٧٧) القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص١٤٨-١٤٩؛ القدس ٣٩١، ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ص١٣٤؛ يافا٢٧٣، ١٢٧٣هـ/١٨٤٠م، ص٧٣؛ قانون الأراضي، المادة(٢-٤).

(٧٨) يافا٢٧٣، ١٢٧٣هـ/١٨٤٠م، ص٧٣؛ القدس ٣٤٧، ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ص٣٣٧، ٣٤٤، ٣٩٣-٣٩٤؛ القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص١٢٣-١٢٤؛ القدس ٤١١، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، ص٢٠٠؛ كرد علي، خطط الشام، ج٥، ص١٢٩؛ أبوبكر، أوقاف، ص١-٢٠.

وفي ضوء التنظيمات المركزية، استطاعت وزارة الأوقاف أن تتف على حقيقة ما يجري من تطورات بحق الأوقاف المنقولة وغير المنقولة الخيرية والذرية، وبلغ ذروة ذلك بصدور قانون الأراضي عام ١٨٥٨ م، وتطبيقه ميدانياً في الأراضي التابعة لمديرية العموم عام ١٨٦٩ م^(٧٩)، حيث أصبحت أحكام مواده ومسوحاته الميدانية المرجعية الأولى في أمورها^(٨٠)، بما فيها أوقاف أهل الذمة التي أوكلت مسؤولية الإشراف عليها إلى البطريركيات المحلية كما هو الحال في أوقاف طائفة اللاتين التي تولاهما «صاحب الرتبة فيليوس ماريا كماسي أفندي بن قيصر أفندي بطريق ملة اللاتين بالقدس وتوابعها وملحقاتها في فلسطين وبيروت وسورية»^(٨١)، وبذلك حلت التنظيمات الحديثة بدلاً من الفرمانات السلطانية، والفتاوى الشرعية^(٨٢).

ب- تبعيتها في ظل الاحتلال البريطاني ١٩٢١-١٩٤٨ م:

باحتيال الجيش البريطاني مدينة القدس في ٩/١٢/١٩١٧ م انفكت التبعية العثمانية لمديرية العموم، وبذلك دخلت تبعيتها في طور جديد تجسد في الاحتلال

(٧٩) قانون الأراضي العثماني، من الدستور الجديد، ترجمة نقولا أفندي نقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٢٩٠ هـ/١٨٧٣ م، ص ٢-٨٥، المادة (١-١٣٢)؛ يافا ٢٧٣ هـ/١٨٤٠ م، ص ٧٣؛ القدس ٢٤٢ هـ/١٢٥٧ م، ص ٨٦؛ القدس ٢٤٩ هـ/١٢٨١ م، ص ٥١؛ القدس ٣٥٤ هـ/١٢٨٤ م، ص ٢٧٠؛ نابلس ١٢، ص ١٠٧٦-١٢٧؛ نابلس ١٧، ص ١٠٧؛ يافا ٨٦، ص ٦٠-٦١؛ القدس ٣٤٧ هـ/١٢٨١ م، ص ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٩٣-٣٩٤؛ القدس ٣٨٥ هـ/١٣٠٩ م، ص ١٢٣-١٢٤؛ القدس ٤١١ هـ/١٣٣٠ م، ص ٢٠٠؛ أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف عرب النفيعات، ٩/٨/١٩٤١ م، ٢٥/٥/١٩٤٧ م. صندوق (٣) ملف عرب الزبيدات، ١٩٣٧؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ٦ ج، مكتبة نوري، دمشق، ١٩٢٥ م، ١ م، ص ٨٩-١١٨، ج ٥، ص ١٢٤، ١٢٩؛ الحنبلي، ص ٣٣؛ ابوبكر، ملكية، ص ٣٠؛ إبراهيم عادل ناصر الدين، تحليل الإيرادات المالية لدائرة أوقاف القدس، دار الفاروق، نابلس، ٢٠٠٠ م، ص ١٣٣.

(٨٠) قارن بين الآتية: قانون نامة مصر الذي أصدره السلطان القانوني لحكم مصر، ترجمه وقدم له وعلق عليه احمد فؤاد متولي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٦ م، ص ١-١٢٨؛ قانون الأراضي، المادة (٤)؛ دعيبس المر، كتاب أحكام الأراضي، مطبعة بيت المقدس، القدس، ١٩٢٣ م، ص ١٨٧-١٨١؛ كرد علي، خطط، م، ١، ص ٨٩-١١٨.

(٨١) القدس ٤١١ هـ/١٣٣٠ م، ص ٢٠٠.

(٨٢) القدس ٢٦٥ هـ/١١٩٨ م، ص ٧؛ القدس ٢٦٦ هـ/١١٩٩ م، ص ٨٧-٨٨؛ القدس ٢٦٨ هـ/١٢٠٠ م، ص ٦٧؛ القدس ٢٧٠ هـ/١٢٠٢ م، ص ٤٩؛ القدس ٢٧٣ هـ/١٢٠٦ م، ص ١٧٩١ م، ص ٢٧٧؛ القدس ٢٧٧ هـ/١٢٠٩ م، ص ١١٢؛ القدس ٣٠٥ هـ/١٢٣٦ م، ص ٢٢-٢٣.

وأحكامه العسكرية^(٨٣)، التي جمدت العمل بالنظم المدنية إضافة إلى إغلاق العديد من المؤسسات والاستمرار بالإجراءات التي اتخذها الجيش العثماني خلال الحرب، بغية الحفاظ على القيود والملفات، عندما أغلق الدوائر، ونقل ملفاتها إلى مواضع آمنة للحيلولة دون أن تطلها القذائف في أثناء العمليات العسكرية^(٨٤)، وأخذت هذه الأحكام العسكرية تتسع شمالاً شيئاً فشيئاً إلى أن أحكمت قبضتها على لوائي نابلس وعكا، في خريف ١٩١٨م^(٨٥)، حيث وضعت جميع ألوية فلسطين الثلاثة في تشكيلة بلاد العدو المحتلة الجنوبية "Occupied Enemy Territory South" بقيادة الحاكم العسكري الجنرال كلايتون، الذي اتخذ من القدس مقراً له، وأخذت دائرته تدين بالتبعية إلى لندن عبر قيادة الجيش البريطاني بالقاهرة^(٨٦).

أما على صعيد الأوقاف، فقد عمدت الحاكمية العسكرية إلى وضع دوائر الطابو والقضاء الشرعي في فلسطين في دائرة واحدة بإشراف نورمان بنتويتش "N. Bentwich"^(٨٧) واستمر ذلك إلى أن جمد العمل بالأحكام العسكرية عام ١٩٢٠م، وأعيد العمل بالنظم المدنية، وعهد برئاستها للمندوب السامي الصهيوني «هربرت صموئيل» "Herbert Samuel"، تمهيداً لصدور صك الانتداب البريطاني وإنفاذه عام ١٩٢٢م، فأعاد فتح العديد من المؤسسات بما فيها الطابو، وبقيت الأوقاف والمحاكم الشرعية تحت إشراف بنتويتش كما تم الشروع في سن القوانين المدنية المنسجمة مع المرحلة القادمة^(٨٨).

(٨٣) كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٧، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٥١٧.

(٨٤) الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين، ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨، مؤسسة الأسوار، عكا، ١٩٩٨م، ص ٩١.

(٨٥) البرغوثي، عمر الصالح، وخليط طوطح، تاريخ فلسطين، مطبعة بيت المقدس، القدس، فلسطين، ١٩٢٢م، ص ٢٩٢؛ بهجت صبري، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ١٩١٤-١٩٢٠، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٢م، ص ١٩٤؛ البديري، أراضي، ص ٤٢.

(٨٦) الحزماوي، ملكية، ص ٨٧.

(٨٧) المر، ص ١٢٠-١٣٢؛ صبري، ص ١٨٨-١٨٩، ١٩٥-٢٠٠؛ تيسير جبارة، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، مؤسسة البيادر، القدس، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

(٨٨) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف عرب النفيعات، ١٩٢٩/٦/٢٢م؛ المر، ص ١٣٠-١٣٢، صبري، جبارة، دراسات، ص ٧٦؛ البديري، ص ٤٧؛ أمين ابوبكر، ملكية السلطان عبد الحميد في فلسطين ١٨٧٦-١٩٣٧م، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٣م، م ١٧ عدد (١)، ص ٢٢١-٢٦٠.

وكانت الإجراءات المدنية البريطانية القديمة مثار قلق لدى الشعب الفلسطيني بعامة وأعيانه بخاصة، عندما وجد دوائره الشرعية يتولاها ضابط بريطاني^(٨٩)، وأخذت الدعوات تطالب بإنقاذها من أيدي الاحتلال المتواطئ مع الحركة الصهيونية، ووجدت هذه الدعوة مكانها على صدر افتتاحيات الصحف، تحت على وضعها تحت إدارة إسلامية^(٩٠)، ومن هذا المنطلق، جاءت فكرة تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى ليكون مظلة حامية لها للتعبير عن المظلة العثمانية^(٩١)، ووقف صمويل على حقيقة هذه المطالب في جولته التي قام بها في مدينة نابلس عام ١٩٢٠م، عندما طالبه أعيانها بضرورة وضع جميع المؤسسات الإسلامية تحت إشراف هيئة إسلامية، وبموجب ذلك وجه دعوة عامة لممثلي الهيئات الإسلامية للاجتماع به في دار الحكومة بالقدس، لتدارس الأمر، ونتيجة لذلك أوعز لهم بتشكيل هيئة عامة للإشراف على الشؤون الإسلامية، بما فيها الأوقاف، وإعداد نظام داخلي خاص بها، وتقديمها إليه لدراستها.^(٩٢)

وبموجب ما اتفق عليه مع صمويل، اجتمع كبار رجال القضاء الشرعي والإفتاء من أنحاء فلسطين كافة في مدينة القدس، في تشرين الثاني من عام ١٩٢٠م، وأقروا تأسيس «المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى» ليتولى الإشراف على جميع الشؤون الإسلامية في فلسطين، وكلفوا لجنة خاصة لصياغة نظامه الداخلي، وعرضه على المندوب السامي للمصادقة عليه، فصدر مديلاً بتوقيعه في ٢٠/١٢/١٩٢١م^(٩٣) ويتألف من (١٦) مادة

(٨٩) السفري، فلسطين، ص ٥٣.

(٩٠) جريدة فلسطين، عدد (٥)، ١٣/٢/١٩٢٠م، ص ١-٢؛ عدد ٢٥٤، ٩/٣/١٩٢٠م، ص ١-٣؛ جريدة الكرمل عدد ٦٦٦، ١٠/١٢/١٩٢١م، ص ١-٢.

(٩١) الشهادات السياسية، حقائق عن قضية فلسطين، مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م، ص ١٢-١٣؛ علوش، المقاومة، ص ٥٩.

(٩٢) السفري، فلسطين، ص ٥٣؛ الشهادات السياسية، ص ١٢-١٣؛ تيسير جبارة، قضية فلسطين من خلال قضية الحاج أمين الحسيني، مؤسسة الجمعية العلمية الفلسطينية، نابلس، فلسطين، ١٩٩٨م، ص ٢٦-٢٧؛ جبار، قضية، دراسات، ص ٧٧. تيسير جبارة، وثائق فلسطين في دور الأرشيف، وثائق يهودية، منشورات البيادر، القدس، فلسطين، ١٩٨٥م، ص ٣٠.

(٩٣) العارف، المفصل، ص ٥١٤-٥١٥،

وقد قضت المادة الأولى منه أن يؤسس «مرجع إسلامي للنظر في أمور الأوقاف وسائر الشؤون الشرعية الإسلامية في فلسطين يسمى المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى ومركزه القدس»^(٩٤)، ويضم إلى جانب الرئيس المنتخب لمدى الحياة، أربعة أعضاء يتم انتخابهم كل أربع سنوات من هيئة علماء الألوية الفلسطينية الثلاثة القدس ونابلس وعكا، ويمثل فيه لواء القدس بعضوين، وعضو واحد لكل من لوائي عكا ونابلس^(٩٥)، ويرجع تميز لواء القدس في العضوية لسعة مساحته^(٩٦).

ونتيجة للانتخابات العامة التي شاركت فيها الهيئات الشرعية، تولى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني رئاسة المجلس، وعضوية الشيخ محمد مراد مفتي حيفا، عن لواء عكا، وعبد اللطيف صلاح عن لواء نابلس، وسعيد الشوا، وعبد الله الدجاني عن لواء القدس^(٩٧). وفي ضوءه فُكَّت تبعية أوقاف فلسطين للاحتلال البريطاني، وأصبحت مديريات الأوقاف المنتشرة في فلسطين ملحقة بمديرية الأوقاف العامة بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى^(٩٨)، وتجري معاملتها وفق الأحكام العثمانية، كما أصبحت السجلات والملفات والوثائق القديمة المحفوظة في دوائر الأوقاف والطابو المحلية والعاصمة استانبول، وما يمتلكه المتولون والمتصرفون من قواشين، وبراءات، وحجج، المرجعية الأولى والشواهد الحية في القضايا التي تعرض بشأنها في أروقة المحاكم الشرعية والنظامية الداخلية والخارجية طوال عهد الانتداب، وفي مقدمتها المحكمة البريطانية العليا في القدس ولندن^(٩٩) وكان للدور الذي نهض به المجلس برئاسة الحاج

(٩٤) نظام المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، الوقائع، جريدة حكومة فلسطين الرسمية، العدد ٥٨، ١ كانون الثاني ١٩٢٢، ص ٣-٥، المادة (١-١٦)؛ تقرير فلسطين لجنة التقسيم ١٩٢٨، القدس، فلسطين، ١٩٢٨، ص ٢١٤؛ جريدة الكرمل عدد ٦٩٥، ٢٧/١/١٩٢١م، ص ١.

(٩٥) نظام المجلس، المادة (٢، ٥)؛ الشهادات السياسية، ص ١٢-١٣.

(٩٦) أبويكر، ملكية، ص ٥٧.

(٩٧) العارف، ص ٥١٤-٥١٥؛ جبارة، دراسات، ص ٧٧.

(٩٨) تقرير فلسطين ١٩٢٨، ص ٢١٤؛ الشهادات السياسية، ص ١٢-١٣.

(٩٩) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) عرب النفيعات، ١٩/٥/١٩٣٥م، ١٥/٣/١٩٤٤م؛ صندوق (٣) ملف عرب الزبيدات، ٤/٤/١٩٣٥م، ١٩/١١/١٩٤٢م؛ صندوق (٣) ملف عرب الغوارنة، ٢٨/٢/١٩٤٢م؛ صندوق (٣) ملف جامع النصر، ٢٢/٣/١٩٣٧م.

أمين أثر فاعل في نفوس الناس^(١٠٠)، وهو ما أهله لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية^(١٠١).

ونلاحظ أن تبعية مديرية عموم الأوقاف للمجلس الإسلامي كانت قوية جداً، كيف لا وهي تتمركز معه في نفس المقر في مدينة القدس، وباستطاعة رئيس المجلس أن يطلع على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بسير عملها، ولهذا نجده يخرج في جولات ميدانية للاطلاع على واقع الأمور، ويصدر تعليماته للجهات ذات العلاقة، ويتقبل الاستدعايات والمراسلات من العامة والمتولين والنظار والمديرين والموظفين عبر البريد والبرق والمكالمات الهاتفية^(١٠٢).

وقد استغل الحاج أمين التفويض الشعبي له بإقامة علاقات وثيقة مع الدول العربية والإسلامية لحماية المقدسات وأوقافها^(١٠٣)، فجمع الهبات والتبرعات والمساعدات من أوساطها للإنفاق عليها، وعقد المؤتمرات الحاشدة في مدينة القدس لشد الرحال إليها والدفاع عنها، فاستقبل عدد من كبار قادة الدول العربية والإسلامية وولاة عهدهم في مقر المجلس ورحاب المسجد الأقصى^(١٠٤)، كما بذل جهوداً كبيرة في سبيل إحياء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وتنصيب الشريف الحسين بن علي خليفة للمسلمين منذ أن أسقطها رئيس الجمهورية التركي مصطفى كمال أتاتورك، وتوحيد توجهات جميع مسلمي العالم في دعم فكرة الجهاد ضد الاستعمار^(١٠٥)، كما حرص على أن يكون مدفن

(١٠٠) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف جامع النصر، ١١/٤/١٩٢٣م. صندوق (٣) ملف عرب

الغوارنة، ٢٨/٢/١٩٤٢م. علوش، المقاومة، ص ٥٩؛ جبارة، دراسات، ص ٧٧.

(١٠١) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف عثليث، ٢٠/٥/١٩٢٥م؛ صندوق (٢٧)، ٧/١١/١٩٢٧م؛ علوش، ص ١٠٤؛ الحزماوي، ملكية، ص ٣٥٥، ٣٦٢.

(١٠٢) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ١٤/٣/١٩٢٥م؛ ملف عرب الغوارنة، ٧/٧/١٩٢٥م؛ ملف قسقص وطبعون، ٢/٨/١٩٢٥م؛ صندوق (٣٨) ٦/٤/١٩٢٩م؛ الحزماوي، ملكية، ص ٣٥٤.

(١٠٣) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع الاستقلال، ٨/٦/١٩٢٨م؛ جريدة الكرمل عدد ٩٤٩٩، ٣/١٠/١٩٢٣م، ص ١-٢؛ الشهادات السياسية، ص ١٤٢-١٤٥.

(١٠٤) الشهادات السياسية، ص ١٤٢-١٤٥.

(١٠٥) محمد عزة دروزة، الحركة العربية الحديثة، صيدا، لبنان، ١٩٥٩م، ج ٣، ص ٦٧؛ مسعود، ص ١٤٧-

١٤٨، ١٦٥.

الشريف الحسين بن علي بجوار المسجد الأقصى لتأكيد وحدة الأمة وراية خلافتها ودورها في حماية المقدسات وأوقافها^(١٠٦)، ولهذا حاولت سلطات الانتداب تجريدته من صلاحياته الواسعة التي باتت تهدد نفوذها، فحملته على المنفى عام ١٩٣٧م، وعلى تعيين هيئته إدارية مؤلفة من أمين عبد الهادي والشيخ كمال إسماعيل والشيخ محي الدين عبد الشافي والشيخ يوسف طهبوب لسد الفراغ الذي تركه الحاج أمين، ولكن دون جدوى^(١٠٧)، فلم يتراجع دور الإدارة العامة للأوقاف قيد أنملة، ويرجع ذلك إلى قوة التشكيلات التي أرسى دعائمها المجلس الإسلامي كمظلة حامية للمقدسات وأوقافها، بدلاً من المظلة العثمانية، واستمرت في أداء دورها حتى عام ١٩٤٨م^(١٠٨)، وغالباً ما صدرت القرارات الخاصة بالأوقاف بعد نفيه باسم «هيئة المجلس الإسلامي الأعلى»^(١٠٩).

ثالثاً: أعمالها

استناداً إلى المصادر المتوافرة بين أيدينا التي تعود في جذورها إلى الفترة العثمانية وفترة الانتداب، نلاحظ أن مديرية أوقاف القدس كانت من أهم الدوائر المدنية التي جسدت أعمالها الميدانية المادية والمعنوية على الأرض بصور وأشكال وأساليب شتى، بغية تحقيق أهدافها المنشودة، وهي الحفاظ على المقدسات الإسلامية وأوقافها، بما يكفل لها الاستمرارية في أداء دورها ومواجهة التحديات التي تتعرض لها ومن أهم تلك الأعمال ما يأتي:

١- التوثيق: يعد التوثيق وحفظ السجلات والقيود من أهم الأعمال التي اطلعت بها المديرية لتكون المرجعية الأولى في معاملاتها^(١١٠)، ولهذا يتوافر بين أيدينا عدد كبير من الدفاتر والملفات والوثائق المتباينة في عناوينها ومحتوياتها ومضامينها منذ تأسيسها عام ١٨٤٣م وحتى عام ١٩٤٨م، فمنها ما هو خاص بالأوقاف الخيرية

(١٠٦) العارف، المفضل، ص ٢٥٠.

(١٠٧) العارف، المفضل، ص ٥١٥.

(١٠٨) علوش، ص ١٤٠-١٤٢، ١٦٥.

(١٠٩) أوقاف لواء عكا، صندوق (٣) ملف عرب الغوارنة، ٢٨/٢/١٩٤٢م.

(١١٠) نابلس ١٢، ١٢٥٦ هـ/ ١٨٣٨م، ص ٢٨؛ نابلس ١٤، ١٤٢٨ هـ/ ١٨٦٥م، ص ١٠٧.

والذرية من الأراضي والمسقفات والجهات المحبوسة عليها وما اندرس منها، والعائدات والمصروفات، ومشاريع الإعمار والترميم، والمصروفات والرواتب، والوعظ والإرشاد والدعاوي والمرافعات في المحاكم المحلية والدولية، ومحاضر الاجتماعات، ومزايدات الأعشار، والمساعدات والرهون والأوقاف في بلاد الشام ومصر والأناضول، والصرة الرومية والمصرية والعراقية والهندية، والإعانات والتبرعات المرسلة من استانبول والعالم العربي والإسلامي، والطلبة والمدارس والمراسلات، والبرقيات المتبادلة بين استانبول والقدس والمناطق التابعة لها، ومأموريات الألوية والأقضية، ولجان الأوقاف المحلية، والمواطنين والأهالي، والخطباء والمرشدين، ودائرة الأوقاف العامة، والمجلس الإسلامي الأعلى، والتي لا يمكن حصرها، ولهذا، كانت استانبول الملاذ الوحيد لدى المديرية في عهد الانتداب للحصول على الوثائق اللازمة للمرافعة أمام المحاكم البريطانية في المسائل التي تهم الأوقاف، وغالباً ما أرسلت نخبة من موظفيها للبحث في دور الأرشيف الخاصة عن الوثائق والمخططات التي يمكن تقديمها بينات مؤكدة^(١١١). ولضرورات المقاضاة وزيادة في الحرص والتوثيق، جرى تسجيل بعض القضايا التي تهم الأوقاف في سجلات المحاكم الشرعية والنظامية ومحاضر مجالس الإدارة^(١١٢)، ففي عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م عرضت قضية الخلاف على وقفية أراضي قرية عارورة بين الحرم الإبراهيمي والصخرة على المحكمة الشرعية في القدس، ففصل القاضي في الأمر بناء على إفادة مديري الأوقاف والطابو^(١١٣).

وهو ما يحملنا على القول، إن محفوظات وأرشيف مديرية عموم الأوقاف مادة غزيرة للكشف عن جانب مهم من تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر لا يقل أهمية عن سجلات المحاكم الشرعية، وقد اعتمدت مديرية الأوقاف في توثيق عملها والدوائر

(١١١) القدس ٣٤٧، ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، ص ٢٨١-٢٨٢؛ القدس ٣٦٢، ١٢٩٠هـ/١٨٧٤م، ص ١٢-١٤؛ القدس ٣٦٤، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ص ١٣٠؛ يافا ٨٦١، ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص ٦٠-٦١؛ دفاتر مديرية عموم الأوقاف: أوقاف/تركي؛ وملفات أوقاف عكا، اللواء الشمالي؛ عكا، صندوق (٣) ملف عرب الغوارنة، ١٨/١١/١٩٣٥م.

(١١٢) دفتراطبو (١٢) يوقلمة كفر لام، دائرة الأراضي والمساحة، عمان، ص ١٣٧-١٣٨.

(١١٣) القدس ٣٦٢، ١٢٩٠هـ/١٨٧٤م، ص ١٢-١٤.

الملحقة بها على الكتابة اليدوية والآلية، ولهذا ظهرت سجلاتها متنوعة في موادها بين المخطوط والمطبوع، كما استخدمت أدوات الكتابة الحديثة، كالدفاتر المرقمة والمجدولة، والمعنونة، والأخبار الملونة السائلة والجافة، والأقلام المصنعة المستوردة من الأسواق الأجنبية، وغير المصنعة المستمدة من البيئة المحلية، والطابعات بالحروف العربية والعبرية والإنجليزية، والتصوير، والخرائط والمخططات، وقام على وضعها هيئات كبيرة من الكتبة والمحاسبين والمساحين والرسامين والمهندسين^(١١٤). ونتيجة لذلك، حفظ أرشيفها في مواضع آمنة وأحيط بإجراءات صارمة يصعب النيل منها، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى نقلت ملفات أوقاف لواء عكا من المدرسة الأحمدية - نسبة إلى أحمد باشا الجزائر - في جامع الجزائر إلى طبرية لحفظها هناك، حتى لا تطالها القذائف وأيدي العابثين، وبانتهاء الحرب أعيدت إلى مواضعها الأصلية في عكا، وتولى المجلس الإسلامي فهرستها وترجمة بعض نصوصها من العثمانية إلى العربية^(١١٥)، كما عهد بكتابتها وتوثيقها وتصنيفها إلى مجموعة من الكتبة والموظفين الذي عبروا عن صدق انتمائهم للدين والدنيا، فلم نعثر على أي وثيقة تدل أن الموظف عزل أو حبس أو حقق معه على خلفية تسريب الوثائق أو سرقتها مقابل إغراءات معينة.

ومن الجدير بالذكر أن أرشيف دوائر الأراضي والمساحة الذي بدأ بالظهور مع انطلاق حملات المسح والتسجيل عام ١٨٦٩م، قد عزز من أرشيف المديرية، وبت المرجعية الأولى لها في مسألة الأوقاف غير المنقولة، وفي مقدمتها الأراضي والمسقطات والأسبله والقنوات والبرك والآبار والعيون، وفي سبيل حفظ حق الأوقاف في عقاراتها، كانت عضوية مديرية دائرة الأوقاف في اللواء أو القضاء أساسية في مجلس الإدارة الذي تتم فيه مناقشة القضايا التي تهم الأراضي ومخاطبة استانبول بشأنها^(١١٦)، وإزاء ذلك فإن جميع المسقطات وأراضي الأوقاف الصحيحة وغير الصحيحة القائمة داخل المدن

(١١٤) القدس ٣٨٥، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص٧١؛ نابلس ١٢، ١٢٥٦ هـ/١٨٢٨م، ص٢٨. نابلس ١٤، ١٢٨٤هـ/١٨٦٥م، ص١٠٧؛ تزخر ووثائق الأوقاف ودفاتها ما بين ١٨٤٣-١٩٤٨م بالإشارات الصريحة الدالة على تطور أدوات الكتابة والتوثيق.

(١١٥) أوقاف لواء عكا، صندوق(٦٥) ملف تنظيم الأوراق، ٣١/٣/١٩٣٤م.

(١١٦) الدفاتر العثمانية، دائرة الأراضي والمساحة، عمّان؛ دفترطابو(١١)تحقيقات، ص١-٥٢؛ دفترطابو(١٢)كشف مزايدة، ص١-٤٢؛ دفتر طابو(١٤)يوقلمة أراضي موقوفة، ص١٨؛ دفترطابو(١٢)يوقلمة كفر لام، ص١٣٧-١٣٨؛ قانون الأراضي العثماني، المادة(٢).

وخارجها، قد تم تسجيلها في الدفاتر المحفوظة في دوائر الطابو المحلية وجداول حقوقها في استانبول، وثبت على القواشين الخاصة بالمتصرفين بها عبارات تحمل إشارات دالة على تصنيف أوقافها صحيحة أو غير صحيحة وحصّة الوقف منها^(١١٧)، وعلى أساسها جرت عقود البيع والرهن والإيجار^(١١٨).

وعليه، فإن الوثائق الغزيرة التي وفرتها لنا مديرية عموم الأوقاف منذ تأسيسها ١٨٤٢م وحتى عام ١٩٤٨م، وما تحمله من مضامين، توفر لنا عدد كبير من الشواهد الحية التي يمكن الركون إليها في المطالبة بحقوق الأوقاف، ورفع التعديات التي ارتكبت بحقها في المحاكم المحلية والدولية، وحفز العرب والمسلمين أفراداً ومؤسسات على النهوض بدورهم في إنشاء أحباس جديدة، ورصد ريعها على المقدرات والمؤسسات الخيرية العاملة في أكنافها، أسوة بالأوقاف التي رُصدت على المسجد الأقصى وغيره من أماكن العبادة في حلب والأناضول.

٢- حماية الأوقاف: أدت مديرية عموم أوقاف القدس دوراً مهماً في حماية الأوقاف من التعديات التي تعرضت لها منذ تأسيسها عام ١٨٤٢م وحتى أفول نجمها بنكبة عام ١٩٤٨م، ولم تتوان عن العمل الجاد لرفع تعديات المتولين والمجاورين والمستأجرين وحركة التغلغل الأجنبية التي استهدفت جوانبها المادية والمعنوية، ففي الفترة العثمانية رفضت مديرية عموم الأوقاف التوقيع على معاملات البيع للأجانب، وأبطلت عدداً من الصفقات، وأقالت عدداً من النظار والمتولين على الأوقاف الخيرية والذرية. وفي فترة الانتداب البريطاني وقفت مديرية الأوقاف العامة سداً منيعاً في مواجهة سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية وأطماعها في شراء الأراضي الموقوفة وغير الموقوفة، واستطاعت أن تحمي مساحات واسعة من الأراضي الأميرية، وأن تُبطل عدداً من الصفقات التي كادت أن تبرم، ولم تأبه بما وجه لها وللمجلس الإسلامي من نقد في

(١١٧) دفترطابو(١٢) مجدل الصادق، ص١-؛ دفترطابو (٤٦) بوقلمة اليازور، ص١-؛ دفترطابو (٢) فراغات، ص١٩؛ دفترطابو (٢) أراضي موقوفة، دفترطابو(١٢) بوقلمة كفر لام، ص١٢٧-١٢٨؛ دفترطابو (١٤) بوقلمة أراضي موقوفة، ص ١٨.

(١١٨) القدس ٣٦٤، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ص١٣٠.

الصحف حول تحكمها في أراضي الأوقاف والمؤسسات الخيرية وتجييرها لصالحها والجهات المنتفعة منها^(١١٩)، ومن الصفقات التي أبطلتها صفقة بيع أراضي وقف سيدنا علي إلى الشمال من يافا والبالغة (٢٨٠٠٠) دونم من قبل آل العمري - نسبة إلى عمر بن الخطاب - في دمشق^(١٢٠).

ولم ترضخ لقانون نزع الملكية الذي أصدرته سلطات الانتداب عام ١٩٢٦م، لنزع الأراضي الفلسطينية ونقلها للحركة الصهيونية بما فيها أراضي الأوقاف كما حصل في أوقاف القبر المقدس الخاصة بالكنيسة الأرثوذكسية والبالغة (٢٢٠٠٠) دونم بحجة سداد ديونها المترتبة عليها خلال الحرب العالمية الأولى^(١٢١)، ووقف آل الخزامي البالغ (١٠٠,٠٠٠) دونم، وبركة رمضان البالغة (٤٥٠٠) دونم^(١٢٢)، في حين لم تتمكن من رفع التعديلات التي مارستها الحركة الصهيونية بحق العديد من المساجد عندما حولتها إلى كُنس وبارات ومقاهي وزرائب للحيوانات ومكبات للنفايات^(١٢٣).

وللحيلولة دون تغلغل الحركة الصهيونية في أراضي المزارعين، فقد عمدت مديرية العموم إلى تقديم المساعدات المالية التي يستحقونها، وإدخالهم تحت حمايتها، مقابل تسجيل جزء منها باسم المجلس الإسلامي، وبالتالي فإن أية بيوع تجري على الأرض لا بد من مشاوره الشركاء، وبذلك قطعت الطريق على الحركة الصهيونية لشرائها، وفي نهاية المطاف تم، تحويل مشترياتها من الأراضي الموقوفة وغير الموقوفة إلى وقف عام على

(١١٩) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف جامع قيسارية، ١٩٣٣/٤/٣٠م؛ صندوق (٢) ١٩٣٤/٦/٢٧م؛ صندوق (٣) ١٩٢٥/٢/١م؛ الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج١٠، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، ج٧، ص٦٦٩.

(١٢٠) تقع قرية الحرم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمالي يافا وتعرف بالحرم أو سيدنا علي نسبة الحسن علي بن عليم (ت٤٧٤هـ) من أحفاد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدفون فيها: العلمي، مجير الدين العلمي (ت٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ج١، تحقيق عدنان أبو تيانة، ج٢، محمود كعابنة، مكتبة دنديس، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٩٠؛ جريدة اليرموك، عدد ٢١٦، ١١/١٦/١٩٢٤م، ص١؛ البديري، أراضي، ص١٧٩.

(١٢١) الحزماوي، ص١٢٠-١٢١.

(١٢٢) الدباغ، ج٢، ص٢٧٣، ٢٨٢. الدباغ، ج٣، ص٣٧٣.

(١٢٣) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) ملف أم العلق، ١٩٤٠/٢/١٢م؛ ملف الشيخ بريك، ١٩٤١/١٢/٣١م. - أوقاف

لواء عكا، صندوق (٢) أوقاف جامع النصر، ١٩٣٤م؛ عرب النفيعات، ١٩٣٩/٥/١٩م. ١٩٤٦/٧/٩م؛ صندوق (٢) أوقاف جامع النصر، ١٩٤٧/٩/٢٢م؛ ١٩٤٦/١٢/١٨م.

الشعب الفلسطيني، كما حثت الناس من خلال حملات الوعظ والإرشاد على عدم بيع أراضيهم، وفضح أعمال السمسرة ومقاطعة السماسرة، وتوظيف كبار المحامين للدفاع عن القضايا التي تهم الأراضي للمرافعة عنها في أروقة المحاكم المحلية والبريطانية في لندن^(١٢٤). وبموجب ذلك، تم إنقاذ أراضي كل من نحالين، وعتيل والطيبة، والطيرة، وديرة عمرو، وزيتا الشعراوية، وكان الحاج أمين قد انفق في سبيل إنقاذها (٤٥,٠٠٠) جنيه فلسطيني حسبما أفاد أمام لجنة التحقيق الدولية في أحداث البراق عام ١٩٢٩م^(١٢٥).

٢- الإعمار والترميم: تشير الوثائق المتوافرة بين أيدينا أن مديرية العموم وبإشراف المجلس الإسلامي الأعلى، قد تولت بناء وإعمار العديد من المؤسسات الوقفية في فلسطين، وتتمثل في المساجد والجوامع والزوايا والمقامات والمدارس والأسبلة والمقابر المورثة عن العهد العثماني، وأنفقت في سبيل ذلك أموالاً طائلة وفرتها من خلال استثماراتها وعائدات الأوقاف والتبرعات والهبات الغنية التي أغدقها الزعماء والشعوب العربية والإسلامية. وبموجب ذلك، قامت بترميم المسجد الأقصى في أعقاب الزلزال المدمر الذي ضرب المنطقة عام ١٩٢٧م، كما بنت وأعمرت عددًا كبيرًا من المساجد والجوامع والمقامات والمقابر من خلال أعمال البناء والترميم والصيانة والفرش والإضاءة، وما تحتاجه من أدوات وموظفين وحراس^(١٢٦)، وذهبت إلى أبعد من هذا، عندما بادرت إلى بناء عدد كبير من المباني السكنية والفنادق والأسواق والدكاكين والمخازن والمستودعات والبيارات لأغراض الاستثمار، وتنمية أموال الخزينة، في كل

(١٢٤) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢) أوقاف جامع النصر، ١٩٣٤م؛ عرب النفيعات، ١٩٣٩/٥/١٩م؛ ١٩٤٦/٧/٩م؛ ١٩٤٦/٢٥/٢٥م؛ ١٩٤٧/٩/٢٢ / ١٩٤٦/١٢/١٨م؛ ١٩٤٧/٤/٢٧م؛ صندوق (٣) ملف عرب الفوارنه، ١٩٣٥/٣/٦م؛ ١٩٣٦/٣/٢م؛ ١٩٣٥ /٣/٦م؛ ١٩٤٢/٢/٢٨م؛ ١٩٤٦/٩/١٠م؛ ١٩٤٦/١٠/١٥، ١٩٤٦/١١/١٣، ١٩٤٦/١١/١٩م؛ الشهادات السياسية، ص١٢-١٣. (١٢٥) جريدة فلسطين عدد ٢٢٦٥، ١/١/١٩٣٤م، ص٣، ص٧. جريدة الجامعة العربية، عدد ١٣١٢، ١/١/١٩٣٤م، ص ٦ الشهادات السياسية، ص١٢-١٣؛ الشهادات السياسية، ص١٢-١٣. (١٢٦) أوقاف لواء عكا، صندوق (٢)، ملف تسوية وقف جامع كفر قرع، ١٩٣٧م؛ انظر أيضًا ملفات الإعمار في الصناديق (٣-١٠٠).

من القدس ونابلس وغزة وبيافا واللد والرملة وعكا وحيفا وصفد وغيرها من المدن الفلسطينية مما عاد عليها بالأرباح الطائلة.^(١٢٧)

٤- التعليم: أشرفت إدارة الأوقاف العامة خلال فترة الانتداب البريطاني على المدارس الإسلامية من حيث المباني ورواتب المدرسين وإقامة الطلبة في القسم الداخلي، ومن أهم المدارس التي تولت الإشراف عليها مدرسة «دار الأيتام الإسلامية» في القدس، والمدرسة «الأحمدية» في مدينة عكا، كما أشرفت على المديرية وعلى التعليم داخل أروقة المساجد والجوامع وحلقات الوعظ والإرشاد للعامة والمساجين الفلسطينيين داخل السجون والمعتقلات البريطانية، ومن أهمها سجن عتليت، وذهبت إلى أبعد من هذا عندما شرعت في جمع التبرعات لإنشاء جامعة إسلامية في فلسطين في أروقة المسجد الأقصى تعرف باسم «جامعة المسجد الأقصى»، وجاء ذلك تنفيذاً لمقررات المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد بالقدس برئاسة المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٣١م، لربط فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، بالعالم العربي والإسلامي ثقافياً، والرد المباشر على المؤسسات التعليمية الصهيونية التي بلغت ذروتها في إقامة الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٥م^(١٢٨).

٥- رعاية الأيتام وأسر الشهداء والأسرى: رعت المديرية الأيتام الذين لا معيل لهم من أبناء الشعب الفلسطيني، وأسر الشهداء والأسرى والمبشرين والمطاردين التي استشهد أو أسر أو أبعده أو حمل على المنفى أحد أفرادها في المواجهات التي دارت بين البوليس البريطاني والمستوطنين خلال المواجهات التي كانت تتشب بين حين وآخر، وأنفقت في سبيل ذلك أموالاً طائلة على صعيد تخصيص رواتب معينة للإنفاق على أسرهم، ودفع تكاليف المرافعات والمواصلات للمحامين الذين كلفوا بالمرافعات في أروقة المحاكم العسكرية والسجون، وتقديم التعويضات المجزية للمتضررين بالممتلكات، ويتجلى ذلك في الإعانات التي قدمتها لأهالي صفد في أعقاب المواجهات التي انتابت المدينة في أثناء ثورة البراق عام ١٩٢٩م^(١٢٩).

(١٢٧) فشافشه، راضي احمد ذيب، أوقاف قضاء حيفا خلال فترة الانتداب البريطاني (١٩٢٢-١٩٤٨م)، دراسة وثائقية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠١٠م، ص ٥٥.

(١٢٨) انظر ملف جامعة المسجد الأقصى، أوقاف لواء عكا، صندوق (٧٠)، ١٩٣١م.

(١٢٩) انظر ملف منكوبي أهالي صفد، أوقاف لواء عكا، صندوق (٦٣)، ١٩٢٩م.

الخاتمة: إن مديرية عموم أوقاف القدس في مسيرتها منذ تأسيسها عام ١٨٤٣م وحتى أفول نجمها عام ١٩٤٨م، قدمت تجربة حيوية ومسيرة رائدة في العمل الجاد دون أن ينتابها أي كلال أو ملل، وعبرت عن دورها في الحفاظ على أحد جوانب الموروث الحضاري للأمة في فلسطين، والمتمثل في المقدسات الإسلامية والمسيحية وأوقافها، وإن دل ذلك على شيء؛ فإنما يدل على مدى انتمائها للدين والدنيا، وهو ما يحملنا على المطالبة بتوحيد الجهود العربية والإسلامية لتجديد العهد بها بصورة جادة، وإناطتها بالإشراف على المقدسات الإسلامية والمسيحية وأوقافها، وتشكيل مجلس إسلامي أعلى تتمثل فيه جميع الدول العربية والإسلامية لمتابعة عملها، نظرًا لما تتعرض له من هجمة شرسة في الوقت الحاضر.

الولاية الأردنية ١٩٤٨ - ٢٠١٣م

بدأت الولاية الأردنية على المقدسات الإسلامية وأوقافها في القدس منذ عام ١٩٤٨م، وبذلك نهضت بالدور الذي مارسه الخلافة العثمانية (١٨٤٣-١٩١٨م)، والمجلس الإسلامي الأعلى (١٩١٢-١٩٤٨م)، ولا تزال قائمة ومستمرة في أداء دورها حتى يومنا هذا، وتتجلى أهميتها في الظروف والمراحل الحساسة والدقيقة والصعبة التي واكبت مسيرة الأوقاف الإسلامية منذ نكبة عام ١٩٤٨م، وحتى اليوم، وحجم التضحيات المعنوية والمادية التي بذلتها هذه الولاية قيادة وحكومة وشعبًا في سبيل الدفاع عنها، وصيانة الحقوق العربية والإسلامية فيها، بكل ما أوتيت من قوة.

فنتيجة للعمليات العسكرية التي جرت خلال حرب عام ١٩٤٨م، بين الجيوش والمقاومة العربية من جهة والجيش الإسرائيلي من جهة أخرى، سيطرت قوات الاحتلال الإسرائيلي على الأحياء الغربية من مدينة القدس^(١٣٠)، وهو ما حمل المجلس الإسلامي الأعلى على نقل مقره الجديد والقائم فيها وإعادةه حيث كان في البلدة القديمة في

(١٣٠) التل، عبد الله، كارثة فلسطين، خزانة فلسطين التاريخية، دار الهدى، كفرقرع، ١٩٩٠م، ص ١٠٢-

١٠٤، ٢١٠، ٢١٣-٥٧٢؛ العارف، عارف، النكبة: نكبة فلسطين والفردوس المفقود، ١٩٤٧-١٩٥٢،

٥ ج، دار الهدى، كفرقرع، ١٩٥٢م، ج ٢، ص ٧٠٨؛ العبادي، عبد السلام، الرعاية الهاشمية للقدس

والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، وزارة الشباب، عمان، ١٩٩٥م، ص ٢٩-٣٠.

محيط المسجد الأقصى، وكان قد دشن هذا المقر عام ١٩٢٩م، كتحفة معمارية بناها المجلس كمقر لإدارة شؤون المقدسات وأوقافها، وقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في مواجهة الحركة الصهيونية والانتداب البريطاني بالقرب من مقبرة ماملأ^(١٣١)، فوضعت الحكومة الإسرائيلية يدها عليه، واستخدمته مقرًا لوزارة الصناعة والتجارة، واستمرت في ذلك حتى عام ٢٠٠٧م، عندما هدمته لتتخلص من رمزيته التاريخية ودوره في الحفاظ على المقدسات وأوقافها^(١٣٢).

أما الأحياء الشرقية من مدينة القدس بما فيها البلدة القديمة، فقد حافظ عليها الجيش الأردني واستبسل في الدفاع عنها أمام هجمات العصابات الصهيونية^(١٣٣)، وفي عام ١٩٥٠/٤/٢٤م أقر مجلس الأمة الأردني وحدة ضفتي نهر الأردن في وحدة اندماجية تحت اسم «المملكة الأردنية الهاشمية» بقيادة الملك المؤسس عبد الله بن الحسين^(١٣٤)، وبذلك أصبحت المقدسات الإسلامية ودرتها المسجد الأقصى وأوقافها تحت الولاية الأردنية بيد الملك عبد الله بن الحسين، كيف لا وهي مسرى جده النبي ﷺ وبوابة معراجة إلى السماء أولى القبلتين وثالث الحرمين، مهوى الأفتدة ومشد الرحال ومقصد الزهاد والعباد ومثوى رفات والده الشريف الحسين بن علي حيث دفن بالمدرسة الأرغونية عام ١٩٣١م^(١٣٥).

وفي ظل الولاية الجديدة حظيت المقدسات الإسلامية وأوقافها بعناية فائقة، ويظهر ذلك في الزيارات المستمرة التي قام بها الملك والحكومة الأردنية وأعضاء مجلس الأمة إلى المسجد الأقصى ودوائر الأوقاف، وعقد اجتماعاتها في رحابها، وحملات الإعمار التي حظيت بها، ومما يؤيد ذلك ارتقاء الملك المؤسس شهيداً في رحاب المسجد الأقصى عام ١٩٥١م في أثناء زيارته له، كما بادرت حكومة فوزي الملقى في عهد الملك الحسين الباني عام ١٩٥٣م إلى الإعلان صراحة بأن القدس العاصمة الروحية الأولى للمملكة والسياسية الثانية بعد عمان^(١٣٦)، الأمر الذي انعكس على

(١٣١) جريدة القدس عدد ١٣٥٣٦، ٢٥/٤/٢٠٠٧م، ص ١، ٢٧؛ جريدة القدس عدد ١٣٥٤١، ١/٥/٢٠٠٧م، ص ٢٠.

(١٣٢) جريدة القدس عدد ١٣٥٣٦، ٢٥/٤/٢٠٠٧م، ص ١، ٢٧؛ جريدة القدس عدد ١٣٥٤١، ١/٥/٢٠٠٧م، ص ٢٠.

(١٣٣) التل، كارثة، ص ١٠٢؛ العارف، النكبة، ج ٣، ص ٧٠٨؛ العبادي، الرعاية، ص ٢٩-٣٠.

(١٣٤) كفاية، زيدان، وآخرون، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠١م، ص ٢٤٩.

(١٣٥) جريدة فلسطين عدد ٦٥٠٥، ١/١/١٩٣١م، ص ١؛ نجم، رائف يوسف، كنوز القدس، ص ٢٢٣.

(١٣٦) كفاية، زيدان، وآخرون، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠١م، ص ٢٤٩.

الأوقاف الإسلامية اهتماماً مادياً ومعنوياً، وعندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م لتحرير الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، لم تمس الولاية الأردنية على الضفة الغربية بصورة عامة بما فيها المقدسات^(١٣٧).

وبالرغم من الظروف الصعبة التي خيمت على الضفة الغربية بما فيها القدس نتيجة لنكسة عام ١٩٦٧م، فإن الولاية الأردنية استمرت في رعاية المقدسات الإسلامية وأوقافها دون كلل أو ملل، على المستويات كافة، وبكل السبل المادية والمعنوية، لا بل إن فك الارتباط القانوني والإداري الصادر عام ١٩٨٨م، بين ضفتي نهر الأردن أبقى عليها كمظلة حماية للمقدسات، ومما يؤيد ذلك حملات الإعمار التي تقوم بها المملكة الأردنية الهاشمية بين حين وآخر في أروقة المسجد الأقصى، والرعاية المتواصلة للمدينة ومقدساتها، وهو ما حفظ هويتها العربية والإسلامية التي باتت مهددة بالطمس والتهويد، ولم يثنها عن عملها الموجات العاتية التي تعرضت لها من المزايدات وأقوال المهرجين والمراهقين السياسيين والأبواق الفارغة من هنا وهناك التي كانت تتعق باللوم والعتاب والنم والنميمة حول دورها في الرعاية في ظل الاحتلال.

(١٣٧) منظمة التحرير الفلسطينية، بيان المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في مدينة القدس من ١٩٦٤/٥/٢٨ إلى ١٩٦٤/٦/٢م، القدس، ١٩٦٤، ص ١-٤٢.

أوقاف الكنائس المسيحية في القدس

د. رؤوف أبو جابر*

مدخل

تتناول هذه الورقة أوقاف بعض الكنائس المسيحية في القدس الشريف، وحيث إن أوقاف البطريركيات الرئيسية الثلاث: الأرثوذكسية واللاتينية والأرمنية ستكون موضوع أبحاث مستقلة في أثناء المؤتمر، فإن هذه الورقة لن تتناولها، وستختص بأوقاف الكنائس المسيحية الأخرى التي لا علاقة لها بأي من البطريركيات الثلاث الأنفة الذكر. وقد وجدت من المناسب إعطاء نبذة قصيرة عن الظروف التي نشأت وترعرعت فيها الكنائس ذات العلاقة والأعداد التقريبية لكل رعية من رعاياها.

وابتداءً فإن معظم المعلومات الواردة في البحث استقيتها من كتاب المؤرخ المرحوم عارف العارف: «المسيحية في القدس»، وقد أضفت في نهاية البحث قائمة بالكتب التي يمكن للباحث المهتم الاستفادة من المعلومات الواردة فيها، وكذلك صورة عن خريطة البلدة القديمة التي تظهر الأحياء المختلفة، وأخرى تظهر الحارات وأبواب الأسوار.

قد يكون النشاط الكنسي في القدس واكب انتخاب يوفناليوس مطراناً على الكرسي الأورشليمي عام ٤٢١م في زمن اشتهر فيه القديس أفثيموس العظيم بعمل العجائب في دير القديس ثيوكتستوس الواقع إلى الغرب من بحيرة لوط (البحر الميت)، وقد سمع بذلك «الصبيبه» شيخ قبائل البدو العربية النازلة في تلك الجهات، وكان ابنه مصاباً بداء عضال، فأحضره إلى القديس حيث شُفي من مرضه بإرادة الله، فأمن الشيخ وقبيلته

* رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين، رئيس جمعية حماية القدس الشريف/ الأردن.

بالمسيح واعتمدوا، وأصبح الصببيه عندها يعرف باسم «بطرس»، واهتدى الكثيرون من أبناء القبائل العربية الأخرى إلى الإيمان، فعمدهم القديس وبنى ديره المعروف الآن «بالنبي موسى» فالتفت حوله الجماهير وضربوا خيامهم في تلك الهضاب، وتمت سيامة بطرس شيخهم أسقفاً عليهم، وأصبح يعرف باسم «بطرس أسقف القبائل العربية»، وهو الذي بنى القلايات الكثيرة حول دير النبي موسى، وحضر المجامع المسيحية ممثلاً للمسيحيين في فلسطين والأردن، وقد اشتد ساعد المسيحيين بانضمام هذه الأعداد الكبيرة إلى المسيحية، فقام المطران يوفنايوس بالمطالبة بأن تصبح القدس بطريركية في أثناء المؤتمر الكبير الذي عقد في خلكيدون قرب استانبول عام ٤٥١م، فتم له ذلك، حيث أعلنت بطريركية القدس. ومنطقتها فلسطين والأردن ودير سيناء «البطريركية الرسولية الخامسة» بعد روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية.

بعد هذه المقدمة عن بدايات المسيحية في فلسطين والأردن، نتناول الكنائس موضوع هذا البحث:

كنيسة السريان

هي أقدم الكنائس، إذ إن رعيته من السريان الذين كانوا يتكلمون الآرامية، ويعيشون في القدس قبل بدء الدعوة المسيحية، وقد عانوا من اضطهاد الكنيسة البيزنطية لهم، خصوصاً عندما آمن العدد الأكبر منهم بمعتقدات «يعقوب البرادعي» الذي ناصره الغساسنة، وتمكنوا من إقناع الامبراطورة ثيودوره بتعيينه مطراناً لهم (توفي عام ٥٧٨م)، فأصبحوا بعد ذلك يعرفون «باليعاقة»، وهم الآن أتباع كنيسة السريان الأرثوذكس، ومن المعروف أنهم كانوا من المناصرين للحكم العربي لبلاد الشام والعراق، وكان لهم دور كبير خلال الثلاثمائة سنة الأولى بعد ابتداء الحكم العربي عن طريق نشاطهم في الحركة الثقافية والفكرية وترجمة الكتب إلى اللغتين العربية والسريانية.

لم يكن الوجود السرياني في القدس خلال النصف الأول من القرن العشرين كبيراً، فقد كان عدد المقيمين في القدس يقارب الألفين، وأما في فلسطين كلها فكان زهاء الأربعة آلاف، وكان لهم حضور قوي في مدينة بيت لحم، أما في شرقي الأردن فلم يكن لهم وجود يذكر.

أما البطريركية فهي الآن في دمشق، بعد أن كانت في منطقة حمص، وقبل ذلك في «دير الزعفران» بالقرب من مدينة ماردين في تركيا، بينما يقع المقر السرياني الأرثوذكسي في القدس في «دير مار مرقس» «بحارة الشرف» التي تسمى أيضًا حارة الجوعانه نسبة إلى عائلة الجاعوني، وفي هذا الدير دار للأسقفية وكنيسة باسم العذراء، ولهم أيضًا معبد صغير في كنيسة القيامة وراء كنيسة الأقباط إلى الغرب من القبر المقدس، وهيكل في كنيسة سنتا مريم بالجثمانية، وهيكل آخر في جبل الطور وهيكل في كنيسة المهد ببيت لحم، ودير على ضفة نهر الأردن جنوب جسر اللنبي بعدة أميال تم بناؤه في العام ١٩٣١م ويعرف باسم «دير مار يوحنا المعمدان»، بالإضافة إلى أملاك واقعة في العمارة الكائنة إلى الشمال الشرقي من المسكوبية بالقدس. ومن أوقافهم أيضًا «دير القدس» ويظن أن هذا هو المكان الذي سُجن فيه القديس بطرس، ولهم مقبرة على جبل صهيون مشتركة بينهم وبين الأرمن والأقباط.



صورة زيتية لكنيسة القيامة عام ١٨٩٥م
بقلم الفنان ترسترام أيليس

أما كنيسة السريان الكاثوليك التي تفرعت عن السريان الأرثوذكس سنة ١٦٦٢م، وتجددت عام ١٧٨٢م باتباعها مذهب الكنيسة اللاتينية في الفاتيكان، فيشرف على شؤونها في الأردن وفلسطين النائب البطريركي في القدس، وعدد رعاياها لم يكن في أواسط القرن الماضي ليزيد على الأربعمائة نسمة في فلسطين كلها، وهم يخضعون لرئاسة البطريرك الذي يقيم في فرن الشباك قرب بيروت، وتتبعه مطرانيات سورية ولبنان ومصر والعراق والقدس.

تشتمل أوقافهم على دير وكنيسة في القدس بين كنيسة النوتردام المشهورة وباب العامود، «ودير مار مبارك» الذي يقع إلى الشرق من قرية سلوان، وكان لهم فيه مدرسة اكليزيكية يديرها الرهبان البندكتيون انتقلت عام ١٩٣٠م إلى دير الشرفه بالقرب من حريصا بلبنان.



مدخل كنيسة القديس مرقس للسريان الأرثوذكس في القدس

كنيسة الأقباط

تذكر كتب الأولين أن أول قافلة قبطية زارت مدينة القدس عام ٣٣٥م بدعوة ملكية خاصة ليحضر أفرادها تدشين «كنيسة القيامة» التي بنتها الملكة هيلانه، ومن هنا جاء احترام الأقباط لأورشليم، وتحتم الكنيسة القبطية على أتباعها زيارة الأراضي المقدسة، فمن لم يستطع عليه أن ينفذ إليها القرايين.



كنيسة الأقباط الأرثوذكس خلف القبر المقدس في كنيسة القيامة

عانت كنيسة الأقباط كثيرًا في أثناء العهد الصليبي، وكانوا محرومين من زيارة القدس والأماكن المقدسة الأخرى، فلما جاء صلاح الدين بجيوشه، رافقه في حملته من مصر عدد غير قليل منهم ككتّاب وعمّال، بالإضافة إلى الجند، فلما انتهت الحملة بنجاح، أراد أن يكافئهم على إخلاصهم، فرد إليهم معظم الأملاك والأديرة والكنائس والمزارات التي أخذت منهم، وفي العام ١٢٣٦م، ازداد عددهم في القدس وفلسطين في أثناء حكم الأيوبيين، فعين البابا كيرلس الثالث مطرانًا يدير شؤونهم ويحافظ على أملاكهم، ومنحه سلطة النظر في شؤون القبط من بيت المقدس إلى الساحل ومنه إلى الشام ونواحي الفرات.

لم يكن عدد الأقباط في فلسطين كبيرًا، إذ كان يبلغ ١٣٠٠ نفس في أوائل القرن العشرين، منهم مائتين فقط كانوا يسكنون في القدس، إلا أن العدد ارتفع عند نهاية الانتداب عام ١٩٤٨م، ليصبح حوالي العشرة آلاف، منهم حوالي الألف بالقدس وحدها، وكانوا يستقبلون الزوار الأقباط بالآلاف كل سنة، إذ إن الحج إلى القدس واجب مقدس لديهم.

أهم أوقافهم في القدس «دير السلطان» الملاصق لكنيسة القيامة من الجهة الجنوبية الشرقية، وكان السلطان صلاح الدين قد رده إليهم بعد انتهاء الحروب الصليبية، فأعطوه هذا الاسم تكريمًا له، ولهم كذلك «دير مار أنطونيوس» الذي يعرف بالدير الكبير الملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه أيضًا كنيسة من مثله في ذلك مثل «دير السلطان»، ولهم كذلك «دير مار جرجس» في حارة الموارنة عند باب الخليل، وفيه كنيسة الخضر «مار جريس» التي كان قد بناها الموارنة في زمن سابق.

أما داخل كنيسة القيامة، فلهم «كنيسة السيدة مريم العذراء» الملاصقة للقبر المقدس من الغرب، بالإضافة إلى مكانين أحدهما مطل على الجلجثة بجوار المغتسل، والآخر مقابل كنيستهم غربي القبر المقدس ولهم كنيسة باسم «السيدة» في الجثمانية، وهيكل على جبل الزيتون، وكنيسة باسم «مار يوحنا» خارج كنيسة القيامة على يمين كنيسة الأرمن، وكذلك «خان القبط» في حارة النصارى الذي بني عام ١٨٣٩م، ولا يزال يستعمل منزلًا لحجاج الأقباط، ولذا فقد كان عادة يكتظ بالزائرين في أعياد الفصح. وتجدر الإشارة الآن إلى أن كنيسة الأقباط الكاثوليك التي تأسست في العام ١٨٩٥م، لم تقم بأي نشاط في القدس ولا توجد لها أية أوقاف فيها.



دير السلطان: دير أثري للأقباط الأرثوذكس يقع داخل أسوار البلدة القديمة لمدينة القدس

كنيسة الأحباش

تتصر الأحباش عام ٣٢٠م، واعترفوا برئاسة بطريرك الإسكندرية للأقباط الأرثوذكس، وبدأ وجودهم في القدس بعد ذلك، إلا أن أعدادهم فيها كانت دائماً صغيرة، حيث لم يزد عددهم عام ١٩٥١م على الثلاثة وأربعين شخصاً، وقد بقي لهم في المدينة المقدسة دير السلطان للأحباش الملاصق لكنيسة القيامة، ويشتمل على كنيسة صغيرتين، وكذلك كنيسة الحبش خارج السور التي بنيت في أواخر القرن التاسع عشر وبجانبها «دير الجنة».

كنيسة الموارنة

كان لهم وجود قوي في القدس في العصور الماضية، إلا أن وجودهم فيها حالياً ينحصر بوجود عدد صغير من الموارنة يدير شؤونهم النائب البطريركي الماروني في القدس والذي يقيم في «بطركخانة الموارنة»، التي بنيت عام ١٨٩٥م، بعد أن اشترى الأرض وما عليها المطران الياس الحويك (الذي انتخب بطريركاً للموارنة عام ١٨٩٩م) من قنصل دولة ألمانيا فون تشنيدرروف بمبلغ كبير في ذلك الوقت بلغ ٥٤ ألف فرنك ذهب.

الكنائس البروتستنتية

الكنيسة الأنجليكانية

تأسست نتيجة اتفاقية بين الملك فريدريك وليام الرابع ملك بروسيا، والملكة فكتوريا ملكة بريطانيا وقد عين أول مطران للقدس عام ١٨٤١م، بينما كانت الكنيسة التي بنيت عام ١٨٤٢م، أول كنيسة أنجليكانية، وأصبح اسمها «كنيسة المسيح»، وهي تقع تجاه قلعة القدس على بضع خطوات منها إلى الشرق، وبها منزل معد لنزول الزائرين ودار للقسس وبناء استعمل كمدرسة لأكثر من مائة عام.

أما النشاط الحقيقي لهذه الكنيسة، فقد بدأ فعلاً عند تعيين المطران صاموئيل جوبات لأبرشية القدس عام ١٨٤٦م، حين جاء إلى المدينة وعاش فيها ٢٢ سنة، وأسس المدرسة المشهورة «مدرسة صهيون» على جبل صهيون عام ١٨٥٢م، أما كنيسة القديس

جورج «السانت جورج» التي تقع على بعد ميل من باب العامود، فقد بنيت عام ١٨٩٨م، وبجانبتها مجمع توجد فيه دار المطران ودور القسس ومدرسة المطران «السانت جورج»، التي كان لها الفضل في تعليم العدد الكبير من أبناء فلسطين والأردن منذ تأسيسها وحتى الآن. وفي نفس الوقت تقريباً بنيت في القدس دار للممرضات بعد أن بني «مستشفى الإرسالية الإنجليزية»، وبدأ يقدم خدماته لأبناء القدس ومنطقتها. وعند انتهاء الحرب العظمى عام ١٩١٨م، وإعلان الانتداب، أسست هذه المجموعة «كلية البنات الإنجليزية» التي كانت تشرف عليها جمعية الـ (C. M. S) جمعية التبشير المسيحي وجمعية القدس والشرق (J. E. M) خارج السور، وقد كانت لمستشفى العيون المشهور في القدس خارج الأسوار والمعروف باسم «مستشفى مار يوحنا» علاقة وثيقة بالمطرانية الأنجليكانية، إلا أنه لم يكن جزءاً من نشاطاتها، إذ كانت تشرف عليه فرقة «فرسان المستشفى» التي كانت قد أسست أيام الحروب الصليبية.



كاتدرائية القديس جرجس، هي كاتدرائية أنجليكانية تأسست في سنة ١٨٩٩م

الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية

تذكر هذه الكنيسة دائماً مع الكنيسة الأنجليكانية، إذ إن رعيتهما من الأبناء العرب الذين بلغ عددهم في القدس في منتصف القرن العشرين حوالي الستة آلاف، كانوا قد أسسوا كنيستهم في العام ١٨٤٦م، وفي العام ١٨٧٤، بنوا «كنيسة القديس بولس» خارج السور. بعد أن تملكوا مجموعة من الأوقاف التي أوقف معظمها المحسن عوده عزام من الناصرة، فأصبحت تدر دخلاً للإنفاق على حاجة الكنائس التابعة للمجموعة، والتي يزيد عددها الآن على العشرين في فلسطين والأردن.

الإرساليات الألمانية

في العام ١٨٨٦م، فسح الاتفاق الذي كان بين الإنجليز والألمان بالنسبة للمطرانية المشتركة، وأصبح للألمان البروتستنت «المجمع اللوثري» الذي قام إلى جانبه مجمع لوثري عربي يرأسه قس عربي، ومن أهم المؤسسات التابعة له مدرسة شنلر «دار الأيتام السورية» المعروفة بخدماتها الجلى في قطاع التعليم والتدريب المهني في فلسطين والأردن، وبالإضافة إلى هذا النشاط كان لهذا المجمع نشاط في الحقل التعليمي، عن طريق المدرسة التي أقاموها في البيمارستيان، ومن الأوقاف الألمانية المستشفى الألماني، وقد بني على أرض اشترت خارج السور في حي الشيخ عكاشة عام ١٨٩٤م، وكنيسة المخلص المعروفة أيضاً بكنيسة «الدباغة»، ونزل «أوغستا فكتوريا» المعروف «بالمطلع» على جبل الزيتون الذي بدأ الألمان بينائه عام ١٩٠٥م، وأعطوه الاسم تكريماً للامبراطور والامبراطورة بمناسبة عيد زواجهما الفضي، والذي أصبح مستشفى يديره الاتحاد اللوثري بأموال تبرعت بها هيئة الأمم لصالح اللاجئين العرب.

وهناك مؤسسة مهمّة تابعة للاتحاد اللوثري، إذ إن القس فيلدنر مؤسسها في العام ١٨٥١م، كان يهدف إلى حماية اليتيمات، وهي مدرسة «طاليتا قومي»؛ أي الميتم للبنات، التي تقع إلى الجنوب من طريق يافا، واسمها مؤلف من كلمتين باللغة السريانية وردتا في الإنجيل ومعناها «ياصبيّة قومي».

أما الألمان الكاثوليك فلهم «كلية شميدت للبنات» المعروفة، التي أسسوها عام ١٨٨٦م وهدفها تعليم البنات العربيات وتدريبهن في الشؤون المنزلية، بالإضافة إلى «دير القديس كارلوس بروماس» للراهبات، وكنيسة نياحة العذراء «الدورميثيون» الواقعة على جبل صهيون إلى الغرب من مقام النبي داود.



مستشفى أوغسطين فيكتوريا اللوثيري



كنيسة المخلص اللوثرية بالقدس عام ١٩٠٠م

كنيسة روسيا الأرثوذكسية

بدأت علاقة روسيا بمنطقة الشرق العربي في العام ١٧٧٢م، عندما أرسلت أسطولها لمساعدة الشيخ ظاهر العمر، وبعدها حصلوا في أثناء عهد القيصرية كاترين الثانية عام ١٧٧٤م، على حق حماية الأرثوذكس في جميع أنحاء السلطنة العثمانية، فبدأوا يفكرون في الوسائل لإنعاش الأرثوذكسية في الأراضي المقدسة، وتسهيل زيارة الحجاج الروس إلى القدس والأماكن المقدسة، وفي العام ١٨٤٧م تأسست الجمعية الامبراطورية الفلسطينية، حيث تمكنوا عام ١٨٥٨م من بناء «دير اسبيريدون» بالقرب من باب العمود، ثم بعدها بسنة بدأوا في بناء المسكوبية على أرض مساحتها ٧٤ دونماً، تحتوي على كنيستين ومستشفى كبير ومنازل عديدة وعشرة صهاريج كبيرة للماء، ونزل للكهنة المرسلين من روسيا، ونزل آخر يتسع لألف وخمسمائة زائر من الحجاج الروس.

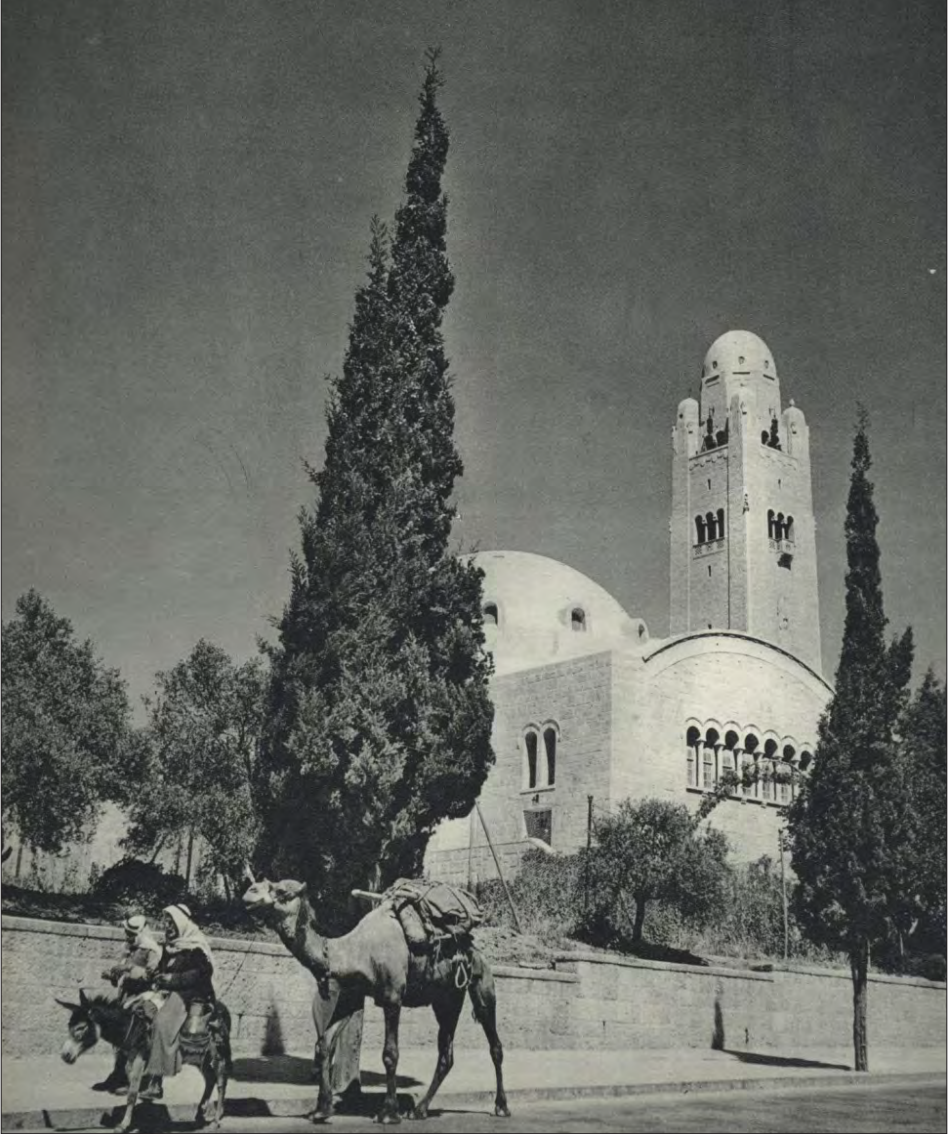
يشمل الوجود الروسي في القدس كذلك، الدير المعروف باسم «دير القديس ألكسندر نفسكي» ويعرف عند الأهالي «بدير الدباغة»، وكنيسة «القديسة مريم المجدلية» التي بُنيت على الأرض التي اشتروها في موقع الجثمانية، وبُنيت على نفقة العائلة المالكة أسرة رومانوف، ولهم كذلك مكان رحب على جبل الزيتون يشتمل على خمس وعشرين عمارة فيه كنيسة الصعود ومجموعة من الأديرة والنزل لإقامة الراهبات واستضافة الحجاج الزائرين.



الكنيسة الروسية - قيصر روسيا نقولا الثاني، من أجمل كنائس القدس

جمعية الشبان المسيحية

تأسست هذه الجمعية الخيرية في القدس عام ١٨٧٦م، على غرار جمعية الشبان المسيحية في لندن، وقد انفصل فرع عربي عن الجمعية المركزية في العام ١٨٩٢م، فأصبح الفرع الفلسطيني، بينما افتتح فرع لها في الأردن عام ١٩٨٠م.



عمارة جمعية الشبان المسيحية Y. M. C. A. بالقدس

وفي العام ١٩٢٤م، تبرع محسن أميركي يدعى «جيمس جارثي» بالمال اللازم لبناء دار مناسبة فتم تدبير شراء الأرض الواقعة على الناحية الغربية من شارع جوليان، وكانت في الأصل ملكاً لدير الروم الأرثوذكس، وبيعت في إحدى الصفقات المشبوهة التي بدأت البطريركية تعاني منها منذ أواخر القرن التاسع عشر، وقد شارك المجلس الملكي البريطاني في تمويل عملية شراء الأرض، حيث بدأت عمليات البناء، ووضع اللورد بلومر المندوب السامي الثاني لفلسطين حجر الأساس في ٢٣ تموز ١٩٢٨م، وهذه الدار من أجمل عمارات مدينة القدس وبنائها من الطراز البيزنطي القديم، وفيها مائة غرفة، ثمانون منها معدة لنزول الزائرين مع برج مرتفع اسمه «برج المسيح» يضم في جنباته خمسة وثلاثين جرساً كبيراً، وجميع المتطلبات للرياضة والسباحة والمكتبة والصالونات للاجتماعات والحفلات، وقد كلف المشروع عند بنائه مليون وربع من الدولارات الأميركية وهو مبلغ كبير في جميع الأحوال.

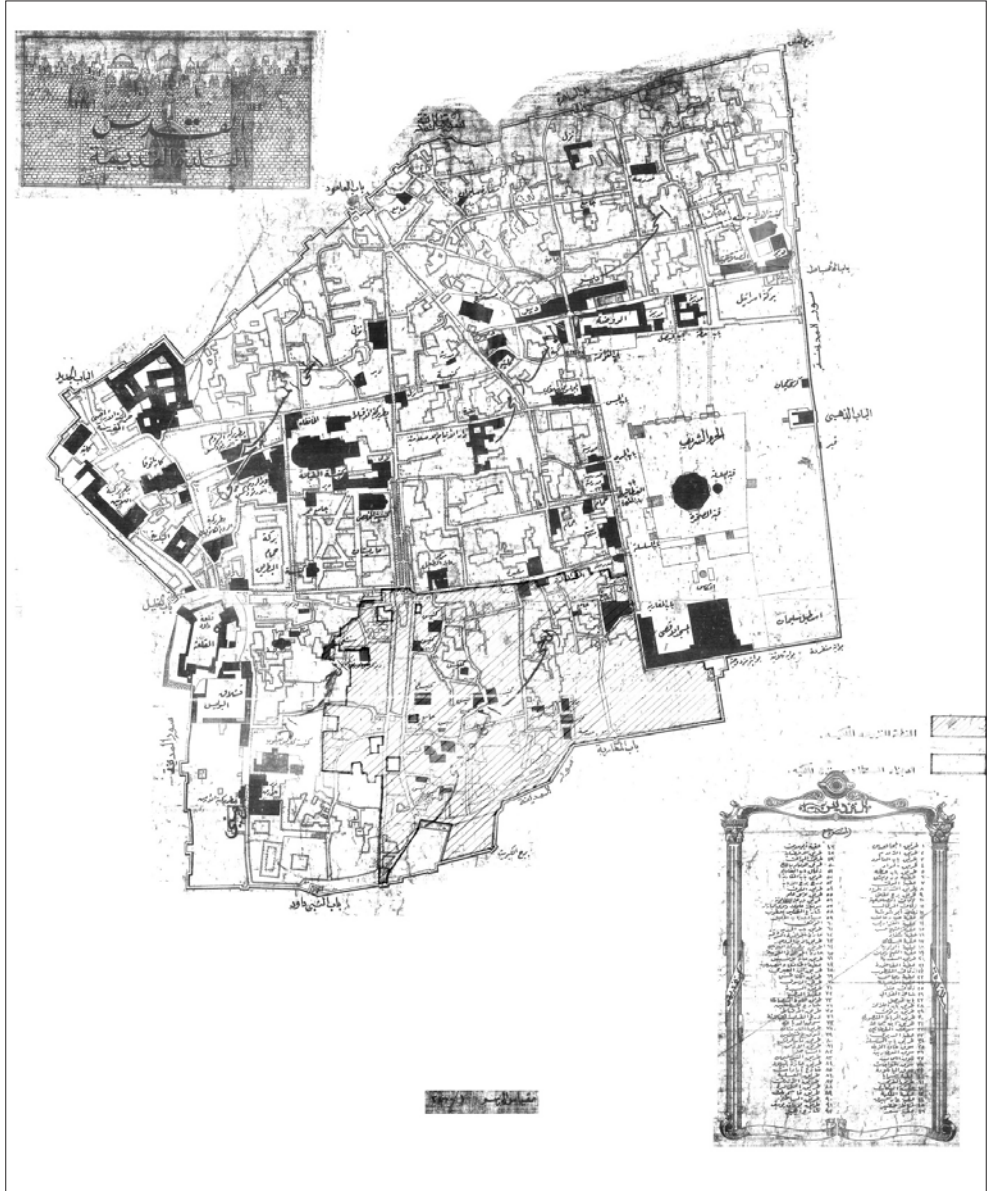
كانت هذه الجمعية مركزاً للنشاط الفكري والثقافي والرياضي في المدينة المقدسة، إلا أن العرب حرموا من الاستفادة من خدماتها عندما وقعت في قبضة الإسرائيليين عام ١٩٤٨م مما اضطر الجمعية إلى إنشاء مركز بديل في القدس الشرقية.

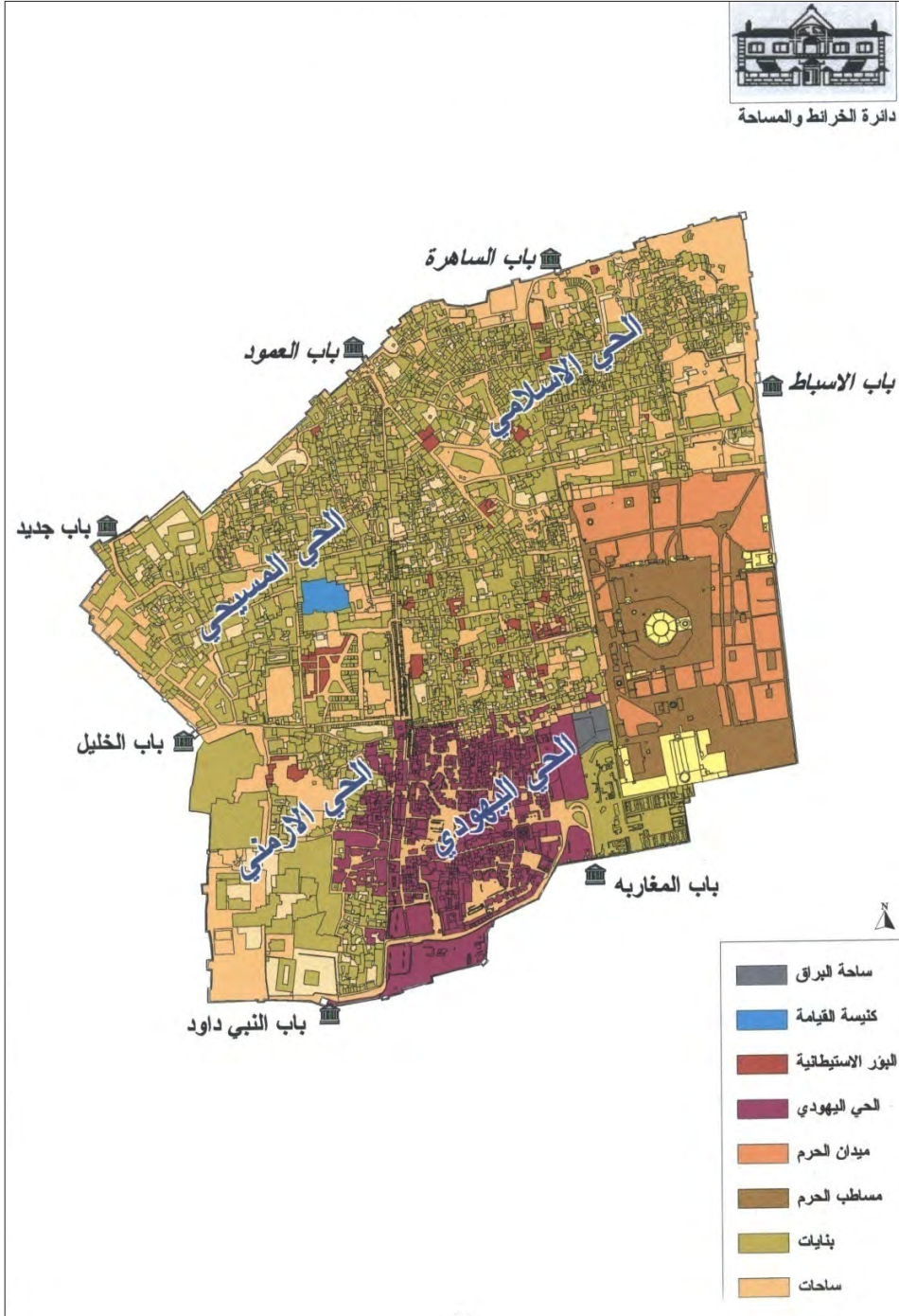
الخاتمة

في الختام أشير إلى أهمية قيام العالم العربي والمسيحيين العرب بجهد مشترك للدفاع عن القدس، وبذل كل جهد ممكن للحصول على مساندة العالمين الإسلامي والمسيحي في هذا المسعى، لأن الشعب الفلسطيني بمسليميه ومسيحييه مهدد، وعليه أن يجهد في مقاومة هذا العدوان الاستيطاني الذي يسانده الرأسمال اليهودي بكل طاقاته، وقد كان لجهود جلالة الملك عبدالله الثاني بتوليته رعاية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، والدفاع عنها، فضل كبير في تسليط الأضواء على هذه القضية المصيرية، وعلينا مسلمين ومسيحيين أن ندعم هذا الجهد، وأن نشجع المسؤولين عن هذه الأوقاف للحفاظ عليها وصيانتها، ومنع أي تصرف غير قانوني بها، لأن ضياع أي منها هو بالحقيقة تشجيع مباشر لعملية تهويد المدينة المقدسة، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين، والبلد التي عاش فيها السيد المسيح وبشرّ ونشر رسالته في جميع أرجاء العالم، بحيث أصبحت المسيحية دين أكثر من ربع سكانه. بينما يشكل المسلمون الربع الآخر.

صورة المدينة المقدسة حيث تتعاقب المآذن وأجراس
الكنائس في مودة ومحبة صادقة







• للحصول على تفصيلات أكثر عن هذا الموضوع يمكن مراجعة:

(١) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص (٥)، ص ٢١، شحادة خوري ونقولا خوري، طبع في مطبعة بيت المقدس بالقدس الشريف، عام ١٩٢٥م.

(٢) المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، الناشر فوزي يوسف، القدس ١٩٦١م.

(٣) الوجود المسيحي في القدس، الدكتور رؤوف سعد أبوجابر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٤م.

4) Jerusalem The Biography, Simon Sebag Monte fiore, Phoenix, Orion Books Ltd., p. (114).

5) The Antiquities of Jordan, G. Lankasten Harding, Jordan Distribution Agency, Amman, 1995.

The Ten Cities of the Decapolis were, Philadelphia, Jerash, Dinum, Scythopolis, Gadara, Pella, Capitolias, Abila, Hippos, Canatha.

6) A Manual of Councils of the Holy Catholic Church, Rev.; Edward Landon, Vol. I, p. (257).

Griffith Farran & Co. London 1845, Juvenal, Bishop of Jerusalem and later its Patriarch, Attended the Conference accompanied by about fifty bishops.

7) A Manual of Councils of the Holy Catholic Church Vol. I, p. (143). It states that in the Seventh session the arrangement which Maximums of Antioch and Juvenal of Jerusalem had made upon certain disputes connected with their sees, were ratified.

The Orthodox Eastern Church By Adrian Fortescue Catholic Truth Society, London 1911.

Relates that at the Council of Ephesus 431 A. D. Juvenal (420-458) appeared at the Council and made a great attempt to have the see of Jerusalem recognized as independent but he did not succeed. However he got the Emperor Theodosius II (408-450) on his side. He pretended to cut all Palestine, Phoenecia and Arabia from Antioch and give them to the Bishop of Jerusalem. The dispute lasted 20 years when the fathers of the Council of Chalcedon in 451 A. D. arranged a compromise. Jerusalem was made a Patriarchate and only to have Palestine and Arabia.

8) Christians in the Arab World, Robert Brenton Betts, Lacabettus Press Athens 1975.

9) Arab Christianity and Jerusalem, Dr. Raouf Abujaber, Gilgamish Publishing, London 2012.

موجز لتاريخ أوقاف الكنيسة الأرثوذكسية (أم الكنائس) في القدس

أ. باسم فراج*

منذ مولد السيد المسيح وعصابات الشر من الأصولية اليهودية المدعومة من الإدارة الرومانية، والعصابات اليونانية الوثنية تعمل بكل قواها للتخلص من المسيح، وظلّ المسيحيون مضطهدين في فلسطين وسائر بلاد الشام، حتى تولى الامبراطور قسطنطين العرش واعتنق المسيحية ومنح رعاياه الحرية الدينية.

وفي عام ٢٢٦ للميلاد زارت والدته «هيلانة» القدس، وبنّت كنيسة القيامة أم الكنائس إلى جانب كنائس أخرى، وعاش مسيحيو المنطقة بسلام حتى عام ٣٦١م حيث عاد اليهود والوثنيون اليونان في عهد الامبراطور «يوليانوس» إلى ملاحقة المسيحيين واضطهادهم، وسُمح لليهود بالعودة إلى القدس، وقاموا بحرق الكنائس المسيحية، وانفصلت الكنيسة كلياً عن مجمع اليهود بعد خراب مدينة القدس أورشليم، وبذلك انتهت العلاقة الفكرية بين المسيحية واليهودية في فلسطين.

كسب البطارقة العرب وفي مقدمتهم «البطيريك عطالله» ثقة سلاطين الدولة العثمانية، فأشرفوا على الكنائس والبيع، ومنح البطيريك العربي عطالله صلاحيات واسعة، وأشرف على كل المواقع المقدسة في القدس تنفيذاً لما جاء في العهدة العمرية، كما أصدر السلطان «سليم» فرماناً عام ١٥١٧م، أنعم فيه على البطيريك عطالله بهذا الشرف، ومنح السلطان «سليمان القانوني» الأرثوذكس حق بناء كنائس جديدة وترميم القديمة والمزارات، واعترف لهم بحق السيادة على هذه الأملاك، فصارت

* رئيس الجمعية الأرثوذكسية؛ نائب رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي/الأردن.

للرهبان العرب أملاكٌ وقفية. لكن ذلك لم يدمَ فترةً طويلةً إذ جاء البطريرك اليوناني «جرمانوس» واستولى بالكامل على كلِّ حقِّ عربي، وشكّل بأسلوبٍ ملتو «أخوية القبر المقدس» التي وضعت يدها على ممتلكات الكنيسة وأوقافها مدةً ٥٠٠ عام، غيرَ محترمةً الوجودَ العربي في الأردن وفلسطين، ساعيةً «ليوننة» الإرث التاريخي العربي المسيحي المقدس، واعتباره مُلكاً يونانياً، وسيطرَ البطاركة اليونان على مداخل وريع الأوقاف، وحرّموا فقراء الرعية الأرثوذكسية من الاستفادة منها، ذلك أن للكنيسة أملاك، محال تجارية، ومنازل ودور كثيرة موزعة في أنحاء القدس ومدن فلسطينية عدة.

لقد اتهمت شخصيات أردنية، فلسطينية وعربية الرئاسة الروحية بالتفريط بأوقافها ومقدساتها، ودانت صفقات البيع والتأجير المشبوهة التي تعقد برعاية محامين غير أمناء على صالح الرعية. عقود سمحت بتسرب المقدسات والأوقاف العربية الأرثوذكسية لمؤسسات الاحتلال الصهيوني.

تواطؤ البطاركة اليونان، وضعف الرعية العربية الأرثوذكسية وتمزقها لجمعيات عدة بسبب ظروف الاحتلال، أتاح الفرصة لمؤسسات يهودية استيطانية مدعومة من حكومة إسرائيل والصهيونية العالمية، الاستيلاء على أملاك وعقارات كنيسة القدس الأرثوذكسية، ومنها:

١. بيع سوق الدير في مدينة يافا إلى شركة إسرائيلية: بتاريخ ٢٠/١/١٩٩٨م، ويقع هذا السوق في حي الساعة وتبلغ مساحته بين ٦-٧ دونمات.

٢. بيع أراضي المقبرة في مدينة يافا، وهي المقبرة الأرثوذكسية القديمة وتبلغ مساحتها حوالي (١٦) دونماً و(٧٠٢) متراً.

٣. صفقة بيع أراضي ضمن محيط قصر المطران في مدينة الناصرة، وقد بدأت بدايات هذه الصفقة منذ عام ١٩٦٩م وتبلغ مساحة هذه الأرض ٤١٢ دونماً تم تأجير ٧٥ دونماً منها عام ١٩٦٩م لمصنع سيارات (دودج).

٤. مبادلة أرض الخان الأحمر بأرض البقيعة: وتقع أراضي الخان الأحمر بين مستوطنة معالية أدوميم ومدينة القدس، بينما تقع قرية البقيعة عند الحدود الشمالية الفلسطينية اللبنانية.

٥. قضية أراضي الطائفة الأرثوذكسية في قرية كفر سميع في الشمال على الحدود الفلسطينية-اللبنانية: حيث حاولت البطريركية المقدسية الاستيلاء على أراضي الطائفة الأرثوذكسية في هذه القرية.

٦. قضية المقبرة الأرثوذكسية على جبل صهيون في القدس: تعتبر من أخطر القضايا في التعدي على ممتلكات البطريركية الأرثوذكسية، لأن فيها يدفن الموتى الأرثوذكس. وبعد عدوان عام ١٩٦٧م، بدأت إسرائيل تقوم بدفن الموتى من المهاجرين اليهود الروس في هذه المقبرة المسيحية بحجة أنهم ليسوا يهودًا، بينما تتم المراسم اليهودية عند عملية الدفن، لأن إسرائيل تسعى حقيقة للسيطرة على المدافن فيما بعد وتعتبرها يهودية.

٧. قضية أرض جبل الزيتون في القدس: يعود تاريخ الصفة بين البطريركية المقدسية والحكومة الإسرائيلية إلى شهر تموز عام ١٩٩٢م، حينما تسربت الأخبار عن نية الحكومة الإسرائيلية مصادرة أراضي «جبل الزيتون» خدمة لأغراضها الاستيطانية، رغم أن هذه الأرض تعود ملكيتها للطائفة الأرثوذكسية، وكان السبب في محاولة بيع هذه الأرض أن أهالي هذه المنطقة من المسيحيين الأرثوذكس، قاموا ببناء كنيسة لهم في هذا الموقع دون موافقة البطريركية المقدسية، فقامت إسرائيل بهدم هذه الكنيسة بحجة بنائها من دون ترخيص.

٨. قضية أرض كنيسة مار الياس في القدس: وخلصتها موضوع المفاوضات التي جرت بين جمعية «عطاروت كوهانيم» الاستيطانية والبطريركية الأرثوذكسية في القدس لمبادلة أرض دير مار يوحنا الواقعة في حارة النصارى بالقدس بأراضي دير مار الياس والبالغة مساحتها (٧٥٠) دونماً حول الدير، حيث لا يتبقى للكنيسة سوى (٥٠) دونماً تحيط بالكنيسة مباشرة وتهدف هذه الصفة بناء عدد من الفيلات والأبنية السكنية.

٩. قضية جبل أبو غنيم: توجهت البطريركية الأرثوذكسية بطلب خدمات المحامي معين خوري طالبة منه الترافع في قضية مستوطنة هارحوما (جبل أبو غنيم)، وقد أبدت البطريركية معارضتها وامتناعها من صعود الجرافات إلى الجبل حيث تملك البطريركية ٧٠ دونماً، وعند بدء المحاكمة، تبين أن البطريرك كان قد وقع على صك تفويض تم بموجبه تسليم وإعطاء الحق بالتصرف بقطعة الأرض التي تبلغ مساحتها

٧٠ دونماً لقاء مبلغ ٥٠٠ ألف شيكل، مقابل تعهد من قبل القائمين على المشروع أن تكون مخصصة لأغراض المنفعة العامة، ومن الجدير بالذكر أنه في حينه ولدى تسليم القطعة لم يكن هناك مخطط للمنطقة بتأماً.

١٠. قضية أراضي طبريا: يبيّن العقد أنّ التعاقد تم في أثناء ولاية البطريرك الأسبق بندكتوس عام ١٩٧١م، وبهذا لم يعد للبطريركية من الأملاك في طبريا سوى الدير وقطعة أرض صغيرة حوله.

بالعودة ثانية إلى الأوقاف الأرثوذكسية وأهميتها في الإنفاق على أبناء الرعية الأرثوذكسية، وما يخص للإنفاق على الكنائس والأديرة بهدف عمارتها و صيانتها والإنفاق عليها، فهناك ما يعرف «بالوقف الخيري». وقد كان لطائفة الروم الأرثوذكس (٢٢) وقضية، ويلاحظ من شروط الوقف أن كل طائفة أوقفت على أبنائها وأديرتها في الأوقاف الذرية والخيرية، وخاصة طائفة الروم الأرثوذكس، وكما يتبين من حجج الأوقاف المرصدة على الأماكن المقدسة، أنها لم تكن قاصرة على أثرياء المسيحيين، بل كانت أيضاً من قبل الطبقة الوسطى، ومن هنا تمت ملاحظة العديد من حجج الوقف التي تشمل عقارات صغيرة أو جزءاً من عقار.

وامتازت الكنيسة الأرثوذكسية بأملها وأوقافها الواسعة داخل فلسطين وخارجها، وتوزعت في مدينة إزمير والمقاطعات الرومانية وللمحافظة عليها، حيث أوقفتها البطريركية لصالحها.

لقد أكدت إسرائيل، حين فوز ثيوفيلوس الثالث بكرسي البطريركية، القيام بعقد صفقات بيع وتأجير لصالح مؤسسات استيطانية صهيونية، وإيكم قائمة مختصرة بها:

١. عقار السنيورة في الباب الجديد: فقد اعترف محامو ثيوفيلوس بإبرام صفقة في البداية ولم تذكر الجهة الأخرى، ولكن تبين فيما بعد أن هذه الصفقة تمت مع رهبنة الفرنسيين. ولم تذكر قيمة المبلغ، ولم تعرض الاتفاقية وتفاصيلها حتى هذه اللحظة. وقد ذكرت المعلومات أن المبلغ يصل إلى حوالي ثلاثة ملايين ومائة ألف دولار.

٢. صفقة حول حقوق الكنيسة في شارع «هعتسموث» (شارع الاستقلال) في حيفا (٥٥) ألف نسمة (٤٠) حوض ١٠٨٨٩، والجهة المستفيدة هي الغرفة التجارية (حيفا). والمبلغ الوارد في القائمة هو (٦٠٠) ألف شيكل.

٣. أرض رحافيا في القدس والجهة المتعاقدة هي الصندوق القومي لإسرائيل (الكيرن كيمت ليسرائيل) والمبلغ المطلوب دفعه (٢١) مليون دولار.
٤. أرض بيت شمش (بالقرب من القدس) المساحة عشرون ألف دونم أو أكثر والمبلغ المقدر حوالي (٢٠) مليون دولار.
٥. ثلاث قطع أراضي في منطقة القطار تعتبر أئمن المواقع.

التفاصيل:

١. الحوض ٢٠٠١٧ القطعة (٩) المساحة (٨) دونمات.
٢. الحوض ٢٠٠١٧ القطعة (١١) المساحة (٥٣٤٢) دونم.
٣. حوض رقم ٢٠٠١٧ القطعة (١٦) المساحة (٦١٧) دونم.
- وفقاً للمعلومات تم تأجير هذه القطعة لشركة إسرائيلية بمبلغ مجهول القيمة لغاية الآن.
٦. عمارة في شارع الملك داوود في القدس مقابل فندق دافيد ستيدال مكون من عدة طوابق.

مقومات الحفاظ على مكانة الكنيسة الأرثوذكسية: المقدسية والدفاع عن دورها الروحي والأخلاقي العظيم.

هناك جملة من المقومات الأساسية يقتضي توافرها لديمومة الحفاظ على مكانة الكنيسة الأرثوذكسية المقدسية/الأورشليمية وقيامها بمهامها الأساسية، وهي رعيه وخدمة الرعية والحفاظ على المقدسات والأوقاف، وأهمها:

١. وضع نظام كنسي صارم في بطريركية القدس الأرثوذكسية يخضع للجان مراقبة بشكل دائم، بحيث تدار شؤون الكنيسة بأمانة ودقة متناهية، كي لا تفقد ما تبقى من ممتلكاتها في ظل الاحتلال الإسرائيلي والشركات المجهولة الهوية كشركة إفريقيا-إسرائيل، والمؤسسات الاستيطانية التي تقوم بفرض سيطرتها على الأراضي الفلسطينية في داخل القدس وفي محيطها، مثل جمعية اليعاد دون أن يقوى أحد على وضع حد لنهب الأراضي والممتلكات وتنفيذ صفقات البيوعات والتأجير غير القانوني.

٢. التقيد بنظام وقف كنسي يراقب كل الحركات المشبوهة التي يسعى القائمون عليها لتبديد أموال الكنيسة، وتزوير ممتلكاتها التي تقرها وتعترف بها الفرمانات السبعة الممنوحة للبطاركة الأرثوذكس من قبل الخلفاء والسلاطين وهم بحسب الأقدمية: «ال خليفة عمر بن الخطاب والقائد صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ومراد الرابع ومحمد الثالث»، وهؤلاء جميعاً تعهدوا ببقاء وسلامة ملكية الكنيسة الأرثوذكسية دون أي تغيير عليها عبر التاريخ. وكان جماعة من الأرمن في أواخر عهد البطريرك خريسانتوس قد زوروا فرمان السلطان سليم الممنوح للبطيرك «عطالله» وهو آخر بطيرك عربي لبطيركية القدس.

٣. اشتراك الرعية الأرثوذكسية العربية في إدارة شؤون البطريركية الأرثوذكسية في القدس باعتبار أن مقر البطريركية في الكنيسة المقدسية الأرثوذكسية جزء لا يتجزأ من الأرض العربية المحتلة منذ ٦٥ عاماً، ثم إعطائهم دوراً لائقاً بأبنائها للدفاع عن ممتلكاتها وأوقافها، وإطلاعهم على المتاعب والاعتداءات والانتهاكات التي تتعرض لها الكنيسة بغية الدفاع عنها والتصدي لها.

٤. إيلاء الرعية الأرثوذكسية العربية العناية اللازمة على المستوى العلمي الكنسي والاجتماعي والثقافي، لا سيما أن الكنيسة الأرثوذكسية المقدسية تملك كنوزاً و ذخراً رائعاً من العلوم والفنون الكنسية حتى تبقى هذه الكنيسة والمقدسات الأرثوذكسية ككل محجاً ومنازة فتزدهر السياحة إلى الأماكن المقدسة وينشط العمل الأرثوذكسي في سائر الأراضي التابعة للبطيركية الأرثوذكسية.

٥. العمل على إنشاء معاهد ومدارس أورثوذكسية متطورة تشمل سائر المدن والقرى التي تسكنها عائلات من المواطنين الأرثوذكس، لتعميق العلاقة بين الكنيسة ورعيته، شأنها شأن البلاد والشعوب التي تعيش فيها طوائف أورثوذكسية كاليونان وروسيا ورومانيا، وغيرها.

الأوقاف المسيحية الكاثوليكية في القدس

المطران مارون اللحام*

(إِسْأَلْنِي فَأُعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ)^(١)

(المزامير ٨: ٢)

يأخذ الكلام عن الأوقاف المسيحية في القدس أهميته من أهمية مدينة القدس للإنسان العربي، المسيحي والمسلم على السواء. ومن «حارات» القدس القديمة الأربع، هنالك حارتان تعتبران وقفاً مسيحياً خالصاً، حارة النصارى وحارة الأرمن. وهذا يشكل في حد ذاته نصف مدينة القدس الموجودة داخل الأسوار. لذا، فالاهتمام بالوقف المسيحي في القدس والمحافظة عليه، شكل أساسي من الجهد المبذول للمحافظة على القدس نفسها. ولا يخفى على أحد الأهمية الدينية، علاوة على الأهمية السياسية لمدينة القدس بالنسبة للإنسان العربي المسيحي والمسلم. لهذا السبب نقول إن الاهتمام بالوقف المسيحي هو أيضاً المحافظة على الإنسان في القدس. فبقدر ما يكون الإنسان متجذراً في أرضه بقدر ما يصعب اقتلعه منها وتشريده في مشارق الأرض ومغاربها. ولا يخفى على أحد الضغوطات السياسية والمادية والحياتية اليومية التي يتعرض لها أهل القدس العرب، بهدف تفريغ المدينة المقدسة من سكانها الأصليين. فالقضية في النهاية هي قضية الإنسان الذي يجب أن يتم احترام أبسط حقوقه الإنسانية في العيش والسكن والعمل في المكان الذي يعيش فيه منذ مئات السنين.

* النائب البطريركي، ومطران اللاتين في الأردن.

(1) <http://www.wordproject.org/bibles/ar/19/2.htm>-8.

من هذا المنطلق، تحافظ الكنيسة اللاتينية في القدس على أوقافها، وتقف أمام كل انتهاك للبشر والحجر والشجر في مدينة القدس خاصة وفي فلسطين عامة. فهي تحتج بقوة كل مرة يتم فيها التعدي على أوقافها، وقد حصل أكثر من مرة أن استطاعت أن تلغى أمراً بالمصادرة أو البيع، وللعلم، وبهدف دعم موقف الكنيسة الكاثوليكية في القدس، فقد صدر أمر من الفاتيكان بمنع بيع أي عقار مسيحي، حتى لو لم يكن وقفاً كنسياً، دون إذن مسبق من الفاتيكان. وهذا الإذن يستحيل الحصول عليه دون موافقة كنيسة القدس.

أوقاف الكنيسة اللاتينية في المدينة المقدسة

ابتداءً، نؤكد على الدور الطليعي الذي قام به ويقوم به، الهاشميون على مر السنين، في رعايتهم للقدس الشريف. وكان آخر هذه المآثر في ٢١ آذار ٢٠١٣م، حين وقعت في عمّان الاتفاقية الأردنية - الفلسطينية للدفاع عن القدس والمقدسات الإسلامية برعاية جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين وبحضور الرئيس الفلسطيني محمود عباس. وقد سبق ذلك مبادرة الأردن عام ١٩٨١م، لتسجيل القدس لدى اليونسكو ضمن التراث الإنساني، وفي عام ١٩٨٢م، بادرت المملكة إلى تسجيل القدس وتراثها ضمن التراث العالمي الانساني المهدد بالخطر. حاولت إسرائيل مراراً وتكراراً إلغاء القرار كما حاولت تسجيل بعض المواقع على أنها تراث عبري ولكنها فشلت.

لم يألُ جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين، حفظه الله، جهداً من أجل نشر السلام، ودعوة الجميع إلى الجلوس على طاولة الحوار من أجل المساواة والسلام العادل والعدالة الاجتماعية بين المجتمعات والشعوب. ولست متأكداً ماذا سوف نستفيد من لقاءاتنا ومؤتمراتنا هذه، وماذا باستطاعتنا أن نعمل، وإسرائيل تبقى مستبدة، متغترسة، رافضة السلام، تهدم البيوت وتقتلع أشجار الزيتون والليمون، وتبني الجدار العازل وتفصل الفلسطينيين بحجة أمنها واستقرارها.

يرتبط المسيحي ارتباطاً وثيقاً بالقدس، وللمقدسات المسيحية بُعد إيماني، يعود بنا إلى العصور التي عاش فيها أنبياء العهد القديم، وإلى القرن الأول الميلادي، لأن بين العهدين القديم والجديد تواصلاً نبوياً، يشكل في الرؤية المسيحية نسيجاً روحياً

ودينياً واحداً، لحمته السيد المسيح. وللمقدسات المسيحية بُعد جغرافي وتاريخي، يكشف لنا أن الحدود السياسية القائمة اليوم، ليست حدوداً للأراضي المقدسة، وأن الأراضي المقدسة ليست لشعب دون آخر. فقد شهد نهر الأردن على ضفتيه، تاريخاً خلاصياً متلاحماً، وشعبين شقيقين توأمين: الشعب الأردني والشعب الفلسطيني. وقد تحدثت الكنيسة الكاثوليكية كثيراً في السابق عن المخاطر التي تهدد الوجود المسيحي والمقدسات المسيحية في الأراضي المقدسة. أعود وأقول بأن الكنيسة ترتبط ارتباطاً مقدساً ربانياً قوياً لا يهتز مع القدس وأرضها وترابها وشعبها.

منذ أسابيع قليلة قامت الحكومة الإسرائيلية بالاعتداء على منزل مقام على أرض للبطيركية اللاتينية والكائن على شارع القدس الخليل بالقرب من الحاجز الشمالي، وقامت الجرافات في بلدية القدس بهدم العقار المقام عليه، وهو عبارة عن بيت مساحته حوالي ١٤٠ متراً وتقطنه عائلة مكونة من ١٤ فرداً.

إن رؤية مثل هذه الأحداث مؤلم جداً ويثير السخط والغضب ولا مبرر له، يزيد من شعور الكراهية والبغض في القلوب ويقضي على فرص السلام العادل المتاحة.

لقد شهدت القدس العديد من الحوادث التاريخية المرتبطة بحياة وموت وقيامه سيدنا يسوع المسيح. والحقيقة أن الفضل في إسباغ صبغة عمرانية على علاقة القدس بالمسيحيين يعود إلى أم الامبراطور قسطنطين، الملكة هيلانة، التي عرفت فيما بعد «بالقديسة هيلانة»، والتي حرصت على إقامة الكنائس في الأماكن التي لها صلة بدعوة المسيح وحياته.

إن اتخاذ اليونسكو قراراً بإدانة إسرائيل يعد نجاحاً وتويجاً للدور الهاشمي في حماية القدس والأماكن المقدسة والذي يدرك أهداف إسرائيل التوسعية والاستيطانية واستهداف المقدسات الإسلامية والمسيحية والتراث الإنساني في القدس الشريف، فبادر الأردن عام ١٩٨١م في تسجيل القدس لدى اليونسكو ضمن التراث الإنساني، وفي عام ١٩٨٢م بادرت المملكة بتسجيل القدس وتراثها ضمن التراث العالمي الإنساني المهدد بالخطر، وحاولت إسرائيل مراراً إلغاء القرار، كما حاولت تسجيل بعض المواقع على إنها تراث عبري، ولكنها فشلت نتيجة الجهود الأردنية والفلسطينية والعربية، بالإضافة إلى فتاعة الدول الأخرى بأن ما يطلبه الأردن يُعد حقاً. ولم يعارض قرارات اليونسكو سوى مندوب الولايات المتحدة الأميركية.

وقد أكد جلالته في مؤتمر «التحديات التي تواجه العرب المسيحيين»، الذي عقد في شهر أكتوبر ٢٠١٣ في عمّان: «أن مدينة القدس التي تتعرض اليوم لأبشع صور التهويد، شاهد عيان ومنذ أربعة عشر قرناً، على عمق ومتانة العلاقة الإسلامية المسيحية الأخوية، التي وثقتها العهدة العمرية، وأوصى بها جدنا الشريف الحسين بن علي، رحمة الله عليه. وقد سار على نهجه والدي الحسين، رحمه الله، وأنا مستمر بالسير على هذا النهج، بعون الله.»

وعلينا نحن جميعاً واجب الدفاع عن هوية القدس العربية، وحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية فيها، كما أن على المسيحيين العرب التمسك بهويتهم العربية. وواجبنا جميعاً الوقوف في وجه كل الممارسات الهادفة إلى تهجيرهم أو تهمةهم.

أما التحدث عن الانتهاكات الإسرائيلية ضد المقدسات المسيحية اللاتينية فهي عديدة، أهمها:

- في عام ١٩٤٨م تم احتلال دار العجزة «نوتردام دي فرانس» واستخدامها كقاعدة رئيسية، للهجوم على المدينة المقدسة كما حصل في دير الراهبات Reparatrice والمستشفى الإيطالي والبعثة الرسولية ودير الآباء البندكتيين الألماني.

- في يوم عيد الميلاد لعام ١٩٥٢م، فجر الإسرائيليون القرية المسيحية إقرث (شمالى فلسطين) مع الكنيسة، وتم تشريد السكان المسيحيين في الجليل.

- في تشرين الأول ١٩٥٢م، دمّرت القوات الإسرائيلية القرية المسيحية في الجليل «كفر برعم» مع كنائسها ومدارسها ومبانٍ أخرى، مما أدى إلى تشريد السكان المسيحيين أيضاً.

- في إبريل ١٩٥٤م، هاجم الصهاينة مقبرة الروم الكاثوليك في حيفا، وهشموا القبور وعبثوا ببقايا الجثث فيها ونبشوا محتوياتها ورقصوا عليها، وبعد أشهر من ذلك، تعرض موكب بقيادة آباء الكرمل للهجوم بالقرب من مغارة القديس إيليا على جبل الكرمل مما أوقع عدداً من القتلى والإصابات. وفي مطلع عام ١٩٦٣م، هاجم ٧٠ من طلاب «الياشيفاه اليهود» مدرسة البعثة المسيحية الفنلندية في القدس، وانهالوا بالضرب على المعلمين والموظفين والطلاب.

- وعندما احتلت القوات الإسرائيلية القدس في يونيو عام ١٩٦٧م، شهدت نانسي نولان، من مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت، أن الجنود والشبان الإسرائيليين

كانوا يلقون قنابل الرائحة الكريهة على كنيسة القيامة وعلى كنيسة «سانت أن»، وقام الجنود الإسرائيليون ذكوراً وإناثاً بتدنيس الكنائس والمقابر وكانوا يرتدون ملابس غير محتشمة.

- وفي نفس العام تم إلحاق أضرار بالغة بكنيسة القديسة حنة التي ولدت بها مريم العذراء، وكنيسة بيت لحم.

- في عام ١٩٦٨ م، سطا الإسرائيليون على كنيسة القيامة في القدس ليلاً، وتمكنوا من سرقة المجوهرات الموضوعة على تمثال العذراء الكائن في مكان الجلجلة، داخل الكنيسة.

- في عام ١٩٦٩ م، سطا الإسرائيليون على كنيسة القيامة وتمكنوا من سرقة التاج المرصع بالأحجار الكريمة الموضوع على رأس تمثال العذراء مريم في كنيسة الجلجلة، وقد شوهد التاج وهو يعرض للبيع في أسواق تل أبيب.

- في تشرين الأول سنة ١٩٧٠ م، قامت سلطات الاحتلال بعقد صفقة مزورة لشراء الدير الفرنسي المعروف «بالنوتردام» للرهبة الكاثوليكية الفرنسية بصورة احتيالية.

- قامت سلطات الاحتلال بتاريخ ٢٤/٢/١٩٧١ م بمحاولة حرق كنيسة القيامة، عندما دخل شخص إسرائيلي وأخذ يحطم القناديل الأثرية على القبر المقدس، ولولا نجدة الرهبان لفعل فعلته وأحرق الكنيسة.^(٢)

- وفي سنة ١٩٨٩ م وقع رؤساء كنائس الكاثوليك والأرثوذكس والكنائس الانغليكانية والأرمنية في القدس، بياناً احتجاجاً فيه على عمليات إطلاق النار التي يقوم بها الجنود الصهاينة على الأماكن المقدسة. وطالب البطاركة والمطارنة الذين وقعوا على البيان، أن يحترم الصهاينة حق المؤمنين في التمتع بدخولهم الحرّ إلى جميع أماكن العبادة في الأيام المقدسة لدى جميع الأديان، وغالباً ما يرفع الصهاينة وتيرة مضايقاتهم في المناسبات والأعياد المسيحية، ومن ذلك قيام الحاخامية اليهودية بالضغط على أصحاب الفنادق لإلغاء الاحتفالات بحلول العام الميلادي الجديد ١٩٩٩ م، لأنه صادف يوم السبت اليهودي.

(٢) الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، ٢٠١٢ م.

- اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية ما قامت به الحاخامية انتهاكاً لحقوق المسيحيين في القدس، وعند الحديث عن الاعتداءات الصهيونية على المقدسات المسيحية في القدس، نشير إلى النظرة العدائية من قبل اليهود الصهاينة إلى هذه المقدسات وإلى المسيحيين، ما أدى إلى تناقص أعداد أهالي القدس من المسيحيين على نحو مطرد، وهذا أحد الأهداف الأساسية للصهيونية، ولذلك تتكرر دعوة البطريرك صباح، بطريرك القدس لللاتين السابق: «لا تهجروا أرضكم ... أبقوا هنا في الأرض المقدسة».^(٢)

- في عام ١٩٩٨م، قتل الإسرائيليون الراهب اللاتيني في كنيسة الشياح على جبل الزيتون في القدس.

- في عام ١٩٩٨م، دخل جندي إسرائيلي وأطلق النار على المصلين في كنيسة الجثمانية لللاتين في القدس.

- في عام ١٩٩٨م، دخل جنود إسرائيليون وأطلقوا النار على المصلين في كنيسة اللاتين في يافا.

- في عام ٢٠٠٠م، هدمت بلدية القدس الإسرائيلية كنيسة الصعود المشيدة على جبل الزيتون بحجة أنها شيدت دون ترخيص.

- أطلق الإسرائيليون النار والقذائف من مستوطنة أبو غنيم على كنيسة جمعية الشبان المسيحية في بيت ساحور مما أدى إلى تدمير العديد من دور السكن وأماكن العبادة عام ٢٠٠٢م.

- تعرضت الكنائس ودور السكن للمواطنين في بيت جالا لقذائف إسرائيلية وللرصاصة، حيث دمر العديد منها مما اضطر أصحابها الفلسطينيين للجوء إلى أماكن أخرى وإلى الفنادق لإيوائهم وأطفالهم عام ٢٠٠٢م.

- وفي عام ٢٠٠٢م، تعرض تمثال العذراء المقام على كنيسة القديسة مريم في بيت لحم للرصاصة الإسرائيلي.

- عام ٢٠٠٢م، أقدم الجيش الإسرائيلي على إطلاق النار على كنيسة المهد في بيت لحم وشبَّ حريقاً في مدخلها، ودمرت أجزاء من الكنيسة، وحدثت أضرار جسيمة، علماً

(٢) إعداد: نافذ أبو حسنة، المركز الفلسطيني للإعلام - الحلقة ٢٦ -

بأن القوات الإسرائيلية موجودة داخل دير المهد للروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس واللاتين.

- في عام ٢٠٠٢م، طوقت القوات الإسرائيلية الطرق المؤدية إلى كنيسة القيامة في القدس بالحواجز، ومنعت المصلين من التوجه إلى الكنيسة للمشاركة بالاحتفال الديني الكبير، وهو ما يعرف «بسبت النور» للمسيحيين الروم الأرثوذكس.

- وفي ٢٠٠٦/٣/٣م، وخلال القداس، تم تفجير عبوات تفجيرية في كنيسة سيدة البشارة في الناصرة.

- وفي ٢٠٠٨/١٠/٣١م، اعتدى أحد اليهود المتطرفين على كنيسة القيامة في البلدة القديمة في القدس، وقامت سلطات الاحتلال في ٢٠٠٩/١٢/٢م، بعمليات تجريف في محيط كنيسة القيامة بالقدس.

- وفي فجر يوم ٢٠١٢/٤/٩م، أضرمت النار في بوابة دير اللطرون، الدير الذي يبعد ١٥ كم غربي القدس، وكتبت عبارات التجديف على الجدران. وقد أعربت البطريركية اللاتينية عن غضبها من هذه الاعتداءات المخجلة والقبیحة والتي من شأنها تدنيس الأماكن المسيحية والمساحات بشخص المسيح، ابن هذه الأرض المقدسة.

- في ٢٠١٢/١٠/٥م، دونت كتابات بالعبرية مسيئة للسيد المسيح على باب كنيسة القديس فرنسيس المجاورة لعلية صهيون في القدس، التابع لحراسة الأراضي المقدسة (الفرنسيسكان).

- في ٢٠١٣/٤/٢٤م، صدر قرار الحكم عن لجنة الاعتراضات الإسرائيلية بخصوص الجدار الفاصل في منطقة كرميزان، الذي صادقت فيه على مسار الجدار وفق المخططات التي وضعتها السلطات الإسرائيلية، وهو الجدار الفاصل بين ديري الرهبان السالزيان والراهبات السالزيانيات اللواتي يُدرن مدرسة، وكذلك ضم أراضي ٥٨ عائلة فلسطينية من بيت جالا إلى أراضي مستعمرة جيلو، رافضة موقف إدارة إقليم رهبان السالزيان في الشرق الأوسط وأهالي مدينة بيت جالا، حيث طلبت إدارة إقليم رهبان السالزيان في سياق المحكمة أن لا يفصل جدار الفصل أراضي

دير كريمزان عن مدينة بيت جالا وأن تبقى كامل أراضي دير كريمزان متواصلة مع المدينة، وقد حددت السلطات الإسرائيلية مسار الجدار بأكمله بقرارات انفرادية على الرغم من الرأي القانوني الصادر عن محكمة العدل الدولية بخصوص إقامة الجدار بتاريخ ٧/٩ / ٢٠٠٤ م.^(٤)

- في ٤ مايو ٢٠١٢ م، طوّق عشرات الجنود الإسرائيليين صباحًا مداخل البلدة القديمة في القدس وصولاً لمحيط كنيسة القيامة، بالتزامن مع عيد سبت النور المسيحي، وقد انتشر الآلاف من عناصر الشرطة الإسرائيلية على حواجز حول وداخل البلدة القديمة، فضلاً عن الوجود الأمني المكثف لهم في ساحات كنيسة القيامة وعلى أسطحها وداخلها.

- وفي تقرير له من تل أبيب، كتب مراسل صحيفة «دومينيون بوست» النيوزيلندية، دانيال ايسترن، أنه تم اعتقال أربعة شبان إسرائيليين، بعد اتهامهم بالاشتراك في هجمات على مواقع مسيحية وإسلامية، وعلى ممتلكات جيش الاحتلال الإسرائيلي، ولكن تم إطلاق سراحهم لعدم كفاية الأدلة، على أن يتم التحقيق معهم مجدداً في وقت لاحق. وينتمي اثنان من الشبان الأربعة إلى مجموعة على صلة بجماعة «شباب التلة» المسؤولة عن هجمات على مواقع مسيحية وإسلامية في السنوات الأخيرة، منها أحد الأديرة في اللطرون غربي القدس، حيث كتبت على أحد الجدران عبارات مسيئة للسيد المسيح. وطبقاً لمصادر الشرطة الإسرائيلية، فإن ما لا يقل عن ١٧ موقعاً مسيحياً تعرضت للهجوم والتدنيس خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، لكن الحقيقة تقول إن العدد أكبر من هذا بكثير، لأن القساوسة والرهبان يمتنعون عن الإبلاغ عن تلك الهجمات. ويقول حنا بندكوسكي من «مركز القدس للعلاقات اليهودية - المسيحية» إن الرهبان المسيحيين يمتنعون عن فتح ملفات لقضايا بهذه الهجمات، رغبة منهم في الحفاظ على علاقات ودية وإيجابية مع السلطات الإسرائيلية، كون معظمهم يحمل تأشيرات إقامة مؤقتة في إسرائيل، إضافة إلى أن الشرطة الإسرائيلية لا تبدي الاهتمام اللازم بالأمر على الرغم من ادعائها ذلك.

(٤) www.abouna.org، ٢٠١٣/٢/٥.

- وتاريخياً أصبحت أعمال «الغوييم - الأغيار» عند اليهود حجر الأساس في مقومات الفكر السياسي والديني اليهودي لقرون كثيرة، وهو الفكر الذي قامت عليه إسرائيل، بينما لا يتم الاعتراف بالجرائم التي تم ارتكابها ضد المسيحيين والمسلمين. وفي هذا الخصوص كتب السكرتير العام لجمعية المسيحيين الكاثوليك في الشرق الأدنى في نيويورك، توماس مكماهون، إلى الأمم المتحدة في أغسطس ١٩٤٨ م، عن أنه كانت هناك انتهاكات وأعمال عنف ضد المسيحيين وكنائسهم ومواقعهم الدينية. وفي مايو ١٩٤٨ م، انتهكت العصابات الإسرائيلية اتفاق وقف إطلاق النار في فلسطين، وشنت هجمات على العديد من المواقع، منها كنائس وأديرة ومؤسسات خيرية، ما أدى إلى إصابة العديد من النساء والأطفال والكهنة والراهبات.

- في ١٠/١/٢٠١٢ م، اعتدت مجموعة من المستوطنين اليهود على المقبرة اللاتينية في سلوان جنوبي المسجد الأقصى المبارك، وقد شمل الاعتداء على الكنيسة تحطيم شاهد أحد القبور، وخط شعارات عنصرية على جدار المقبرة، بتوقيع من عصابة يهودية، عدا ثقب إطارات ست سيارات كانت واقفة أمام منازل أصحابها في المنطقة.

الوضع الديموغرافي للمسيحيين في فلسطين المحتلة

بحسب دراسة أعدها الدكتور برنارد سايبلا، وهو عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن محافظة القدس، وأستاذ علم الاجتماع في جامعة بيت لحم، فقد شهدت أعداد المسيحيين في فلسطين تراجعاً مستمراً في نسبتهم منذ نهاية القرن التاسع عشر. ففي العام ١٨٩٤م كان هناك ٤٢٨٧١ مسيحياً أو ١٣,٣٪ من مجموع سكان فلسطين الذي وصل آنذاك إلى ٣٢٢٣٢٨ نسمة، ولم يكن يوجد حينذاك أكثر من ٤٠ ألف يهودي أو ٩,٣٪، بينما شكل المسلمون الغالبية العظمى من السكان بنسبة ٧٧,٤٪. وفي عام ١٩٤٨م قبل الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى وقيام الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين، كان هناك ١٤٥ ألف مسيحي، أي ٧,٦٪ من مجموع السكان الذين وصل عددهم آنذاك إلى ١,٩٠٨٧٢٤ نسمة، وبقي ٣٤ ألف مسيحي في الكيان الإسرائيلي، أي الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، بينما تحوّل ٦٠ ألفاً، أي ٤١,٣٪ من المسيحيين الفلسطينيين إلى لاجئين.

أما عدد المسيحيين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد وصل قبل حرب ١٩٤٨ م، إلى ٥١٠٦٣ نسمة، أي أن عددهم وقتئذ كان أكثر بقليل من عدد المسيحيين في الضفة والقطاع اليوم.

وأظهرت دراسات نشرتها مجموعة «ديار» الفلسطينية أن السبب الرئيس لتناقص أعداد المسيحيين هو نكبة عام ١٩٤٨م، ومن بعده تأتي الهجرة، ففي عام ١٩٢٤م، كان ١٠٪ من السكان في فلسطين التاريخية مسيحيين.

وغداة النكبة كانت نسبتهم نحو ٨٪، ثم انخفضت النسبة من ٨٪ إلى ٤, ٢٪، فالنكبة كانت نكبة للشعب الفلسطيني عامة وللمسيحيين خاصة. وأضحى ٣٧٪ من المسيحيين في القدس لاجئين، مقارنة بـ ١٧٪ من المسلمين الفلسطينيين، وتُعزى هذه النسبة المرتفعة بين المسيحيين إلى حقيقة أن الأحياء الغربية من القدس التي كانت تسكنها غالبية من المسيحيين احتلها الصهاينة في الحرب بين عامي ١٩٤٨م و ١٩٤٩م، كما أن ٣٤٪ من الأراضي التي احتلوها في القدس الغربية كانت تمتلكها الكنائس المسيحية.

أما السبب الثاني الرئيس لتراجع أعداد المسيحيين في فلسطين المحتلة، فكانت الهجرة إلى الخارج، وخصوصًا إلى أميركا اللاتينية وأميركا الشمالية وأستراليا، هذه الهجرة تكون غالبًا بين الشباب والمتقنين، وتكون في معظمها هجرة دائمة إلى الولايات المتحدة وأوروبا ودول الخليج، وأكبر جالية فلسطينية خارج العالم العربي موجودة في أميركا اللاتينية والوسطى وعددهم نحو نصف مليون فلسطيني؛ إذ إن ٨٠ إلى ٨٥٪ منهم هم من المسيحيين الفلسطينيين، ويقال إن أكبر الجاليات عددًا هي في تشيلي وتضم ٣٥٠ ألف فلسطيني مسيحي، أما السلفادور فتلاها في المائة من سكانها هم من المسيحيين الفلسطينيين، والهجرة الفلسطينية الأولى إلى أميركا اللاتينية بدأت في أوائل القرن العشرين، وأدت السياسات البريطانية في منع المهاجرين من العودة إلى فلسطين دورًا في بقائهم في المهجر أو «الشتات».

ويعود تنامي الهجرة في صفوف المسيحيين الفلسطينيين، وبخاصة من سكان القدس، إلى دوافع سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية، يأتي في مقدمها الاحتلال والعدوان الإسرائيلي المستمر على الأراضي الفلسطينية والحصار الإسرائيلي لقطاع غزة ومصادرة أموال السلطة الفلسطينية، وما نتج عنهما من تدهور الأوضاع الاقتصادية وازدياد معدلات البطالة وغلاء الأسعار، إضافة إلى التمييز العنصري ضد الفلسطينيين في أراضي ١٩٤٨م.

تشير بعض التقديرات إلى أن أعداد الفلسطينيين المسيحيين حالياً تصل إلى خمسمائة ألف نسمة، لكن أكثر من ثلثهم يقيم خارج فلسطين، بينما بقي خمسون ألف مسيحي موزعين بين الضفة الغربية التي يقطنها ٤٧ ألفاً، وقطاع غزة الذي يقطنه نحو ثلاثة آلاف مسيحي، فيما تذهب تقديرات أخرى إلى أن نسبتهم لا تتجاوز ٢٥، ١٪ من جميع الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية.

أما السبب الثالث في تناقص النسبة المئوية للمسيحيين بعد النكبة والهجرة، فهو في أعداد الولادات لدى العائلة المسيحية الفلسطينية، إذ تنجب المرأة اليهودية ما معدله ٢,٨٨ طفلاً، والمسلمة ٣,٨٤ طفلاً والدرزية ٢,٤٩ طفلاً والمسيحية ٢,١٨ طفلاً، وهكذا تأكلت نسبة المسيحيين في فلسطين المحتلة بتسارع على امتداد قرن من الزمان.

يشير الواقع القائم في القدس حالياً إلى تلاشي المسيحيين المقدسيين تدريجياً، بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي وسياساته ضد الفلسطينيين في القدس التي تضم ١٤ كنيسة أكثرها تاريخي، بينما لا يزيد عدد المسيحيين في القدس الشرقية اليوم على الثمانية آلاف، وفي إحصاءات أخرى أنهم لا يزيدون على الستة آلاف. وينتسب المسيحيون في القدس إلى أكثر من ١٠ كنائس، وتشير مصادر صهيونية إلى أن عدد المسيحيين في القدس وصل عام ١٩٤٤م إلى ٢٩٣٥٠ مسيحياً، أي أن عددهم اليوم في القدس يعادل ٣٧,٥٪ فقط مما كان عليه عام ١٩٤٤ م، ويعني ذلك أن أعداد مسيحي القدس كان يجب أن يرتفع إلى ١٢٠ ألفاً عام ٢٠١٤ م، وفق معادلة إحصائية بسيطة مستندة إلى نمو سكاني مسيحي بنسبة ٢٪.

وقد أصدر رجال دين مسيحيون مقدسيون من شتى الطوائف في أواخر العام ٢٠٠٩م، نداءً حول الأوضاع المأساوية التي تعاني منها القدس، وسائر الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال، ندد بالاحتلال الإسرائيلي للمدينة المقدسة، وأكد حق المسيحيين فيها بالمعاني الروحية والتاريخية والسكانية والسياسية.

وفي فبراير ٢٠١٠م، أعلن عن مخطط إسرائيلي لإخراج ١٥٠٠ فلسطيني من بيوتهم في القدس المحتلة، بحجة أنهم بنوها من دون إذن من سلطات بلدية

الاحتلال، التي لا تأذن على أي حال لأحد بالبناء، حتى لو كانت العملية عملية ترميمية، وكان بين الـ ١٥٠٠ فلسطيني الذين يُراد تهجيرهم من القدس المحتلة ٤٠٠ مسيحي. وتتسارع وتيرة هجرة المسيحيين الفلسطينيين منذ عام ٢٠٠١م، أي بعد انطلاق انتفاضة الأقصى الثانية في أواخر سبتمبر ٢٠٠٠م، وما رافق ذلك من عدوان إسرائيلي غاشم استهدف جميع أبناء الشعب الفلسطيني وخصوصاً في القدس المحتلة والأماكن المقدسة ودور العبادة فيها، فضلاً عن مدينتي بيت لحم والخليل. ويرجع قادة الكنائس زيادة الهجرة المسيحية إلى عدة أسباب أهمها: فرض كيان الاحتلال الإسرائيلي قيوداً على لّم شمل العائلات الفلسطينية، والقدرة المحدودة المتوافرة أمام المجتمعات المسيحية في القدس للتوسّع العمراني بسبب مصادرة الاحتلال للممتلكات الكنسية، ورفض منح التصاريح ورخص البناء، والقيود المفروضة على البناء والمشاكل الضريبية، وصعوبات الحصول على تصاريح إقامة لرجال الدين المسيحيين، وبناء الجدار الفاصل الذي يقمه الكيان في قلب الضفة الغربية لفصل المناطق الفلسطينية عن القدس وعن المستوطنات وأراضي ١٩٤٨م.

قلّت مجموعة «ديار» الفلسطينية من التهويل في تراجع أعداد المسيحيين في فلسطين، ورأت أن أعدادهم بقيت ثابتة خلال السنوات الأخيرة، وأن هناك إرتفاعاً بسيطاً في الأعداد مؤخراً! لكن الدكتور حنا عيسى الوكيل المساعد للشؤون المسيحية في وزارة الأوقاف الفلسطينية يؤكد، أن هجرة المسيحيين من الأراضي الفلسطينية في الآونة الأخيرة أصبحت ظاهرة مقلقة، ولا سيما عندما تتحدث آخر المؤشرات عن أن ٦٠٠ مسيحي من القدس المحتلة والضفة الغربية وقطاع غزة يهاجرون من البلاد سنوياً.

وتؤكد النخب الفلسطينية، أن المسيحيين ليسوا مجرد رقم في فلسطين. وقد دعا النائب البطريركي العام لللاتين في القدس المطران وليم الشمولي إلى ضرورة ألاّ تتحول هذه الأرقام «إلى حائط مبكى افتراضي يتلو عليه المسيحيون مرثي ارميا». ويعتبر أن الحضور المسيحي «ليس مجرد أرقام ونسب مئوية، وإنما نوعية حضور وتأثير وتجسير الهوية بين الثقافات السائدة حولنا»، أما البطريرك السابق لللاتين في القدس ميشيل صباح فيحث المسيحيين على التشبث بالإيمان الذي ينقل الجبال ولا ينكسر أمام الصعوبات.

تدفع ممارسات الاحتلال الإسرائيلي خصوصاً التضييق على حرية العبادة، المسيحيين إلى الهجرة وتفريغ الأرض المقدسة من الفلسطينيين المسيحيين، وقد كشف الكثير من المسيحيين عن الأسباب التي تدفع بهم إلى الهجرة، وهي نقص الحرية والأمن، والتدهور الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي والتعليم خارج البلاد، ولمّ شمل العائلات والجدار الإسرائيلي والحواجز العسكرية والتطرف الديني، ويؤكد مراقبون أن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي هو الطريق الوحيد لتمتع الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين بحياة من الازدهار والتقدم، كما أنه السبيل الأكيد لاستمرار الوجود المسيحي في الأرض المقدسة.

لقد قام الاحتلال الإسرائيلي بتغيير الواقع الديمغرافي في القدس المحتلة عبر تفريغ المدينة من سكانها الفلسطينيين، باستخدام عدد من التدابير الإدارية، تشمل إلغاء الإقامة وفرض قيود صارمة على حرية العبادة، وهكذا هو الحال أيضاً في مدينة بيت لحم، التي يطوّقها جدار إسرائيلي خانق، ويصدر مئات الدونمات من أراضيها، ويحرم سكانها من الوصول إلى كنيسة المهد بحرية.

وفي أعياد الميلاد والفصح، حين يأتي الآلاف من المسيحيين إلى المدينة المقدسة أو بيت لحم للاحتفال بعيد الميلاد أو عيد القيامة، يُمنع الفلسطينيون المسيحيون الذين وُلدوا ويعيشون في المدينة المقدسة أو قربها من الاحتفال بمراسم العبادة في المدينة. فعلى سبيل المثال، في إبريل ٢٠١١ م، قَدِّمَ ١٥٠٠٠ فلسطيني مسيحي طلبات للحصول على تصاريح دخول للقدس المحتلة لكن الكيان أصدر ٢٥٠٠ تصريح فقط.^(٥)

يوجد حالياً ٢٢ مستوطنة غير شرعية في بيت لحم إضافة إلى الجدار غير القانوني، مما أدى إلى تقييد الوجود الفلسطيني وحصره في ١٣ بالمائة فقط من مساحة المحافظة الأصلية، ويمنع نظام المستوطنات والجدار حرية الحركة والعبادة بين أقدس مدينتين مسيحيتين، ويخنق الحركة السياحية التي هي من أهم الصناعات المساهمة في الاقتصاد الفلسطيني.

(٥) دراسة الدكتور برنارد سايبلا عام ٢٠٠٥، «هجرة المسيحيين».

اعتبرت الكنائس نفسها دومًا جزءًا لا يتجزأ من محيطها العربي، وساهمت بمدارسها وبمستشفياتها وبمؤسساتها الخدمائية الأخرى في فلسطين، ويعود تاريخ إنشاء المدارس التابعة للكنيسة فيها إلى منتصف القرن التاسع عشر. وقد دأبت وسائل إعلام صهيونية مؤخرًا على إشاعة أن المسيحيين يتعرضون لاضطهاد، وأن نسبة كبيرة منهم تحاول الهجرة أو هاجرت فعلاً إلى خارج الأراضي الفلسطينية، وتحدثت صحيفة «جبروزاليم بوست» عن هجرة المسيحيين من قطاع غزة إلى الضفة الغربية والخارج. ويقطن في قطاع غزة نحو ٣٦٠٠ مسيحي، ينتمي معظمهم إلى الروم الأرثوذكس ويوجد في غزة أربع مدارس تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وخامسة تتبع الكنيسة الأرثوذكسية. ويوجد فيها ثلاث جمعيات مسيحية.

وقد كشف الدكتور حنا عيسى أمين عام الهيئة الإسلامية-المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، أن عدد المسيحيين في قطاع غزة يبلغ حاليًا ١٢٥٠ مسيحيًا فقط. يقول فادي بندلي أحد أبناء الطائفة المسيحية في غزة: «الطائفة المسيحية في قطاع غزة لا تعاني من أية ضغوطات عليها من قبل أي أحد، بل على العكس، كافة المسيحيين يعيشون بحرية ودون خوف، ويمارسون العبادات بكل حرية ودون تدخل من أي شخص»، أما راعي طائفة اللاتين في غزة الأب أمانويل، فقد أكد أن «العلاقات المسيحية - المسلمة على أحسن ما يرام»، ورفض أن يتم وصف مغادرة أفراد قلائل من أبناء الطائفة للقطاع بأنها هجرة سياسية «بل هي هجرة اقتصادية ليس أكثر».^(٦)

لا شك أن إفراغ فلسطين من مسيحييها هو جزء من المشروع الصهيوني لتكريس الكيان الإسرائيلي، وحلقة في مسلسل تهجير المسيحيين من المشرق العربي لتصوير الصراع على أنه صراع ديني بين المسلمين من جهة واليهود والغرب المسيحي الداعم لكيان الاحتلال الإسرائيلي من جهة أخرى، إذ إن وجود المسيحيين في فلسطين وباقي الدول العربية ينفي هذه المزاعم.

(٦) دراسة الدكتور برنارد سايبلا عام ٢٠٠٥، «هجرة المسيحيين».

القدس وقرارات الأمم المتحدة

أما قرارات الأمم المتحدة، فلا نرى أملاً في تحقيقها في المستقبل القريب، إن لمدينة القدس ميزة جغرافية خاصة، كونها أقيمت على خمس تلال وهي: تل موريا وهو التل الذي أقيم عليه الحرم القدسي، وتل الظهور وجبل صهيون وتل زيتا وتل أكرأ، وتحاط مدينة القدس بثلاثة أودية: وادي قدرون من الشرق، ووادي هنوم من الجنوب، ووادي الوادي من الغرب، فهي عربية منذ فجر التاريخ، بعد حرب ١٩٦٧م بسنة عشر يوماً أعلن الكنيست «البرلمان الإسرائيلي» أن القدس عاصمة «إسرائيل» الموحدة، وفي عام ١٩٨٠ م، أصدر الكنيست القرار الرسمي الذي ينص على أن القدس عاصمة دولة «إسرائيل» الموحدة، ومنذ ذلك الحين وهي تعمل على تهويدها، وحتى بعد أن بدأت عملية السلام في الشرق الأوسط وفي عام ١٩٦٩م حُرق المسجد الأقصى وفي عام ١٩٩١م، حُرقت كنيسة القيامة، وفي عام ١٩٩٠ م، شهدت القدس مذبحة الأقصى، هذه الأحداث وغيرها تدخل في إطار تهويد المدينة، وهو ما تؤكد كل القرارات الدولية التي لم تنفذ «إسرائيل» واحداً منها، لأن هذا هو نهجها وهذه هي سياستها الموضوعة.

وإذا بدأنا بقرارات مجلس الأمن المتعلقة بالقدس منذ عام ١٩٦٨م، فقد أصدر مجلس الأمن قرارات لا تعد ولا تحصى منها قرار رقم ٢٥٢ الذي نص على رفض الاستيلاء على الأراضي بالغزو العسكري»، وقرار رقم ٢٦٧، ونص على إن الاستيلاء على الأراضي بالفتح العسكري غير مقبول، ويأسف لفشل «إسرائيل» في أن تظهر أي احترام لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة. أما قرار رقم ٢٧١، فتناول الحريق الذي لحق بالمسجد الأقصى، وفيه يعترف بأن أي تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المباني أو المواقع الدينية في القدس، وأن أي تشجيع أو تواطؤ للقيام بعمل كهذا، يمكن أن يهدد بحدة الأمن والسلام الدوليين. ويطالب بأن تمتنع «إسرائيل» عن خرق القرارات المذكورة أعلاه، وأن جميع الإجراءات والأعمال التي اتخذتها لتغيير وضع القدس تعتبر باطلة. كما يدعو «إسرائيل» إلى التقييد بدقة بنصوص اتفاقيات جنيف وبالقانون الدولي.

وجاء في قرار ٢٩٨ أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها «إسرائيل» لتغيير وضع مدينة القدس، ومن ضمنها مصادرة الأراضي والممتلكات ونقل السكان، والتشريع الذي يهدف إلى ضم القطاع المحتل، لاغية كلياً، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع. ويدعو «إسرائيل» بإلحاح، إلى إلغاء جميع الإجراءات والأعمال السابقة، وإلى

اتخاذ خطوات أخرى في القطاع المحتل من القدس الذي قد يفهم منه تغيير وضع المدينة، أو قد يجحف بحقوق السكان العرب وبمصالح المجموعة الدولية.

ويعد قرار رقم ٤٧٦ من أهم القرارات التي أصدرها المجلس، لأنه وصف «إسرائيل» بالدولة المحتلة وأن الأرض التي احتلتها بعد حرب ٦٧ هي أراضٍ محتلة، ونص القرار على أن مجلس الأمن إذ يضع في اعتباره الوضع الخاص بالقدس، خصوصاً ضرورة حماية البعد الروحي والديني الفريد للأماكن المقدسة في المدينة، والحفاظ على هذا البعد، وإذ يشجب استمرار «إسرائيل» في تغيير المعالم المادية والتركيب الجغرافي والهيكل المؤسسي، ووضع مدينة «القدس الشريف»، وللشعور بالقلق بشأن الخطوات التشريعية التي بدأها «الكنيست الإسرائيلي» بهدف تغيير معالم مدينة «القدس الشريف» ووضعها. فقد طلب مجلس الأمن في قراره رقم ٤٧٦ إنهاء الاحتلال وشجب «إسرائيل» لأنها ما زالت تحتل أراضي الغير بالقوة العسكرية، واعتبر وجودها في هذه الأراضي وما تقوم به من تغييرات جغرافية وديمغرافية باطل، وطالب «إسرائيل» أيضاً بالتقيد بكل قراراته.

وقد شجب قرار رقم ٢٦م: ٢٠١٢ بتاريخ ٦/١١/١٩٩١م، استمرار تعرض التراث الثقافي والتاريخي لمدينة القدس منذ عام ١٩٦٧م، لتغييرات تهدد هذا التراث، وعدم تطبيق قرار صون المقابر اليهودية والمسيحية والإسلامية في أثناء الاضطلاع بأعمال تهيئة الطرق وأعمال البناء والحفائر، وطالب بأن تُحترم سكينة المقبرة الإسلامية الواقعة إلى جانب السور الشرقي للمدينة القديمة، والمهددة اليوم بمشروع توسيع وإعادة تنظيم طريق للمشاة، كما شجب مواصلة أعمال التغيير والتعديل والتشويه والتحويل في الطابع الديموغرافي والبيئي للمدينة المقدسة المحتلة.^(٧)

وقد رفض الفاتيكان، كل الإجراءات والممارسات التي تقوم بها «إسرائيل» ضد أهالي القدس ومقدساتهم، وما يُعانونه من اعتقال وتشريد وإهمال، وجاء في بيانه الرسمي أن مثل هذه التعسفات تزيد من التوتر السائد في المنطقة، وساند رجال الدين

(٧) قرارات اليونسكو عن التراث الثقافي والتاريخي لمدينة القدس.

المسيحيين موقف الفاتيكان، وعبروا عن قلقهم، لا لما تمارسه «إسرائيل» ضد الأماكن المقدسة فقط، بل لما تمارسه أيضًا من أساليب وحشية تهدف إلى تشريد السكان المسيحيين والمسلمين، من أجل استكمال الاستيطان «الإسرائيلي» في القدس ومن أجل تهويدها.

وجاء في جريدة الفاتيكان:

«وفي الحديث عن النتائج المترتبة على تزايد القبضة «الإسرائيلية» على القدس، وصفت الجريدة أن سكان القدس مسيحيين ومسلمين يُرغمون بسبب التوسع في الإسكان «الإسرائيلي» إلى التراجع، وعلى المدى البعيد سيضطرون إلى البحث في مكان آخر وعن مستقبل لم يعد بإمكانهم تحقيقه على أرض أجدادهم. ويدعو المقال «الإسرائيليين» لاحترام حقوق الأقليات التي تشعر أنها مهددة بوجودها ونموها، نتيجة لسياسة تهدف إلى خنقها تدريجيًا». فلو استمرت «إسرائيل» في طرد العرب من القدس من خلال المضايقات وهدم البيوت والرعب والخوف، ماذا سيحصل لمدينة القدس؟

وقد حذرت الهيئة الإسلامية - المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، من خطورة قرار المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية التي تقوم بالاستيلاء على أملاك وأراضي الغائبين، مؤكدة أن هذه الخطوة إلى جانب الحفريات والمخططات والمشاريع، تهدف إلى تهويد القدس، والاستيلاء عليها بصورة كاملة، وحصرها كمدينة لليهود فقط. وأضافت الهيئة أن المواطنين المقدسي بات يعيش برعب كبير بسبب القرارات والقوانين الإسرائيلية العنصرية الساعية إلى سلبه بيته ومدينته، حيث يترقب في كل لحظة أوامر الهدم والضرائب والمصادرة التي تفرضها سلطات الاحتلال.

إن المطلوب دوليًا متابعة تنفيذ قرارات اليونسكو المتعلقة بجميع الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها مدينة القدس، التي تتمتع بوضع دولي خاص، لمنع سلطات الاحتلال الإسرائيلي من مواصلة انتهاكاتهما الجسيمة بحق المدينة المقدسة والأماكن الدينية الأخرى في الأراضي الفلسطينية المحتلة... وهذا يتطلب تفعيل وتنفيذ القواعد القانونية ذات الصلة من قبل منظمات المجتمع الدولي، للحفاظ على مدينة القدس الشرقية الواقعة تحت نير الاحتلال الإسرائيلي، وترميم وصيانة الأماكن الدينية

والتاريخية والتراثية فيها، بهدف تحقيق أمانى وطموحات شعوب العالم في القدوم إليها وإقامة الطقوس الدينية المتعلقة باتباع الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام).^(٨) وقد حذر جلالة الملك أكثر من مرة، من خطورة الاستيطان في القدس، وخطورة التغيير الديمغرافي، وحث المجتمع الدولي في المدة الأخيرة، وخاصة الاتحاد الأوروبي، على ضرورة التحرك، والتقاط اللحظة التاريخية الحاسمة، وإقناع إسرائيل بضرورة الكف عن العبث بالمقدسات والمحرمات، وترسيخ تضامن عربي فاعل وقادر على اجترار موقف عربي لمواجهة ولجم العدوان الصهيوني.^(٩)

(٨) الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس، ٢٧/١٠/٢٠١٠ م.

(٩) جريدة الدستور ١٨/٤/٢٠١١ م، الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس.

الأوقاف الأرمنية في القدس

المطران ستيفاد غاربيان*

مدخل

١- قبل الحقبة المسيحية

العلاقات التاريخية للأرمن مع فلسطين وشعبها تعود إلى أيام الأشوريين، فقد أصبحت أرمينيا وفلسطين جزءاً من نفس الامبراطورية - من سايروس وخلفائه ومن الإسكندر وأتباعه - حيث أصبح لمواطنيهم علاقة وطيدة خلال سعيهم الدؤوب المختلف للحياة. يمكننا أن نذكر الحدث الذي حصل بالتحديد قبل الحقبة المسيحية، حيث التقى فيه شعبا الدولتين مع بعضهما تحت ظل امبراطورية أرمينية. بين العامين ٩٥ و ٥٥ قبل الميلاد (بحسب سترابو وبلوتارتش وموسى من خورين)، أرمينيا كانت تزرع تحت حكم الأرمني تيغرانس العظيم، الذي أصبح أعظم ملوك آسيا «ملك الملوك» امتدت من بحر قزوين إلى شواطئ البحر المتوسط، وجنوباً امتدت فوق جبال طوروس حتى سيسوبوتاميا وسورية ويهودا، وشيّد على حدود أرمينيا وميسوبوتاميا مدينة عظيمة مهيبة وأطلق عليه اسم «تيغرلنوسيرتا»، وزودها من غناه الفاحش، وأسكن فيها يونانيين ويهوداً أحضرهم من كبادوكية وميسيليا وسورية كون هذه البلاد كانت تحت حكمه، وأحضر قبائل عربية من الصحراء إلى ميسوبوتاميا وأعطاهم ميزان الحياة المستقرة.

٢- خلال الحقبة المسيحية

مع ميلاد المسيحية تقاربت أرمينيا وفلسطين بشكل أكبر خلال فترة المسيحية، وتداخلهم أصبح أوسع وأعمق، واستقر وخدم الأرمن في فلسطين بشكل مستمر تقريباً طوال الأوقات المختلفة في تاريخ فلسطين (الرومان والبيزنطيين والعرب والصليبيين والأتراك)،

* رئيس الأساقفة، بطريركية الأرمن الأرثوذكس بالقدس الشريف.

حيث سكنوا وعملوا في كل جزء من البلاد تجارًا وحرفيين وإداريين وجنود، والأهم من هذا رجال دين نساك وجنود وخدم لطهارة وحماية المقدسات والأرض المقدسة والحقوق الوظيفية. وأصبحت فلسطين من أهم المراكز الدينية لدى الكنيسة الأرمنية، ومركزًا لحياتهم الدينية والفكرية، التي كانوا دائمًا يصبون إليها لقيادتهم وإلهامهم الديني.

لتاريخ كل من هذه الحقبات المختلفة سجل مختلف في حياة الأمن المدنية، لكنه موسع بشكل كاف لجعله ملحوظًا ومقدرًا، ففي أيام الرومان كان العديد منهم في فيالق الجيش الروماني إلى جانب كونهم تجار وحرفيين، فالفيلق العاشر كان مشكلًا بشكل أساسي من الأرمن المنحدرين من ملتين، وخلال الحكم البيزنطي بجانب كونهم تجار وجنود كان منهم إداريين وعسكريين.

مع الإرث المقدس، عانت الكنيسة الأرمنية فظائع الغزو الفارسي سنة ٦١٤م، وشاهدت التدمير الكامل للكاتدرائيات العظيمة في الأماكن المقدسة، أيضًا لمئات الأديرة والكنائس، والمجازر لعشرات وآلاف رجال الدين المسيحيين، وبعد انتصار الامبراطور هرقل الذي احتل الأرمن فيه دورًا بارزًا، انضمت الكنيسة الأرمنية في القدس والأراضي المقدسة للكنيسة اليونانية، كشريك مساوٍ لها في إعادة بناء وإعمار الأماكن المقدسة، وتظهر الرسائل التي بعثت من قبل البطريرك موديستوس في القدس لهيئات كاثوليكية من الكنيسة الأرمنية مدى وأهمية تعاونهم. التعاون المقدر للكنيسة الأرمنية والشعب في الانتصار العظيم عزز مجد الكنيسة الأرمنية في فلسطين لدرجة كبيرة.

الأرمن والفتوحات الإسلامية

عند دخول الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس سنة (١٦هـ/٦٣٧م) أعطى بطريرك الأمن الراهب أبراهام العهد المشهور بالتاريخ والمعروف (بالعهدة العمرية)، أعطاه عهدًا بالحفاظ على حقوق الطائفة الأرمنية وأماكن عباداتها المتعلقة بحقوقهم ومقدساتهم الثابتة بكنيسة القيامة، وكنيسة الميلاد ببيت لحم، وكنيسة السيدة مريم بالجثمانية، وأديرتهم دير مار يعقوب ودير الزيتون ودير حبس المسيح، وأماكن زياراتهم بالقدس ويافا ونابلس، وبيّن حقوق بطريرك الأرمن وأنه المتكلم على طائفة الأرمن،

ومن يتبعهم من اليعقوبيين القبط والحبش والسريان، واعتبارهم خاضعين لسلطته وقراره بالأماكن المقدسة، وموضحة حقوق البطريرك وميزاته في الأماكن المقدسة ضمن التشريع الكنسي والبطريركي (العهد العمري وثيقة رقم HC/124 من أرشيف بطريركية الأرمن).

وتم الاعتراف بحقوق وامتيازات البطريرك الأرمني في القدس وإعادة تأكيدها من قبل الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين، وخلال الحروب الصليبية، بقيت مرتبة وأهمية الكنيسة الأرمنية في البلاد والأماكن المقدسة كما هي من قبل، في شؤون معينة كانت أحسن حالاً من كنائس شرقية أخرى، ويُعزى السبب في ذلك إلى أن الملكة الأرمنية لينيسيليا كانت الحليف الحقيقي الوحيد للصليبيين في الشرق الأدنى، وساهمت بمساعدة قيمة لملوك أوروبا، إذ إن ملوك أرمن وأفراد من عائلاتهم الملكية زاروا القدس وتبرعوا بتبرعات سخية لإعادة بناء الكنائس وصيانتها.

وعند دخول السلطان صلاح الدين القدس، اعترف هو أيضاً بحقوق وامتيازات البطريرك الأرمني وأكدها في رسائله الرسمية، ومما ورد في عهد صلاح الدين النص الآتي: «أعطيتهم عهداً على كنائسهم وهي كنائسهم الكبرى المسماة بمار يعقوب، الواقعة غرباً نقطة من القدس الشريف المجاورة لدير صهيون، وكنيستهم المعروفة بدير الزيتون، وكنيستهم المعروفة بحبس المسيح، وكنيسة بيت لحم، وكنيسة نابلس، وعن كبير معتقدتهم في ظهر القيامة الواقع به محل اعتقادهم، وعند مطلع النار قدر عيسى عليه السلام، وفوق الجلجلة وتحتها ونفسها، وكنيسة مار حنا، وذلك مما أحاطته القدس المشرفة داخلاً وخارجاً، وهم في تصرف نصارى الأرمن وطائفتهم ولا معارضة لطائفة من طوائف النصرانية لهم فيه، أنطيتهم ذلك كما أنطاهم رسول الله ﷺ وأنطاهم صاحبيه الكرام فاقتديت بهم وأعطيتهم ذلك مع بيعهم ومصلاهم ومواضع الرهبان منهم ومواطن السياحة كانوا وأين كانوا من جبل وواد ومفاز، وأن أحيط دينهم وملكهم حيث كان من بر وبحر في الشرق والغرب، بما أحوط به نفسي وخاتمي». مؤرخ العهد سنة (٥٨٢هـ/١١٨٧م). (وثيقة رقم HC/156 من وثائق أرشيف بطريركية الأرمن).

الأرمن والدولة العثمانية

استمرت امتيازات بطاركة الأرمن خلال الفترة العثمانية، وبلغت ذروتها في زمن بعض السلاطين وخاصة في أثناء تولي أحد أبناء الطائفة الأرمنية لمنصب رسمي أو سياسي، والفترة العثمانية زاخرة بالكثير من فرمانات التي تبين صلاحيات البطاركة، حيث كانت الدولة العثمانية تشترط على أولئك البطاركة الحصول على فرمانات تؤكد الامتيازات القديمة المتعاقبة الخاصة بالمكتب البطريركي بوصفه رئيساً روحياً وكنسياً للطائفة الدينية الأرمنية وما يتبعها في الأراضي المقدسة والأبرشيات الأخرى المتعلقة بها، وأيضاً رئيساً لليعاقبة (الأقباط والحبش والسريان) بطوائفهم الموجودة في القدس، وقد استمر البطاركة الأرمن في القدس وتمتعوا بتعاقب غير منقطع لهذه الامتيازات حتى يومنا هذا.

كان أول تلك فرمانات هو فرمان المذهب الصادر عن السلطان سليم الأول (ياوز) الذي احتل القدس سنة (١٥١٢هـ/١٥١٦م) وأصدر فرمانه الشهير الذي أصبح أساساً لكل فرمانات التي تلتها من فرمانات سلاطين آل عثمان، حيث ورد بالفرمان المذكور وتحديد الأماكن المقدسة الخاصة بالطائفة الأرمنية، والمزارات، وملكية الأراضي ووقفها لصالح الكنيسة الأرمنية، وصلاحيات البطاركة وتحديد الطوائف التي تتبع لصلاحيات البطريرك، وقد ورد بالفرمان المذكور النص التالي: «... عند قدومي إلى القدس مدينة الله فاتحاً في ٢٥ صفر سنة ٩٢٣، حضر البطريرك سركيس وصحبته مجموعة من الرهبان، وأبناء الرعية ورجوا عطائنا وإنعامنا بإبقائهم على ما هو مشروط لهم باليهود من قديم الزمان، بتصرفهم وضبطهم من القديم بالكنائس والأديرة، وأماكن الزيارة، والكنائس، ودور العبادة الواقعة داخل القدس وخارجها... على الوجه المشروح فإن بطرك طائفة الأرمن يضبط ويتصرف بموجب عهد حضرة عمر بن الخطاب والأوامر الشريفة من زمان المرحوم الملك صلاح الدين، يضبط ويتصرف بالقيام، ومغارة بيت لحم، وبابها الشمالي، والكنيسة الكبرى مار يعقوب، ودير الزيتون، وحبس المسيح، ونبلس، وكنائس الطوائف التابعة لهم طوائف الحبش، والقبط، والسريان، يضبطها ويتصرف بها بطرك طائفة الأرمن المقيم بكنيستهم الكبرى مار يعقوب. بلا مداخلة من أية ملة من الملل الأخرى، وقد أعطيت هذا المرسوم السلطاني المقرون بسعادتنا للعمل بموجبه، لبطرك طائفة الأرمن المقيم بكنيستهم الكبرى مار يعقوب لأن يضبط

ويتصرف بكنائسهم، وأديرتهم وسائر أماكن زياراتهم الواقعة داخل القدس وخارجها، وبالطقوس المذهبية لطائفتهم، والطوائف التابعة لهم طوائف الحبش، والقبط، والسرريان. وهو المتكلم على ما يتعلق بخصوص أوقافهم، والعزل والتعيين، وأخذ قبض متروكات (ورثة) مطارنتهم، ورهبانهم، والطوائف التابعة لهم وورثة سائر أبناء الطائفة الأرمنية. مما تقدم فإن بطرك طائفة الأرمن يضبط ويتصرف بكنائسهم، وأديرتهم، ومعابدهم وسائر أماكن زياراتهم، وبطائفتهم والطوائف التابعة لهم بلا تدخل من أية ملة من الملل الأخرى، والقبر الواقع بوسط القيامة، ومقبرة السيدة مريم خارج القدس الشريف، ومغارة بيت لحم مولد حضرة عيسى عليه السلام ومفتاح بابها الشمالي، وداخل باب القيامة شمعدانان، وقناديل وعلى باب القبر وبداخله قناديلهم وإشعال شموعهم وتبخيرهم، ويجرون طقوسهم المذهبية داخل القيامة عند ظهور النار والشمع هم ومن يتبعهم من الطوائف يدخلون إلى القبر، ويدورون حوله داخل بابها (القيامة) في الأعلى والأسفل شباكان، وداخلها معبد، وأماكن زيارته، وباب الماء، وكنيسة مار يوحنا الواقع في ساحة القيامة، وخارجها حبس المسيح الواقع قرب مار يعقوب، وباقي أديرتهم، ومقابرهم ومدافنهم، وقرب مغارة بيت لحم غرفهم ونزل مسافريهم، وأراضيهم وبساتينهم، وزيتونتهم، وبالجملة ما ذكر من كنائسهم، وأديرتهم وسائر معابدهم وأماكن زياراتهم وطائفتهم ومن يتبعهم من الطوائف وسائر أملاكهم، والتوابع القديمة التي تم تعيينها يضبطها ويتصرف بها بطرك الأرمن. وزوار طائفة الأرمن القادمين لزيارة كنائسهم، وزيارة الماء المعروف بزمرم (الشريعة) عدم التعرض لهم على الماء أو على كنائسهم وسائر معابدهم، وأماكن زيارتهم أو التدخل بهم، أو الانتقام منهم من قبل الحكام المحليين أو من غيرهم بعد اليوم. على الوجه المشروح أعلاه عملوا بموجب مرسومنا السلطاني المقرون بسعادتنا بلا تدخل بذلك من أية ملة من الملل الأخرى وعلى أولادنا الأمجاد أو وزراءنا العظام والصلحاء الكرام، والقضاة والأمراء، وأمراء المناطق، وأمراء الجيش، والمحاسبين، وأمناء الخزينة، والضباط، والزعماء، والمباشرين، والمتصرفين وسائر القوم وغيرهم الرفيع والوضيع، الكبير والصغير، وأياً كان عدم التدخل بهم أو التعريض لهم بوجه من الوجوه أو تغييره أو تبديله ومن يغيره أو يبدله أو يتدخل بهم ويتعرض لهم فيحشر عند الله مع زمرة المجرمين ويعد من الأثمين». (وثيقة رقم HC/144 سبت النور من وثائق أرشيف بطريركية الأرمن).

وتم تأكيد هذا الفرمان بفرمان آخر مذهب صادر عن السلطان سليمان القانوني مؤرخ سنة (٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، حيث ذكر السلطان سليمان ما أورده والده من امتيازات تم منحها لبطاركة الطائفة الأرمنية، وشدد على ضرورة الالتزام بها ومما ورد به النص الآتي: «... فصدر بذلك خطأ سلطانيًا مقرونًا بتوقيع سعادته، وقيدت صورته بالدفتر السلطاني، وبموجبه صدر عن سرير سلطاننا خطنا السلطاني المقرون بتوقيعنا بإبقائهم كما كانوا على الوجه المشروح أعلاه، بأن بطيريك الأرمن المقيم بكنسية مار يعقوب يضبط ويتصرف بكنائسهم، وأديرتهم، وسائر معابدهم، وأماكن زيارتهم الواقعة داخلها وخارجها (القدس)، وبالطقوس المذهبية لطائفتهم، والطوائف التابعة لهم الحبش، والقبط، والسريان، وهو المتكلم على ما يتعلق بخصوص أوقافهم وبالغزل والتعيين...». (فرمان رقم HC/43 حقوق بكنيسة القيامة من وثائق أرشيف بطيركية الأرمن).

ومن هذه الفرمانات أيضًا فرمان صادر عن السلطان محمود الأول المؤرخ سنة (١١٤٦هـ/١٧٢٣م)، حيث ورد بهذا الفرمان ذكر لما بجوزة طائفة الأرمن من فرمانات سابقة منها فرمان السلطان سليم ٩٢٣هـ و فرمان السلطان سليمان سنة ٩٢٧هـ، والمرافعة التي تمت بالديوان السلطاني بين بطيريك الأرمن وبطيريك الروم سنة ٩٦٢هـ، ثم فرمان السلطان محمد خان سنة ١٠٦٦هـ (وثيقة رقم HC/50 من ملف سبت النور من وثائق أرشيف بطيركية الأرمن).

وكذلك فرمان السلطان مصطفى الثالث وهو فرمان مذهب مؤرخ سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م، الذي يؤكد نفس حقوق الطائفة والبطرك المذكور أعلاه، (وثيقة رقم HC/140 من ملف سبت النور من وثائق أرشيف بطيركية الأرمن).

وأيضًا فرمان السلطان سليم الثالث وهو فرمان مذهب ومؤرخ سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م، أكد نفس الحقوق سابقة الذكر، (وثيقة رقم HC/43 حقوق الأرمن بكنيسة القيامة من وثائق أرشيف بطيركية الأرمن).

ثم تلاه فرمان السلطان محمود الثاني، وهو فرمان مذهب ومؤرخ ربيع الآخر سنة (١٢٥١هـ/١٨٣٥م) رقم ٨٩ سبت النور، الذي يبين حقوق الأرمن والتي منها «القيامة، مغارة بيت لحم، وبابها الشمال، الكنيسة الكبرى مار يعقوب، دير الزيتون، حبس

المسيح، كنيسة نابلس، القبط، الحبش، السريان، التربة الواقعة بوسط القيامة مقبرة السيدة مريم، ومغارة بيت لحم ومفتاح بابها الشمالي. داخل القيامة لهم شمعدانات وقناديل وعلى باب القبر وداخله لهم إشعال الشمع والبخور، وإجراء القداس يدخلون إلى القبر ويدورون حوله، ولهم شباكان ومعبد داخلها ومكان الزيارة وبئر الماء، وخارج القيامة دير مار حنا، وقرب مار يعقوب حبس المسيح ومقابرهم ومدافنهم، وقرب بيت لحم غرفهم ونزل مسافرينهم وأراضيتهم وزيتونهم. (وثيقة رقم HC/89 من ملف سبت النور من وثائق أرشيف بطريركية الأرمن).

وأكد هذه الفرمانات، الفرمان الصادر عن السلطان عبد المجيد المؤرخ سنة (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)، (المحفوظ تحت رقم HC/7 حقوق طائفة الأرمن بكنيسة القيامة من وثائق أرشيف بطريركية الأرمن).

الأرمن وحكومة الانتداب البريطاني

خلال الحكم البريطاني تم احترام الوضع الراهن (ستاتوسكو) بما له علاقة بالبطاركة والأماكن المقدسة، حيث تم المحافظة عليها وصيانتها: جلالة الملك جورج الخامس والملك جورج السادس أكدوا حقوق وامتيازات البطاركة الأرمن في القدس بموجب رسائل رسمية تحمل توقيعهم الملكية.

منذ فجر المسيحية في أرمينيا بقيت فلسطين بالنسبة لجميع الأجيال الأرمنية هي بلاد مقدسة، أرض الكتاب المقدس، أرض المسيح كلمة الله مخلص الجنس البشري، ولكون القدس المدينة المقدسة وكون مكان آخر في هذه الأرض مرتبط بالأحداث المقدسة المؤرخة في النصوص المقدسة هو أيضاً مقدس ومصدر للتأمل الروحي. لذلك يجب أن يحافظ على هذه الأماكن بكل لائق وبتبجيل.

على هذا الإيمان والروح تأسست الكنيسة الأرمنية في القدس منذ الأيام الأولى، وبمساعدة الأخوية الحالية ورجال الدين من جميع المراتب وعددهم المئات قاموا بامتلاك والمحافظة على مثل هذه الأماكن المقدسة بتضحية وتكريس عظيم للمنفعة الروحية للمؤمنين.

بهذا فإن الأماكن والمواقع المقدسة المحفوظ عليها والتي يتم زيارتها من قبل الحجاج هي كالآتي:

• القدس كاملة مع محيطها وتشمل:

١- كاتدرائية القيامة والقبر المقدس والجلجلة وحجر الصليب ومصلياتها المقدسة والمزارات والكنائس والأديرة المحيطة بها.

٢- منطقة المعبد.

٣- جبل صهيون مع مجمع اليهود. كاتدرائية القديس يعقوب وبيت حنانيا وبيت قيافا وبيت القديس يوحنا (كنيسة رقاد العذراء) كنيسة القديس بطرس (صياح الديك)، موقع كنيسة القديس اسطفانوس.

٤- حديقة الجثمانية.

٥- كنيسة القديسة مريم والكنائس الحديثة المبنية على مواقع قديمة.

٦- جبل الزيتون مع كنيسة الصعود المقدس وجميع الكنائس والأديرة لمختلف الطوائف ومؤسسات الرهبنة.

٧- العيزرية (بجانب جبل الزيتون) مع قبر إيلعازر والكنائس المبنية على الموقع المقدس.

• بيت لحم مع كاتدرائية الميلاد المقدس والأديرة المحيطة بالكاتدرائية وجميع الكنائس في بيت لحم وحولها. وحقل الرعاة.

• عين كارم (مكان ولادة القديس يوحنا المعمدان) مع الكنائس القديمة المحيطة بمكان ميلاد القديس يوحنا، وموقع زيارة القديسة مريم للقديسة إليزابيث على التلة وعلى جميع الكنائس الحديثة والأديرة.

• عمواس (القبيلة) وكنيستها التي تغطي موقع بيت كليوياس.

• بئر يعقوب في السامرة.

• الناصرة: مع بيت العائلة المقدسة والكنائس ونافورة القديسة مريم وكنيستها والمجمع اليهودي في الناصرة ومكان جبل القفزة.

• قانا مع كنائسها وأديرتها حيث أدى المسيح العجيب الأولى.

- جبل طابور مكان التجلي مع الكنيسة والأديرة على قمة الجبل.
- بحيرة طبريا ومحيطها مع كفر ناحوم والمجمع اليهودي وجبل التطويبات الأماكن التي مجّد فيها المسيح الله بأعاجيبه.
- نهر الأردن مكان معمودية المسيح مع الكنائس والأديرة.
- على طريق أريحا: موقع صومعة القديس أيوثيميوس.
- جبل التجارب في أريحا مع كنائسه وأديرته.
- الخليل بأماكنها المقدسة.
- يافا: بيت سمعان القانوني قبر طابيثا.
- حيفا: جبل الكرمل.
- الرملة: كنيسة القديس جريس.

في معظم هذه الأماكن يوجد لدى الأرمن كنائسهم وأديرته منذ قرون عدة. ولسوء الحظ فإن العديد من هذه الكنائس والأديرة والأماكن قد تدمر خلال الغزو الفارسي في العام ٦١٤ وخلال الحروب والغزوات والاضطهاد الديني والعراقي على مدى القرون المتتالية. بعضها تم ترميمه وإعادة بناءه والمحافظة عليه حتى وقتنا هذا.

الكنيسة الأرمنية مثلها مثل الكنائس اليونانية واللاتينية تتمتع بالملكية الكلية أو الجزئية الحصرية للعديد من المزارات وأجزاء من الكاتدرائيات والكنائس وهي حسب التفصيل الآتي:

أولاً: في كنيسة القيامة: الكنيسة الأرمنية لديها حقوق وامتيازات متساوية كشريك مع الكنيستين اليونانية واللاتينية. تتمتع بحقوق وامتيازات متساوية معهم في الإصلاح والمحافظة العامة لكامل الهيكل. وتتمتع بملكية جزئية معهم بما حول القبر المقدس (القيامة) ولديها الحق بإقامة قداديس بشكل يومي وخدمات خاصة ودورات خلال العام وفي الأوقات والمناسبات الخاصة. ولديها معهم نفس الحقوق للتزيين والإضاءة والأثاث والعناية العامة والمسؤولية، وأيضاً تستعمل الجزء الأمامي من الإيديكيؤل حول القبر المقدس وحجراته الدائرية خلال المراسيم والدورات. ولها الحق في إقامة الدورات

والمراسيم خلال الممرات المسقوفة في الكنيسة داخل الكاتدرائية، وحق التبخير في جميع المزارات والمصليات داخلها، مثلهم تقوم بأداء القداس في السجن الرابع للمسيح ومصلى مكان العثور على الصليب المقدس وعلى مذبح إكليل الشوك وفي مكان تقسيم الثوب وفي مصلى الجلجلة. وبحصص متساوية معهم تمتلك مدخل الكاتدرائية واستعمال الفناء والمدخل الخارجية ومفاتيحها ودهاليزها وأماكن أخرى كالبئر على سبيل المثال والتي هي موضحة ومذكورة في قائمتنا الرسمية والفرمان. وتتمتع بحقوق حصرية لملكية كنيسة القديسة هيلانة والقديس جريجوريوس المستنير والمصلى الجلجلة في المعرض المقابل للجلجلة. وكنيسة يوسف الراسي وحجرة الصفوف للكنيسة والاجتماعات فوقها. ومذبح مريم المجدلية ورفيقاتها الزائرات للقبر المقدس لدهن الطيب. ومذبح ومصلى مكان اقتسام الثوب. والحائط والمشكاة المواجهة لمصلى الجلجلة. صومعة الرئيس ورجال الكهنوت في الكاتدرائية. وصفوف الاجتماعات في الأروقة. والأعمدة السبعة مع الأقواس حول القبر المقدس بشكل دائري، والعديد من القناديل والمصابيح داخل وخارج حول حجرات القبر المقدس، والمصليات والممرات المسقوفة والأروقة. ومصلى القديس يوحنا الإنجيلي في فناء الكاتدرائية وغير هذه الأماكن كما هي موضحة في الفرمان والقوائم الرسمية. وأيام أعيادنا والقداديس والدورات الاحتفالية المتعلقة بها، إما داخل الكاتدرائية أو خارجها، وأيضاً خلال الشوارع التي توصل من البطريركية الأرمنية إلى أماكن أخرى وإلى كاتدرائية القيامة أيضاً هي ممولة في القوائم الرسمية المحفوظة عندنا وعند الحكومة.

ثانياً: في كاتدرائية ميلاد المسيح المقدس: الكنيسة الأرمنية تشاطر البناية مع الكنيسة اليونانية، ولديها حصص متساوية مع الكنيسة اليونانية. وتصلح الهيكل العام لمبنى الكاتدرائية ولديها ملكية مشتركة في الفناء الممتد ومدخل الكاتدرائية، وأيضاً باستعمال المغارة المقدسة لكنيسة المهدي للقيام بخدمة القداس اليومية، وكذلك قداديس خاصة في أعياد الميلاد وخلال السنة، ولديها حصص متساوية في الإضاءة والمصابيح والصور للتزيين. وتشارك اليونان فقط في المذبح المقدس في كنيسة المهدي، ولديها حق التبخير والمرور في كنيسة المغارة، وأيضاً حصص متساوية للمحافظة على حراسة في المغارة والتصليات العامة. وتستعمل الكنيسة الأرمنية جسم الكاتدرائية ذي الأعمدة

للدورات المقدسة في أيام الأعياد خلال العام وللأعراس والجنازات، ولديها الملكية الحصرية لكامل الذراع الشمالي للجوقة مع المذابح والخزائن للملابس والجوارير وتزيين المذبح والمعدات والكتب اللاهوتية والصور والمصاييح والسجاد... إلخ، ويعتبر الباب الخشبي في مدخل جسم الكنيسة ذو الأعمدة أرمني كذلك، وألواحها المحفورة الجميلة تم تصنيعها في ١٢٢٧ بموجب أمر من ملك ريتوم من أرمينيا السيليسية كما هو مصرح به من خلال تسجيلين محفورين في الجزء العلوي منها باللغة الأرمنية والعربية.

ثالثاً: كنيسة القديسة ماري (مريم) في حديقة الجثمانية: حيث تشترك فيها الكنيسة الأرمنية إلى جانب اليونانية، كلاهما يمتلك نصف الهيكل، وهو مسؤول عن الهيكل والتصليح لكامل الكنيسة ابتداءً من المدخل والبهو الأمامي. وتتمتع مع الكنيسة اليونانية بالامتيازات نفسها للعبادة طوال العام والقدايس اليومية الدورات. والأرمن لديهم حديقة الجثمانية بجانب الكنيسة.

رابعاً: كنيسة صعود المسيح المقدس على جبل الزيتون: الكنيسة الأرمنية تمتلك نفس الامتيازات للعبادة داخل الكنيسة كالكنائس اليونانية واللاتينية، وهي أيضاً تمتلك مذبحاً حجرياً داخل المحيط والملكية الحصرية لجزء كبير من المباني والأرض خارج الحائط الشمالي للكنيسة، كذلك تمتلك جزءاً كبيراً من سفح الجبل في حديقة الجثمانية، وكان هنالك العديد من الكنائس الأرمنية والمصليات على جبل الزيتون في القرن الخامس والسادس ولكن تم تدميرها في العام ٦١٤م. ويمكن أن ترى بقايا الفسيفساء الأرضية لهذه الكنائس في مصليات الدير الروسي.

وبجانب هذه الأماكن الأربعة المقدسة التي تشترك بها الكنيسة الأرمنية مع اليونانية واللاتينية بموجب فرمانات من الخلفاء العرب من بغداد ودمشق ومصر وسلاطين المسلمين والأتراك التي تم تأكيدها من قبل ملوك إنجلترا، فإن الكنيسة الأرمنية تمتلك حيازتها الحصرية:

١- كاتدرائية القديس يعقوب: (دير الأرمن) على جبل صهيون مع مقر إقامة البطريرك والمصليات ومنزل للحجاج والدير ومدرسة دينية ومطبعة وحدائق... إلخ. والجزء الأكبر من الزاوية الجنوبية الغربية من البلدة القديمة. والكاتدرائية تقوم مقام

بيت يعقوب الصغير أول أسقف للقدس، بقاياها مدفونة داخل الكاتدرائية، وتحتوي أيضاً على مزار للقديس يعقوب الكبير (الرسول وأخ القديس يوحنا). ورئيس الرسل مدفون في هذا المزار. الكاتدرائية الجالية، بنيت في القرن الحادي عشر على أساسات كنيسة من القرن الخامس، التي دُمّرت في ٥١٤، والحائط الشمالي للكنيسة هو من بقايا كنيسة القرن الخامس، وتعتبر مزاراً للحجاج من جميع الطوائف. وخارج أفتية مجمع المباني هذا يمتد بقية الحي الأرمني الذي يشكل بمساحته ربع مساحة مدينة القدس القديمة (داخل الأسوار) حيث يمتد الحي من باب النبي داود جنوباً إلى باب يافا (الخليل) شمالاً فحارة الشرف واليهود شرقاً وسور مدينة القدس غرباً، حيث يعيش أكثر من ٥٠٠٠ أرمني في منازل تعود ملكيتها للبطريركية الأرمنية ومن أوقافها المسجلة رسمياً لدى الدوائر المختصة. وتمتلك البطريركية الأرمنية أملاكاً وأوقافاً أخرى موزعة في أماكن متفرقة في القدس الشرقية داخل وخارج الأسوار وفي الغربية ضمن مناطق وجود اليهود.

٢- موقع بيت قيافا: رئيس الكهنة مع مصليات وساحات القرن الثاني عشر وأرضيات فسيفسائية من القرن الخامس. محفوظ بها الحجر الذي يغطي القبر المقدس الذي دحرج من قبل الملاك.

٢- المقبرة الأرمنية القديمة: الملاصقة للكنيسة، وكذلك الأرض الواقعة خارج المقبرة وهي الأرض المنحدرة من سور مدينة القدس الغربي وحتى شارع الخليل هي ملكيات وأوقاف أرمنية أيضاً مسجلة رسمياً لدى الدوائر المختصة.

٤- موقع بيت حنانيا: رئيس الكهنة بكنيسته وديره العائد للقرن العاشر.

٥- موقع استشهاد القديس يعقوب الصغير في وادي يهوشافاط.

٦- الأرضية الفسيفسائية لكنيسة أرمنية من القرن الخامس بالقرب من باب العمود في البلدة القديمة.

٧- نافورة الرسول فيليبس الذي عمد وزير الحبشة.

٨- دير الأرمن القديم من القرن الخامس في بيت لحم بجانب كاتدرائية المهد، وأراضي وأملاك أخرى موزعة في المحافظة.

٩- دير وكنيسة القديس جريس في الرملة.

١٠- دير وكنيسة القديس نيقولاوس في يافا.

١١- بيت الكنيسة في حيفا.

كان هنالك العديد من الكنائس والأديرة القديمة التي كانت ملكيتها أرمنية، وانتقلت إلى أيادي أخرى خلال أيام الاضطهاد والتأثيرات السياسية ونتائج الحروب:

١- كنيسة القديس بطرس على جبل صهيون.

٢- كنيسة زيارة القديسة مريم في عين كارم.

٣- الفسيفساء على جبل الزيتون.

٤- كنيسة القديسة حنة في القدس.

وذلك موثق بموجب مذكرات حجاج أوروبيون زاروا الأماكن المقدسة في القرون الأولى وسجلوا فيها يومياتهم، حيث يذكرون فيها الأماكن المقدسة التي كانت بحوزتنا؛ إذ إن البطاركة الأرمن في القدس مع أخوية القديس يعقوب كانوا حراس الأماكن المقدسة للكنيسة الأرمنية منذ القرون الأولى، وكانوا هم رؤساء الأخوية وجميع رجال الدين في الأراضي المقدسة وجميع الأبرشيات المتصلة بها، نطاقهم الكنسي والروحي يمتد إلى فلسطين وشرقي الأردن وفي دمشق وأنطاكية في سورية وفي بيروت في لبنان. وفي الأوقات القديمة كانت تمتد إلى مصر وقبرص أيضًا.

يتراوح عدد الأرمن الكلي داخل الأراضي المقدسة وفي الأردن ما بين ١١-١٢ ألفًا، مركزهم الرئيسي هو القدس ويافا وحيفا، وعمّان في الأردن. وهم موجودون في مجموعات صغيرة في جميع أرجاء البلاد، ومرتبطنون بجميع أنواع المهن وحرف التجارة. بسبب صناعتهم وذكائهم. غالبيتهم يعيشون فوق مستوى الفقر ولا يعانون البطالة. واليتيم والمريض والمسن والذي بحاجة للمساعدة تسعى البطريركية لمساعدتهم من قبل مؤسسات خيرية أرمنية تعمل لأجل تطور الشباب الثقافي والجسدي والاجتماعي والذهني. والبطريركية هي المسؤولة عن مصالحتهم الروحية والتعليمية. وقد بنت وفتحت لهم مدارس الروضة والأساسية والثانوية في قلب منطقة الأرمن وداخل أسوار القدس، رغم كل التحديات والمعوقات الإسرائيلية، وفي جميع المراكز الرئيسية يوجد أكثر من ١٥٠٠ طفل في هذه المدارس من عمر ٤ إلى ١٨ يتلقون خدمة التدريس لديها، وهنالك ٥٠٠ طالب آخر ملتحقون بمدارس ومعاهد الذكور الأجنبية.

وطوال فترة الوجود الأرمني حافظت البطريركية الأرمنية في القدس والمجتمع الأرمني في فلسطين على أفضل العلاقات مع المجتمع وحماية النسيج الاجتماعي والوطني بالإضافة إلى تعزيز ثقة واحترام الحكومات لهم حتى اليوم، وكذلك مع مختلف شرائح الناس الذين يسكنون معهم بالبلاد، ودائمًا حظوا بتعاطفهم واحترامهم وتقديرهم.

من كل ما تم طرحه يتبين أن الأرمن لديهم اهتمام واضح في فلسطين يعود إلى أصول قديمة، وهذا الاهتمام بالطبع متفوق دينيًا وروحياً، وضمن تلك السيادة حاولوا دائماً أن يكونوا مخلصين لأسس قائدهم وملجأهم الأزلي. حاولوا دائماً «أن يعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، ولكي يكونوا مخلصين لتلك الغاية والأسس فمن الطبيعي أن تكون أمنيتهم الكبيرة هي رؤية اهتماماتهم وحقوقهم ومقدساتهم الدينية محفوظة ومصانة.

وبهذه التوقعات وبالأمل والإيمان نصلي أن يمنحك الله العظيم وزملائكم الحكمة والإرادة التي يمكن أن توفر الازدهار والسلام للأرض المقدسة.

لمحة عن بعض الأوقاف القبطية في الأراضي المقدسة

الأنبا أبراهام*

قدّمها بالإنابة: الأب ميخائيل ثابت**

يرجع الوجود القبطي في الأراضي المقدسة إلى القرون الأولى المسيحية، حيث كان الأقباط يحجون إليها للبركة والافتداء بسيرة السيد المسيح والأنبياء والرسل، ليشعروا أنهم يعيشون أحداث الكتاب المقدس التي حدثت في هذه الأراضي المقدسة.

ولما بدأت الرهبة المسيحية في مصر، جاء الرهبان والنسك الأقباط ليعيشوا في الأماكن المقدسة، حيث سكنوا الجبال والصحارى والمُغَر والكهوف، نساكاً منقطعين لعبادة الإله الحي في جو روحي مُفعم بالصفاء والهدوء والسكينة.

وبتوالي زيارات الحج والتبادل الثقافي والتجاري، أوقف بعض أثرياء القبط بعض العقارات والأراضي، ليتمكن الأقباط القانطين والمقيمين في هذه الأراضي المقدسة للعيش من ريعها ومن الأوقاف القبطية.

ولقد قام المهندسون اليونان الذين أرسلتهم الملكة هيلانة باستجلاب مشاهير البنائين في مصر لتشييد كنيسة القيامة، فكان للأقباط نصيب وافر منها وما يزال بعضه في يدهم إلى الآن.

* مطران الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القدس والأردن.

** الكنيسة القبطية في الأردن.

دير السلطان: منذ فتح مصر، كان يتم جمع خراج مصر، وإرساله إلى الخلافة، عبر سيناء عن طريق القدس، وفي العهد الأموي تعرض الوفد الذي ينقل أموال خراج مصر للسطو من قبل اللصوص، فأسرعوا ووضعوا أموال الخراج في مقر الكنيسة القبطية بالقدس، لذلك وهب الخليفة للأقباط «دير السلطان» الواقع أعلى سطح كنيسة القيامة لينزل فيه الوفد خلال رحلته، وجعلوا فيه أيضاً مساكن لفقراء القبط.

وفي القرن السادس عشر فقد الأحباش الدير الذي كانوا ينزلون فيه أمام كنيسة القيامة، وهو دير «أبونا إبراهيم» وكذلك كنيسة الملكة هيلانة بالقيامة التي كانوا يصلون فيها، وذلك لعجزهم عن دفع الضرائب المطلوبة عن هذين العقارين، فأخذهما الروم والأرمن بعد أن تم دفع ما عليها من ضرائب، فلم يجد الأحباش ملجأ لهم إلا الكنيسة القبطية، فأسكنهم المطران القبطي في دير السلطان بصورة مؤقتة (بعد أن نقل العائلات القبطية منه).

وفي عيد الفصح إبريل ١٩٧٠م ساعدت الحكومة الإسرائيلية الأحباش بتغيير أقفال ومفاتيح الممر المؤدي إلى كنيسة القيامة (من داخل دير السلطان) الذي يضم كنيستين قبطيتين أثريتين، وذلك نظير صفقة بين إسرائيل وإثيوبيا تمنح إثيوبيا بمقتضاها قاعدة بحرية في البحر الأحمر، وحق الطيران الإسرائيلي الحربي والمدني بالتجوال كما يشاء في سماء إثيوبيا، وعودة اليهود الفلاشا المقيمين بإثيوبيا إلى إسرائيل.

ولما توجه المطران القبطي إلى محكمة العدل الإسرائيلية العليا، حكمت في ١٦/٣/١٩٧١م بعودة مفاتيح هذا الممر إلى يد الأقباط كما كانت دائماً، الأمر الذي لم يُنفذ حتى الآن، على الرغم من تكرار اللجوء إلى المحكمة عينها، ومن تكرار المطالبة بتنفيذ هذا الحكم.

ومن أوقاف الأقباط في المدينة المقدسة، بعض العقارات الموقوفة مثل «خان الأقباط» الذي بني كمقر ينزل به الحجاج الأقباط منذ عام ١٨٢٤م، وكان مؤجراً لعائلة قبطية قامت بتأجيريه لمحلات صانعي الأحذية، وأيضاً لسكن بعض العائلات الفلسطينية، وما زالوا فيها، بعد أن عاد الخان إلى يد الأقباط كما كان.

مصبنة الأقباط: منذ حوالي مائة عام أو أكثر ويسكن فيها بعض العائلات القبطية الفقيرة من الذين تركوا دير السلطان لسكنى الأحباش وأيضاً بعض الرهبان والراهبات. وتوجد بعض المباني المؤجرة بالقدس ويافا وأريحا لبعض العائلات الفلسطينية منذ زمن طويل وبمعدل إيجاري ضئيل جداً، وكذلك بعض الأديرة المخصصة للرهبان أو الراهبات.

المدارس القبطية: بعد نكبة عام ١٩٤٨م، نزح كثير من العائلات إلى القدس، لذلك أنشأ المطران القبطي في ذلك الوقت مدرستين؛ واحدة للأولاد وهي الكلية القبطية الأنطونية عام ١٩٤٧م، التي تخرّج منها بعض القيادات الفلسطينية المهمة، وهي تقع داخل بطيركية الأقباط الأرثوذكس في البلدة القديمة. والمدرسة الأخرى للبنات، وهي كلية الشهيد دميانة القبطية عام ١٩٥٢م، وتقع داخل دير مارجرس للراهبات بالبلدة القديمة، ويتبعان المنهج الفلسطيني تحت إشراف وزارة التربية والتعليم الفلسطينية حتى الآن.

الكلية الأنطونية القبطية الحديثة: وقد أنشئت في تسعينيات القرن الماضي، وتضم أكثر من (٧٥٠) طالب وطالبة من مرحلة الحضانة إلى الصف الثاني عشر، وهي تتبع المنهاج الأمريكي وتعطي شهادة (SAT)، وأيضاً المنهاج الفلسطيني لمن يرغب، وتعترف السلطة الفلسطينية بها، وقد ساهم كل من الصندوق العربي وحكومة الكويت في تكاليف بناء هذا الصرح العلمي الكبير.

أوقاف قبطية مصادرة

صادرت حكومة إسرائيل بعض أراضي الوقف القبطي بالناصرية ويافا والقدس. ففي الناصرة، صادرت الحكومة الإسرائيلية ستة دونمات بالناصرية العليا، وشيّدتها فوقها مباني حكومية. وما زلنا نطالب بها أرضاً بدل أرض ورفضنا التعويض المالي.

وفي يافا، صادرت الحكومة الإسرائيلية مساحة (٤٣) دونماً، وأنشأت عليها عمارات كثيرة، ولما توجهنا إلى المحكمة اعتبرتها إيجاراً طويل المدى أي ٩٩ عاماً بإيجار رمزي ضئيل.

وفي القدس، صادرت الحكومة الإسرائيلية مائة وخمسة دونمات في موقع متميز في منطقة بيت صفافا، نظير تعويض هزيل، وأيضاً صادرت بيت كبير يدعى (دار الفلكي) وحوله مساحة أرض كبيرة أمام باب الخليل وأيضاً نظير تعويض هزيل جداً. وكل ذلك حدث في أوائل خمسينيات القرن الماضي، ولا يضيع حق وراءه مطالب.

لمحة عن الكنيسة الإثيوبية في القدس*

أ. ستالين جيبيريلاس**

إن من أكثر الأسماء شيوعاً بين المسيحيين في إثيوبيا Yordanos و Eyerusalem (الأردن والقدس). فاسم أمي «القدس»، واسم شقيقتي الكبرى «أردن». ولدى المسيحيين الإثيوبيين أسباباً عديدة لإطلاق اسم هذين المكانين المباركين على أبنائهم. لقد كانت إثيوبيا أرض المسيحية لقرون عديدة. ولم تقيد الكنائس الإثيوبية بحدود إثيوبيا تاريخياً، فإن وجود الكنائس الحبشية في القدس هو الأقدم.

لا يعلم الكثيرون في العالم أن رهبان وراهبات الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية قد حافظوا لقرون على وجود «السود» في واحدة من أقدس الأماكن المسيحية: «كنيسة القيامة» في القدس.

لقد حافظت الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية على دير السلطان لأكثر من ألف عام. وكذلك كان هنالك وجود في المنطقة، وعلى فترات مختلفة، لكل من الكنائس الأرمنية والروسية و السورية والمصرية واليونانية الأرثوذكسية والكنائس القبطية، فضلاً عن الكرسي الرسولي.

وكما قال أحد الكتاب مؤخرًا: «لقد حافظت الكنيسة الإثيوبية على وجودها في القدس لأكثر من ألف وخمسمائة عام، ولم يعتمد بقاؤها على السياسة، ولكن على إيمان

* الكلمة مقدّمة باللغة الإنجليزية أصلاً، وتمّت ترجمتها إلى العربيّة.
** الكنيسة الإثيوبية/إثيوبيا.

أفرادها من الرهبان الذين لم تجذبهم الرغبة في تحقيق مكاسب مادية أو الخلود للراحة، وإنما الإيمان. وعلينا أن نبحث عن الدليل على وجود الكنيسة في القدس».

وتشير التقارير إلى أن الوجود الإثيوبي في القدس ذكر في «الكتاب المقدس»، في محاولة لإثبات هذا الوجود في القدس. ويشير بعض الإثيوبيين إلى قصة لقاء في القدس بين ملكة سبأ (يعتقد بأنها حكمت في إثيوبيا وضواحيها) وبين الملك سليمان.

وبعد الاطلاع على هذه الخلفية، فإن ما يمكن تأكيده هو أنه تم رصد أنشطة رهبانية إثيوبية في القدس، كما ورد على لسان السكان الذين كانوا يعيشون خلال السنوات الأولى من العصر المسيحي.

ويعتقد أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء الفتح الإسلامي للقدس والمنطقة (٦٣٤-٦٤٤م) أكد الوجود الإثيوبي في الأماكن المقدسة المسيحية في القدس، بما في ذلك كنيسة سانت هيلانة، التي تشمل كنيسة القيامة. ويعتقد بعض العلماء أن عمرًا أعلن أنه بإمكان «التجمعات الأيبيرية والحبشية» البقاء في القدس مع تأكيد حق المجتمعات المسيحية الأخرى في الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة في القدس.

ونظرًا لما تعرضت له القدس والمنطقة من حولها من غزوات متعددة، جعلتها تقع تحت سيطرة قوى مختلفة، كل ذلك جعل من الأماكن المقدسة عرضة لأهواء هذه القوى السياسية المختلفة.

تمكن الرهبان الإثيوبيين من البقاء، رغم تواضع أعدادهم، ورغم ما تعرضوا له من ضغوطات من زملائهم الرهبان من بلدان أخرى، خلال الفترات الصعبة التي كانت بلادهم تمر بها وبخاصة فترة الحكم الإقطاعي المطلق (١٧٦٩-١٨٥٥م).

وتشير الوثائق والمراجع كافة منذ بدء العصر المسيحي، إلى الرهبان الإثيوبيين وإثيوبيا وعلاقتهم بالأماكن المقدسة المسيحية في القدس، وذلك من قبل جميع القوى والإدارات التي تناوبت على المنطقة. واليوم فإن وجود الرهبان الإثيوبيين في كنيسة القيامة أو دير السلطان في القدس هو الوجود الوحيد «للسود» في أكثر الأماكن قدسية للمسيحيين على هذه الأرض. ولفترة طويلة من التاريخ تأثرت المسيحية في إثيوبيا بالقوى

التي تناوبت على المنطقة. كما استخدمت إثيوبيا اللغات الإثيوبية الأصلية الخاصة بها للطقوس وأغراض أخرى داخل الحدود الإقليمية الخاصة لها، بدلاً من اللغة المشتركة التي تستخدمها دول حوض المتوسط في البقاع الجغرافية الممتدة من العالم.

تمكنت الكنيسة الإثيوبية وأتباعها من الرهبان والقسيسين، ومنذ ما يقرب من ألفي عام، من الحفاظ على حق الوصاية «لدير السلطان»، بالرغم من النزاعات التي أشرت إليها سابقاً. وفي الواقع، فإن الوجود الإثيوبي في دير السلطان لا يمثل المسيحية الأرثوذكسية الإثيوبية فقط، ولكن جميع المسيحيين من جميع الطوائف الذين يقدرون التراث المقدس الذي تمثله الأماكن المقدسة بالنسبة للمسيحيين في كل مكان. كما أن ذلك بمثابة تأكيد على حقيقة أن القدس هي مهد المسيحية، مثلما هي مهد الإسلام واليهودية كما يعتقد أتباع هذه الديانات.

ليس هناك من شك في أن هذه المنطقة هي منطقة تاريخية ودينية مباركة. ونحن نعتقد أن من المتوقع أن تكون هذه المنطقة قدوة للعالم بأسره في السلام والتسامح والتعايش السلمي. وإذا قلنا إن الدين يخدم البشرية، فليس هناك من مبرر لأي دين في أن يتعارض ومصصلحة الإنسانية.

ولقد نجحت الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية Tewahedo، والكنائس الإثيوبية الأخرى في القدس منذ اليوم الأول لوجودها، في جذب انتباه العالم بشكل إيجابي. ولقد كانت الكنيسة الأثيوبية في القدس نموذجاً يحتذى به في التعامل مع التغيرات والتحديات الخطيرة دون الحاجة إلى اللجوء للعنف، فكانوا رسل سلام حقيقيين في القدس المقدسة.

وتعين الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية Tewahedo المطارنة الأعلى مقاماً في القدس. ولعلكم تتذكرون رئيس الأساقفة الأسبق للكنائس الإثيوبية في القدس «أبونا متياس» الذي أصبح الآن بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية Tewahedo. وهذا مؤشر واضح على أن الوقف من كنائسنا في القدس كبير جداً.

وبالنظر إلى واقع المنطقة، فلا بد من بذل المزيد من الجهود لتفعيل الحوار بين أتباع الأديان، والتفاهم، وتبادل وجهات النظر، سواء داخل المسيحية أو مع الإسلام والمعتقدات الأخرى، لنتمكن من تطوير أشكال جديدة من التعاون والتسامح لمواجهة المشاكل والتحديات التي تحيط بنا. وفي هذا الصدد، تبرز أهمية الدور الذي تؤديه المنظمات الحكومية وغير الحكومية مثل منتدى الفكر العربي في وضع جدول أعمال للحوار والنقاش وعقد لقاءات حول موضوعات مختلفة مثل هذا اللقاء.

مرة أخرى، أتوجه بالشكر إلى منظمي هذا المؤتمر على عقده، الذي جمعنا لمناقشة قضايا ذات أهمية لنا جميعاً. أسأل الله عز وجل أن يراكم جميعاً، وأن يحفظ هذه المنطقة والعالم بأسره... آمين.

هجرة المسيحيين من القدس خلال الفترة من عام ١٩٤٨-٢٠١٢م (الأسباب والمخاطر)

د. جورج فريد طريف الداوود*

مدخل

القدس جوهرة المدن وسيدة الأزمان والعصور، عندما نكون في حضرتها تمنحنا البهاء والقداسة، لأصوات مآذنها وأجراس كنائسها وقع مميز على قلوبنا، نتشارك جميعاً في محبتها في كل العصور والأماكن.

ويعود تاريخ مدينة القدس إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام من ميلاد السيد المسيح عليه السلام، حيث سكنها الكنعانيون، واتخذوا من أورشليم أو أور سالم أي مدينة السلام عاصمة لهم، ثم سيطر عليها البيبوسيون الذين قدموا من جزيرة العرب، وهم جزء من الكنعانيين، وبنوا قلعتها والأسوار، وسموها ييوس/القدس، ثم سيطر عليها الفرس ومن بعدهم اليونان والرومان قبل الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م، المرتبط بحادثة الإسراء والمعراج، وهذا يؤكد أن المدينة عربية إسلامية بقرار رباني لا راد له، كما أن العرب الفلسطينيين حافظوا على وجودهم في المدينة عبر التاريخ، ولم ينقطعوا عنها يوماً واحداً.

* باحث وإعلامي، الأردن.

الوجود المسيحي في القدس

تعود علاقة المسيحيين بالقدس إلى بداية الفترة التي بَشَّر فيها السيد المسيح بالدين المسيحي، وتشارك كنائس الأرض المقدسة بتراث ديني تاريخي واحد تمتد جذوره إلى القرون المسيحية الأولى، ويفتخر المسيحيون بدورهم الحضاري والثقافي الذي انبثق عن المدينة، بالإضافة إلى دورهم الطلائعي في نشر الدين المسيحي في سائر بقاع الأرض. وأنشئت بطريركية القدس في القرن الخامس الميلادي، وأصبحت خامس بطريركية بعد روما والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية، وامتدت سلطة البطريرك المقدسي إلى مناطق فلسطين والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وجزء من شبه جزيرة سيناء^(١).

وقد حافظت الكنيسة المقدسية على الإيمان الخلقوني الأرثوذكسي^(٢) حيث كان السكان المحليون مزيج من العرب والسريان، إضافة إلى الرهبان والتجار والحرفيين والمزارعين الذين كانوا يأتون إلى فلسطين.

ازدهرت الحياة المسيحية إبان الحكم البيزنطي (٣٣٠م-٦٣٨م)، فضمت البطريركية الأرثوذكسية تسعاً وأربعين أبرشية، وبنى المؤمنون الكنائس في جميع أنحاءها: أربعة عشر في مادبا، وخمسة عشر في أم الجمال، وثلاثة عشر في جرش، وتسع كنائس في عابود^(٣).

وفي عام ١٧ للهجرة/ ٦٣٨ للميلاد دخلت الكنيسة المقدسية تحت الحكم الإسلامي، فأنتهى بذلك العهد الوحيد الذي كان فيه المسيحيون أكثرية ساحقة في فلسطين. وأصبحت اللغة العربية عامل وحدة بين الجماعات المسيحية بالرغم من الخلافات اللاهوتية.

(١) لويس مخلوف، الأردن تاريخ وحضارة آثار، عمّان ١٩٨٢م، ص ٥٩. يُشار إليه فيما بعد مخلوف. حنا كلداني،

المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، عمّان ١٩٩٣م، ص ٥. يُشار إليه فيما بعد كلداني.

(٢) خلقونية: نسبة إلى المجمع الكنسي الذي انعقد في خلقونية سنة ٤٥١م، وأقر التعليم العقائدي الذي

يقول بوجود طبيعتين للمسيح (إلهية وإنسانية) وسمي أرثوذكسي أي الرأي القويم. كلداني، ص ٦.

(٣) كلداني، ص ٦.

وقد أعطى الخليفة عمر بن الخطاب فاتح القدس أماناً للقدس وسكانها يعرف «بالعهدة العمرية»، اشترطت ألا يسكن بإيليا (القدس) معهم أحد من اليهود، وقد وقع على هذه العهدة بطريرك القدس صفرونيوس، الذي سلم مفاتيح المدينة المقدسة للخليفة عمر بن الخطاب^(٤).

وفي عام ١٠٥٤م، وقع الانقسام الكبير بين مسيحيي الشرق ومسيحيي الغرب بين القسطنطينية وروما، فانقطعت علاقة بطاركة القدس مع روما وحكم البطاركة العرب القدس، ولما جاء الفرنجة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، ألغوا الرئاسة الروحية الأرثوذكسية في القدس وأخرج البطريرك يوحنا السابع وهاجر إلى القسطنطينية عام ١٠٩١م، حيث اتخذوها عاصمة للمملكة اللاتينية التي أنشأها في الشرق، وعينوا بدلاً منه بطريركاً لاتينياً وأبعد النصارى الشرقيين عن كنيسة القبر المقدس، وأعمل الفرنجة في رقابهم السيف حتى قيل إنهم قتلوا سبعين ألف رجل من سكان المدينة، وصودرت أملاك الكنيسة الأرثوذكسية^(٥).

وعندما حرر صلاح الدين القدس، عاد البطريرك الأرثوذكسي إليها فكانت حرب الفرنجة وبال على المسيحيين الشرقيين، هؤلاء المسيحيين الذين سطرخوا صفحات من البطولة زمن الغزاة الفرنجة... ويكفي أن نشير إلى دور عيسى العوام الذي عمل في بلاط صلاح الدين الأيوبي وحارب الفرنجة، ودور الكثير من المسيحيين العرب الذين وصلوا إلى مراتب قيادية في مواجهة العدو الصهيوني حتى يومنا هذا.

وفي العصر العثماني تحددت هوية الكنائس في ضوء ظهور نظام الملل العثماني^(٦) وتطور نظام الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للقنصليات الأجنبية في مجال القضاء والتجارة، حيث تطورت إلى حماية الأقليات والملل المسيحية، فغدت فرنسا حامية للكاثوليكية، وروسيا حامية للأرثوذكسية، وإنكلترا حامية للبروتستانتية، وعلى

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ١٥٩. كلداني، ص ٧.

(٥) ميشال لوكلير، قصة الافتراق الطويلة، ضمن كتاب تاريخ الكنيسة المفصل، ترجمة الأبوان انطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، بيروت ١٩٩٩م ص ٢٢٥.

(٦) الملة: جماعة من المواطنين المحليين خاضعة للباب العالي لها ديانة محددة ولا تنتمي إلى أصل عرقي واحد وتشكل وحدة مستقلة. انظر: كلداني، ص ٨-١٠.

الرغم من سيطرة العناصر اليونانية الأرثوذكسية على بطريركية القدس، فقد احتفظ اللاتين بحقوقهم منذ عام ١٢٢٣م، ثم بدأ الصراع بين الفريقين على الأماكن المقدسة وأحقية كل طائفة فيها سنة ١٦٣٠م، فوَقفت فرنسا إلى جانب اللاتين وروسيا إلى جانب الأرثوذكس إلى أن صدر الفرمان العثماني المعروف بالستاتيو كوو (Statu quo)^(٧) سنة ١٨٥٢م أي الأمر الواقع^(٨) أو الوضع الراهن الذي يختص بكنيسة القيامة وساحتها، وكنيسة العذراء مريم في الجثمانية، وكنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة الصعود على جبل الزيتون في القدس، ودير السلطان على سطح كنيسة القيامة.

ويعود السبب الرئيسي لإصدار ما عرف بالأمر الواقع إلى أن الأماكن المقدسة كانت لثلاثة عشر قرناً تحت سيادة غير مسيحية، عندما كانت امتيازات أي طائفة مسيحية في هذه الكنائس لا يتم الحصول عليها إلا بالهدايا أو الرشى، أو بواسطة الضغط الدبلوماسي، أو بمؤثرات أخرى إضافة إلى رغبة الدولة العثمانية في الحد من التدخل الأجنبي في الأماكن المقدسة الواقعة تحت سيطرتها، وأصبح الأمر الواقع سياسة مرسومة سار عليها البريطانيون والأردنيون والإسرائيليون في أثناء حكمهم لفلسطين منذ عام ١٩٢٨م حتى الآن^(٩).

(٧) الستاتيكو: اصطلاح لاتيني معناه الحالة الراهنة، ويقوم هذا المبدأ في الأماكن المقدسة بأن يبقى الوضع القائم على ما هو عليه ولا يحق لأحد المس به، انظر: رؤوف أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين ٢٠ و١٩، بيروت ٢٠٠٤م، ص ٥١. يُشار إليه: رؤوف أبو جابر، إبراهيم قنديل، الستاتيكو والمؤسسات الكنسية في الأراضي المقدسة، النعمة/سورية، آذار ١٩٩٩م ص ١٨-١٩. يُشار إليه هكذا، قنديل، محمد فريد، الدولة العثمانية ١٩٠٨ م، ط٢، بيروت، دار الجيل ١٩٧٧م من ص ٢٧٨. يُشار إليه فيما بعد: محمد فريد. وانظر: كوثراني، وجيه، المسيحيون في نظام الملل، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد ٣٢، ١٩٨١م، ص ١٨.

(٨) محمد فريد، ص ٢٧٨.

(٩) سليم الصايغ، الوضع الراهن بالنسبة للأماكن المقدسة، روما ١٩٧١م، ومن هم المسيحيون في الشرق الأوسط، مجلة مجلس الكنائس في الشرق الأوسط، تشرين الأول، ١٩٨٦م، ص ١٣. يُشار إليه: الصايغ، الوضع الراهن. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس ١٩٦١م، ص ٢٧٦. يُشار إليه لاحقاً، عارف العارف. وانظر رؤوف أبو جابر، ص ٥١.

وقد اعتبر رهبان الروم الأرثوذكس عام ١٨٥٦م، هو العام الذي تم فيه تثبيت جديد للمصادقة على الأمر الواقع في الأماكن المقدسة خصوصاً وأن السلطان العثماني أصدر فرماً اعترف فيه بحقوق رعاياه من غير المسلمين دون تفريق بين العناصر والمذاهب وانتظم المسيحيون على أثر ذلك في الجندية مثلهم مثل المسلمين.^(١٠)

الأوقاف المسيحية في القدس

ينقسم المسيحيون في القدس إلى كنائس شرقية وأخرى غربية تتبع كل منها رئاستها الدينية، أما الكنائس الشرقية فتشمل الآتي:

أولاً: بطريركية الروم الأرثوذكس

تعد أقدم كنائس فلسطين وأكثرها عددًا وأغناها أوقافاً، ومشكلة هذه الكنيسة سيطرة الإكليروس اليوناني في أخوية القبر المقدس عليها وعلى قدراتها ومناصبها العليا ومزاراتها وأوقافها، بالإضافة إلى الصراع الداخلي الذي حدا بمؤمنها إلى الانتقال إلى الطوائف الأخرى.

تضم الأوقاف الأرثوذكسية في القدس إحدى وعشرين كنيسة من بينها القيامة والجثمانية وواحد وعشرون ديراً وأربع مدارس ومستوصفاً وملجأً للعجزة وأربعة فنادق وأربعة وثمانين داراً مخصصة لسكن الفقراء والمعوزين دون إيجار وثلاثة وثمانين داراً أخرى وثلاثمائة وسبع وخمسين دكاناً وخمسة وخمسة وعشرين ومائتان وأربع وأربعين من الدونم في القدس وثمانمائة وسبعة عشر دونماً على طريق مار الياس، هذا غير الموجود في بيت جالا وبيت ساحور وبيت لحم وباقي مدن الضفة الغربية وغزة.

ثانياً: بطريركية الأرمن الأرثوذكس

يعود وجودهم في القدس إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وازدادت أعداد الحجاج الأرمن منذ بداية القرن التاسع عشر، وأخذوا ينازعون الروم الأرثوذكس على الأماكن المقدسة نظراً للحقوق التي اكتسبوها على مر الزمن، وكانت لهم ثلاث كنائس على جبل

(١٠) أوراق بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس، انظر: رؤوف أبو جابر، ص ١٨٦.

الزيتون، وأخرى قرب باب العامود، إضافة إلى دير مار يعقوب الذي تقع فيه البطريركية ومدرسة اللاهوت ومكتبتان.^(١١)

ثالثاً: مطرانية الأقباط

تعود علاقة الأقباط بالقدس إلى العصور المسيحية الأولى نتيجة زيارة العائلة المقدسة إلى مصر، وتوقفت زيارات حجيجهم للقدس في عهد الفرنجة، وردّ إليهم صلاح الدين الأيوبي معظم أملاكهم والأديرة والكنائس التي كانت لهم قبل مجيء الفرنجة، ويعتبر دير السلطان (نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي) المركز الرئيسي لوجودهم في القدس.

رابعاً: مطرانية السريان الأرثوذكس

مقرهم في دير مار مرقس بين حارتي الأرمن واليهود، وفيه العلية التي تناول فيها السيد المسيح طعام الفصح مع تلاميذه، ولهم كنيسة صغيرة في كنيسة القيامة.

خامساً: مطرانية أو دير الأحباش

كان وجودهم قليلاً في القدس حيث بقيت الكنيسة الحبشية تحت الرعاية القبطية، ومع ذلك فقد ظهرت نزاعات بين الأحباش والأقباط والأرمن، ومقرهم في دير السلطان الذي يعتبره الأقباط لهم.

سادساً: الكنيسة الروسية وكنيسة الكرج (جورجيا)

كانت هذه الكنيسة ذات شأن في العصور الماضية، وكان لهم دير المصلبة في القدس، وهو الآن من ممتلكات الروم الأرثوذكس، وهناك روايات تقول إن دير مار يعقوب للأرمن هو في الأصل للكرج، وقد وقع الرهبان في ديون باهظة لم يتمكنوا من سدادها فغادروا القدس واستولى الأرثوذكس على أملاكهم بعد أن سدّدوا الديون.^(١٢)

(١١) عارف العارف، ص ٦٨.

(١٢) ن. م ص ١١٨، ١١٤، ١٤٧، ١٤، انظر: رؤوف أبو جابر، ص ٥٢-٦٢.

أما الكنائس الغربية فتشمل الآتي:

أولاً: البطريركية اللاتينية

تأسست على يد البطريرك يوسف فاليركا عام ١٨٤٨م وأتبعها بتأسيس المعهد الإكليريكي بعد أربع سنوات، ثم قام بتأسيس الإرساليات في مدن فلسطين والأردن، حيث استمرت من منتصف القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين^(١٣)، ويتبعها إحدى وعشرين كنيسة من بينها القيامة والجمثمانية، وسبعة مدارس للذكور والإناث، إضافة إلى ثلاث مدارس مهنية، وهناك جامعة بيت لحم ومركز دراسات بيت لحم ومعهد الدراسات العالية للكتاب المقدس للفرنسيسكان في القدس ومعهد الدراسات العالية للكتاب المقدس للآباء الدومينيكان في القدس، وهناك خمسة ميّاتم في القدس ومثلها في بيت لحم، وثلاثة ملاجئ للمسنين وتسع مستشفيات ومستوصفات طبية، وست منشآت خيرية أخرى.

ويوجد في القدس عشرون مزاراً تابعاً لطائفة اللاتين وإثني عشر موقعاً مقدساً مشتركاً مع الطوائف الأخرى. أمّا العقارات فهي عبارة عن المساكن التي تقطنها العائلات الفقيرة داخل القدس وهي تابعة للآباء الفرنسيسكان^(١٤).

ثانياً: مطرانية الروم الكاثوليك الملكيين

أنشئت في القدس عام ١٨٤٨م، وتقع في حارة الموارنة، وفيها كنيسة باسم بشارة العذراء ونزل للزائرين وقيم فيها النائب البطريركي، ولهم أيضاً في القدس دار القديسة فيرونيكا وكنيسة القديسة حنة شمالي الحرم القدسي الشريف^(١٥).

ثالثاً: مطرانية الأرمن الكاثوليك

أنشأ الأرمن لهم داراً للبطريركية وكنيسة تدعى أوجاع العذراء في حارة باب الواد في القدس، عام ١٨٨٦م، كما أنشأوا نزلاً يتكون من اثنتين وعشرين غرفة، ولهم نائب بطريركي.

(١٣) حنا كلداني، ص ١٩٠-٢١٥.

(١٤) أوراق كنيسة اللاتين في عمان، رؤوف أبو جابر، ص ١٩١-١٩٩.

(١٥) رؤوف أبو جابر، ص ٦٠. عارف العارف، ص ٥٣١ و ٥٣٢.

رابعاً: مطرانية السريان الكاثوليك

أُنشئت لهم رئاسة مستقلة يتبعها مطرانيات سورية ولبنان والأردن، لهم أوقاف تتكون من دير وكنيسة يقعان قرب باب العمود تأسسا عام ١٩٠١م، ولهم دير مبارك ويدعى دير القديس بندكتوس تأسس عام ١٩٠٣م.

خامساً: مطرانية الموارنة

يوجد بطريركية مارونية في القدس تأسست على يد المطران إلياس الحويك المُرسَل من لبنان عام ١٨٩٥م، والذي عاد إلى لبنان بعد أن انتخب بطريركاً للموارنة في لبنان عام ١٨٩٩م.

سادساً: مطرانية البروتستانت

يعود الفضل في تأسيسها إلى المطران صموئيل غوبات البريطاني، وبدعم من بريطانيا فتح مدرسة المطران الأولى في القدس، كما فتح عام ١٨٤٧م، مدرسة يومية لأبناء القدس، وقوى علاقاته مع جمعية المرسلين التي فتحت فروعاً تعليمية لها في مدن فلسطين والأردن.

سابعاً: مجمع الطائفة الإنجيلية الأسقفية العربية

لهم كنيسة القديس بولس التي تمّ تدشينها عام ١٨٧٤م، وتميزت هذه الطائفة بأن اختارت رئيساً لمجمعها القس العربي جون فن، وهو توجّه لم يحصل عليه اللاتين إلا عام ١٩٨٨م، عندما اختير ميشيل الصباح أول بطريرك عربي للاتين، بينما ما يزال الروم الأرثوذكس يخضعون للسيطرة اليونانية.

ثامناً: الإرساليات الألمانية

تأسست جمعية بيت المقدس التابعة للإرساليات الألمانية عام ١٨٥٣م، وقام أول تجمع لوثري في القدس عام ١٩٠٩م، وأصبح القساوسة العرب يقيمون الصلاة في كنيسة المارستان في الدباغة، كما أسس القائمون عليها مدرسة شنلر التي تعنى بشؤون الأيتام وتعليمهم وتدريبهم على المهن المختلفة، والتي نُقل جزء من نشاطها إلى عمّان بعد عام

١٩٤٨م، كما أسسوا المستشفى الألماني في القدس عام ١٨٥١م، بالإضافة إلى كنائس ومدارس ونُزل أُخرى.^(١٦)

أما الطوائف التي لها حقوق في الأماكن المقدسة فهي؛ الروم الأرثوذكس واللاتين الفرنسيين والأرمن الأرثوذكس والأقباط والسريان الأرثوذكس فقط، وتبلغ مساحة أملاك الطوائف المسيحية في القدس ٤٢٠ دونماً، بينما تبلغ الأملاك الإسلامية ٤٠٥ دونمات، واليهودية ٤٠ دونماً، ومواقع الخدمات الحكومية ٦٢ دونماً ليصبح مجموع الأملاك الدينية في القدس القديمة ٩٢٧ دونماً^(١٧).

ولا بد من الإشارة هنا إلى عدد من الحقائق التي تلقي الضوء على أوضاع الطوائف المسيحية في القدس في القرن العشرين.

أولاً: غالبية الروم الأرثوذكس هم من العرب الأصليين؛ بينهم ٥٪ من اليونانيين الذين وفدوا للإقامة في القدس وشكلوا أخوية القبر المقدس.

ثانياً: الأرمن والأقباط والأحباش هم حفدة عائلات سكنت القدس وقدمت إليها أساساً بهدف الزيارة.

ثالثاً: جميع طوائف البروتستانت من سبتيين لوثرين وأنجليكان والكويكرز، طوائف جديدة نمت بسبب الجهود التبشيرية، وأصلهم عرب أرثوذكس تحولوا نتيجة لتوفير التعليم وتقديم الدعم المادي من جهة، وهروباً من اليونان من جهة أخرى.

رابعاً: اللاتين ومعظمهم رعايا الكنيسة اللاتينية، كانوا أصلاً من الروم الأرثوذكس، وتحولوا عن مذهبهم بسبب التبشير، وإتاحة الفرص أمام أبنائهم للالتحاق بالمدارس التي فتحتها اللاتين في أرجاء البلاد، وكانت نسبة الأجانب بين اللاتين تصل إلى ٢٠٪ بسبب الأعداد التي كانت تصل من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا لأسباب دينية.

(١٦) عارف العارف، ص ٦٠، ٦٨، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٤٨، ١٥٠، ١٧١، ١٧٢، رفيق فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس ١٨٤١-١٩٩١م، القدس، ١٩٩٥، ص ٩٨، ١٥، ١١٥، ١٨٢. وانظر رؤوف أبو جابر، ص ٦٥-٧٢م.

(١٧) رؤوف أبو جابر، ص ٥٢.

خامساً: على الرغم من استمرار الحملات التبشيرية بين أوساط الأرثوذكس العرب لفترات طويلة، إلا أن اليونان لم يتخذوا أي إجراء لمقاومة هذه الحملات بسبب الخلافات الداخلية في الطائفة، الأمر الذي استدعى تدخل الروس لدعم الطائفة الأرثوذكسية وتوفير المدارس لأبنائها في كل بلاد الشام.^(١٨)

أعداد المسيحيين في القدس

قُدِّر عدد سكان القدس عام ١٨٤٠م، ما مجموعه ١١٠٠٠ نسمة، منهم ٤٦٥٠ من المسلمين، و٣٣٥٠ مسيحيين، و٣٠٠٠ يهود^(١٩). وشكلت الطائفة الأرثوذكسية بالنسبة إلى المسيحيين أكبر الطوائف المسيحية عدداً، وعلى الرغم من إصدار السلطان العثماني فرماناً بناءً على طلب البطاركة الأرثوذكس في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس، يمنع فيه الكاثوليك من التبشير بين صفوف الأرثوذكس في الدولة العثمانية، إلا أن التحول استمر في طريقه، خصوصاً بواسطة الطوائف الشرقية الكاثوليكية، بحيث إن أعداد الكاثوليك قد تزايد بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر على حساب الأرثوذكس، عن طريق توفير المدارس لأبناء الأرثوذكس، والتساهل في بعض النواحي كزواج الأقارب الذي كان يرفضه الأرثوذكس، وتقديم المساعدات للعائلات الفقيرة والخدمات الصحية، هذا عدا عن الاختلاف الكبير بين العرب الأرثوذكس واليونان، والفساد المالي في البطريركية الأرثوذكسية، مما شجع أبناء الطائفة على الانتقال إلى الطوائف الأخرى، وقد ارتفع عددهم في متصرفية القدس من ٣٠٠٠ نسمة عام ١٨٤٠م، إلى ١٣ ألف نسمة عام ١٨٨٠م^(٢٠).

كانت فلسطين تتكون إدارياً في العهد العثماني من لوائي عكا ونابلس اللذين يتبعان ولاية بيروت، ومتصرفية القدس التي تتبع العاصمة الآستانة، وتضم الخليل وبيت لحم وبئر السبع وغزة وبيافا، وكانت أعداد الأرثوذكس تتفاوت في فلسطين من لواء إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى، إلا أنهم تمركزوا في متصرفية القدس ولواء عكا^(٢١)، وبلغ عدد

(١٨) ن، م ص ١٢٨-١٢٩.

(١٩) رؤوف أبو جابر، ص ٤٠.

(٢٠) ن. م. ص ٤٢.

(٢١) جورج طريف وزهير غنايم، القضية الوطنية الأرثوذكسية ١٩١١-١٩٤٨م، عمان ٢٠٠٥م. ص ٢٩.

الأرثوذكس في متصرفية القدس خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على النحو الآتي: (٢٢)

العدد	السنة	التسلسل
١٥٨٨٥	عام ١٨٨٤-١٨٨٥	١
١٦٧٠٢	عام ١٨٨٦-١٨٩٢	٢
٢٥٨٨٦	عام ١٨٩٣-١٨٩٤	٣
٢٦٠٣	عام ١٩١١-١٩١٢	٤

الملاحظ في هذه المرحلة تزايد أعداد الأرثوذكس زيادة طبيعية، إلا أن أعدادهم تراجعت عام ١٩٢٢م حيث وصل عددهم إلى ٢٢٦٩٦ نسمة من أصل ٤٢٦٨٥ شخصًا، إثر التحول من الأرثوذكس إلى الطوائف الأخرى، وأصبحوا يشكلون ما نسبته ٤٥ بالمائة من المسيحيين، وه ٥٤ بالمائة من سكان فلسطين البالغ عددهم في تلك الفترة ٧٥٧١٨٢ نسمة^(٢٣).

وفي جميع الأحوال، لم يزد عدد الأرثوذكس في منطقة القدس عن ثلاثين ألف نسمة^(٢٤). وقد أورد هندريكوس باكوبوس إحصائية، بين فيها أن أعداد المسيحيين في مدينة القدس وحدها قد ارتفع من ٦٠٠٠ نسمة عام ١٨٨٠م إلى ١٤٧٠٠ نسمة عام ١٩٢٢م، بينما ارتفع عدد اليهود خلال الفترة ذاتها من ١٧٠٠٠ عام ١٨٨٠م إلى ٤٥٠٠٠ عام ١٩٢٢م أما أعداد المسلمين فقد ارتفعت من ٨٠٠٠ نسمة عام ١٨٨٠ إلى ١٣٥٠٠ شخص عام ١٩٢٢م^(٢٥). وقد أورد عارف العارف أرقامًا لأعداد سكان القدس حسب إحصائية عام ١٩٢٢م، لا تختلف كثيرًا عما أشرنا إليه عند هندريكوس كالآتي:

(٢٢) هذه المعلومات مستمدة من *Justin Mc Carthy, population of Palestine, new yourk, p49-51-55* اعتماداً على الإحصاءات العثمانية وانظر زهير غنايم، لواء عكا ١٨٦٤-١٩١٨م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٩٩م، ص ١٠٣-١٢٨.

(٢٣) صحيفة فلسطين، العدد ١٨٤٢، ٧ تشرين الأول لسنة ١٩٣١م، ص ٦.

(٢٤) كلداني، ص ٢٥.

(٢٥) هندريكوس باكوبوس فرانكن وآخرون، القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص ٢٧٨. رؤوف أبوجابر، ص ٩٧-٩٨.

التسلسل	الديانة	العدد
١	مسلمون	١٣٤١٣
٢	مسيحيون	١٤٦٩٩
٣	يهود	٣٣٩٧١ نسمة

أما في عام ١٩٤٥ م فقد كان توزيعهم في القدس على النحو الآتي: (٢٦)

التسلسل	الديانة	العدد
١	مسلمون	٣٠٦٣٠
٢	مسيحيون	٢٩٣٥٠
٣	يهود	٩٧٠٠٠ نسمة

نلاحظ بوضوح ازدياد عدد اليهود نتيجة الظروف التي هيأها الانتداب البريطاني لنقل الأراضي إلى اليهود، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكانوا يتمركزون في القدس الغربية.

وكان المسيحيون موزعين حسب مذاهبهم على النحو الآتي:

أولاً: المسيحيون الشرقيون وكانوا موزعين كالتالي:

التسلسل	الطائفة	العدد
١	أرثوذكس	٨٠٠٠
٢	سريان يعاقبه	٧٠٠
٣	أرمن جورجيون	٣٠٠٠
٤	أقباط	١٠٠
٥	أحباش	١٠٠
٦	أنجليكان	٣٠٠٠
٧	المسيحيون	١٠٠
٨	لوثيريون	٢٠٠
٩	هيكليون	٢٠٠٠
١٠	سبتيون	٥٠٠
١١	أصدقاء	٥٠٠
	المجموع	١٨٢٠٠

(٢٦) عارف العارف، ص ٤٣٠.

ثانياً: المسيحيون الغربيون وكانوا موزعين كآآي: (٢٧)

التسلسل	الطائفة	العدد
١	لاتين	٥٩٨٥
٢	روم كاثوليك	٢٧٢
٣	أرمن كاثوليك	٣٠٠
٤	سريان كاثوليك	١٢٠
٥	كلدان كاثوليك	٥٠
	المجموع	٦٧٢٧

وهذا يعني أن مجموع أعداد المسيحيين في القدس حسب الإحصائية المشار إليها ٩٢٧, ٢٤ شخصاً.

وهناك إشارات إلى أن أعداد المسيحيين في القدس عام ١٩٤٤م كان أكثر من هذا العدد بعشرة آلاف نسمة تقريباً كما يقول المطران سليم الصايغ مطران طائفة اللاتين في الأردن، أي ما يقارب الـ ٣٥ ألف نسمة. (٢٨)

أما الدكتور برنارد سابيلا فيرى أن عدد المسيحيين في القدس في الفترة ذاتها كان ٢٩, ٣٥٠ نسمة وأصبحوا ٩٨٢, ١٠ نسمة عام ١٩٦١م، واستمروا كذلك حتى عام ١٩٦٧م، ويرى سابيلا أيضاً أنه لو افترضنا أن نسبة النمو السكاني في القدس كان ٢, ٢ بالمائة فإن عدد المسيحيين يجب أن يصل إلى ٢٢٠٠٠ ألفاً عام ٢٠٠٢م، إلا أن أعدادهم عام ٢٠٠٢م، لم تزيد عن ١١٠٠٠ نسمة، أي ثلث ما كان عليه عددهم عام ١٩٤٥م، فلا غرابة أن يكون عدد المقدسيين المسيحيين في سدني بأستراليا أكبر منه في مدينة القدس. (٢٩)

(٢٧) رؤوف أبو جابر، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢٨) سليم الصايغ، المقدسات المسيحية في فلسطين: المخاطر والحوار البناء. www.isesco.org.ma.arab.publications.mokad,p7. يُشار إليه الصايغ، المقدسات.

(٢٩) برنارد سابيلا، هجرة المسيحيين العرب: العوامل الدافعة وتحديات البقاء، ورقة عمل قدمت إلى مؤتمر العرب المسيحيين ٢٠٠٢/٣/١١م.

أسباب ومخاطر الهجرة المسيحية من القدس

منذ إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨م تعرض المسيحيون على مر أكثر من ستة عقود لما تعرض له إخوانهم من المسلمين في فلسطين من الظلم والتشريد والدمار ومصادرة الاراضي والممتلكات، فهاجر منهم الكثيرون إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ومشارك الأرض ومغاربها، حيث أصبح الوجود المسيحي في القدس ضعيفاً جداً ومهدداً.

وفي عام ١٩٤٨م كان تعداد المسيحيين في القدس يقارب تعداد سكانها من المسلمين، أي نحو ٥٠٪ من السكان، ثم تضائل هذا العدد نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية والممارسات الإسرائيلية التعسفية ضد المدنيين داخل المدينة المقدسة، كهدم البيوت، ومصادرة الاراضي والممتلكات، وإقامة المستوطنات، إضافة إلى عمليات التهجير القسري التي أعقبت حرب عام ١٩٤٨م وحرب عام ١٩٦٧م وحرب تشرين عام ١٩٧٣م وحروب لبنان، حتى أصبحت نسبة عدد السكان المسيحيين في القدس ١٠٪ من مجموع السكان، واستمرت الأعداد في التراجع حتى وصلت النسبة إلى ٣ أو ٤٪ من سكان المدينة.

وقد حذر خبير الديمغرافيا الدكتور برنارد سابيلا في حديث نشرته وكالة الأنباء الفلسطينية في السابع من نيسان عام ٢٠١٠م نقلاً عن الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس، من ظاهرة الهجرة التي لوحظت في صفوف المسيحيين المقدسيين الذين يقطنون في غالب الأحيان في البلدة القديمة من القدس المحتلة.

وقال: إن عدد المقدسيين الذين يتركون المدينة المقدسة سنوياً ما بين ٥٠ إلى ٧٠ شخصاً، أي ما يعادل عشر عائلات في المتوسط، مشيراً إلى أن عدد المسيحيين الذين يتركون الأرض الفلسطينية يبلغ عددهم من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخص سنوياً.

وأوضح أن ظاهرة الهجرة هذه ناتجة عن ممارسات سلطات الاحتلال التي فرّغت مدينة القدس من مؤسساتها الدولية والمقدسية، ما أدى إلى وجود فراغ وظيفي، إضافة إلى فراغ الاستقرار النفسي والاجتماعي. وأكد د. سابيلا أن المقدسي المتعلم في كثير من الأحيان، يضطر للعمل في مدينة رام الله، حيث نقلت المؤسسات هناك بعد أن كانت

في القدس، نتيجة لممارسات إسرائيل، ومحاولة تكريس أن القدس هي عاصمة إسرائيل الأبدية. وحذر سايبلا من قضية تهجير الأدمغة الفلسطينية المقدسية من خلال هذه الممارسات، داعياً الجهات الفلسطينية المعنية برسم سياسة ممنهجة للرد على هذه الممارسات. وأوضح أن عدد السكان داخل البلدة القديمة ٣٧٠٧٥ شخصاً حسب الكتاب الإحصائي للقدس عام ٢٠٠٨م، موزعين على النحو الآتي:

• العرب: ٣٣١٨١.

• اليهود: ٣٨٩٤.

وبحسب الأحياء موزعين على النحو الآتي:

- الحي الإسلامي ٢٦٦٤٦.

- الحي المسيحي ٥٤١٩.

- الحي الأرمني ٢٤٦٤. ويضم هذا الرقم اليهود الذين يسكنون هذا الحي ١٣٤٨؛ إذ إن الحي الأرمني لا يتجاوز ١١٠٠ شخص.

- الحي اليهودي ٢٥٤٦ شخصاً.

أما القدس الشرقية في حدود البلدية، فقد أشار الدكتور سايبلا إلى أن سكانها الذين فرضت عليهم إسرائيل عنوة البقاء خارج الجدار، بلغ عددهم أكثر من ٥٥ ألف نسمة، ومع سياسة إسرائيل التي تعتبر المقدسي مقيماً في إطار فرض سياسة الأمر الواقع على هؤلاء من حملة الهوية المقدسية (الزرقاء) الذين سيخسرون الحقوق الأساسية للمواطنة إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه.^(٣٠)

أما الدكتور حنا عيسى، الوكيل المساعد للشؤون المسيحية في وزارة الأوقاف الفلسطينية، فبيّن أنّ هجرة المسيحيين من الأراضي الفلسطينية وبخاصة من مدينة القدس في الآونة الأخيرة، أصبحت ظاهرة مقلقة، ولا سيما عندما تتحدث آخر

(30) <http://www.elquds.org>, 7/4/2010.

المؤشرات والأرقام الدقيقة عن أن ٦٠٠ مسيحي من القدس والضفة وغزة يهاجرون من البلاد سنوياً للإقامة الدائمة في دول أميركا وأوروبا والخليج العربي، مشيراً إلى أنه كان عدد المسيحيين الفلسطينيين قبل العام ١٩٤٨م أكثر من الآن، وهذا بسبب استمرار هجرتهم، وأن هجرة المسيحيين لم تقتصر على الفلسطينيين؛ بل على المقيمين في منطقة الشرق الأوسط من المسيحيين منذ منتصف القرن الماضي وحتى يومنا هذا. لكن الهجرة من فلسطين هي بنسب أعلى وبصورة مستمرة ومتواصلة، وأبرز أهداف الهجرة تكون لأسباب اقتصادية، ولا سيما أنّ المسيحيين في معظمهم يفضلون العيش في المدينة على القرى، ولا يجذبون العمل في الزراعة، ولذا تجدهم يهاجرون من البلاد في حال عدم توافر فرص العمل في المجال التعليمي والمهن الأخرى، مشدداً على أن استمرار الهجرة هذه تشكل خطورة على الترابط الاجتماعي، وعلى ثقافة المسيحيين، وعلى وجودهم بشكل عام في فلسطين.

وقدر عيسى عدد المسيحيين في القدس الآن بـ ١٠ آلاف بينما كان في الماضي أكثر من ٥٠ ألفاً، مؤكداً أن فلسطين أرض المسيح، وهذا يؤثر على انتمائهم الوطني والديني واللغة والعادات والتقاليد عندما يتركون وطنهم ويهاجرون، كما أن وجودهم في فلسطين هو لتعزيز الوجود المسيحي الفلسطيني الشرقي، وهجرتهم تساهم في ترسيخ الوجود المسيحي الغربي، والذين هم ليسوا فلسطينيين بل يونانيون ولغتهم ليست عربية. وفي الفترة بين سنتي ١٩٦٧ - ١٩٩٣م، غادر الضفة الغربية وقطاع غزة نحو ١٣٠٠٠ مهاجر مسيحي منهم ٨٠٠٠ في الضفة الغربية و ٥٠٠٠ في قطاع غزة^(٣١).

وكي نعرف أعداد المهاجرين المسيحيين من مدن الضفة الغربية، لا بد من الإشارة إلى أن عدد المغتربين من منطقة بيت لحم يصل إلى نحو ١٠٠,٠٠٠ مسيحي، بينما عدد المغتربين في بيت جالا في تشيلي يصل إلى ٢٥٠٠٠ مسيحي، ونحو ٢٠٠٠-٢٠٠٠٠ مسيحي غادروها في السنوات ١٩٦٧-١٩٧٠م.

(31) <http://www.ling.org>, a 13/4/2010.

وفي جميع الأحوال، فإن عدد المسيحيين العرب لا يتجاوز الآن في القدس ١١ ألف نسمة ويشكلون ١,٧٪ من عدد السكان الفلسطينيين القاطنين في المدينة. بينما كان عددهم عام ١٩٤٤م ٢٩٣٥٠ نسمة. وفي عظة ألقاها المطران عطا الله حنا، مطران سبسطية للروم الأرثوذكس في كنيسة القيامة في القدس القديمة بتاريخ ٦/٩/٢٠٠٩م ونشرتها صحيفة الأيام الفلسطينية بتاريخ ٧/٩/٢٠٠٩م، أشار إلى أن عدد مسيحيي القدس في تناقص، ولا يزيد في هذه المرحلة عن ٨ آلاف نسمة.^(٢٢)

ولا بد هنا من الإشارة إلى مقال للأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود نشرته جريدة النهار اللبنانية في الثلاثين من شهر كانون الثاني لسنة ٢٠٠٢م تحت عنوان «بقاء المسيحيين العرب» يقول: «لقد شكل العرب المسيحيون إحدى ركائز البناء العربي القديم والحديث على السواء، ففي فجر الاسلام كانوا ركنًا ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا من الدولة العربية التي توسعت شرقًا حتى بلاد الهند، وغربًا حتى إسبانيا، وكانوا أحد عناصر القوة الدافعة التي حملت الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية وبلاد الشام، والتي شكلت أحد العناصر الحاسمة في توسع هذه الدولة ونموها وسيادتها على معظم العالم القديم. وفي عصر النهضة الممتد طول القرنين التاسع عشر والعشرين لم يغب العرب المسيحيون عن دورهم في إعادة إحياء معالم العروبة ومضمونها الحضاري الجامع والمنفتح على الحضارات الأخرى الناهضة في مرحلة التراجع العربي، وشكلوا حلقة وصل واتصال وعمقًا ثقافيًا أصيلاً في العروبة، ومتقدمًا في العصرنة والحدثة. لقد كانوا ولا يزالون بفضل ثقافتهم المتنوعة المناهل، يخلقون تحديًا مستمرًا في الثقافة والفكر، وهجرتهم تلغي هذا المعنى باعتباره تنوعًا يغني النسيج الاجتماعي العربي والدولة العربية العصرية».^(٢٣)

(٢٢) القدس - المطلوب لقاء إسلامي مسيحي www.islam.online.net. وانظر سليم الصايغ، المقدسات ص ٧. انظر بشأن عظة المطران عطا الله حنا صحيفة الأيام الفلسطينية، تاريخ

٧/٩/٢٠٠٩م، وموقع الأيام على الإنترنت www.al-ayyampsznews

(٢٣) انظر: جريدة النهار اللبنانية، ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

لقد أدى مسيحيو القدس دورًا بارزًا على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويكفي أن نشير هنا إلى أن كتب خليل السكاكيني المسيحي الأرثوذكسي المقدسي، كانت أفضل الكتب لتعليم أبناء القدس وفلسطين اللغة العربية في القرن العشرين، ومن العائلات المسيحية في القدس: كتانة، زنايري، قطان، نعيم، سابا، العيسى، عطالله، واشتكلف، أنطونياوس، المازة، حداد، ناصر، خميس، ألبينا، شاغورية، درديان وقلبيان (أرمن)، حمارنة وكرادشة وصوالحة (أصولهم من مادبا) صويص وأصلهم من الفحيص، طنوس وسعيد وصلاح وسلامة وحمصي وحلي ونعمان ولورنزو ومرقص ومنصور ومارتو (سريان)، محشي، سنونو، ديب، طليل، دحبور، حلاق، ميو، منه، فارس، شاكرا، نصار، سحار، سترغاليس، منصور، فريج، حبش، داود، بواب، حنانيا، مروم، مجج، عبده، الغوري، الخوري، القدسي، الكرشة، اليوسف، قسيسية، الجوزي، كتن، شبر، سكاكيني، البرامكي، ثيودوري (*).

ويمكن حصر أسباب هجرة المسيحيين من القدس في النقاط الآتية:

أولاً: استمرار الاحتلال الإسرائيلي للقدس والضفة الغربية، حيث يعاني مسيحيو القدس ما يعاني منه مسلمو القدس وفلسطين، فهم لا يستطيعون بناء البيوت الجديدة، ولا ترميم بيوتهم القديمة، ويعيشون مقطوعين عن أهلهم وذويهم في بقية فلسطين، يخضعون للممارسات الإسرائيلية وقوانين الاحتلال التعسفية وضرائبه الظالمة التي تدفعهم إلى خارج أسوار المدينة، بينما يعيشون في بقية أنحاء فلسطين في سجن كبير اسمه «الجدار الأمني» هذا من جهة، ومن جهة أخرى شرعت إسرائيل في اتباع سياسة جديدة تستهدف إبعاد الفلسطينيين القادمين من قطاع غزة للإقامة في الضفة الغربية والقدس، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأشخاص الذين يقيمون في مدينة القدس، وهم من الضفة الغربية أو يحملون هوية فلسطينية ومتزوجون من مدينة القدس. هذا عدا حملة

(*) تم تجميع هذه الأسماء من مقالات نشرتها صحيفتا فلسطين ومرآة الشرق، خلال الفترة من عام ١٩١١ و عام ١٩٤٨، تتعلق بالقضية الوطنية الفلسطينية، وقد صدرت المقالات في كتاب القضية الوطنية الأرثوذكسية في فلسطين والأردن خلال الفترة ١٩١١م-١٩٤٨م، تأليف جورج طريف الداود وزهير غنايم، وانظر أيضاً رؤوف أبو جابر، ص ١٣١.

إسرائيل الإعلامية والسياسية التي تقودها حكومة اليمين الإسرائيلي المتطرف، التي تتمركز على اعتبار القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل وإصدار القوانين والأنظمة التي تخدم أهدافها كقانون المواطنة ويهودية الدولة.

ثانياً: الاستيطان اليهودي في القدس: حيث تعمل إسرائيل على عزل المدينة المقدسة بحزام من المستوطنات تفصلها عن باقي مناطق الضفة الغربية، ويسكن داخل أسوار القدس حوالي ثلاثة وثلاثين ألف فلسطيني، في حين يبلغ مجموع الفلسطينيين الذين يسكنون داخل حدود البلدية حسب التقسيمات الإدارية للمحتلين حوالي ربع مليون نسمة، يقابلهم حوالي مائتي ألف مستوطن استولوا على ٢٥٪ من مساحة المدينة، وأقاموا مستوطناتهم عليها، ويصل عدد البناء الاستيطاني في القدس الشرقية حتى بداية العام ٢٠٠٤م إلى ٥٢ ألف وحدة سكنية، في حين كان صفرًا عام ١٩٦٧م. ويبلغ عدد البناء العربي ثلاثين ألف وحدة سكنية على ١٤٪ من مساحة المدينة، كانت منها اثنتا عشر ألف وحدة سكنية قائمة قبل وقوع المدينة تحت الاحتلال، وتعمل السياسة الإسرائيلية على عدم السماح للبناء العربي، في حين يزداد البناء الاستيطاني يوميًا، كما تعمل إسرائيل على تفرغ المدينة من سكانها العرب الفلسطينيين بشتى الطرق ومختلف الأساليب.^(٣٤)

وأوضحت دراسة حول مدينة القدس المحتلة بعنوان «مدينة القدس: دراسة في الصراع الإقليمي ومقترحات التسوية»، أعدها الدكتور جهاد أبو طويلة، ونشرت في الخامس من شهر كانون الثاني ٢٠١١م على موقع الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس، أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي صادرت ٨٦٪ من مساحة شرقي القدس المحتلة، وأكدت أن واقع الاستيطان في القدس وما وصل إليه لا يمكن تجاهله، وأن مستقبل القدس السياسي بات محكومًا بنتائج الاستيطان، ومصادرة الأراضي وهدم جدار الفصل العنصري.

ثالثاً: غياب الاستقرار السياسي والأمني والاجتماعي الناجم عن ظروف الاحتلال.

رابعاً: السعي إلى تحسين الظروف الاقتصادية، وقد هاجر أهل القدس في البداية إلى المدن المجاورة وبالذات إلى مناطق يافا وحيفا وعكا وغزة.

خامساً: عدم توفر التعليم العالي في الأراضي الفلسطينية.

(٣٤) إيمان مصاروة، الاستيطان في القدس القديمة، القدس ٢٠٠٦م. <http://www.minshawi.com>

إن استمرار الهجرة المسيحية من القدس يشكل خطرًا كبيرًا على المدينة المقدسة، وإن خير مَنْ وَجَّهَ الأنظار إليها قداسة البابا بولس السادس في رسالة الفصح عام ١٩٧٤م، عندما قال متحدًا عن مسيحيي القدس: «هؤلاء الإخوة والأخوات الذين يعيشون حيث عاش المسيح، والذين ما زالوا حول الأماكن المقدسة هم خلفاء الكنيسة الأولى، إنهم أصل كل الكنائس وإذا زال الوجود المسيحي في القدس، فإن حرارة الشهادة الحية في الأرض المقدسة ستنتطفئ، والأماكن المقدسة في القدس وفلسطين ستصبح متاحف».^(٣٥)

وفي البيان الختامي الصادر عن (مسلمون ومسيحيون: معًا من أجل القدس)، الذي عقد في بيروت في حزيران عام ١٩٩٦م بحضور مائة وعشرين مرجعية دينية إسلامية ومسيحية وفكرية، ذكر البيان أن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس ما كانت لتقع لولا الدعم والمساندة والتغطية التي توفرها دول وقوى عالمية كبرى، وطالب البيان الكنائس وهيئات العالم الإسلامي ومنظماته بأن يكون تحرير القدس شغلها الشاغل، وتصرف له كل جهد ودعم في كل مجال إلى أن يزهق الباطل وينتصر الحق.^(٣٦) ويمكن ان يتحقق ذلك من خلال:

أولاً: أن يعتبر المسيحيون العرب أن قضية القدس تعني أكثر من الرمز والآثار، فهي تجسد الارتباط الروحي المحفور في التاريخ لحضورهم الإنساني والإيماني في المنطقة العربية، وهي تمثل نقطة انطلاق كرازتهم وشهادتهم بإيمانهم وتميزهم بتراثهم المسيحي الشرقي، مسيحيون عرب، ومسيحية عربية، وكنيسة عربية كنيسة المسيح بما فيها من إيمان.

ثانياً: أن يعتبر المسلمون أن قضية القدس هي دينية للمسلمين ودينية للمسيحيين

(٣٥) صالح حمارنة، دور الأوقاف في صمود القدس وموقف البطريركية الأرثوذكسية، منشور في كتاب أبحاث الندوة التاسعة ليوم القدس ١٠-١٢ تشرين الأول ١٩٩٨م، عمّان، ص ١٥١.

(٣٦) إسلام أون لاين نت. www.islamonline

أيضاً وقومية تجمع الطرفين تحت عباؤها، يجد كل طرف مصيره فيها، تغذيه دوافعه الإيمانية والعقائدية بحيث يكون هناك قرار مسيحي إسلامي مصيري بالالتقاء على عروبة القدس للحفاظ عليها في وجه المخططات التهودية.

وقد حذرت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، من دخول القدس المحتلة في مرحلة الخطر الشديد مع تصاعد في الهجمة «الإسرائيلية» على المدينة، الذي تعزز مؤخراً بتشكيل لوبي صهيوني داخل «الكنيست» وداخل الحكومة الإسرائيلية يضم غالبية الأحزاب بهدف استمرار دعم تهويد المدينة.

وفي السياق ذاته حمل «التجمع الفلسطيني المسيحي في القدس» الاحتلال مسؤولية هجرة الفلسطينيين المسيحيين من المدينة. وقال ديمتري دلياني رئيس التجمع خلال ورشة عمل لهذا الغرض عقدت في المدينة «إن الاحتلال وممارساته هي السبب الرئيسي والمباشر للهجرة والتهجير التي تستهدف الشعب الفلسطيني بشكل عام وبالتالي المسيحيين وكنائسهم ومؤسساتهم الدينية». وأضاف دلياني أن «القدس تمثل نموذجاً دقيقاً لتحليل أسباب الهجرة المسيحية، حيث إن غالبية مسيحيي القدس كانوا يقطنون في أجزاء القدس التي احتلت عام ١٩٤٨م، وهو حال المسيحيين الفلسطينيين الذين عاش معظمهم في أراضي فلسطين المحتلة في نفس العام». وتابع: «ما نراه اليوم من ممارسات تهويد في القدس، التي تحمل معاني سياسية تخدم الهدف نفسه في وضع حد للوجود الفلسطيني، بما فيه المسيحي، في الأراضي المقدسة بشكل عام وفي القدس المحتلة بشكل خاص».^(٢٧)

أخيراً، أود التأكيد بأن رسالة الأماكن المقدسة (رسالة البشارة والمهد والقيامة والتجلي) تصبح في غياب عربي مسيحي حي، رسالة لا معنى لها ذلك لأن ارتباط الشعب المؤمن بالأماكن المقدسة يكسب حجارتها معناها المميز، وعليه فإن كنيسة

(37) 7/2/2010, <http://www.rmshinar.com>.

الحجر تفقد معناها وقيمتها ورسالتها وحتى هويتها إن هاجرت كنيسة البشر. إن كل ذلك يذكر بالخطر الأكيد نتيجة الازدياد المتنامي لليهود في القدس بشكل خاص، وفي فلسطين بشكل عام، الأمر الذي يتطلب وقفة عربية وإسلامية واحدة وفاعلة وقادرة على تحريك المجتمع الدولي للضغط على إسرائيل لوقف ممارساتها التعسفية في الأراضي الفلسطينية، ووقف الاستيطان، ومنح الفلسطينيين حقوقهم المشروعة على التراب الوطني الفلسطيني وإقامة دولتهم المستقلة على حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧م، وعاصمتها القدس الشرقية.

مدينة القدس القديمة وأسوارها في لجنة اليونسكو للتراث العالمي

دة. ريتا عوض*

مدخل

يشكل موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها» حالة فريدة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي، والتي تضمّ المواقع الثقافية والطبيعية في العالم، ذات القيمة العالمية الإستثنائية. وتتألف هذه القائمة اليوم من تسعمائة وواحد وثمانين موقعاً ثقافياً وطبيعياً، تقع في مائة وستين دولة عضواً في اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، التي أقرها مؤتمر عام اليونسكو في تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٧٢م^(١). ففي عام ١٩٨١م سجلت لجنة التراث العالمي^(٢) موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها» في قائمة التراث العالمي، وفي عام ١٩٨٢م سُجّل الموقع في قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر. وعبر ثلاثة عقود من الزمن، حدثت تغييرات عديدة في شؤون السياسة الشرق أوسطية، وفي خطاب اليونسكو حول القدس، في لجنة التراث العالمي وبخاصة بعد انضمام إسرائيل عام ١٩٩٩م إلى الاتفاقية، حيث أصبحت عضواً في اللجنة لأربع سنوات ابتداء من عام ٢٠٠٦م. غير أن العوامل الرئيسية التي تساهم في جعل القدس حالة استثنائية لها خصوصيتها في لجنة التراث العالمي لم تتغير؛ فالمدينة ما زالت تحت الاحتلال،

※ خبيرة في شؤون الثقافة والفنون والتراث والعلاقات الثقافية/فلسطين - تونس.

(١) دخلت حيز التنفيذ في ١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥م، انضمت ثماني دول عربية إلى الاتفاقية قبل دخولها حيز التنفيذ هي حسب تواريخ الانضمام: مصر (١٩٧٤/٢/٧م)، العراق (١٩٧٤/٣/٥م)، السودان (١٩٧٤/٦/٦م)، الجزائر (١٩٧٤/٦/٢٤م)، تونس (١٩٧٥/٣/١٢م)، الأردن (١٩٧٥/٥/٥م)، سورية (١٩٧٥/٥/١٣م)، المغرب (١٩٧٥/١٠/٢٨م).

(٢) تتألف اللجنة من ممثلين لواحدة وعشرين دولة طرفاً في اتفاقية اليونسكو لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي (١٩٧٢م) تشكل بالانتخاب من قبل الدول الأطراف في الاتفاقية.

وإسرائيل ما تزال تتماذى في تحدّي اللجنة الدولية، وتتجاهل قراراتها بشأن القدس، وتواصل تغيير الهوية الثقافية للمدينة المقدسة، وتستمرّ بشكل متسارع ومكثّف في القيام بالحفريات الأثرية في المدينة المحتلة^(٢) بهدف صياغة ما يدعوه عدد من الأثريين الإسرائيليين أنفسهم: بـ «رواية مشوّهة للتاريخ تدمج الأسطورة والخرافة بالحقائق الأثرية»^(٤)، وما تزال تتمتع في اجتماعات اللجنة، بدعم الولايات المتحدة الأميركية وعدد من حلفائها.

تسجيل «مدينة القدس القديمة وأسوارها» في قائمة التراث العالمي

بدأ حضور القدس في لجنة التراث العالمي عام ١٩٨٠م في الدورة الرابعة لاجتماع اللجنة حين قدّم الأردن^(٥) ترشيح «مدينة القدس القديمة وأسوارها» للتسجيل في قائمة التراث العالمي. وقررت اللجنة اتخاذ الإجراءات اللازمة لدراسة هذا المقترح، لما يمثله الموقع من قيم عالمية ذات أهمية فريدة من النواحي الدينية والتاريخية والمعمارية

(٢) في إعلان مصوّر في عام ٢٠١٠م، ذكر المدير التنفيذي لهيئة الآثار الإسرائيلية أن اتساع الحفريات في مدينة القدس القديمة في السنوات الخمس والست الأخيرة لم يسبق له مثيل وقال: «نحن نجري حفريات (في المدينة القديمة) كما لم يحضر أحد طوال مائة وخمسين عاماً». الهلالان في الأصل. Yonathan Mizrahi, "We are digging (in the Old City) as no one has dug for 150 years".. Between Holiness and Propaganda; Archaeology and Political Claims over the Old City of Jerusalem, p. 4. December 2011. In www.alt-arch.org.

(4) "a distorted version of history – merging myth and legend with archaeological fact". H. Watzman, "Deep Divisions," Nature 447, (3 May 2007), pp. 22-24, cited from Mick Dumper and Craig Larkin (2012), "The Politics of Heritage and the Limitations of International Agency in Divided Cities: The role of UNESCO in Jerusalem's Old City", p. 5. www.conflictincities.org.

وكتب رفايل غرينبرغ، أستاذ علم الآثار في جامعة تل أبيب تحت عنوان «علم آثار ضحل ووحشي»: «معظم الأبحاث الأثرية في القدس تجري مدفوعة بضغط من جماعات وأفراد ذوي مصالح سياسية بهدف «إثبات» حقوقنا التاريخية في المدينة أو إخلاء مساحة للبناء» وأنهى مقالته بقوله: «بعد ٤٠ سنة من السيطرة على المدينة، إننا نحفر كأنه لن يكون هناك غد».

"Most of the archaeological research in Jerusalem is being driven by pressures from politically interested groups and individuals with the aim of "proving" our historical rights in the city or clearing an area for construction" ... "After 40 years of controlling the city we are digging as if there were no tomorrow."

www.haaretz.com, October 8, 2009. Raphael Greenberg, "Shallow and Brutal Archaeology".

(٥) صادق الأردن على الاتفاقية بتاريخ ١٩٧٥/٥/٥م.

والفنية.^(٦) وعُرض ملف ترشيح القدس من ضمن ملفات المواقع العالمية المرشحة ذلك العام، على اجتماع مكتب اللجنة المنعقد بباريس ما بين (٤-٧/٥/١٩٨١م) وللإعداد للدورة الخامسة لاجتماعها، وكان من المقرر عقده بمدينة سيدني بأستراليا من ٢٦-٣٠/١٠/١٩٨١م. ولأن المكتب لم يصل إلى اتفاق عام بشأن تسجيل الموقع، نظرًا لما يشكّله تسجيل القدس لدى بعض أعضاء اللجنة من «مشكلات إجرائية وقانونية»^(٧)، قرّر عرضه على اللجنة، صاحبة القرار النهائي. غير أن سبعة عشر عضوًا من مجموع أعضاء اللجنة المكون من واحد وعشرين عضوًا^(٨) دعوا إلى عقد دورة استثنائية للجنة لدراسة بند أساسي واحد وضع على جدول أعمالها، هو الطلب الذي قدّمه الأردن لتسجيل القدس في قائمة التراث العالمي، وقد بيّن ممثل الأردن في اجتماع الدورة الاستثنائية^(٩)، أن سبب الدعوة يعود إلى تراجع عدد من أعضاء مكتب اللجنة عن

(6) <http://whc.unesco.org>, Committee Sessions, 04COM Paris, France (1980), p. 6.

سيكون مرجعنا الموقع الإلكتروني لمركز التراث العالمي باليونسكو المشار إلى عنوانه هنا، ما لم نورد خلاف ذلك.

(7) Ibid, 05BUR, Paris, France (1981), p. 11.

الدول الأعضاء في المكتب: أستراليا وبنما وتونس وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. يلاحظ أن اتفاقية التراث العالمي لا تتطرق إلى المواقع التراثية الواقعة تحت الاحتلال، في حين تنص المادة ١١ (١) على التالي: «ترفع كل دولة طرف في هذه الاتفاقية، إلى لجنة التراث العالمي، بقدر الإمكان، جردًا بممتلكات التراث الثقافي والطبيعي الواقعة في إقليمها...»، و (٢) «لا يدرج بند في قائمة التراث العالمي، إلا بموافقة الدولة المعنية، ولا يؤثر إدراج ملك واقف في أرض تكون السيادة أو الاختصاص عليها موضوع مطالبة عدة دول على حقوق الأطراف في المنازعة». (الترجمة الرسمية للاتفاقية إلى اللغة العربية). ويُشار إلى أن مصطلح «إقليم» المستخدم هنا هو في النص الأصلي باللغة الإنكليزية (territory)، وأن «بند» و«ملك» هما في النص باللغة الإنكليزية (property)، وهو ما يدل على عدم دقة النص العربي للاتفاقية.

whc.unesco.org, Convention Concerning the Protection of the World Cultural and Natural Heritage.

(٨) الدول الأعضاء في اللجنة: الأرجنتين وأستراليا والبرازيل وبلغاريا وقبرص والكنغو ومصر وفرنسا وألمانيا وغينيا والعراق وإيطاليا والأردن وليبيا ونيبال وباكستان وبنما والسنگال وسويسرا وتونس والولايات المتحدة الأمريكية. 01EXTCOM Paris, France (1981)

(٩) فاز الأردن بعضوية اللجنة في الجمعية العامة للدول الأعضاء في اتفاقية التراث العالمي التي عقدت ببلغراد ٧/١٠/١٩٨٠م، وبذلك أتيح لممثله المشاركة في مداولات اجتماع اللجنة التي تقتصر على الدول الأعضاء. General Assembly, O3GA Belgrade, Yugoslavia (1980)

القرار المتخذ بالإجماع في الدورة الرابعة للجنة، وتناول ما أسماه: «مسائل معقدة وغير ذات صلة، لا تدخل في نطاق اختصاص اللجنة ولا مكتبها»^(١٠). وأحاط رئيس اللجنة أعضائها علماً، بأن إسرائيل طلبت دعوة ممثل عنها للمشاركة في مداولات اللجنة، وطالب ممثل الولايات المتحدة الأميركية إعطاء الحق لإسرائيل بالتحدث بصفتها «الدولة المسؤولة عن إدارة مدينة القدس القديمة والمسيطرة عليها بحكم الأمر الواقع». غير أن رئيس اللجنة رأى أنه بالاستناد إلى قواعد عمل اللجنة، لا يمكن دعوة إسرائيل للمشاركة في الدورة لأنها ليست دولة طرفاً في الاتفاقية^(١١).

وبالرغم من المداولات المسهبة لم تصل اللجنة إلى توافق بشأن تسجيل الموقع، فتم اللجوء إلى التصويت، واتخذ قرار تسجيل «مدينة القدس القديمة وأسوارها» بأغلبية أصوات أعضاء اللجنة، في قائمة التراث العالمي، فيما اعترض أحد أعضاء اللجنة، وامتنع خمسة منهم عن التصويت^(١٢). ورغم مناشدة ممثل الأردن في اللجنة أعضائها تأييد الطلب الأردني «لأجل الإنسانية والتراث»، وتأكيده أن الأردن «لا يستخدم اللجنة ولا مداولاتها أداة لتحقيق مطالب سياسية»^(١٣)، ورغم تذكير نائب المدير العام لليونسكو بقرار مؤتمر عام المنظمة في دورة اجتماعاته الحادية والعشرين عام ١٩٨٠م بضرورة «التعجيل بإجراءات ضمّ مدينة القدس إلى قائمة التراث العالمي، والنظر في تسجيلها في قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر»^(١٤)، فإن ممثل الولايات المتحدة الأميركية الذي صوّت ضد تسجيل المدينة، وصف الطلب الأردني بأنه: «ترشيح غير مقبول»، ووصف قرار اللجنة بأنه: «خطوة كبيرة في الاتجاه الخاطئ» يؤدي حسب قوله، «إلى إدخال عنصر تسييس إلى لجنة التراث العالمي»، وقال: «إن وفد الولايات المتحدة

(10) 01EXTCOM, p. 3. يلاحظ أن الدورة العادية للجنة كانت ستعقد بعد شهر ونصف من هذا التاريخ، غير أن الدعوة لدورة استثنائية للجنة يشير إلى وجود ضغوط على الدول التي دعت لعقدتها لاتخاذ قرار بعدم تسجيل الموقع تصديقاً لما ذهب إليه ممثل الأردن.

(11) Ibid, p. 2.

(12) اعترضت الولايات المتحدة الأميركية وامتنعت عن التصويت كل من أستراليا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وسويسرا، لأسباب تتعلق بما سمي «الوضع القانوني» للقدس. تراجع كلمات ممثلي الدول في الملحق الرابع لتقرير الدورة، المرجع السابق.

(13) Ibid, p. 4.

(14) Ibid, p. 1. Resolution 21 C/4/14.

الأميركية بأسف لنتيجة هذه الدورة الاستثنائية، ويطلب أن يعبر تقرير الدورة عن نأيه التام عما انتهت إليه»^(١٥). وقد أضيفت «مدينة القدس القديمة وأسوارها»^(١٦) إلى القائمة العالمية على أنها موقع مرشح من الأردن وليس بوصفها موقعاً أردنياً^(١٧)، وأجمعت اللجنة على أن تسجيل الموقع لا يترتب عليه اعتراف بالسيادة على المدينة.

مسألة القدس المحتلة في اليونسكو

لم يكن تسجيل موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها» في قائمة التراث العالمي، أول عهد اليونسكو بمعالجة قضية القدس في إطار عمل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فمنذ عام ١٩٦٨م، وبعد عام واحد من احتلال إسرائيل للقدس الشرقية، أداّن مؤتمر عام اليونسكو في دورته الخامسة عشرة، ما تقوم به إسرائيل من حضريات أثرية في مدينة القدس القديمة، وأي محاولة لتغيير «ملامحها الثقافية والتاريخية، وتحديد المواقع الدينية المسيحية والإسلامية»^(١٨)، ووجه نداءً دولياً ملحاً إلى إسرائيل «للحفاظ بدقة» على التراث الثقافي للقدس، و«الامتناع عن القيام بأية حضريات أثرية»^(١٩). ومنذ ذلك التاريخ، تكاد لا تخلُ أي من اجتماعات المؤتمر العام لليونسكو أو مجلسها التنفيذي من معالجة مسألة القدس، وإصدار القرارات الداعية للحفاظ على التراث الثقافي للمدينة المقدسة. وحيث إن إسرائيل لم تبد أية نية للالتزام بتنفيذ تلك القرارات، فقد أداّن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة

(15) Ibid, Annex IV, p. 3.

(١٦) يلاحظ أن ترشيح الأردن للموقع الذي قدّم باللغة الإنكليزية وهي إحدى لفتي عمل لجنة التراث العالمي (إلى جانب الفرنسية) يسمي الموقع "Old City of Jerusalem (Al-Quds) and its Walls" كما يستدل من رسالة مندوب الأردن لدى اليونسكو الأستاذ طاهر المصري المؤرخة في ٩ / ٩ / ١٩٨١م، الموجهة إلى رئيس لجنة التراث العالمي. راجع: Ibid, Annex II. وقد أسقطت كلمة «القدس» من اسم الموقع باللغتين الإنكليزية والفرنسية عند تسجيل الموقع.

(١٧) هي الحالة الاستثنائية الوحيدة في قائمة التراث العالمي التي لا ينسب فيها الموقع إلى الدولة التي رشحته للتسجيل.

(18) <http://unesdoc.unesco.org>, 15GC, Paris, October 1968.

(19) Idem.

عشرة عام ١٩٧٤م إسرائيل «لموقفها المتناقض مع أهداف المنظمة المنصوص عليها في دستورها، والمتمثل في إصرارها على تغيير الملامح التاريخية لمدينة القدس، وعلى القيام بحفريات تمثل تهديدًا لمعالمها الأثرية، بعد احتلالها غير الشرعي لهذه المدينة»^(٢٠)، ودعا المؤتمر المدير العام إلى «الامتناع عن تقديم المساعدة لإسرائيل في مجالات التربية والعلم والثقافة إلى أن تلتزم بدقة بتنفيذ القرارات المذكورة»^(٢١). وقد ووجه قرار المؤتمر العام هذا باعتراض غربي عنيف، فجّدت الولايات المتحدة الأمريكية، دفع مساهماتها المالية في ميزانية اليونسكو لمدة عامين، وخفضت فرنسا وسويسرا من نسبة مساهماتهما الدورية في الميزانية^(٢٢).

أمام هذا الضغط الغربي بعامة، والأميركي بخاصة، وفي غياب موقف عربي قوي مواجه له، يحقق معادلة تضع الأمور في نصابها استنادًا إلى القانون الدولي، لم يجد مدير عام اليونسكو «أحمد مختار امبو» بدءًا من أن يعترف في تقريره حول القدس المقدم إلى الدورة التاسعة عشرة للمؤتمر العام للمنظمة بأنه: «بالرغم من المهمات التي قام بها إلى القدس الأستاذ [ريمون] لومير (Raymond Lemaire)، مبعوث المدير العام، والتي يمكن لها أن تمثل حضورًا متقطعًا ومحدودًا جدًا لليونسكو في القدس، فإن المدير العام مضطر إلى الاستنتاج أن تلك المهمات لم يكن لها تأثير حقيقي على الوضع، وأن المدير العام مضطر لملاحظة أنه بالرغم من كل ما بذل من جهد، لم يكن بمقدوره أن يوقف - بصورة خاصة - الحفريات الأثرية التي يتم إجراؤها في مدينة القدس القديمة»^(٢٣). وبحلول عام ١٩٨٠م، عندما قدّم الأردن ملف ترشيح القدس إلى مركز التراث العالمي للتسجيل في قائمة التراث العالمي، يمكن الاستدلال على طبيعة الوضع في القدس، ومحاولات اليونسكو للحفاظ على تراثها الثقافي، بتحليل ما ورد في خطاب امبو، في افتتاح «ندوة القدس» التي نظمها المؤتمر الإسلامي بمقر اليونسكو بباريس

(20) Ibid, 18GC, Resolution 3. 427, Paris, October 1974.

(21) Idem.

(22) Dumper, ft. nt 21.

(23) <http://unesdoc.unesco.org>, 19 GC, Nairobi, October-November 1976.

حيث قال: «لقد تغيّر موقع القدس» تغييراً عميقاً، ولا يمكننا أن نقول بيقين كيف سستم حمايتها في السنوات المقبلة»^(٢٤).

القدس في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر

في هذا الجو من عدم اليقين، يبدو أن الأردن كان يسعى وبدعم من الدول العربية الأطراف في اتفاقية التراث العالمي^(٢٥)، إلى تحقيق مشاركة دولية فاعلة في حماية التراث الثقافي بمدينة القدس القديمة، وذلك بتسجيلها إرثاً عالمياً في إطار اتفاقية دولية مُلزِمة، تتصّ ديباجتها، على أنه «يتعيّن على المجتمع الدولي، أمام اتساع واشتداد الأخطار الجديدة، الإسهام في حماية التراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالمية الاستثنائية، عن طريق بذل العون الجماعي»^(٢٦)، وتصف الاتفاقية بأنها: «أداة لإقامة نظام فعّال يوفّر حماية جماعية للتراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالمية الاستثنائية»^(٢٧). وقد خطا الأردن خطوة إضافية في الدورة السادسة للجنة التراث العالمي عام ١٩٨٢م، حين دعا ممثله في اللجنة إلى حماية موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها» بتسجيله في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر، وهو ما كان قد دعا إليه المؤتمر العام لليونسكو منذ عام ١٩٨٠م. وتم مجدداً اللجوء إلى التصويت في ضوء اختلاف آراء أعضاء اللجنة، وانتهى إلى تسجيل الموقع في قائمة الخطر^(٢٨)، وهو ما يحتمل اليونسكو والمجتمع الدولي - حسب بنود هذه الاتفاقية الدولية - مسؤولية اتخاذ إجراءات حازمة وعاجلة لحماية الموقع والتدخل الفوري والفعلي لحفظه وصونه. وعارض قرار تسجيل القدس في قائمة الخطر، ممثل الولايات المتحدة الأميركية في اللجنة، مبرراً اعتراضه حسب ما جاء في تقرير الدورة بأنه: «لا بد للممتلك أن يكون

(24) <http://unesdoc.unesco.org>, Amadou-Mahtar M'Bow, Symposium on Jerusalem, Paris, 1 December 1980.

(٢٥) الدول العربية الأطراف في الاتفاقية في ذلك الحين بالإضافة إلى الأردن هي التالية: الجزائر ومصر والعراق وليبيا وموريتانيا والمغرب وعمان والسعودية والسودان وسورية وتونس واليمن.

(26) <http://whc.unesco.org>, Convention text.

(27) Idem.

(٢٨) تم التسجيل بأغلبية أربعة عشر صوتاً وامتناع خمسة عن التصويت وصوت واحد رافض كما هو الحال في العام السابق. 06COM, Paris, France (1982), p. 11.

واقعا في أراضي الدولة المرشحة، وأن الأردن - في رأيه - لا يتمتع بما يخوّله تقديم هذا الترشيح، كما أنه لا بد من موافقة إسرائيل بما أنها فعليا تسيطر على القدس. وقال: «إن موقف حكومته يتمثل في أن الوضع النهائي للقدس يجب أن يتحدد من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية جميعاً»، واعتبر أن التحوّلات العمرانية التي حدثت في المدينة القديمة لا تشكل أخطاراً جسيمة محددة^(٢٩)، وهو شرط التسجيل في قائمة الخطر حسب بنود الاتفاقية.

القدس في «القائمة التمهيدية» الإسرائيلية للتراث العالمي

لم يحقق تسجيل القدس في قائمة التراث العالمي وفي قائمة الخطر، ما كان مفترضاً من عناية، ولم ينل تراثها الحماية المرجوة. بل لم يكن للقدس من حضور في اجتماعات لجنة التراث العالمي خلال ما تبقى من سنوات عقد الثمانينيات وطوال عقد التسعينيات، بالرغم من استمرار عضوية الأردن في اللجنة حتى عام ١٩٨٧م، وتمثيل دول عربية عدة في دورات اجتماعات اللجنة جميعها^(٣٠). فباستثناء ورود ملاحظة قصيرة في تقرير مقرّر الدورة السابعة للجنة عام ١٩٨٢م، تشير إلى أن مركز التراث العالمي باليونسكو بذل كل جهد ممكن للاستجابة لطلب التعاون الفني الذي قدمه الأردن وأقرته اللجنة في دورتها السابقة، والمقدر بمائة ألف دولار، وإلى تعذر إيفاد بعثات خبراء إلى القدس، وإلى أنه سيحتفظ بالميزانية حتى تتاح الظروف المناسبة لتنفيذ القرار^(٣١)، فإن القدس لم تعد إلى اللجنة إلا في دورة اجتماعاتها الرابعة والعشرين والتي عقدت بمدينة كرينز بأستراليا عام ٢٠٠٠م. وهو العام الذي اعتبر نقطة تحوّل أساسي في ملف القدس في لجنة التراث العالمي؛ ففي ٦/١٠/١٩٩٩م وقّعت إسرائيل على اتفاقية حماية

(29) Ibid, pp. 10-11.

تعدد المادة ١١ (٤) من الاتفاقية ما تدعوه بالأخطار الجسيمة التي تستدعي إدراج موقع ما في قائمة التراث الثقافي المعرض للخطر ومنها «النزاع المسلح أو التهديد به».

(30) <http://whc.unesco.org>, Committee sessions.

ظل موضوع القدس حاضراً في اجتماعات المجلس التنفيذي والمؤتمر العام لليونسكو، وواصلت المنظمة محاولات إرسال مبعوث لها إلى القدس للاطلاع على أوضاع التراث الثقافي فيها خاصة، تنفيذاً لقرارات مجلسها التنفيذي ومؤتمرها العام.

(31) 07COM, Florence, Italy 1983, p. 14.

التراث العالمي الثقافي والطبيعي لتصبح طرفاً فيها بتاريخ ٦/١/٢٠٠٠م، وقدمت في شهر تموز/يوليو ٢٠٠٠م إلى مركز التراث العالمي «قائمة تمهيدية (مؤقتة)» تضمّ عشرين موقعاً ثقافياً وطبيعياً تنوي تسجيلها تبعاً في قائمة التراث العالمي. وكانت «القدس» من ضمن تلك المواقع^(٣٢)، وقد تقدمت بملف ترشيحها لعرضه على الدورة الخامسة والعشرين للجنة عام ٢٠٠١م.

وكان عزوف إسرائيل عن توقيع الاتفاقية، مردّه رفضها الانضمام إلى اتفاقية تسجيل القدس في قائمة التراث العالمي من قبل الأردن. يقول مايكل ترنر، الرئيس السابق للجنة الإسرائيلية للتراث العالمي، في دراسة حول «التراث الثقافي العالمي بإسرائيل» نشرت عام ٢٠٠٢م: «إن إسرائيل بانضمامها إلى الاتفاقية أصبحت الدولة المائة والثامنة والخمسين الطرف فيها»؛ وعزا تأخرها في التوقيع على الاتفاقية الذي وصفه بالمؤسف، إلى «التداعيات السياسية لتسجيل القدس في قائمة التراث العالمي عام ١٩٨١م من قبل المملكة الأردنية الهاشمية»^(٣٣). غير أن تلك «التداعيات» ظلت قائمة في أواخر عام ١٩٩٩م حين قررت إسرائيل الانضمام إلى الاتفاقية. ويبرر ترنر ذلك القرار بقوله في مقابلة نشرتها صحيفة هآرتس في عام ٢٠١١م، إن: «إسرائيل لم يكن في نيّتها توقيع الاتفاقية، غير أن الحكومة الإسرائيلية كانت متخوّفة من قيام الفلسطينيين بإنشاء دولتهم عام ٢٠٠٠م، ولم ترغب في ترك أية ثغرات متمثلة في صيغة معاهدات غير موقّعة»^(٣٤). إن ما صرّح به ترنر يوحي بأن إسرائيل سارعت إلى الانضمام إلى المعاهدات الدولية التي لم تكن طرفاً فيها في تلك الفترة، لكن الواقع يكذب استنتاجه هذا. ولو اكتفينا بمراجعة معاهدات اليونسكو، فسنجد بأن إسرائيل لم توقع «بسبب تخوفها من قيام دولة فلسطينية عام ٢٠٠٠م»، سوى هذه الاتفاقية للتراث

(٣٢) راجع هامش رقم ٧ حيث الإشارة إلى المادة ١١ (١) من الاتفاقية وهي المادة الخاصة بالقوائم التمهيدية وتشترط أن تكون الممتلكات المدرجة في القائمة التمهيدية التي ترفعها الدولة الطرف إلى لجنة التراث العالمي «واقعة في إقليمها».

(33) “World Heritage in Israel – The Tentative List – Preparation and Process” , Ariel, The Israel review of of Arts and Letters, No. 115, May 2003, p. 7.

(34) Haaretz, The high price of preservation, July 01, 2011.

العالمي^(٣٥)، ويعود ذلك في رأي الكاتبة، إلى تخوّف إسرائيل من انضمام الفلسطينيين إلى هذه الاتفاقية بعد إنشاء دولتهم، وسعيهم لتسجيل مواقع ثقافية وطبيعية في أرض فلسطين في قائمة التراث العالمي^(٣٦)، وتعزيز دور فلسطين بشأن قضية القدس في إطار عمل لجنة التراث العالمي.

لم يكن موضوع إدراج القدس في القائمة التمهيدية الإسرائيلية مدرجاً في دورة كرينز، على جدول أعمالها، إلا أن البيان الذي وجهه مؤتمر الوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية والذي عقد بالرياض في شهر تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠م، وسبقه انعقاد اجتماع لجنة التراث العالمي مباشرة، دفع بموضوع القدس على جدول أعمال دورة كرينز^(٣٧). فقد أدان المؤتمر بالرياض بشدة ما تقوم به إسرائيل لتسجيل مواقع أثرية فلسطينية وعلى رأسها مدينة القدس، باعتبارها مواقع إسرائيلية في قائمة التراث

(٣٥) لم تنضم إسرائيل إلى اتفاقيات اليونسكو التالية: اتفاقية بشأن الوسائل التي تستخدم لحصر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة (١٩٧٠م) واتفاقية «اليونيدروا» المكمل لها (١٩٩٥م) والبروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح (١٩٩٩م) واتفاقية حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه (٢٠٠١م) واتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي (٢٠٠٣م) واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (٢٠٠٥م). راجع: www.unesco.org, Culture, Conventions

(٣٦) وهذا ما أكدته ردود الفعل الإسرائيلية لدى تسجيل فلسطين كنيسة المهد على قائمة التراث العالمي المعرض للخطر في الدورة السادسة والثلاثين للجنة (سانت بيترسبورغ، ٢٠١٢م)، فقد انتقد مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي قرار لجنة التراث العالمي تسجيل الموقع وقال إنه «برهان على أن اليونسكو تتصرف على أساس اعتبارات سياسية لا ثقافية»، وقال الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية بأن القرار تحوّل كلياً إلى خطوة سياسية موجهة ضد إسرائيل. Haaretz, "UNESCO names Church of Nativity as First Palestinian World Heritage Site", June 30, 2012.

كانت الكاتبة مسؤولة عن تنظيمه في إطار عملها في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو). (٣٧) يعود الفضل في كشف هذا الموضوع في حينه إلى الأستاذ عبد العزيز توري، الكاتب العام لوزارة الثقافة والاتصال بالمملكة المغربية حينذاك، إذ علم بوصفه رئيساً للدورة الثالثة والعشرين للجنة التراث العالمي التي عقدت بمراكش عام ١٩٩٩م، بإدراج إسرائيل «القدس» على قائمتها المؤقتة وتقديمها ملف ترشيحها إلى مركز التراث العالمي الذي كان يتكتم في تلك الفترة على القوائم المؤقتة للدول وملفات ترشيح المواقع. وقد أحاطني علماً بالأمر في أثناء انعقاد المؤتمر الوزاري بالرياض، فعرضنا الموضوع على المؤتمر الذي قرر إصدار البيان وتوجيهه إلى مدير عام اليونسكو ورئيس لجنة التراث العالمي. وقد حمل الأستاذ توري البيان بنفسه إلى كرينز كما قمت بإرساله رسمياً إلى مدير عام اليونسكو وأمين عام جامعة الدول العربية.

العالمي، وأهاب البيان بمنظمة اليونسكو وبلجنة التراث العالمي، أن ترفضاً قبول ذلك الطلب الإسرائيلي المخالف لقرارات الشرعية الدولية والذي يكرّس الاحتلال، ويدّعي امتلاك التجلّيات الثقافية العربية، ويسعى إلى طمس الهوية الثقافية الفلسطينية.^(٢٨) وفي اجتماع اللجنة بكيرنز أعطيت الكلمة لرئيس بعثة فلسطين التي تحمل صفة المراقب لدى اليونسكو، فخاطب اللجنة داعياً أعضاءها إلى رفض النظر في الطلب الإسرائيلي لتسجيل موقع ثقافي في مدينة محتلة. وشكّلت مداخلته أول مشاركة فلسطينية في تاريخ عمل اللجنة^(٢٩)، وأول موقف صريح بمباركة لجنة دولية، بأن فلسطين طرف أساسي معنيّ بالقدس في لجنة التراث العالمي. وقد أدرك السفير الإسرائيلي لدى اليونسكو حينذاك دلالة ذلك الموقف، فاتهم في كلمته التي تبعت مباشرة كلمة ممثل فلسطين، اللجنة بأنها تعمل وفق أهواء سياسية؛ واعترض على السماح لممثل فلسطين بمخاطبة اللجنة، مذكراً بمنع حضور إسرائيل اجتماع اللجنة عام ١٩٨١م، حين تم تسجيل القدس في قائمة التراث العالمي، كما اعترض على تسمية «الوجود» الإسرائيلي بالقدس احتلالاً، واصفاً القدس بأنها: «مدينة جذورنا، وتراثنا التوراتي والثقافي، ومكان عبادتنا وكياننا الوطني»^(٤٠)، مدّعياً حق امتلاك المدينة وتاريخها وتراثها؛ وأشار إلى المادة ١١ (٢) من اتفاقية التراث العالمي التي تنصّ على أنه: «لا يدرج بند في قائمة التراث العالمي، إلا بموافقة الدولة المعنية، ولا يؤثّر إدراج ملك واقع في أرض تكون السيادة أو الاختصاص عليها موضوع مطالبة عدة دول على حقوق الأطراف في المنازعة». ويشكل هذا موقفاً

(٢٨) راجع الموقع الإلكتروني للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قطاع الثقافة، السياسات الثقافية، المؤتمرات الوزارية، الدورة الثانية عشرة، الرياض ٢٢-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م، «بيان موجه إلى اليونسكو». www.alecso.org.tn، وراجع البيان مترجماً إلى الإنكليزية في: whc.unesco.org, 24COM, Cairns, Australia, 27/11-2/12/2000, ANNEX XVI.

(٢٩) كان هذا أول اجتماع للجنة التراث العالمي يحضره ممثل عن فلسطين. Ibid, Annex XVII. وكانت فلسطين حصلت على صفة مراقب باليونسكو عام ١٩٧٤م، حين أجرى مؤتمر عام المنظمة تعديلات على «قواعد عمل» المؤتمر العام وغيره من الاجتماعات التي تعقدها اليونسكو بطلب من الجامعة العربية، لغرض السماح لحركات التحرير المعترف بها من قبل المنظمات الإقليمية الحكومية، بالارتباط بنشاطات اليونسكو بما في ذلك المؤتمر العام، وبالتالي تمت دعوة منظمة التحرير الفلسطينية، المعترف بها من قبل جامعة الدول العربية، للمشاركة في الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام وبدأت بالمشاركة في الاجتماعات التي تعقدها اليونسكو بصفة مراقب. unesdoc.unesco.org, 19GC.

(40) 24COM, Annex XVIII.

خطير الدلالة، لأنه يعدّ القدس «أرضاً متنازعاً عليها» وليس مدينة محتلة حسب قرارات الشرعية الدولية، فضلاً عن أنه يعدّ إسرائيل الدولة المعنية بالقدس^(٤١).

تقدمت إسرائيل في العام التالي إلى اللجنة بطلب ترشيح القدس للتسجيل في قائمة التراث العالمي، وذلك في دورتها الخامسة والعشرين التي كانت ستعقد بهلسنكي في فنلندا في الفترة ما بين ١١ - ١٢/١٢/٢٠٠١م، ونظر مكتب اللجنة الذي عقد اجتماعه بمقر اليونسكو بباريس في شهر حزيران/يونيو ذلك العام^(٤٢) في هذا الطلب الذي وضع تحت عنوان: «تمديد موقع القدس - المدينة القديمة وأسوارها المسجّل، ليشمل جبل صهيون». وجاء في تقرير مكتب اللجنة أنه: «بعد تحليل دقيق للترشيح المقترح، ولمواقف الأطراف المعنية التي تم التعبير عنها خلال اجتماع اللجنة بكرينز (ديسمبر ٢٠٠٠م)، فإن المكتب يوصي الدورة الخامسة والعشرين للجنة بتأجيل النظر في الترشيح المقترح حتى يتم التوصل إلى اتفاق بشأن وضع مدينة القدس بما يتوافق مع القانون الدولي، أو حتى تقدّم الأطراف المعنية ترشيحاً مشتركاً». وأوصى المكتب اللجنة: «أن تشجع التعاون الفني للحفاظ على القيم العالمية المتميزة للموقع والمناطق المحيطة به ما بين الأطراف المعنية»^(٤٤). وأضاف تقرير مكتب اللجنة أنه تمّ طلب استشارة قانونية من الأمانة العامة للأمم المتحدة، وأحيطت اليونسكو علماً أنه تمّ

(٤١) وهو الخطاب نفسه الذي استخدمه ممثل الولايات المتحدة الأميركية عامي ١٩٨١م و١٩٨٢م بشأن القدس في اجتماعي اللجنة.

(٤٢) الدول الأعضاء في المكتب: أستراليا وزمبابوي وكندا والإكوادور وفنلندا والمغرب وتاييلاند. وحضر الاجتماع ممثلون عن بعثات الدول العربية لدى اليونسكو التالية: مصر والعراق والأردن ولبنان وعمان وتونس واليمن والإمارات وفلسطين. كما حضره عن الجانب الإسرائيلي كل من سفير إسرائيل لدى اليونسكو ونائب المستشار القانوني في وزارة الخارجية ورئيس لجنة التراث الإسرائيلية. 25BUR, Paris, France (2001), Annex I

(43) Ibid, Report of the Rapporteur, pp. 57-58.

(٤٤) Ibid, p. 58. في حين أن وضع القدس في القانون الدولي واضح وصريح إذ يقر ذلك القانون كونها «مدينة محتلة». وكانت هذه المرة الأولى في أدبيات اليونسكو أو قراراتها التي يقترح فيها ما يسمى بـ «التعاون الفني بين الأطراف المعنية»، في الوقت الذي كانت تقارير المدير العام للمنظمة المقدمة إلى المجلس التنفيذي والمؤتمر العام تأسف لتعطيل إسرائيل المستمر منذ منتصف عام ٢٠٠٠م لمهمة ممثل المدير العام الأستاذ أولغ غرابار (Oleg Grabar) إلى القدس لوضع تقريره عن أوضاع التراث الثقافي في المدينة وفي الوقت الذي كانت انتفاضة الأقصى على أشدها. راجع: 31C/13, unesdoc.unesco.org.

إعدادها ولم ترسل بعد، بانتظار الموافقة النهائية عليها، وأن هذه الاستشارة ستعرض على اللجنة في دورتها الخامسة والعشرين بهلسنكي^(٤٥). ويبدو أن توصية مكتب اللجنة عدت ذاتها قراراً^(٤٦) إذ لم يعرض الموضوع على اللجنة في هلسنكي، كما لم يأت ذكر للاستشارة القانونية، ولم يتقدم أي عضو من أعضاء اللجنة بطلب عرضها كما يتبين من وثائق الدورة الخامسة والعشرين^(٤٧). وليس من شك في أن التوصية التي عدت قراراً^(٤٨)، شكّلت انتصاراً للموقف العربي عامة وللموقف الفلسطيني خاصة، وأكدت أن التصدي العربي القوي في دورة كرينز استبق عملية الترشيح الإسرائيلية، وكان له الأثر الفاعل في موقف اليونسكو نفسها التي لم تعرض ملف ترشيح القدس على المجلس الدولي للآثار والمواقع (إيكوموس)* من ناحية، وفي القرار الذي اتخذته مكتب لجنة التراث العالمي من ناحية ثانية.

ويبقى السؤال مطروحاً: لماذا لم يعرض مركز التراث العالمي الاستشارة القانونية على اللجنة رغم التعمد بتقديمها؟ وكيف كان يمكن لتلك الاستشارة أن تؤثر على صيغة

(45) Report of the Rapporteur, p. 58.

(٤٦) هذه هي الحالة الوحيدة في تاريخ عمل لجنة التراث العالمي - حسب ما أعلم - الذي لم يصدر بشأنها قرار عن اللجنة واكتفي بـ «توصية» مكتب اللجنة. ويحتاج هذا الموضوع إلى قيام كل من الأردن وفلسطين بوضع دراسة قانونية تنتهي إلى استنتاج بشأن مدى صحة هذا الإجراء الذي اتبعه مركز التراث العالمي ومدى قانونية اعتبار توصية اللجنة «قراراً» ملزماً وعرض الموضوع على اللجنة بعد إعداد دقيق لخلفية الموضوع وحيثياته، واتصالات واسعة مع الدول الأعضاء فيها. ويمكن أن يشكل ذلك بذاته مدخلاً لإعادة طرح مسألة وجود «القدس» في القائمة التمهيدية الإسرائيلية.

(٤٧) الدول العربية الأعضاء في اللجنة هي: لبنان وعمان ومصر. وحضر الدورة من الدول غير الأعضاء في اللجنة: الأردن والمغرب والسعودية وسورية وتونس وممثل فلسطين الدائم في اليونسكو. 25COM, Helsinki, Finland (2001), ANNEX I وكانت عضوية المغرب انتهت وتم انتخاب لبنان وعمان في الجمعية العامة الثالثة عشرة للدول الأطراف في الاتفاقية (باريس ٦-٧ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١).

(٤٨) يثبت هذا القرار في هامش الموقع المسمى «القدس» في القائمة التمهيدية (المؤقتة) الإسرائيلية في الموقع الإلكتروني لمركز التراث العالمي وفي وثائق المركز التي توزع في دورات اجتماع لجنة التراث العالمي، ويذكر أنه معتمد من اللجنة في دورتها الخامسة والعشرين رغم عدم وجود أي ذكر له في تقرير مقرر الدورة ولا في قراراتها.

* إيكوموس: الهيئة الاستشارية المعتمدة من اليونسكو لتقييم ملفات الترشيح المقدمة من الدول للتسجيل على هذه القائمة: whc.unesco.org, Tentative Lists, Israel

قرار اللجنة بشأن ترشيح إسرائيل لموقع تسميته «القدس»، أو لإبقاء اسم القدس إلى اليوم، على «القائمة التمهيدية» الإسرائيلية؟

ظلّ موضوع الاستشارة القانونية منسيًا ولم يثره أي مندوب ممثل لأية دولة عربية في اليونسكو. وأعيد إحياء الموضوع حين وقعتُ شخصيًا عام ٢٠٠٦م على ذكر لهذه الاستشارة في تقرير مكتب اللجنة عام ٢٠٠١م في الموقع الإلكتروني لمركز التراث العالمي، في أثناء إعدادي لعقد أول اجتماع للجنة الخبراء العرب في التراث الثقافي والطبيعي العالمي، في إطار عملي مديرًا لإدارة الثقافة ورئيسًا لوحدة فلسطين بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وتتألف هذه اللجنة من ممثلي الدول العربية الأعضاء في لجنة التراث العالمي، وتهدف اجتماعاتها للإعداد لمشاركة عربية موحّدة ومتكاملة في لجنة التراث العالمي، وتعمل على تنسيق المواقف العربية بشأن ملفاتها^(٤٩). وكان ملف القدس والتصدي للمحاولات الإسرائيلية لتسجيل مواقع ثقافية أو طبيعية في الأراضي العربية المحتلة في قائمة التراث العالمي، على رأس قائمة اهتماماتنا. وبدأت بالبحث عن تلك الوثيقة والاستفسار عنها في مكاتب البعثات العربية في اليونسكو، بالتعاون مع مكتب المنظمة العربية لدى اليونسكو. وتبيّن أن لا علم لأحد في البعثات العربية لدى اليونسكو بوجود تلك الوثيقة. ومرّ عامان من المتابعة المستمرة حتى وجدنا الاستشارة القانونية المذكورة في أرشيف البعثة اللبنانية، وكان ذلك قبيل الدورة الثانية والثلاثين للجنة التي عقدت بمدينة كيبك بكندا عام ٢٠٠٨م.^(٥٠)

وبيّنت الوثيقة أن السؤال الذي وجهته اليونسكو إلى المستشار القانوني للأمم المتحدة هو التالي: هل يجوز لإسرائيل قانونيًا استنادًا إلى بنود اتفاقية عام ١٩٧٢م

(٤٩) أصبحت اجتماعات هذه اللجنة العربية سنوية منذ ذلك الوقت، عقدت لمدة خمس سنوات متتالية بالكويت وعقدت آخر اجتماع لها في أبوظبي في حزيران/يونيو ٢٠١١م. راجع التقارير بشأن عمل هذه اللجنة الخاص بالقدس في الموقع الإلكتروني للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلس التنفيذي والمؤتمر العام، وثائق الدورات السابقة، البند حول: القدس والأوضاع التربوية والثقافية والعلمية في فلسطين، الدورة ٨٤، ص ٧-١٢؛ والدورة ٨٦، ص ٣-١١؛ والدورة ٨٧، ص ٢-٦؛ والدورة ٨٨، ص ٢-٦؛ والدورة ٩٠، ص ٣-٤؛ والدورة ٩١، ص ٢-٥؛ والدورة ٩١، ص ٢-٣. www.alecso.org.tn

(٥٠) المرجع السابق، الدورة ٨٨، ص ٦.

لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، ترشيح جبل صهيون للتسجيل في قائمة التراث العالمي بما هو امتداد للموقع المسجل «مدينة القدس القديمة وأسوارها»؛ وقد خلصت الاستشارة القانونية الموقّعة من السيد هانس كوريل، الأمين العام المساعد للشؤون القانونية بالأمم المتحدة بنيويورك، والمؤرخة في ٧/١٢/٢٠٠١م، بعد دراسة قانونية مطوّلة ومفصّلة للموضوع، إلى القول: «إن كان جائزاً لجبل صهيون أن يتم ترشيحه في آخر الأمر ليضمّ إلى القائمة، يكون ترشيحه من حيث هو ممتلك قائم بحدّ ذاته، مستقلّ عن مدينة القدس القديمة وأسوارها»^(٥١). وقد أعددتُ مداخلة في هذا الموضوع قرأها ممثل الأردن، العضو في اللجنة^(٥٢)، في دورة اجتماع مدينة كيبك، بيّن فيها أنه رغم وجود متسع من الوقت ما بين تسلّم الاستشارة القانونية من قبل اليونسكو وموعد انعقاد اجتماع اللجنة بهلسنكي، فإن اليونسكو لم تعرض الوثيقة على اللجنة، وانتظر مدير مركز التراث العالمي حتى يوم ١٤/٠١/٢٠٠٢م، ليحيلها إلى أعضاء اللجنة^(٥٣). وطالب ممثل الأردن استناداً إلى الردّ القانوني الصادر عن الأمم المتحدة، بإسقاط موقع القدس من القائمة التمهيدية الإسرائيلية، وتثني ممثل مصر على الطلب المقدم من الأردن^(٥٤). وتم اتخاذ قرار بتأجيل النظر في الموضوع المطروح حتى الدورة القادمة لاجتماع اللجنة، في ضوء عدم التوصل إلى قرار متفق عليه بين أعضائها^(٥٥).

وكنْتُ قد نَبَّهت في الاجتماع الأول للخبراء العرب في التراث الثقافي والطبيعي العالمي في عام ٢٠٠٦م، إلى أن الموقع المسمّى «القدس» ما زال موجوداً في القائمة التمهيدية الإسرائيلية، واتخذنا قراراً بالتعبير عن الموقف العربي الراض لوجود

(51) “...if and in so far as Mount Zion may eventually be nominated for inclusion in the List, it will be nominated as a property in its own right, distinct from the Old City of Jerusalem and its Walls.”

(٥٢) فاز الأردن بعضوية اللجنة بالانتخاب في أكتوبر ٢٠٠٧م، واستمرت عضويته من ٢٠٠٨-٢٠١١م. راجع تقرير الدورة ٨٨ للمجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٥٣) تسلمتها الدول العربية الأعضاء في اللجنة حينذاك وهي كما سبقت الإشارة في هامش ٤١: لبنان وعمان ومصر.

(54) whc.unesco.org, 32COM, Quebec City, Canada, 2008, Draft Summary Record, p. 267.

(55) Ibid, Decisions Adopted at the 32nd Session of the World Heritage Committee, p. 145.

اسم القدس في القائمة الإسرائيلية، وكلف المغرب، العضو في الدورة الثلاثين للجنة، بتقديم بيان باسم المجموعة العربية أكد فيه التمسك بهذا الموقف.^(٥٦) كذلك عرضنا الموضوع على مؤتمر الوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية في اجتماعه بمسقط عام ٢٠٠٦م، فأصدر المؤتمر بياناً موجهاً إلى اليونسكو يعبر عن القلق الشديد لإدراج إسرائيل للقدس في قائمتها التمهيدية لتسجيلها كموقع إسرائيلي في قائمة التراث العالمي، وأيضاً عن الاستياء لظهور اسم القدس في القائمة الإسرائيلية في وثيقة رسمية لليونسكو، لما في ذلك من تنكّر لقرارات الشرعية الدولية وتحدّ للقانون الدولي. ودعا البيان منظمة اليونسكو ومديرها العام ولجنة التراث العالمي للعمل على دفع إسرائيل لإسقاط القدس من قائمتها التمهيدية التزاماً بالقرارات الدولية التي تنصّ على أن إسرائيل دولة محتلة لأراض فلسطينية وعربية، بما فيها القدس^(٥٧). كما رفعنا البيان إلى مؤتمر القمة العربية المنعقد بالرياض (٢٠٠٧م) فأصدر قراراً يدعو الدول العربية الأعضاء في لجنة التراث العالمي والمنظمة العربية لمتابعة العمل لإسقاط القدس من القائمة التمهيدية الإسرائيلية^(٥٨).

ولئن كان المبرر الذي قدّمه مركز التراث العالمي لإبقاء «القدس» في القائمة التمهيدية الإسرائيلية هو أن وثيقة «المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي» لا تجيز لليونسكو التدخّل فيما تدرجه الدول من مواقع في قوائمها التمهيدية، فقد بدأنا منذ ذلك الحين وعبر الدورات اللاحقة لاجتماعات اللجنة، العمل على تعديل الفقرة المتعلقة بالقوائم التمهيدية في وثيقة «المبادئ التوجيهية» لوضع الصيغة التي تتيح إسقاط موقع القدس من القائمة التمهيدية الإسرائيلية، وقد ظل ذلك العمل متواصلًا حتى عام ٢٠١٢م رغم العقبات التي تواجهه. ذلك أن اللجنة أقرّت في دورة عام ٢٠١١م تعديلات على فقرات عدة في «المبادئ التوجيهية»، فيما تعمد مركز التراث العالمي تجاهل الفقرة المتعلقة بالقوائم التمهيدية. فأعددتُ مجددًا بيانًا قرأه ممثل الأردن في

(56) Ibid, 30COM, Vilnius, Lithuania, 2006, Summary Record, p. 170.

(٥٧) يراجع البيان في الموقع الإلكتروني للمنظمة: مجال الثقافة، السياسات الثقافية، المؤتمرات الوزارية، الدورة الخامسة عشرة. www.alecso.org.tn

(٥٨) قرار رقم ٢٧٢، صفحة ٢٦. www.arableagueonline.org

اجتماع اللجنة بمقر اليونسكو بباريس عام ٢٠١١م، ذكّر فيه بموضوع الاستشارة القانونية للأمم المتحدة، وتعمد مركز التراث العالمي عدم تقديمها إلى اللجنة في حينه، وكرّر المطالبة بإسقاط موقع «القدس» من القائمة الإسرائيلية، وقد دعم موقف ممثل الأردن ممثلاً مصر والعراق في اللجنة، وهو ما كان متفق عليه في الاجتماع التحضيري لتنسيق المواقف العربية، كما كرّر ممثل الأردن تقديم التعديل الذي اقترحناه منذ عام ٢٠٠٨م، على الفقرة المتعلقة بالقوائم التمهيدية في وثيقة «المبادئ التوجيهية»^(٥٩)، فأصدرت اللجنة قراراً بتشكيل فريق عمل لدراسة الموضوع في الدورة السادسة والثلاثين لاجتماع اللجنة، وخُصص بند في برنامج عملها لهذه الغاية^(٦٠). غير أن فريق العمل الذي اجتمع في إطار الدورة السادسة والثلاثين للجنة (سانت بيترسبورغ، ٢٤/٦-٧/٧/٢٠١٢م) لم يصل إلى الاتفاق على إجراء التعديل المقترح من الأردن، وصدر قرار اللجنة بأنها تعتبر أن لا ضرورة لإدخال أي تغيير على نص الفقرة ٦٨ - وهي المتعلقة بالقوائم التمهيدية - من وثيقة «المبادئ التوجيهية» في هذه المرحلة^(٦١) وكانت اللجنة في دورتها الحادية والثلاثين قررت مراجعة الفقرة المتعلقة بالقوائم التمهيدية في وثيقة

(٥٩) أثار البيان ردود فعل قوية في الاجتماع وحصل جدل بين رئيسة الجلسة المناوبة (باربادوس) بسبب غياب الرئاسة الأصلية للدورة (البحرين) وبين ممثل مصر في اللجنة وطلبت ممثلة روسيا من المجموعة العربية عدم إثارة ما أسمته قضايا سياسية، راجع: 35COM, Paris, 2011, Summary, Record, pp. 151-152 and pp. 292-295. وراجع البيان في الملحق II في الوثيقة نفسها.

(٦٠) تراجع المراحل المتتابعة لهذا الموضوع عبر دورات اجتماع اللجنة والمقترح المقدم من الأردن لتعديل البند ٦٨ المتعلق بالقوائم المؤقتة في:

36COM, Saint Petersburg, Russia, 2012, Documents, WHC-12/36. COM/13, Revision of the Operational Guidelines.

(٦١) شارك ممثل الأردن في اجتماع فريق العمل الذي لم يضم في عضويته من ممثلي الدول العربية سوى ممثل الإمارات، رغم أن الانضمام إليه كان مفتوحاً لممثلي الدول غير الأعضاء في اللجنة، انظر: 36COM, Saint Petersburg, Russia, 2012, Documents, WHC-12/36 COM. INF19, p. 8، غير أن عدم إدراك أهمية هذا الموضوع وعدم معرفة خلفيته، وانعدام وجود تنسيق عربي مسبق نتيجة لذلك، وكذلك غياب الاتصالات الدبلوماسية والسياسية المسبقة مع الدول الأعضاء الصديقة في اللجنة لشرح أسباب طلب الأردن التعديل والقرارات السابقة للجنة في شأنه، وتشدد عدد من أعضاء فريق العمل بخاصة رئيسه المندوب السويسري، في رفض التعديل المقترح (راجع كلمته في اجتماع اللجنة التي قال فيها إن فريق العمل يرى أن لا حاجة إلى العودة إلى الفقرة ٦٨ وطالب بتبني قرار بذلك رغم أن الأردن حسب قوله، لا يوافق عليه). ولم يقدم أي وفد عربي في اجتماع اللجنة مداخلة للدفاع عن الطلب الأردني ولم يطلب أي منها عرضه على Ibid , pp. 226-227، مما أدى إلى صدور القرار المذكور. يراجع القرار في:

WHC - 12/36. COM/19, Decision 36COM, 13. 1, p. 236.

«المبادئ التوجيهية» للتأكد من أن الممتلكات المقترحة في القوائم التمهيدية لا تتعارض مع الممتلكات المسجلة في قائمة التراث العالمي، وطلبت من مركز التراث العالمي اقتراح نصّ بديل للفقرة المذكورة^(٦٢)، وكان القرار قد اتخذ في ضوء الموقف العربي الراض إدراج القدس في القائمة التمهيدية الإسرائيلية. وقدّم مركز التراث العالمي مشروع نصّ معدّل لهذه الفقرة إلى الدورة الثانية والثلاثين للجنة، لم يكن ليؤدي - في حال إقراره - إلى إسقاط القدس من القائمة التمهيدية الإسرائيلية^(٦٣)، ووضعت مشروع تعديل بديل للنص المقترح من المركز، قدّمه ممثل الأردن، لم ينل إجماع أعضاء اللجنة، ولم يُقترح عرضه على التصويت^(٦٤). والواقع أن قرار اللجنة في سانت بيترسبورغ عام ٢٠١٢م اعتبار تعديل هذه الفقرة من وثيقة «المبادئ التوجيهية» غير ضروري في هذه المرحلة، ليس مناقضاً لقراراتها المتتالية عبر خمس سنوات منذ دورتها الحادية والثلاثين حسب، بل إنه يستبعد طرح موضوع وجود موقع باسم «القدس» في القائمة التمهيدية الإسرائيلية في عمل اللجنة لمدة ستطول ما لم يُعاد إحياءه من جديد، وتلك مهمة تحتاج إلى تخطيط دقيق وعمل دبلوماسي دؤوب، تتولاها وزارتا الخارجية في كل من الأردن وفلسطين، بالتنسيق مع الدول العربية الأخرى والدول الصديقة، بمتابعة مستدامة من قبل المندوبية الدائمة الأردنية والمندوبية الدائمة الفلسطينية في اليونسكو والمجموعة العربية فيها.

ونعود إلى السؤالين اللذين طرحناهما: لماذا لم يعرض مركز التراث العالمي الاستشارة القانونية على اللجنة عام ٢٠٠١م، رغم التعهد بتقديمها؟ وكيف كان يمكن لتلك الاستشارة - لو عُرضت -، أن تؤثر على صيغة قرار اللجنة حينذاك بشأن ترشيح إسرائيل لموقع تسميه «القدس»، أو لإبقاء اسم القدس في قائمتها التمهيدية؟ في تقديري الشخصي أن اليونسكو عملت على تحقيق ما تعدّه «توازناً سياسياً» بين الطرفين العربي والإسرائيلي. فحين لم تعرض عام ٢٠٠١م على إيكوموس الملف الإسرائيلي لترشيح القدس للتقييم، معتبرة أنه غير مقبول من حيث المبدأ، وحين أدركت أن

(62) Decision 31COM 8A. 3, p. 135.

(٦٣) يراجع التعديل المقترح من مركز التراث العالمي في الوثيقة: WHC - 08/32COM/8A.

(64) Decision 32COM 8A, p. 145.

قرار اللجنة لو أُتيح لها الاطلاع على الاستشارة القانونية كان سيعدّ انتصاراً للموقف العربي، أثرت اللجوء إلى صيغة قرار لا يشكل هزيمة تامة لإسرائيل، ولا يحقق نصراً كاملاً للعرب؛ أو لعل اليونسكو توقّعت أن تنتهي وثيقة الاستشارة القانونية إلى نتيجة تراها «أكثر إيجابية» بشأن الترشيح الإسرائيلي للقدس، بحيث يُترك المجال مفتوحاً لإبقاء موقع القدس في القائمة التمهيدية الإسرائيلية. وكان هذا نتيجة «القرار» المعتمد من مكتب اللجنة، نتيجة لحجب الاستشارة القانونية عن اللجنة. بل إن عدم عرض موضوع الترشيح الإسرائيلي للقدس على اللجنة، يرجح هذا التحليل، إذ إن قرار رفض اللجنة تسجيل موقع ما في قائمة التراث العالمي، يُسقط حق الدولة التي رشّحت الموقع لترشيحه مجدداً للتسجيل، وبالتالي يسقط من قائمتها التمهيدية. من هنا، كان القرار «بتأجيل النظر في اقتراح التسجيل». ولعل ذلك يفسّر ما وضع وما زال يوضع من تعقيدات إجرائية أمام المساع المبذولة عبر سنوات لإسقاط الموقع المسمى «القدس» من القائمة التمهيدية الإسرائيلية.

ولا شك بأن بقاء «القدس» في القائمة التمهيدية الإسرائيلية ليس مسألة شكلية، فإسرائيل تواصل السعي لتسجيل القدس في قائمة التراث العالمي على أنها موقع إسرائيلي بوسائل شتى، وبخاصة عبر إجراء التعديلات المتكررة على «المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي». وتسعى إسرائيل بذلك إلى اكتساب اعتراف دولي بما تسمّيه «حقوقاً تاريخية وثقافية» في القدس. وتكفي قراءة وصفها لموقع «القدس» في قائمتها التمهيدية المتاح على الموقع الإلكتروني لمركز التراث العالمي، لإدراك ذلك⁽⁶⁵⁾.

قرارات لجنة التراث العالمي بشأن القدس بين تراخي اليونسكو وتعتت إسرائيل عادت القدس إلى لجنة التراث العالمي عام ٢٠٠٠م، قضية سياسية تستغلها إسرائيل لادعاء ما تسميه «حقاً تاريخياً» وتترجمه احتلالاً استيطانياً، منذ عام ٢٠٠٤م، عادت القدس إلى جدول أعمال اللجنة في البند المخصص لـ «حالة حفظ الممتلكات المسجلة في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر»، بعد أن طلبت الدول العربية الأعضاء

(65) The List, Tentative Lists, Israel, Jerusalem.

في اللجنة عام ٢٠٠٣م من اليونسكو تقديم تقارير عن أوضاع التراث فيها^(٦٦)، لكنها كانت كالحاضر الغائب. فالقرارات التي تصدر عن اللجنة لحفظ تراث «مدينة القدس القديمة وأسوارها» من الأخطار التي تهدده، ظلت حتى عام ٢٠١٠م تؤخذ بما يسمى بـ«التوافق» بين ما يسمى بـ«الأطراف المعنية» - وهي إسرائيل والأردن وفلسطين، عبر مفاوضات في كواليس اجتماعات اللجنة، التي يتولاها غالباً وسطاء من اليونسكو، أو من سفراء غربيين أو من الدولة التي تستضيف الاجتماع، ويطلب رئيس اللجنة من أعضائها إقرار ما تم الاتفاق عليه من دون نقاش^(٦٧). وكانت إسرائيل ترضى بتلك القرارات، التي تأتي بعد مفاوضات صعبة، لإدراكها أنها لن تتعرض لأي ضغط لتنفيذها. وقد غدت هذه السياسة أسلوب عمل اليونسكو بشأن ملف القدس في لجنة التراث العالمي، كما في اجتماعات مجلسها التنفيذي ومؤتمرها العام، تملئها عليها الدول الغربية، وترضى بها المجموعة العربية، حتى إن التوصل إلى صيغة قرار «بالتوافق بين الأطراف المعنية» بشأن القدس، أصبح بالنسبة لليونسكو هدفاً بذاته، وتراجع حرصها على صون أصالة التراث الثقافي في القدس وسلامته، وعلى تطبيق اتفاقية التراث العالمي للحفاظ على

(٦٦) الدول العربية الأعضاء هي عُمان ولبنان ومصر. راجع: 28COM/INF. 6, Draft Summary

Record, p. 40. وراجع القرار في: 27COM, Paris, France, 2003, Decision 7A. 29.

وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة في هذه الكاتبة، بدأت عقد اجتماعات تنسيق للمواقف لممثلي الدول العربية بشأن القدس والتراث في الأراضي الفلسطينية في أثناء اجتماعات اللجنة وعلى هامش تلك الاجتماعات، منذ عام ٢٠٠٢م في دورة اجتماع اللجنة ببودابست إثر مشروع قرار صدر عن مكتب اللجنة يتضمن إدانة للاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية، وهو ما دعا الولايات المتحدة الأميركية إلى إجراء اتصالات سياسية على مستوى وزارات خارجية الدول الأعضاء في اللجنة جميعاً، للضغط عليها حتى لا تتبنى اللجنة مشروع القرار. واستكمل التنسيق العربي في الدورة ٢٨ التي عقدت بمقر اليونسكو بباريس، حيث اتفق على إثارة موضوع القدس في اللجنة لاتخاذ قرار بإدراج تقرير حول أوضاع التراث الثقافي في القدس في كل دورة من دورات اجتماع اللجنة.

(67) 28COM, Suzhou, China, 2004, Summary Record, pp. 234-235; 29COM, Durban, South Africa, 2005, Summary Record, INF. 22, p. 65; 30COM, Vilnius, Lithuania, 2006, Summary Record, INF19, p. 77; 31COM, Christchurch, New Zealand, 2007, INF. 24, p. 103; 32COM, Quebec City, Canada, 2008, Summary Record, p. 220; 33COM, Sevilla, Spain, 2009, Summary Record, p. 175; 34COM, Brasilia, Brazil, 2010, Summary Record, p. 494.

القيمة العالمية الاستثنائية للموقع المسجل في قائمة التراث العالمي^(٦٨). وقد زاد موقف اليونسكو المتراخي هذا، من تعنت إسرائيل، فأخفقت محاولات مندوب المدير العام لليونسكو في تحقيق «توافق» حول نصّ القرار في كواليس اجتماع اللجنة الذي عقد بمقر اليونسكو بباريس عام ٢٠١١م، بسبب رفض السفير الإسرائيلي لدى اليونسكو لبعض بنوده، فعرضت المجموعة العربية مشروع القرار مباشرة على اللجنة. ورغم أن اللجنة اعتمدته بلا مناقشة ولا تعديل، فإن عددًا من الدول الأعضاء في اللجنة لم تستسغ انفراد المجموعة العربية بوضع قرار لم يجد قبولاً إسرائيلياً، فحاولت المماطلة وتأجيل النظر فيه^(٦٩). وقد أثار تمرير القرار دون اعتراض في اللجنة غضب إسرائيل، وصرّح سفيرها في اليونسكو لصحيفة هآرتس أن أربع دول أعضاء في اللجنة عبّرت شفهيًا عن تحفظها، مما يعني في نظره أن القرار لم يؤخذ بالإجماع، ولهذا فهو «يعتقد أن المدير العام لليونسكو إيرينا بوكوفا لن تفعل به شيئاً، إذ قالت في أوائل هذا العام إنها لن تعمل على تنفيذ قرارات لا تؤخذ بالإجماع»^(٧٠). وينص هذا القرار، على التعبير عن أسف اللجنة

(٦٨) في دورة اجتماع اللجنة عام ٢٠٠٧م بعد أن أعلن المدير العام المساعد للثقافة عن الوصول إلى توافق بشأن القرار الخاص بالقدس أكد أن ذلك يشكل «إنجازاً كبيراً وهو أيضاً إثبات أن بمقدور اليونسكو أن تحقق تقدماً مهماً في مجالات حساسة ليست ممكنة في محافل أخرى». 31COM, Summary Record, p. 39. وفي دورة عام ٢٠١٠م صرّح المدير العام المساعد للثقافة أن «المدير العام يود أن يهنئ بصورة خاصة جميع الجهات المعنية لما أبدته من استعداد للتوصل إلى نص متفق عليه وعلى انفتاحها للحوار والتبادل». 35COM, Summary Record, p. 495.

(٦٩) تم اللجوء إلى التصويت برفع الأيدي لاتخاذ قرار بعرض مشروع القرار أو تأجيله فصوّت ١١ عضواً بالإيجاب (مصر والعراق والأردن والصين والإمارات العربية وكمبوديا ونيجيريا وإثيوبيا ومالي والبحرين وأفريقيا الجنوبية وقد سقط اسمهما سهواً في التقرير الذي يذكر عدد ١١ صوتاً ويذكر أسماء ٩ دول)، و٦ أعضاء طلبوا التأجيل (البرازيل والمكسيك وأستراليا وسويسرا والسويد وإستونيا) و٢ أعضاء امتنعوا عن التصويت (فرنسا وروسيا وبربادوس). 35COM, Paris, France, 2011, Summary Record, p. 241، ويراجع بيان ممثل أستراليا في اللجنة وعبرّ فيه عن أسفه لعدم التوصل إلى توافق حول القرار وأن أستراليا تتأى بنفسها عن الجوانب التي لم يتم التوافق بشأنها: Ibid, Annex III, p. 328.

(٧٠) سمى كلاً من أستراليا وسويسرا والمكسيك والبرازيل وعزا ذلك إلى مراعاة علاقاتها مع الدول العربية الأعضاء في اللجنة.

“Israel Furious with Jordan over Condemnation of Jerusalem’s Old City Renovation”, Haaretz, June 28, 2011.

كذلك لم يتم التوصل إلى توافق بين «الطرفين» في الدورة السادسة والثلاثين بسانت بيترسبورغ (٢٠١٢م) واعتمدت اللجنة مشروع القرار المقترح من الطرف الفلسطيني - الأردني والمقدم من رئاسة اللجنة الروسية، وأعلن سفير إسرائيل لدى اليونسكو في الاجتماع عدم موافقة إسرائيل عليه، وهو ما يشكل استخفافاً سافراً باليونسكو وقراراتها ويفرغ القرار الخاص بالقدس من أية دلالة أو جدوى. وتكرر الأمر ذاته في الدورة الأخيرة، ٢٠١٣م، بنوم بنه (كمبوديا) وهو ما سنأتي إلى تفصيله في فقرة لاحقة.

لرفض إسرائيل الامتثال لقرارات لجنة التراث العالمي واليونسكو، وطلبها من إسرائيل التعاون، وتسهيل تنفيذ قرار اللجنة في دورتها الرابعة والثلاثين (٢٠١٠م) الداعي إلى ذهاب بعثة للرصد التفاعلي (reactive monitoring) إلى مدينة القدس القديمة وأسوارها تتألف من مندوب عن كل من مركز اليونسكو التراث العالمي، والمركز الدولي لدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها (إيكروم)، والمجلس الدولي للآثار والمواقع (إيكوموس)؛ والتعبير عن الأسف لإصرار إسرائيل على مواصلة القيام بالحفريات الأثرية في المدينة القديمة، ودعوتها للتوقف عن ذلك؛ و«يشجع» مدير عام اليونسكو على اتخاذ الخطوات اللازمة للحفاظ على موقع مدينة القدس القديمة وأسوارها ومعالمها، ويجدد دعوتها إلى عقد اجتماع خبراء في أسرع وقت ممكن، لمتابعة مسألة منحدر «باب المغاربة» بعد أن يصل الفرقاء المعنيون إلى اتفاق بشأنه.^(٧١) ولم يختلف قرار اللجنة في الدورة السادسة والثلاثين التي عقدت بسانت بيترسبورغ عام ٢٠١٢م، بشأن القدس ومنحدر باب المغاربة^(٧٢)، نصًا وروحًا، عن قرارها في العام السابق. وقد تبنت اللجنة في ذلك العام القرارين دون مناقشة، غير أن رئيس اللجنة أعلنت أن إسرائيل لا توافق على نص القرار الخاص بالقدس، وأن بعض الدول الأعضاء التي لم تسمّها، تنأى بنفسها عنه.^(٧٣)

إن هذا الاستخفاف الإسرائيلي بقرارات لجنة التراث العالمي، وقرارات المجلس التنفيذي والمؤتمر العام لليونسكو، يعود إلى اطمئنان إسرائيل إلى أن اليونسكو لن تمارس ضغطًا عليها لتنفيذ ما يصدر عن مجالسها من قرارات. ولعل هذا الاطمئنان له أيضًا ما يبرره في مواقف اليونسكو بشأن القدس. فالوثائق التي يعدها مركز التراث العالمي حول حالة الحفظ في القدس للعرض على اللجنة، بدأت تعتمد منذ عام ٢٠٠٧م، على ما تقدمه إسرائيل إلى المركز من تقارير، ردًا على رسائل توجهها لليونسكو إلى البعثة الإسرائيلية في اليونسكو، تتناول ما تقوم به هيئة الآثار الإسرائيلية من عمليات

(71) Decision 35COM 7A. 22.

(72) Decision 36COM 7A. 23. I and Decision 7A. 23. II.

(73) WHC-12/36COM. INF. 19 Summary Record, p. 197.

بناء وحفريات أثرية^(٧٤). وقد استندت وثيقتا اليونسكو في دورتي عامي ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م، إلى التقرير الإسرائيلي وحده، وبدأت اليونسكو في عام ٢٠٠٩م، بتضمين وثائقها معلومات توفرها التقارير الموجهة إليها من الأردن، فيما لم تساهم فلسطين في تقديم أي تقرير.^(٧٥) وإذ بدأت اليونسكو تخاطب إسرائيل وتتعامل معها بصفتها صاحبة الشأن الأساسي في القدس، فإنه لا يستغرب أن تقوم إسرائيل باستعراض ما تقوم به من عمليات بناء وحفريات أثرية في مدينة القدس القديمة دونما حرج أو خوف من الإدانة، إذ إنه لا يصدر عن مركز التراث العالمي أكثر من «استرعاء انتباه» السلطات الإسرائيلية أو «لفت نظرها» إلى «الأثار التي يمكن أن تترتب على هذه الحفائر الأثرية المنفذة في المدينة القديمة بالنسبة إلى سلامة الموقع وأصالته».^(٧٦)

ومنذ عام ٢٠٠٧م، أصبحت مدينة القدس القديمة، توصف في وثائق مركز التراث العالمي بأنها «تدار من قبل السلطات الإسرائيلية بفعل الأمر الواقع، وبالتالي فإن الأبنية الجديدة ومشاريع الصيانة هي من حيث المبدأ خاضعة لسلطة القضاء الإداري للبلدية، وتجري مراقبتها عادة من قبل هيئة الأثار الإسرائيلية»^(٧٧). وقد اختتمت من وثائق

(٧٤) فيما اعتمدت اليونسكو في التقارير المقدمة إلى دورات اجتماع اللجنة في الأعوام الثلاثة ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م و٢٠٠٦م، على تقارير خبراءها وبعثاتها إلى القدس وقرارات مجلسها التنفيذي، استندت في توجيهها إلى إسرائيل لطلب تقارير، إلى قرار الدورة ٣٠ للجنة عام ٢٠٠٦م، الذي اتخذ بالتوافق، وينص على «دعوة السلطات الإسرائيلية إلى تقديم معلومات إلى مركز التراث العالمي حول المياني الجديدة في ساحة الحائط الغربي بما فيها خطط بناء الممر المؤدي إلى الحرم الشريف». Decision 30COM 7A. 34

(٧٥) وجّه مركز التراث العالمي رسائل إلى بعثتي فلسطين والأردن في اليونسكو عامي ٢٠٠٨م و٢٠٠٩م، يطلب فيها معلومات تساهم في إعداد وثيقة حالة الحفظ لموقع القدس للعرض على اللجنة، ولم يستلم رداً من أي منهما عام ٢٠٠٨م. وبدأ الأردن بإرسال التقارير المطلوبة إلى المركز منذ عام ٢٠٠٩م، ولم تجب فلسطين أيضاً ذلك العام، ولم يعد المركز - حسب ما يتبين من وثائقه حول القدس - إلى مخاطبة بعثة فلسطين لدى اليونسكو بعد ذلك في هذا الشأن. راجع: 32COM, Documents, WHC-08/32. COM 7A. Add. 2, p. 9. وكذلك: 33COM, Documents, WHC-09/33. COM/7A. Add, p. 39

(٧٦) فيما يقول أثريون إسرائيليون «إن كل النشاطات الأثرية في مدينة القدس القديمة ينظر إليها على أنها مهددة وسياسية».

“... all archaeological activity in the Old City of Jerusalem is perceived as threatening and political”. Between Holiness and Propaganda, p. 3.

(77) “Jerusalem is de facto administered by the Israeli authorities. Therefore, all new constructions and conservation projects are in principle subject to the administrative jurisdiction of the Municipality and usually supervised by the Israel Antiquity Authority”. 31COM, Documents, WHC-07/31COM/ 7A. Add. , p. 2.

اليونسكو أية إشارة إلى الاحتلال القائم في القدس، وممارساته المعارضة للقوانين الدولية والمؤدية إلى ما يتهدد القدس تاريخاً وتراثاً ومعالم من أخطار. هذا في حين لم يتغير خطاب الأمم المتحدة، ولا تغيرت لهجة قراراتها فيما يخص مدينة القدس المحتلة^(٧٨).

إن استخفاف إسرائيل بقرارات الهيئات الرسمية لليونسكو، وامتناعها عن تنفيذها، لا يعني أنها لا تكثر بما يوجهه إليها المجتمع الدولي أو هيئاته الرسمية من قرارات، تكشف عدم التزامها بالاتفاقيات الدولية التي انضمت إليها وتحديدها لتلك القرارات، فهي تحاول الظهور أمام العالم بأنها وجه «نير» من وجوهه، رغم أنها مطمئنة إلى عدم ممارسة أي ضغط عليها، سواء أكان من المنظمة الدولية أم من دول أعضاء فيها، لإلزامها بالمواثيق والقرارات الدولية، التي صدرت عن الأمم المتحدة ومنظماتها ومؤسساتها ومجالسها جميعاً، منذ قيام دولة إسرائيل حتى اليوم. ولعل خير دليل على ذلك ما قامت به إسرائيل من مناورة في شهر نيسان/إبريل هذا العام ٢٠١٣م، قبيل انعقاد المجلس التنفيذي لليونسكو، بموافقته على استقبال البعثة الدولية المشتركة للرصد التفاعلي إلى القدس، تنفيذاً لقرار لجنة التراث العالمي، وذلك لتفادي إصدار قرارات بشأن القدس تعرب عن الاستنكار والاتصال والأسف لممارساتها المعارضة للاتفاقيات الدولية، جاء ذلك في رسالة مندوب إسرائيل الدائم لدى اليونسكو إلى المدير العام بتاريخ ٢٢ نيسان/إبريل ٢٠١٣م^(٧٩)، مقابل امتناع المجموعة العربية عن تقديم قرارات بشأن القدس لمدة عامين^(٨٠). وقد وافق الأردن وفلسطين على هذا العرض الإسرائيلي،

(٧٨) ينص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٠/٦٣ (نوفمبر ٢٠٠٨م) على الآتي: «وإذ تؤكد من جديد أن المجتمع الدولي، من خلال الأمم المتحدة لديه اهتمام مشروع بقضية مدينة القدس وحماية البعد الروحي والديني والثقافي الفريد على النحو المتوخى في قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بشأن هذه المسألة... تكرر تأكيد ما قررتته من أن أي إجراءات تتخذها إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال لفرض قوانينها وولايتها وإدارتها على مدينة القدس الشريف إجراءات غير قانونية، ومن ثم فهي لاغية وباطلة وليست لها أي شرعية على الإطلاق، وتطلب من إسرائيل وقف جميع هذه التدابير غير القانونية والمتخذة من جانب واحد؛ والفرق شاسع بين الخطابين.

(٧٩) حسب ما ورد في وثيقة الدورة ١٩٢ للمجلس التنفيذي (٢٠١٣/٨/٥م) بشأن القدس راجع الوثيقة باللغة العربية: EX/11, p. 2 192

(٨٠) كما تضمنت شروط إسرائيل للموافقة على قبول البعثة عدم ترشيح مواقع في فلسطين للتسجيل في قائمة التراث العالمي. راجع حوار مندوب فلسطين الدائم لدى اليونسكو إلياس صنبر في صحيفة الحياة: صنبر لـ «الحياة»: تدخل روسي - أميركي وراء موافقة إسرائيل على بعثة «يونسكو»، الحياة، ٢٦ إبريل ٢٠١٣م.

والتزم الجانب العربي بالاتفاق، ولم يتجاوز قرار المجلس التنفيذي في دورته المذكورة بالإقرار بـ «التزام الأطراف المعنية بتنفيذ قرار لجنة التراث العالمي بشأن إيفاد البعثة إلى القدس، وشكر المدير العام على جهودها ومبادراتها الرامية إلى التوصل إلى تفاهم بين جميع الأطراف المعنية وإلى تنفيذ قرار لجنة التراث العالمي»^(٨١)، وحين حققت إسرائيل هدفها ألغت زيارة بعثة اليونسكو إلى القدس في ٢٠ أيار/مايو ٢٠١٣م، وهو اليوم المحدد لوصول تلك البعثة إلى القدس، بحجة أن الجانب الفلسطيني يعمل على تسييس عمل البعثة^(٨٢)، غير أن إيرينا بوكوفا، المدير العام لليونسكو، أصدرت بياناً بتاريخ ٢١ أيار/مايو، نصّ على الآتي: «تبعاً لما أوردته بعض وسائل الإعلام عن إلغاء بعثة اليونسكو إلى مدينة القدس القديمة، تود المدير العام أن تؤكد أنه خلافاً لهذه المعلومات فإن مشاورات تجري حالياً من قبل حكومة إسرائيل والسلطات الفلسطينية والأردنية بهدف وضع الصيغة النهائية لاختصاصات البعثة وتحديد موعدها»^(٨٣). وقد جانبت المدير العام الصواب في تصريحها هذا؛ فحين قررت إسرائيل في اللحظات الأخيرة قبيل وصول البعثة رفض استقبالها - باعتبارها «إخفاً متواصلاً في التعاون» كما جاء في قرار لجنة التراث العالمي في دورتها الأخيرة في بنوم بنه - كمبوديا (١٦ - ٢٧ حزيران/يونيو ٢٠١٣م)^(٨٤)، أو «وقف مهام» كما وصفته المذكرة الإيضاحية التي قدمتها المجموعة العربية إلى الدورة الأخيرة للمجلس التنفيذي^(٨٥)، أو «إلغاء أحادي الجانب...»

(81) 191 EX/Decisions, pp. 12 – 13.

كما امتنعت المجموعة العربية عن تقديم مشروع قرار في الدورة المذكورة بشأن «الموقعين الفلسطينيين: الحرم الإبراهيمي/كهف البطاركة في الخليل ومسجد بلال بن رباح/قبر راحيل في بيت لحم».

(82) www.timesofisrael.com/unesco-visit-to-jerusalem-cancelled-by-israel/.

(83) [Whc.unesco.org/en/news/1011](http://whc.unesco.org/en/news/1011).

(84) WCH – 13/37. COM/20, Decision 37 COM 7A 26, p. 36.

(٨٥) (EX/42. Rev. 26/9/2013 192). جاءت هذه المذكرة تحت بند طلبت الإمارات العربية المتحدة إدراجه في جدول الأعمال المؤقت المعدل للمجلس التنفيذي بعنوان: «متابعة بعثة اليونسكو للرسد التضاملي إلى مدينة القدس القديمة وأسوارها واجتماع خبراء اليونسكو بشأن منحدر باب المغاربة». وجاء في المذكرة أن ما تم الاتفاق عليه في الدورة السابقة للمجلس هو الإيفاد الفوري للبعثة اعتباراً من ١٩ أيار/مايو ٢٠١٣م؛ وإرجاء القرارات العربية [في شأن القدس] من الدورة الحادية والتسعين بعد المائة إلى الدورة الثانية والتسعين بعد المائة للمجلس التنفيذي لليونسكو؛ عقد اجتماع الخبراء التقنيين بشأن منحدر لباب المغاربة في اليونسكو بحلول ٢٧ أيار/مايو ٢٠١٣م. وخلصت المذكرة إلى القول: «واحترم الجانب العربي بنود الاتفاق المذكور أعلاه بأكملها ونفذها تنفيذاً كاملاً، لكن إسرائيل رفضت تنفيذ جميع الالتزامات والعهود التي قطعتها أمام اليونسكو فيما يتعلق بإيفاد بعثة اليونسكو والمشاركة في الاجتماع التقني»، ص ١.

من خلال فرض شروط مسبقة تقييدية جديدة» كما نصّ قرار الدورة الأخيرة للمجلس التنفيذي لليونسكو (١٠/٨/٢٠١٣م)^(٨٦)، ولم يكن أي من الجانبين الفلسطيني أو الأردني على علم بهذا القرار الإسرائيلي، ولم تجر أية مشاورات حتى تاريخه.

إن بيان مدير عام اليونسكو لهو دليل على أنه ليس بمقدور اليونسكو حتى مجرد التصريح بلوم إسرائيل على الصفة التي وجهتها إليها في اللحظات الأخيرة قبيل سفر بعثتها إلى القدس، أو إدانة موقفها العايب بقرارات المنظمة الدولية، أو الضغط عليها لتنفيذ تلك القرارات، وهو ما يشجع إسرائيل على المزيد من التصلب في مواقفها المتحدّية لقرارات المنظمة الدولية. ويعود ذلك، إلى ما تتعرض له اليونسكو من ضغوط من الدول الأعضاء، وأقلها من الجانب العربي، وقد كان بإمكان الدول العربية الضغط على المدير العام في هذا العام [٢٠١٣] الذي يصادف ترشحها لولاية ثانية لرئاسة اليونسكو، لاتخاذ مواقف أكثر تشدداً للضغط على إسرائيل في شأن الحفاظ على التراث الثقافي في القدس، وتطبيق بنود المعاهدات الدولية الخاصة بحماية هذا التراث، وتحديدًا في حالات النزاع المسلح وتحت الاحتلال وهو ما لم يحدث.

(٨٦) (EX/Decisions (15 October 2013 192)، ص ٥١، وقد اعتمد القرار بشأن «متابعة بعثة اليونسكو للرصد التفاعلي إلى مدينة القدس القديمة وأسوارها واجتماع اليونسكو بشأن منحدر باب المغاربة» بعد تصويت بندااء الأسماء أسفر عن ٣٦ صوتًا مؤيدًا، وصوت واحد معارض - هو صوت الولايات المتحدة الأمريكية - ١٩ حالة امتناع عن التصويت، وتغيّب دولتين، علمًا بأن عدد أعضاء المجلس التنفيذي ٥٨ عضوا يعيّنون بالانتخاب. راجع الوثيقة نفسها بشأن تفاصيل التصويت، فيما اعتمد القرار الخاص بالقدس بأغلبية ٢٨ صوتًا وامتناع ١٦ دولة عن التصويت ومعارضة الولايات المتحدة الأميركية، وتغيّب ثلاث دول. المرجع نفسه، ص ١٧ - ١٨. وقد دأبت الولايات المتحدة على التصويت بمعارضة القرارات الخاصة بالقدس في المجلس التنفيذي. وكان المندوب الأميركي الدائم باليونسكو خاطب المجلس التنفيذي في دورته ١٨٥ (أكتوبر ٢٠١٠م) بعد اتخاذ القرار الخاص بالقدس «لشرح تصويته» فقال: «إن اليونسكو يتم استغلالها مرة تلو أخرى لاستفراد إسرائيل. وإن الولايات المتحدة تشجع بشدة المجلس التنفيذي على إيجاد بديل للقرارات المسيّسة إلى حد كبير والبنود التي تبدو دائمة على جدول أعماله المركزة على دولة واحدة فقط».

“More and more, UNESCO is exploited as a means to single out Israel. The United States strongly encourages the Executive Board to seek an alternative to highly politicised decisions and seemingly permanent agenda items focused on one country”.

www.unesco.usmission.gov/eov.html. Explanation of Vote, Delivered by United States Ambassador and Permanent Delegate to UNESCO, David T. Killion.

ولا شك أن الضغط السياسي بل والإعلامي يعطي نتائج. فحين وجدتُ فيما كنت أتصفح الموقع الإلكتروني لليونسكو في شهر حزيران/يونيو ٢٠١١م، أن الصفحة الإلكترونية الخاصة بإدارة الاتصال والمعلومات باليونسكو، تسمى عاصمة إسرائيل: «القدس»، وأعلمنا بذلك الوزارات العربية المعنية، فتلقت مدير عام اليونسكو إثرها احتجاجات رسمية عربية شديدة اللهجة، وتعرضت اليونسكو لهجوم إعلامي عربي عاصف^(٨٧)، قامت اليونسكو بإصدار بيان في ١٥/٧/٢٠١١م، تحت عنوان: «اليونسكو تردّ على الادعاءات»، نصه التالي: «تودّ اليونسكو أن تؤكد مجدداً، وخلافاً للادعاءات التي ذكرت مؤخراً، أنه لم يحصل أي تغيير بالنسبة إلى موقعها حيال مدينة القدس. إن القدس القديمة مدرجة على قائمة التراث العالمي والتراث العالمي المهدد بالخطر. وتعمل اليونسكو على ضمان احترام القيمة العالمية الاستثنائية للتراث الثقافي لمدينة القدس القديمة. كما هو مدرج على موقع اليونسكو الرسمي على الإنترنت. وحسب قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، فإن القدس لا تزال جزءاً من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويجب أن يناقش وضعها النهائي ضمن مفاوضات الحل الدائم^(٨٨). وليس لليونسكو أن تأخذ موقفاً آخر بشأن الوضع القانوني للقدس فهي هيئة دولية ومنظمة متخصصة من منظمات الأمم المتحدة، غير أنه لم يكن لها أن تذكر خضوع القدس لمفاوضات الحل الدائم، وهو ليس في قرارات الأمم المتحدة التي تنص على أن المفاوضات في إطار عملية السلام تستند، إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ و٢٢٨ ومبادرة السلام العربية التي لا تجعل القدس الشرقية محلّ تفاوض^(٨٩).

(٨٧) تراجع الحملة الإعلامية في مواقع إلكترونية عربية عديدة ظهرت تحت عنوان اليونسكو تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وقد خالطها الكثير من المبالغة.

(88) www.unesco.org/new/ar/media-services/singleview/news/unesco_position_regarding_Jerusalem

وقد صححت اليونسكو «الخطأ» وألفت في الصفحة المذكورة الخاصة بإسرائيل ذكر العاصمة كلياً. انظر: portal.unesco.org/ci/en, Activities by Country, Country Profile, Israel.

(٨٩) كان هذا موقف ممثل الولايات المتحدة الأميركية في اللجنة عند مناقشة تسجيل القدس على قائمة التراث العالمي، راجع هامش ٢٧، وهو الموقف الأميركي وليس الموقف المعتمد في القرارات الدولية. ويراجع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة السادسة والستون، البند ٦١ من جدول الأعمال ٢٢٥/٦٦ «السيادة الدائمة للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، وللسكان العرب في الجولان السوري المحتل على مواردهم الطبيعية»، ٢٩ مارس ٢٠١٢م.

ملاحظات ختامية واقتراحات للعمل المستقبلي في لجنة التراث العالمي

كان قرار لجنة التراث العالمي بشأن القدس في اجتماعها الأخير هذا العام [٢٠١٣] في «بنوم بنه» من أشدّ قرارات اللجنة قوّة وأكثرها تفصيلاً منذ ان بدأت عام ٢٠٠٤م، بالنظر في حال صون موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها»، بوصفها موقعاً مسجلاً في قائمة التراث العالمي المعرض للخطر؛ وقد وصف رئيس وفد إسرائيل، إلى اجتماع اللجنة القرار بأنه: «قرار سياسي ملقّق ضد إسرائيل... يحمل تداعيات مدمّرة على مستقبل اليونسكو، من شأنها أن تؤدّي حتماً إلى دمارها النهائي».^(٩٠) فقد طالب القرار إسرائيل بإيقاف أعمال التنقيب والحفريات الأثرية، والامتناع عن تنفيذ المشروعات المزمع تنفيذها في مدينة القدس القديمة وما حولها، ولا سيما مشروع «التفريك»، ومركز الزوّار في المكان المعروف باسم «موقف جفعاتي للسيارات»، ومشاريع المباني في ساحة الحائط الغربي^(٩١). وقد اعتمدت اللجنة هذا القرار بالتصويت ببناء أسماء الدول الأعضاء في اللجنة، فأيدته عشر دول أعضاء، وعارضته ثلاث دول، وامتنعت ثماني دول عن التصويت^(٩٢). وإذا صحّ ما صرّح به ممثل إسرائيل الدائم لدى اليونسكو من أن المدير العام أعلنت أنها لن تنفذ قراراً لا يؤخذ بالإجماع ولأن اليونسكو لم تكذب تصريحه؛ فإن منظمة اليونسكو لن تفعل شيئاً لتنفيذ هذا القرار الذي اعتمد بنسبة تأييد غير كبيرة^(٩٣)، وكانت الدول المؤيدة جميعاً - باستثناء روسيا التي تنتمي إلى

(90) www.eurojewcong.org/global-news/9712-israel-slams-unesco-over-jerusalem-resolution.html.

(91) WCH – 13/37. COM 20. Decision 37 COM 7A 26, p. 36.

(٩٢) راجع الوثيقة الخاصة بالقدس في الدورة الثانية والتسعين بعد المائة للمجلس التنفيذي باللغة العربية. EX/11, p. 192، ولم تذكر الوثيقة أسماء الدول. وقد أفادني الدكتور منير بوشناق، مستشار مدير عام اليونسكو بشأن ملف القدس في لجنة التراث العالمي، في رسالة إلكترونية رداً على سؤال في شأن تفاصيل التصويت بالآتي: الدول المؤيدة: الجزائر والعراق وقطر والإمارات والهند وماليزيا ومالي وروسيا والسنگال وأفريقيا الجنوبية؛ الدول المعارضة: أستونيا وألمانيا وسويسرا؛ والدول الممتنعة: كمبوديا وكولومبيا وإثيوبيا وفرنسا واليابان والمكسيك وصربيا وتايلندا.

(٩٣) على عكس القرارات الخاصة بالقدس في اجتماع المجلس التنفيذي الأخير (أكتوبر ٢٠١٢م) التي اعتمدت بأغلبية كبيرة، راجع هامش ٨٤. ولا شك أن توجهات الدول في التصويت على قرارات بعينها والاختلاف بين موقف دول معينة من مجلس من مجالس اليونسكو... إلخ، موضوع يستحق الدراسة بما يشكله ذلك من أساس لرسم خطط الحراك السياسي والمتابعة الدبلوماسية من قبل فلسطين والأردن والمجموعة العربية بأسرها في اليونسكو.

مجموعة أوروبا الشرقية في اليونسكو - دولاً عربية، وبعض الدول الأفريقية والآسيوية، ولم تدعمه أية دولة أوروبية أو أميركية لانتينية^(٩٤). وأصدر وفد إسرائيل الدائم لدى اليونسكو مذكرة شفوية في ٨ تموز/ يوليو ٢٠١٣م، كرر فيها اعتراضاته على قرار اللجنة «مع تأكيد استعداد السلطات الإسرائيلية لتنفيذ القرارات التوافقية»^(٩٥)، أي أن إسرائيل لن تنفذ ما لا توافق عليه هي نفسها، والدول الداعمة لها، وتلك الممتنعة عن اتخاذ موقف معارض لانتهاكاتهما الصريحة للمعاهدات والاتفاقيات الدولية.

غني عن القول إن التحدي الإسرائيلي للقانون الدولي في أشكاله المختلفة لا يقتصر على مواقف إسرائيل من قرارات اليونسكو ومعاهداتها، وهو ليس بالجديد أو المفاجئ. كما أن هذا التعتن الإسرائيلي لا يقلل من شأن أهمية إدانة قرارات الأمم المتحدة ومنظماتها المدينة للخروج الإسرائيلية للقانون الدولي، بل إن ردود فعل المسؤولين الإسرائيليين الغاضبة على تلك القرارات تؤكد أهمية مواصلة العمل في إطار الأمم المتحدة ومنظماتها، لتثبيت الحقوق الفلسطينية والعربية المشروعة، وإدانة الممارسات الإسرائيلية غير الشرعية والمعارضة للقانون الدولي. ولا شك أن العمل في إطار منظمة اليونسكو لإثبات الحقوق الوطنية الفلسطينية، وإدانة الخرق الإسرائيلي المتواصل للمعاهدات الدولية في مجالات عمل اليونسكو، اكتسب ميزة خاصة لم تتوافر بعد في غيرها من منظمات الأمم المتحدة، بانضمام فلسطين دولة كاملة العضوية، إلى اليونسكو في أكتوبر ٢٠١١م، وتصديقها على الاتفاقيات الثقافية الدولية التي ترعاها اليونسكو، ومن بينها اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي. وأرى أن خطة العمل المستقبلية بشأن ملف القدس في لجنة التراث العالمي وفي المجلس التنفيذي لليونسكو ومؤتمرها العام لا بد أن تسير في خطوط ثلاثة متوازية:

أولاً: مواصلة الجهود الفلسطينية-الأردنية خاصة، والعربية عامة، لحمل إسرائيل على تنفيذ القرارات الصادرة عن لجنة التراث العالمي والمجلس التنفيذي والمؤتمر العام بشأن القدس.

(٩٤) يلاحظ عدم وجود توافق داخل كل من المجموعتين الأفريقية والآسيوية بشأن الموقف من القرار، إذ امتنعت عن التصويت إثيوبيا من المجموعة الأفريقية، وكل من اليابان وتايلندا وكمبوديا من المجموعة الآسيوية. بل أن لا توافق أيضاً في مواقف دول المجموعة الأوروبية في المجلس التنفيذي.

(٩٥) المرجع نفسه، ص ٣.

ثانياً: استئناف المساعي لإسقاط موقع «القدس» من القائمة التمهيدية الإسرائيلية استناداً إلى ما سبق بذله من جهد عربي في الدورات السابقة للجنة، وما أصدرته من قرارات في هذا الشأن^(٩٦).

ثالثاً: عمل فلسطيني-أردني مشترك لضمّ موقع «مدينة القدس القديمة وأسوارها» المرشح من الأردن، والمسجل في قائمة التراث العالمي عام ١٩٨١م، وقائمة التراث العالمي المعرض للخطر عام ١٩٨٢م، إلى التراث الفلسطيني المسجل في القائمة^(٩٧)، استناداً إلى اعتراف القانون الدولي المتمثل في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن والمعاهدات الدولية، بأن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة^(٩٨)، وهو ما أقرّته اليونسكو في بيانها المذكور أعلاه^(٩٩).

وتقتضي متابعة تنفيذ خطة العمل بشأن القدس ذات المسارات الثلاثة المتوازية ما يأتي:

١. إعداد ملفات علمية يتولاها خبراء مختصون تتضمن دراسات قانونية مستندة إلى المعاهدات والاتفاقيات الدولية، والقرارات الدولية ذات الصلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ومنظمة اليونسكو، وكشوفاً بالانتهاكات الإسرائيلية لاتفاقيات اليونسكو الخاصة بحماية التراث الثقافي، وحماية هذا التراث في زمن الأزمات، وفي ظل النزاعات المسلحة وتحت الاحتلال، وتوزيعها على المندوبين الدائمين في اليونسكو، وتوزيعها عبر السفارات الفلسطينية

(٩٦) يراجع أيضاً هامش رقم ٤٥.

(٩٧) تضم القائمة موقعاً فلسطينياً واحداً تم تسجيله عام ٢٠١٢م هو: «مهد ولادة يسوع المسيح: كنيسة المهد وطريق الحجاج، بيت لحم.

(٩٨) تراجع وثيقة الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية في شأن الجدار الذي بنته إسرائيل في «الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية» التي تستند فيها إلى الأسس القانونية الدولية التي يقوم عليها حكمها. ويلاحظ أن الوثيقة تتبع في كل مرة تأتي على ذكر الأراضي الفلسطينية المحتلة قولها «بما فيها القدس الشرقية» في:

Unispal.un.org. International Court of Justice, 9 July 2004, General List 131. Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territory.

(٩٩) راجع هامش ٨٧.

والأردنية بشكل خاص للدول الأعضاء في لجنة التراث العالمي^(١٠٠) والمجلس التنفيذي^(١٠١).

٢. بذل الجهود السياسية والدبلوماسية الفلسطينية والأردنية على أعلى المستويات، وبالتنسيق والتعاون مع جامعة الدول العربية على مستوى الاجتماعات الدورية لوزراء الخارجية العرب والقمة العربية^(١٠٢)، ومتابعة الاتصالات المستدامة مع الدول الأعضاء في لجنة التراث العالمي والمجلس التنفيذي، بهدف إقناعها باتخاذ موقف داعم بشأن ملف القدس في اليونسكو.

٣. تعزيز التنسيق بين المجموعة العربية والمجموعات والدول الصديقة في اليونسكو بهدف اتخاذ موقف حازم مشترك من الإدارة العامة لليونسكو، لحملها على الضغط على إسرائيل لتنفيذ القرارات الموجهة إليها بشأن القدس.

٤. سعي كل من فلسطين^(١٠٣) والأردن إلى كسب عضوية لجنة التراث العالمي، وتعزيز التنسيق العربي لدعم انتخاب ممثلي الدول الصديقة المرشحة لعضوية اللجنة.

٥. تعزيز ودعم البعثتين الفلسطينية والأردنية لدى اليونسكو بالكفاءات المتخصصة،

(١٠٠) انتهت في نوفمبر هذا العام (٢٠١٢م) عضوية ١٢ دولة في لجنة التراث العالمي، منها دولتان عربيتان هما الإمارات والعراق، وانتخبت لتعويضها لأربع سنوات في عضوية اللجنة في الجمعية العامة للدول الأطراف في اتفاقية التراث العالمي (باريس ١٩-٢١/١١/٢٠١٣م)، الدول التالية: كرواتيا وفنلندا وجامايكا وكازاخستان وكوريا ولبنان وبيرو والفلبين وبولندا والبرتغال وتركيا وفيتنام. وتبقى الدول التالية حتى عام ٢٠١٥م: الجزائر وكولومبيا وألمانيا والهند واليابان وماليزيا وقطر والسنگال وصربيا. ويلحظ ضعف الحضور العربي في اللجنة في السنتين القادمتين مما يفرض تكثيف الجهود لتعزيز الاتصال بالدول الأعضاء، الصديقة منها خاصة، والإعداد منذ الآن لترشيح دول عربية للعضوية وفوزها في انتخابات عام ٢٠١٥م.

(١٠١) انتهت في نوفمبر ٢٠١٢ م، عضوية ٢٧ دولة وانتخب المؤتمر العام بديلا لها في الدورة ٢٧ (٢٠٠٥-١١/٢٠١٢م). وقد تم انتخاب كل من الجزائر والكويت ومصر والمغرب لعضوية المجلس حتى عام ٢٠١٧م، إلى جانب الإمارات وتونس اللتين تستمر عضويتهما حتى عام ٢٠١٥م. وفاضت مصر بانتخاب رئاسة المجلس لمدة عامين، وهي فرصة متميزة لا بد من عمل المجموعة العربية للاستفادة منها في تعزيز الموقف العربي بشأن القدس وفي كسب دعم الدول الأعضاء في المجلس لمشاريع للقرارات التي تتقدم بها المجموعة العربية بهذا الشأن.

(١٠٢) راجع هامش ٥٦. بشأن قرار القمة العربية الداعي إلى متابعة الجهود لإسقاط موقع القدس من القائمة التمهيدية الإسرائيلية.

(١٠٣) قدمت فلسطين ترشحها للعضوية في هذه الدورة ولم تنجز بها. راجع هامش رقم ١٠٠.

لتعملا على متابعة تنفيذ خطة العمل على مدى العام حتى لا يقتصر على مواسم الاجتماعات، وذلك بالتعاون والتنسيق مع المجموعة العربية، والمجموعات الصديقة في اليونسكو، وبإشراف من وزارتي الخارجية في كلا الدولتين.

٦. إنشاء لجنة وطنية فلسطينية للتراث الثقافي والطبيعي العالمي^(١٠٤) والعمل على تأكيد حضور «مدينة القدس القديمة وأسوارها» حضوراً فعلياً وكاملاً في لجنة التراث العالمي باعتبارها موقع تراث ثقافي عالمي فريد في الأرض الفلسطينية المحتلة، وليست أرضاً متنازلاً عليها، وتحميل السلطة المحتلة التزاماتها استناداً إلى المعاهدات الدولية الحامية للتراث الثقافي في زمن الاحتلال؛ وتحميل اليونسكو والمجتمع الدولي بأسره مسؤولية «الحماية الجماعية» لذلك التراث لتحقيق اتفاقية التراث العالمي حفاظاً على تراث القدس بوصفه تراثاً فلسطينياً عالمياً يجسد قيماً إنسانية، تاريخية وفنية وروحية استثنائية.

(١٠٤) ينظر إلى ما توليه إسرائيل من اهتمام بموضوع التراث الثقافي والطبيعي العالمي بالرجوع إلى تقرير: "Think Tanks Report; Israel World Heritage Committee", July 2006. www.meyda.education.gov.il.

الانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة وما حولها*

أ. د. معاوية إبراهيم**

تقع القدس على مرتفع في منطقة وسطية من فلسطين، وترتفع حوالي ٨٠٠ م فوق سطح البحر، وتبدو أكثر ارتفاعاً بسبب وجود حفرة انهدام وادي الأردن من جهة الشرق التي تنخفض حوالي ٤٠٠ م عن سطح البحر. القدس مأهولة بالسكان منذ أكثر من خمسة آلاف عام، ومر عليها أكثر من عشرين عهداً أو حقبة زمنية رئيسية. ويتمثل كل عهد بمرحلة بناء مميزة، إلا إنه كثيراً ما كان القائمون على المدينة يزيلون آثار العهد الذي سبقهم. (إبراهيم ١٩٩٠: ٢-١٣٠)

سكن المدينة الكنعانيون (حوالي ٣٠٠٠ - ١٥٠٠ ق. م)، واليبوسيون (١٥٠٠ - ١٠٠٠ ق. م)، واليهود (٩- ٧٥٠ ق. م)، والبابليون حتى ٥٣٩ ق. م، والفرس (٥٣٩ - ٣٣٢ ق. م)، واليونان (٣٣٢ - ٧٠ ق. م)، والرومان (٧٠ ق. م - ٤٢٣ م) والبيزنطيون (٣٢٤ - ٦٣٨ م)، والعرب المسلمون (٦٣٨ - ١٠٩٩ م)، والصليبيون (١٠٩٩ - ١١٤٩ م)، والأيوبيون والمماليك (١١٨٧ - ١٥١٧ م)، والعثمانيون (١٥١٧ - ١٩١٧ م).

وخضعت فلسطين للانتداب البريطاني منذ ١٩١٧م وحتى ١٩٤٨م، عندما نشأ الكيان الإسرائيلي واتبعت الضفة الغربية بما في ذلك القدس القديمة للمملكة الأردنية الهاشمية، واحتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م.

* لقد أتيت الفرصة لصاحب هذا البحث للقيام بزيارات ميدانية للقدس خلال السنوات الأخيرة أمكنته من الاطلاع على الانتهاكات والتعدييات الإسرائيلية على الواقع، وتوثيق جانب منها وقام بالنقاط جميع الصور التي تضمنتها الدراسة إلا إذا تم التنويه عن غير ذلك.
** ممثل الأردن في لجنة اليونسكو للتراث العالمي، وقد التزمنا بمنهجية الباحث كما وردت في بحثه المقدم للمؤتمر.

ومن الجدير بالذكر، أن غالبية هذه المجموعات البشرية والشعوب اعتبرت القدس مدينة مقدسة، الأمر الذي جعلها من أكثر مدن العالم شهرة ومحط أنظار الديانات السماوية الثلاث. ويزيد عدد المراجع التي تم رصدها حول القدس عن سبعة آلاف مرجع.



صورة جوية للقدس تبين طوبوغرافيتها

التنقيبات الأثرية

تناوب الآثاريون من مختلف بلدان العالم الغربي على التنقيبات في القدس، وغالبية هذه الحفريات وأقدمها استهدفت الكشف عن الآثار التوراتية منذ أيام الباحث التوراتي روبنسون (E. Robinson عام ١٨٥٦م)، وتبعه البريطانيان ولسون وورن (C. Wilson and C. Warren) خلال عامي ١٨٦٤م و١٨٦٥م، كذلك خلال أعوام ١٨٦٧م حتى ١٨٧٠م. وشكل البريطانيون والأمريكيون فريقاً مشتركاً بين سنوات ١٨٩٤م و١٨٩٧م بإشراف المعماري البريطاني بلس (F. Bliss) والتوراتي الأميركي ديكي (A. Dickie) وفتحوا عدداً من

الخنادق والقنوات في منطقة الحرم القدسي وحول أسوار المدينة، وتتبع ما يعرف «بقناة جيحون»، وهو ما تابعه الأثاري الفرنسي كلير مونت جانو (Clermont - Ganneau) الذي ركز على المنحدر الشرقي، وعاود البريطانيون حفرياتهم قبل الحرب العالمية الأولى (١٩٠٩م - ١٩١١م) بإشراف باركر (M. Parker) الذي استهدف التعرف على معبد سليمان في منطقة الحرم الشريف.

أقيمت أولى الحفريات اليهودية خلال سنوات (١٩١٣م - ١٩١٤م - ١٩٢٣م - ١٩٢٤م) بإشراف الفرنسي فيل (E. Weill) الذي حاول التقيب عند الحافة الشرقية بحثاً عن قبر داود وملوك اليهود الآخرين، لكنه فشل في تحقيق ذلك.

بعد أن أصبحت فلسطين تحت الإنتداب البريطاني (منذ نهاية الحرب العالمية الأولى) غدت الفرصة لملائة لعشرات الأثاريين الإنجليز لمواصلة البحث في القدس بمن فيهم مكليستر ودنكن (R. A. Macalister and J. G. Duncan) ١٩٢٣م-١٩٢٦م، وفنس جيرالد وكروفوت (J. Crowfoot and G. Fitzgerald) ١٩٢٧م-١٩٢٨م، وهاملتون (R. Hamilton) ١٩٣٧م-١٩٣٨م و ١٩٤٠م.

وتعتبر الحفريات التي أشرفت عليها الباحثة البريطانية الشهيرة كاتلين كنيون أهم الحفريات، وقد أشرفت على حفريات علمية واسعة النطاق على كامل المنحدرات الجنوبية الشرقية للمدينة في الفترة ما بين ١٩٦١م، وحتى احتلال الإسرائيليين للقدس عام ١٩٦٧م، وأهم ما توصلت إليه حفريات كنيون، أن أسوار القدس منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن ٨ ق.م، تسير في المنحدر الشرقي خارج الأسوار الحالية والحرم القدسي الشريف. تواصلت الحفريات في القدس منذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧م وما زالت جارية حتى الآن، لكنها لم تتوصل إلى معالم المدينة القديمة من العهود التوراتية القديمة. (إبراهيم ٢٠١٠: ٢٨٣-٢٢٠)

لم تحظ القدس بدراسات ميدانية عربية متعمقة، ولكن أعمال الترميم والصيانة التي تولتها حكومة المملكة الأردنية الهاشمية من خلال وزارة الأوقاف شملت قبة الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى وعدداً من أحياء المدينة القديمة. كما قام المكتب الفني، ضمن برنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، بمسح شامل لمعالم القدس القديمة وتحليلها لإحيائها وإنعاش مبانيها المختلفة، إضافة إلى دراسة الأوضاع السكانية والاقتصادية والاجتماعية وواقع المؤسسات والجهات العاملة في البلدة القديمة. (القدس: تراث وحضارة، خطة إحياء البلدة القديمة، مؤسسة التعاون ٢٠٠٢)

لقد صدر عن القدس مراجع كثيرة بمختلف اللغات يصعب حصرها في الوقت الحاضر، لكنها في الغالب كانت لأهداف سياسية ودينية، متأثرة بأوضاع منطقة الشرق الأوسط، والمصالح الدينية الممتلئة في المدينة المقدسة. وهكذا كانت دوافع الحفريات الأثرية والمسوحات التي غطت القدس وما حولها. وقد زُجَّ بهذه الدوافع لتفسير المكتشفات الأثرية تبعاً لأهداف وآراء توراتية لا تتسجم بالضرورة مع الشواهد التي تم الكشف عنها. ولعل الدراسات التي حررها كل من زيدان كفاي في روبرت شيك توضح جانباً مهماً من الحقائق والاستنتاجات المنبثقة عن المعطيات الأثرية و المصادر التاريخية القديمة، وخاصة ما يتصل منها باليبوسيين و بمصر و بلاد ما بين النهرين. (Kafafi and Schick 2007).

سبق هذه المساهمات دراسة أخرى مؤلفة من ثلاثة مجلدات صدرت عن جامعة تيوبنجن الألمانية عام ١٩٩٤م وتحمل عنوان تاريخ العمارة في القدس منذ العصر الحجري النحاسي وحتى العهد العثماني، فهي دراسة مهمة رغم ما يشوبها من مغالطات في مرحلة العصر الحديدي. (Klaus Bieberstein and Hanswulf Bloedhorn 1994).

ويبدو أن السلطات الإسرائيلية كانت قد أعدت تصوراً شاملاً حول مخططاتها في المدينة وما حولها حتى قبل احتلالها للقدس والمناطق المتصلة بها. تتضمن الإجراءات الإسرائيلية الآتية:

هدم البيوت وتهجير السكان



أهم معالم التغيير كانت في ساحة البراق وحي المغاربة الذي قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بهدمه

منذ بداية سياسة الاستيطان اليهودي في القدس تمكنت من إقامة أحياء جديدة خارج أسوارها لإسكان المهاجرين اليهود فيها، وقد عمل الاحتلال الصهيوني لفلسطين منذ عام ١٩٤٨م على التغيير في عدد السكان وتهجيرهم وهدم بيوتهم، وأدى الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس الشرقية عام ١٩٦٧م إلى تغير جذري على السكان والمباني.



هدم البيوت في سلوان

ومن أهم هذه الأعمال لمخططات قوات الاحتلال الإسرائيلي في وقتنا الحاضر، هو هدم حي المغاربة والشرف وتهجير سكانه وبناء مبان جديدة إسرائيلية وإسكان اليهود بدل الفلسطينيين، بالإضافة إلى مصادرة أو شراء مبان سكنية داخل الحي الإسلامي بطرق ملتوية وملفقة من أجل التغلغل وإحكام السيطرة. وهناك استمرارية في عمليات الهدم لمنازل المقدسين والاستيلاء على عقاراتهم من قبل مستوطنين وجمعيات يهودية ناشطة في هذا المجال، ولا ننسى عمليات الاعتقال للمواطنين المقدسين وإصدار الأوامر بإبعادهم عن البلدة القديمة والمسجد الأقصى. (القدس: تراث وحضارة، خطة إحياء البلدة القديمة، مؤسسة التعاون ٢٠٠٢).

تغيير معالم المدينة وإقامة المباني الاستيطانية داخل المدينة وخارجها

تحقق هذا من خلال التوسع في إقامة المستوطنات الإسرائيلية، وقد عملت سلطات الاحتلال الإسرائيلية على ضم قرى فلسطينية مثل بيت حنينا، صور باهر، العيسوية، كفر عقب، إضافة إلى القدس، التي سعت خطط الحكومة الإسرائيلية على التوسع العمراني داخلها، وعملت بذلك على إقامة حزام من المستوطنات الإسرائيلية على أطراف حدود القدس الموسعة، وبناء المستوطنات أيضاً خارج القدس، مثل معاليه أدوميم، بسغات زئيف، أفير يعقوب، غوش عتسيون. وهذه المستوطنات رُبطت مع طرق مواصلات مريحة لتزيد

من تماسك هذا العمران. وتعمل على تقطيع الامتداد العمراني الفلسطيني وهدمه. وفي الوقت الحاضر تنفذ سلطات الاحتلال الإسرائيلي مخططاً استيطانياً جديداً يتضمن إقامة مائة وثمانين وحدة استيطانية جنوبي القدس بعد مصادرة ما يقارب سبع وستين دونماً من الأراضي الفلسطينية المحتلة وهدم منازل سكانها العرب، وافتعلت من أجل ذلك قانوناً مزعوماً يقضي «بمحاكمة الحجر» دون «البشر»، وهذا القانون العنصري يتيح لسلطات الاحتلال هدم المنازل حتى وإن كانت تحمل رخص بناء، مما يسهل عملية الإنتفاف على القانون لأغراض التوسع الاستيطاني. وبالإضافة إلى هذه الوحدات الاستيطانية السكنية سيتم تخصيص حوالي ثلاثين دونماً كأراضٍ خضراء ومرافق عامة.



مستوطنة معاليه ادوميم

كما قامت سلطات الاحتلال باستبدال أسماء الشوارع والأزقة والمعالم التاريخية بأسماء عبرية. واستبدلت كثيراً من الصناعات المقدسية والفلسطينية التقليدية الأخرى في الحوانيت بصناعات ذات صبغة إسرائيلية وعليها رموز يهودية أو صهيونية الطابع.



إحدى المستوطنات الإسرائيلية حول القدس



مستوطنة أبو غنيم

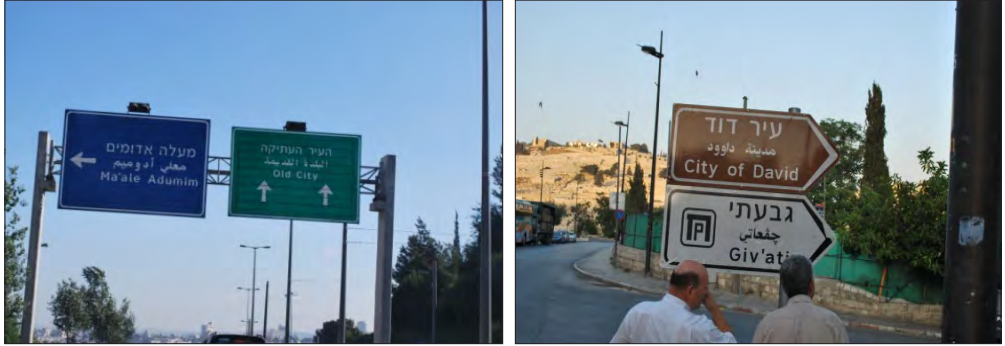
ويعتمد الاحتلال الإسرائيلي سياسة مصادرة الأراضي المملوكة للفلسطينيين من أجل توسيع مستوطناته، وبالتالي تضيق الخناق على الوجود العربي في مدينة القدس، وقد تم خلال العقود الماضية مصادرة الآلاف من الدونمات في القدس ومحيطها، وما زالت

هذه السياسة متبعة من قبل الاحتلال، ففي عام ٢٠٠٤م، جرى الإعلان عن مصادرة ألفي دونم من أراضي قرية الولجة جنوبي القدس المحتلة، لإقامة خمسة آلاف وحدة استيطانية جديدة عليها، كما كُشف النقاب عن مخطط استيطاني خطير يبتلع جميع أراضي بيت إكسا شمالي غربي القدس، وقد أخطرت السلطات الإسرائيلية المواطنين الفلسطينيين بمصادرة ١٤ ألف دونم من أراضي قريتهم لإقامة مستوطنة جديدة عليها. وفي ذات السياق فإن الاحتلال قام بسلسلة من الخطوات من أجل السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أراضي القدس، فمنذ العام ١٩٦٧م، قام قائد المنطقة الوسطى آنذاك رحبعام زئيفي بالتنسيق مع موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي في ذلك الوقت، بضم أراضي ثمان وعشرين قرية ومدينة فلسطينية، وإخراج جميع التجمعات السكانية الفلسطينية من حدود المدينة. وفي العام ١٩٩٣م، بدأت مرحلة أخرى من تهويد القدس، وذلك برسم حدود جديدة لمدينة القدس الكبرى، (المتروبوليتان)، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها ستمائة كم مربع أو ما يعادل ١٠٪ من مساحة الضفة الغربية، هدفها التواصل الإقليمي والجغرافي بين تلك المستوطنات لإحكام السيطرة الكاملة على المدينة.



التنقيبات الأثرية الإسرائيلية

أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) العديد من القرارات التي تشجب وتستنكر الاعتداءات الصارخة التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في الأماكن المحتلة والأماكن الدينية في القدس الشريف، كما أدانت الحفريات وأعمال التنقيب التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في محيط المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة. وهذه الحفريات تهدد موقع القدس القديمة المسجلة على لائحة التراث العالمي وفي لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر.



تغيير أسماء شوارع المدينة والمباني العامة فيها. وإعطائها أسماء عبرية بدلاً من الأسماء العربية الأصلية

استبدال البضائع والصناعات المقدسية
والفلسطينية التقليدية في الحوانيت
بأخرى ذات صبغة إسرائيلية وتحمل
رموزاً عبرية وصهيونية





الجدار الفاصل ونماذج من شعارات ولوحات تعبيرية باتجاه أراضي السلطة الفلسطينية احتجاجاً على الجدار العازل والاحتلال الإسرائيلي وتطالب بالسلام العادل

باشر الإسرائيليون بالحضر بصورة غير قانونية بعد الاحتلال عام ١٩٦٧م في المنطقة الجنوبية والغربية المحاذية للحرم الشريف، ليكشفوا خلاف ما توقعوه عن سلسلة من القصور الأموية، بالإضافة إلى مخلفات أثرية بيزنطية، بدأوا في عقد الثمانينات بشكل سري بالتنقيب في منطقة الحرم نفسها وتتبع النفق الأرضي الواقع على امتداد السور الغربي لمنطقة الحرم والممتد من حائط البراق (تحت المدرسة التنكزية) إلى باب الغوانمة (الواقع في الزاوية الشمالية الغربية للحرم الشريف). وقد أدت هذه الحفريات إلى تصدع المباني الواقعة فوقها، التي تعود إلى الفترات العربية الإسلامية كالمدرسة العثمانية.

وهناك النفق الذي يعرفه الإسرائيليون بـ «نفق الحشمونائيم» (وهو في معظمه يعود إلى الفترات الأموية والأيوبية والمملوكية والعثمانية والفرنجة) ويصل طوله إلى ٤٩٥ متراً. وقد قامت القوات الإسرائيلية بحفر نفق أرضي آخر شرقاً باتجاه قبة الصخرة حتى وصل إلى مدخل بئر سبيل قاتباي (بوابة ورن). واستمرت الحفريات السرية داخل الأنفاق وتحت المظلات، الأمر الذي يترك أثراً كبيراً على سلامة الحرم القدسي، ويلاحظ بأنه لا يتم إطلاع الآخرين على ماهية ما يتم الكشف عنه.

باب المغاربة



حي المغاربة المهدوم والجسر الذي يوصل إلى باب المغاربة



الحفريات الأثرية

استولت السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧م على حي المغاربة، لأنه يشرف على حائط البراق (يطلق عليه الإسرائيليون حائط المبكى) حول المسجد الأقصى المبارك، ويدعي الإسرائيليون أنه جزء من الجدار الغربي لمعبدهم (هيكلمهم المزعوم) فقاموا بتدمير المنطقة تماماً، وحولوها إلى ساحة أطلقوا عليها «ساحة المبكى»، وأقاموا جسراً بديلاً في هذه الساحة يقود إلى باب المغاربة ومنه إلى الأقصى، حتى يمكن الشرطة وقوات الاحتلال الإسرائيلية اقتحامه في أي وقت، في إطار سعيهم لتهويد محيط المسجد الأقصى المبارك وتغيير المعالم الإسلامية في القدس. ومنعوا المسلمين من الوصول

إلى حائط البراق، وحالوا دون استخدامهم لباب المغاربة، وصادروا مفاتيح هذا الباب التاريخي الذي يؤدي إلى ساحة المسجد الأقصى المبارك.



الحفريات الأخيرة في حي المغاربة تمهيداً لإزالة الآثار المتبقية منها لعام ٢٠١٣م

ولخدمة ادعاءاتهم عن مكان المعبد المزعوم، قاموا بالحفريات في ساحة البراق (حي المغاربة سابقاً) وامتدت الحفريات تحت الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك إلى مداخل المسجد، وفتحوا أنفاقاً امتدت بطول الجدار الغربي للأقصى، وأقيم في جزء منها كنيس يهودي، وأدت هذه الحفريات

إلى خلخلة التل الذي يقوم عليه طريق باب المغاربة، وقامت السلطات الإسرائيلية أيضاً بإزالة الأتربة المتساقطة وجزءاً من الجدار دون مراعاة ما تضمه من آثار إسلامية، وبدلاً من الترميم، أعلن الإسرائيليون عزمهم هدم الطريق الأثرية كلها، الأمر الذي يشكل أكبر انتهاك للمسجد الأقصى المبارك منذ عام ١٩٦٧م.

وضعت سلطات الاحتلال مخططاً لإقامة جسر يوصل إلى باب المغاربة العلوي من الناحية الجنوبية الغربية لسور الحرم القدسي، وذلك على البقايا الأثرية لحي المغاربة، فهذا الجسر شوّه المشهد العام للمنطقة وبشكل خاص مشهد الحرم القدسي من الناحية الغربية، ويقوم هذا الجسر على مجموعة كبيرة من الأعمدة التي من شأنها تدمير مساحات واسعة من الآثار القديمة على امتداد الجسر من الأسفل.

سلوان (مدينة داود)

تقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلية بأعمال التنقيب للكشف عما يسمّى لديهم «بمدينة داود»، وهذه الحفريات تتم تحت منازل السكان العرب الفلسطينيين الأصليين، وتعرض هذه البيوت للتصدع أو الدمار، والحفريات عبارة عن تفرجات ترابية واسعة، ويوجد جسور من الحديد والخشب لتقوية ودعم الطبقات الأرضية خشية وقوع انهيارات.



منظر عام لمنطقة سلوان

ويدعي الإسرائيليون أن الآثار المكتشفة في هذه المنطقة هي امتداد لمدينة داود. وهذه المكتشفات التي يتحدث عنها الإسرائيليون هي من ضمن مخطط تهويد القدس وما حولها، وهي إحدى طرق التضليل للمئات من السياح والزوار القادمين من الخارج، الذين يأتون للتعرف على تاريخ وآثار مدينة القدس. إضافة إلى مخططهم لهدم

حي البستان الذي يسكنه عدد كبير من مواطني بلدة سلوان لاستكمال عمليات التنقيب الأثرية في هذه المنطقة.



من مظاهر الاحتجاج على الأعمال الإسرائيلية بهدم بيوت سكان حي البستان في سلوان



حضريات القصور الأموية

يجري الآثاريون الإسرائيليون في منطقة جنوبي المسجد الأقصى منذ بداية عام ١٩٦٨م حضريات واسعة، على أمل العثور على آثار للمعبد (الهيكل الثاني المزعوم)، مدعين أن المدرجات الأموية وكلا البابين الثنائي والثلاثي هما من بوابات المعبد (الهيكل)، ويطلق عليه الصهاينة اليوم «بوابات خولدا الجنوبية».

وقد أقام الآثاريون الإسرائيليون في الآونة الأخيرة خيمًا فوق القصور الأموية، من أجل متابعة أعمال إعادة بناء بعض المعالم القديمة، والتنقيب تحت الآثار البيزنطية والعربية الإسلامية، بحثًا عما هو أقدم لربطه بآثار توراتية، وهو ما لم يتمكن الآثاريون القدامى من العثور عليه.



التنقيبات والأعمال الإسرائيلية في بلدة سلوان

أسوار القدس وأبراجها وبواباتها

تقوم سلطات الاحتلال بأعمال التنظيف وبعض التغييرات في أسوار القدس وبواباتها، دونما أي تنسيق مع الأوقاف الإسلامية والسلطات المحلية كما تنص عليه القوانين والقرارات الدولية. وتشمل هذه الأعمال القذف بالرمل، وإضافة بعض العناصر المعمارية والزخرفية التي تحتاج إلى آراء فنية لا تلتزم بها سلطات الاحتلال، ويشمل ذلك باب العامود وباب الساهرة والأسباط.



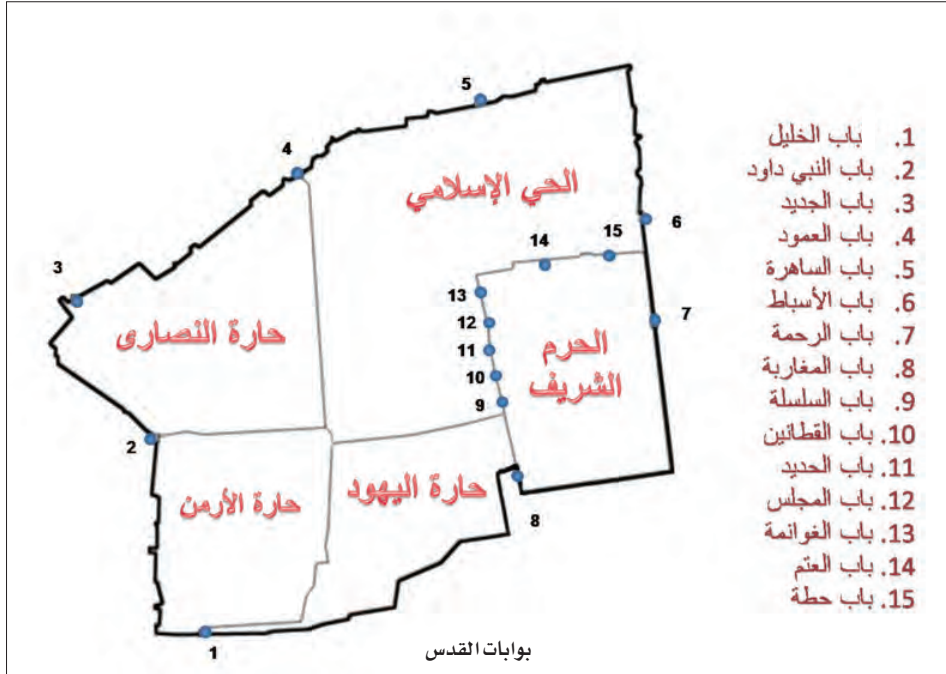
منظر عام لمدينة القدس وتبين حفريات القصور الأموية
(Google search/Jerusalem Arial view)



بقايا القصور الأموية جنوب المسجد الأقصى



الحفريات الأثرية بجنوب الأقصى بمنطقة القصور الأموية والتي قام بها مبير بن دوف



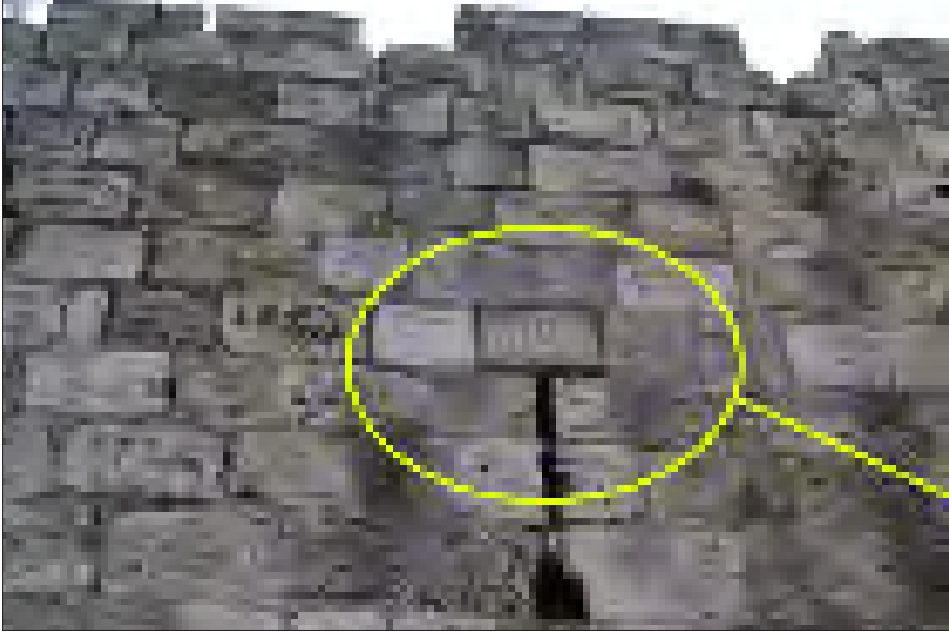
باب العامود ٢٠١٢ م، بعد عمليات الترميم والإضافات التي قامت بها سلطات الاحتلال



أعمال الترميم التي تقوم بها سلطات الاحتلال في عام ٢٠١١ م، لباب العامود وجزء من سور القدس



باب الأسباط



أعمال الترميم والإضافات على السور الشمالي للقدس



شارع الكاردو الروماني



مجسم للشمعدان السباعي في منتصف الكاردو
(google search/cardo street)

شارع الكاردو الروماني

يعود هذا الشارع للفترة الرومانية، وهو من الشوارع الرئيسية للمدينة، وتم الكشف عن هذا الشارع المميز بأعمدته من قبل ناهام أفيغاد (Nahman Avigad) من معهد الآثار بالجامعة العبرية في القدس، وقد رمم هذا الشارع ووضع بين الأعمدة القديمة مجسم للشمعدان السباعي، وهو من صور التهويد الإسرائيلي لهذا المعلم المهم، وتقع على هذا الشارع المتاجر الرومانية التي أعيد ترميمها لتستخدم من قبل التجار الإسرائيليين، ويوجد فتاة تصريف تحت الشارع الذي يفضي إلى ساحة صغيرة تشبه المسرح، ويعرف بوضعه



منظر عام لشارع الكاردو ويظهر فيه
مجنذات قوات الاحتلال الإسرائيلي

الحالي على أنه الشارع التجاري الرئيسي في القدس البيزنطية، وأدى اكتشاف شارع الكاردو إلى تصور التخطيط لمدينة القدس خلال الفترة الرومانية-البيزنطية كما هو مبين على خارطة مادبا الفسيفسائية الشهيرة. وتعرض هذه الحفريات بعض الأحياء والمباني المقدسية للخطر أو حتى إلى إزالة بعضها.

الحفريات حول المسجد الأقصى (الحرم الشريف)

هناك عدد من الحفريات وأعمال الترميم الإسرائيلية في منطقة الحرم الشريف خاصة التي تتم في الخفاء ومن تحت ستار، وأبرز من عمل في هذه المنطقة مازار (Mazar) الذي كشف عن معالم من الفترة الرومانية بما في ذلك مخبز وحمام بشكل سليم نسبياً، وكشف عن بقايا مبنى ثالث يعود لهذه الفترة يقع إلى الجهة الجنوبية الشرقية من تلك المباني. ووجد مخلفات أخرى من المرحلة الرومانية المتأخرة تشمل نقوشاً لاتينية ذكرت بعضها أباطرة وقادة من العهد الروماني، كما وجدت تماثيل برونزية ورخامية وأحجار كريمة وعدد من قطع العملات المعدنية ومجوهرات ختم من الطين يعود لفيلق روماني، وكميات كبيرة من القطع الأثرية الأخرى.

جبل صهيون Mount Zion



الحفريات الأثرية وعمليات الترميم التي تتم في
الخفاء حول الحرم الشريف

أجرى الآثاريون الإسرائيليون بمن فيهم ميغان بروشي (Magen Broshi) حفريات في منطقة جبل صهيون بين عامي (١٩٧٠-١٩٨١م)، وتشمل الحفريات الحديقة الأرمنية وكنيسة المسيح (Christ Church)، وعلى امتداد أسوار القدس من الناحية الجنوبية

والغربية، وفي ساحة القديس سافوريوس (House of Caiaphas) وبوابة صهيون، والبوابة الأيوبية عند النهاية الجنوبية للكاردو (Area E).



الحفريات الأثرية التي تقوم بها سلطات الاحتلال حول المسجد الأقصى



أحد الكهوف في الجزء الشمالي من سور القدس يتم إغلاقه بالأسمنت من خلال سلطات الاحتلال

ويضمّ جبل صهيون التلة الجنوبية الغربية من القدس بما في ذلك الحي الأرمني وما يعرف «بقبر داود» خارج الأسوار من الجنوب، وتم الكشف عن بقايا تعود للعصر الحديدي من مساكن وبقايا فخارية وبعض البقايا من التحصينات ومقالع حجرية ومقابر وتمثيل بشرية وحيوانية وختم "lmlk" الموجود على بعض مقابض الأواني الفخارية. وفي الفترة الهيلينستية المتأخرة أدرج جبل صهيون ضمن مدينة الحشمونيين وأعيد بناؤها كما ذكر المؤرخ جوزيفوس فلافيوس في القرن الأول باسم «المدينة العليا» في وقت هيروود العظيم. وأهم الموجودات هي لبقايا الفترة البيزنطية والفترة الإسلامية المبكرة، والصليبية والأيوبية والفترة العثمانية. وقد تم الكشف عن شارع معبد مواز لشارع الكاردو الروماني، ومساكن تعود للفترة العباسية والفترة الأيوبية، وبقايا فخارية، وموجودات صغيرة وقطع عملات.

الحي اليهودي

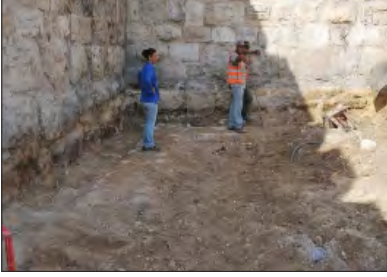
كشفت الحفريات الأثرية من الحي اليهودي بإشراف ناهام أفيفاد (Nahman Avigad) نيابة عن معهد الآثار في الجامعة العبرية وجمعية الاستكشاف الإسرائيلية ودائرة الآثار الإسرائيلية (المعروفة اليوم بسلطة الآثار الإسرائيلية) في الفترة ما بين سنتي ١٩٦٩-١٩٨٢م عن بقايا بيت محروق في (Area B) على الحافة الشرقية للحي اليهودي في المنطقة المطلة على الحرم الشريف، وقد أعيد تاريخ هذا البيت إلى القرن الأول الميلادي، وبلغت مساحة البيت الكلية حوالي ٢٠٠ متر مربع، وتضمن عدة غرف ومطبخاً ومرافق أخرى، وتبين حسب رأي المنقبين أن المنزل قد أشعلت فيه النار بشكل متعمد من قبل الجيش الروماني.

أما حفريات بن يامين مازار في جنوبي وغربي الحرم الشريف ما بين (١٩٧٨-١٩٨٦م) فأُتبعَت إلى المرحلة الهيرودية أي إلى العصر الروماني المبكر (القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي)، إضافة إلى بقايا من العهد الروماني المتأخر من القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

سكة الحديد «ترام القدس»

يهدف مشروع بناء خط سكة الحديد (ترام القدس) إلى ربط القدس الغربية بالقدس الشرقية والمستوطنات المقامة في شرقي القدس وضواحيها، ويبدأ خط الترام من مستوطنة «بسجات زئيف» ويمر من قلب شعفاط، ومن ثم جبل المشارف ثم إلى المنطقة المحاذية للسور الشمالي للقدس القديمة. وهناك تخطيط بأن يكون جزءاً منه في الجهتين الغربية والشرقية بمحاذاة السور من الناحيتين الغربية والشرقية للقدس القديمة، ويبلغ طول مساره نحو ١٤ كم، ويخترق حوالي ستة كيلو مترات من أراضي الضفة الغربية.

يترك هذا المشروع آثاراً سلبية مباشرة على القدس وما حولها، ويشوه المشهد العام لطابع المدينة، ويسبب تصديعاً لأسوارها والمعالم المجاورة الأخرى، كما يتسبب في تدمير آثار قديمة من بينها مخلفات من الفترات العربية الإسلامية خاصة بمحاذاة السور من الناحية الشمالية الغربية، وذلك من خلال عمل الجرافات والآليات الأخرى.

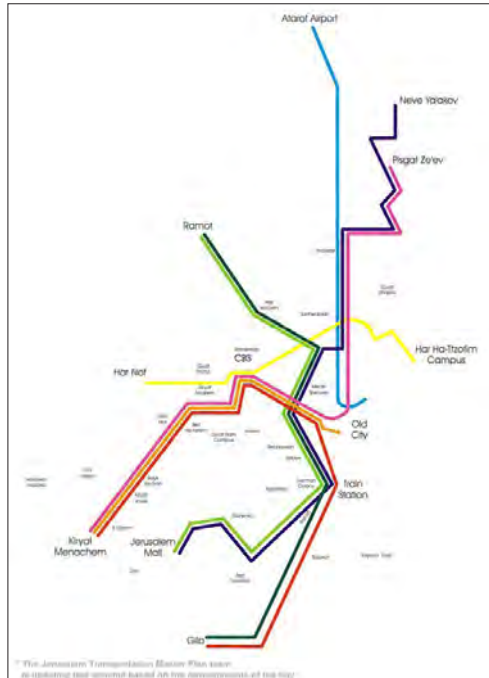


عمليات الإشراف الإسرائيلية على سير عمل شق طريق للسكة الحديدية بمحاذاة الزاوية الشمالية الغربية لسور القدس القديم ويظهر في الصورة بقايا لآثار قديمة يتم تجريفها



عملية شق طريق السكة الحديدية باستخدام الآلات الثقيلة بجوار أسوار القدس التاريخية، وفوق الآثار القديمة

المخطط الشامل لترام القدس
(Google search / Jerusalem Tram)





مرحلة تنفيذ ترام القدس لعام ٢٠١٠م



مرحلة تنفيذ ترام القدس لعام ٢٠١١م



مرحلة تنفيذ ترام القدس لعام ٢٠١٢م



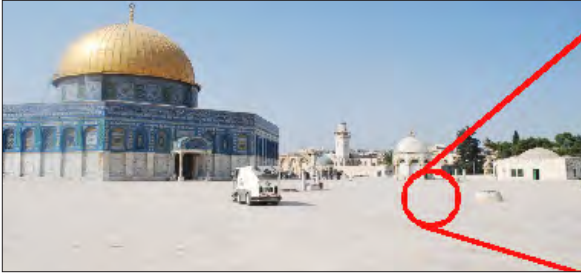
مرحلة تنفيذ ترام القدس لعام ٢٠١٣م

مراحل تنفيذ مشروع ترام القدس من عام ٢٠١٠م إلى عام ٢٠١٣م

كنيس الخراب: إعادة بنائه لمنافسة قبة الصخرة وكنيسة القيامة.

أنهت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بناء وترميم كنيس يهودي باسم «هحوربا»، ويعرف بـ «كنيس الخراب» الذي أقامته على أرض وقفية وعلى حساب جزء من المسجد العمري المحاذي للكنيس فيما كان يعرف «بحي الشرف»، في قلب المدينة القديمة للقدس. ويهدف بناء هذا الكنيس العالي الذي يعتليه قبة كبيرة، إلى محاولة استنبات أبنية يهودية في القدس، وبهدف منافسة كنيسة القيامة والمعلم الإسلامي البارز المتمثل بقبة الصخرة المشرفة، ومشروع كنيس الخراب هذا من أبرز المشاريع لتهود مدينة القدس القديمة تدعيماً للمزاعم الإسرائيلية فيها.

وفي عام ٢٠٠١م قررت الحكومة الإسرائيلية إعادة بناء الكنيس، ورصدت له ميزانية بقيمة ١٢ مليون دولار تقاسمتها الحكومة مع متبرعين من يهود العالم. وبدئ بنائه في عام ٢٠٠٦م وتم افتتاحه في ١٥/٣/٢٠١٠م. يقوم الكنيس الملاصق للمسجد العمري التاريخي المغلق على وقف إسلامي من أيام العثمانيين، وعلى حساب بيوت فلسطينية تابعة لحارة الشرف، التي فشل الاحتلال بالاستيلاء عليها عام ١٩٤٨م، وفي عام ١٩٦٧م تم هدم أغلب بيوتها، وإقامة حي استيطاني كبير سمي بـ «حارة اليهود» على حساب حي



تغيير المعالم الرئيسية والمشهد العام لمدينة القدس القديمة من خلال إقامة منشآت وساحات لا تتناسب مع أصالة المدينة



كنيس الخراب وتعديلاته على المسجد العمري



تواجد لقوات الاحتلال الإسرائيلي في ساحة كنيس الخراب

الشرف. وكانت إسرائيل وفي قرار حكومي إسرائيلي آخر، أوكلت مهام إدارة كنيس الخراب إلى ما يسمى «صندوق تراث المبكى»، وهو شركة تابعة للحكومة الإسرائيلية، تتابع شؤون حائط البراق بشكل مباشر من مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية.

ويرتفع كنيس الخراب ٢٤ متراً وتشمل قبته ١٢ نافذة. وقد طليت قبته باللون الأبيض، ويقع على مسافة ٣٠٠ متر من الجدار الغربي للمسجد الأقصى، وبجواره ملاصقة يقوم المسجد العمري.

وهناك كنيس يهودي آخر أقيم على وقف إسلامي يدعى «حمام العين»، ولا يبعد هذا الكنيس سوى خمسين متراً عن المسجد الأقصى في قلب الحي الإسلامي، ويقوم بزيارة هذا الكنيس يومياً المئات من المستوطنين والسياح، كما تواصل سلطات الاحتلال حضرياتها أسفل وقف حمام العين حيث الكنيس اليهودي.

المسجد العمري

يعد المسجد العمري في مدينة القدس أحد أبرز المعالم الإسلامية القديمة في المدينة، وقد سمي نسبة إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ويعود تاريخ بناء المسجد إلى أكثر من ١٤٠٠ عام، وقد شهد فترات تاريخية عديدة بينها الحروب الصليبية والفترة الأيوبية والمملوكية والعثمانية. وتم ترميمه آخر مرة عام ١٩٦٣ م.



منذنة مسجد عمر بن الخطاب بالقرب من كنيسة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

العهد العُمريّة

هذا ما أعطى عبد الله : عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ،
أعطاهم أماناً لا نخسهم وأموالهم وكنايتهم وعلبانهم وعتيقها ،
وبيرتها وسائر ممتلكاتها أنه لا تسكن كنايتهم ولا تقدم ، ولا ينتقض
منها ولا من حيزها ولا من عليهم ولا من شين من أموالهم ولا
يكرهون على دينهم ولا يضر أحد منهم ، ولا يمكن بايلياء
معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن
، وعليهم ان يخرجوا منها الروم والأصوس ، فمن خرج منهم
فاته أمن على نفسه وماله حتى يلقوا ما أمنهم ومن أقام منهم
فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب
من أهل ايلياء ان يصير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وعلبهم
حتى يلقوا ما أمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم
تعد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع
الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فاته لا يأخذ منهم شين حتى يحدد
صالحهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء
وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

عمر بن الخطاب

ثقف بن قيس
عبد بن الوليد
وعمر بن الخطاب
وعبد الرحمن بن عوف
وعطية بن أبوس

مقبرة مأمّن الله (ماميلا)



موقع مقبرة مأمّن الله

تقع في الغرب للبلدة المسورة في مدينة القدس على بعد كيلومترين من باب الخليل أحد ابواب البلدة القديمة، وهي من أكبر المقابر الإسلامية في بيت المقدس، وتقدر مساحتها «بمائتي دونم».

ففي عام ١٩٤٨م احتلت القوات الإسرائيلية الجزء الغربي من القدس، فسقطت من ضمنها

مقبرة مأمّن الله، وأقرت إسرائيل قانوناً يعتبر جميع الأراضي الوقفية الإسلامية وما فيها من مقابر وأضرحة ومقامات ومساجد - بعد الحرب - أراضي تدعى «أملاك الغائبين»، وأن المسئول عنها يسمى «حارس أملاك الغائبين» وله حق التصرف بأوقاف المسلمين، وبذلك دخلت مقبرة مأمّن الله ضمن أملاك حارس أملاك الغائبين لدى دائرة أراضي إسرائيل.



أعمال الحفر والتخريب في مقبرة مأمّن الله



المقابر في مقبرة مأمّن الله

منذ ذلك التاريخ أصبحت المؤسسة الإسرائيلية تقوم بتغيير معالم المقبرة وطمس كل أثر فيها، حتى لم يتبقَ فيها أقل من ٥٪ من القبور التي كانت موجودة، وقدرت المساحة المتبقية منها بحوالي ثمن المساحة الأصلية.

وفي عام ١٩٦٧م حولت المؤسسة الإسرائيلية جزءاً كبيراً من المقبرة إلى حديقة عامة، «حديقة الاستقلال»، بعد أن جرفت القبور ونبشت العظام البشرية وقامت بزرع الأشجار والحشائش فيها، وشقت الطرقات في بعض أقسامها.

المجلس الإسلامي الأعلى



المجلس الإسلامي الأعلى

المجلس الإسلامي الأعلى في القدس الغربية المحتلة والمقام على أراضٍ وقفية إسلامية مقابل مقبرة مأمّن الله، هو أحد المعالم العربية والإسلامية التي تمتاز بها مدينة القدس، شيده الحاج الأمين الحسيني عام ١٩٢٩م مستعيناً بمهندس تركي ويمكن ملاحظة الطراز المعماري الأندلسي، بالنوافذ المقنطرة، وبأحجاره

وتصميمه الهندسي اللافت، ونُقش على واجهة المبنى من الأعلى بحروف بارزة «مثلما بنى آبائنا وفعلوا نبني ونفعل»، في إشارة واضحة إلى الاستمرارية والحفاظ على الهوية الوطنية والدينية، ورأى البعض في هذا النقش الذي أمرَ به المفتي إشارة إلى التشابه المعماري بين هذا البناء والمباني الإسلامية في الوطن العربي والأندلس، وأصبح المبنى يُشار له بوصفه أحد أهمّ المباني في المدينة المقدسة.

وقع المجلس الإسلامي الأعلى تحت احتلالين الأول على يد البريطانيين في عام ١٩٢٦م حيث حوّلوه إلى مقر حكومي، والثاني على يد المؤسسة الإسرائيلية العسكرية التي استولت عليه خلال النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م ومنذ ذلك الحين يتعرض المجلس



النقش في أعلى واجهة مبنى المجلس الإسلامي الأعلى



أعمال الترميم والبناء التي قامت قوات الاحتلال للمجلس الإسلامي الأعلى لعام ٢٠١١م



المجلس الإسلامي الأعلى في عام ٢٠١٣



الجرافات الإسرائيلية لم تبق من البناية إلا الواجهة الخارجية التي تخطط الشركات الإسرائيلية لجعلها ضمن واجهة من واجهات الفنادق المزعم بنائها بعد إزالة كل الكتابات الإسلامية عليها

الإسلامي الأعلى الملاصق لمقبرة مأمن الله لحملة تهويدية ضخمة، وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، حيث تم تدمير بناياته الداخلية، وإبقاء واجهاته ذات الطراز المعماري الإسلامي ليحول إلى فندق ضخم تقوم على بنائه شركات إسرائيلية وعالمية كبرى كخطوة استيطانية تحت غطاء بناء مرافق سياحية لخدمة السياحة في المنطقة.

مقبرة باب الرحمة



تقع مقبرة باب الرحمة عند سور الحرم القدسي الشريف من الشرق في مدينة القدس، وهي من المقابر الإسلامية المشهورة، فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس أثناء الفتحين العمري والأيوبي. وفيها قبور جماعة من الصحابة

الذين سكنوا القدس وماتوا فيها، ويُعرف إلى هذا الزمان من قبورهم عليهم السلام: قبر «شداد بن أوس» الصحابي عالم بيت المقدس، وقبر «عبادة بن الصامت» أحد نقباء الأنصار وأول قاض مسلم في فلسطين، وهما بجانب السور الشرقي للمسجد الأقصى.



الاحتلال يصادر عام ٢٠١٢م جزءاً من مقبرة باب الرحمة



التخريب في مقبرة باب الرحمة

صادرت سلطات الاحتلال الصهيوني ٢٨٥٥ متراً من الجزء الجنوبي الشرقي من مقبرة باب الرحمة المخصص لدفن عائلات سلوان، ويعد القرار استمراراً لمسلسل

مصادرة الأراضي والعقارات في مدينة القدس، واعتداءً على الوقف الإسلامي، باعتبار أن المقبرة وقف إسلامي، وهي جزء من ممتلكات المسجد الأقصى المبارك، ويذكر أن سلطات الاحتلال قامت مؤخرًا بزراعة قبور وهمية في مناطق مختلفة في محيط المسجد الأقصى ومنطقة طنطور فرعون وعين سلوان وحي وادي الربابه، بهدف وضع اليد على هذه الأراضي والعقارات وتحويلها لمؤسسات استيطانية صهيونية، والدفع باتجاه الإسراع في تنفيذ مخطط ما يطلقون عليه «الحوض الوطني المقدس» الذي يشمل البلدة القديمة والأحياء المجاورة لها.



قلعة داود

يعود تاريخ القلعة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وتقع قلعة القدس، في الجهة الشمالية الغربية للبلدة القديمة، داخل باب الخليل، وهي تعتبر من أهم معالم مدينة القدس، يُطلق

عليها اسم (القلعة) أو (قلعة باب الخليل)، ويسمّيها الإسرائيليون «قلعة داود»، وهو اسم حديث لها، أطلق عليها في أواخر العهد العثماني، من قبل جماعات غربية.

يعود السبب وراء بناء هذه القلعة إلى أن مدينة القدس كانت مدينة محصنة طبيعيًا من ثلاث جهات، إلا أن المدينة كانت بحاجة إلى تحصينات من الجهة الشمالية الغربية وهو مكان إقامة القلعة، ومن أبرز ما يميز القلعة المأذنة التي هي من بقايا القلعة الأموية.

متحف قلعة داود



يقع متحف قلعة داود لتاريخ القدس إلى جانب باب الخليل، وهو بوابة الدخول التاريخية إلى البلدة القديمة. ويعرض المتحف قصة مدينة القدس من وجهة نظر مؤسسي المتحف، والأحداث البارزة في تاريخها، حيث يحاول المتحف بين ثنايا معروضاته تسليط الضوء على بدايات نشوء دولة إسرائيل ومراحل تطور هذه الدولة بزعم

القيمين على المتحف، إلا أن الباحث في تاريخ القدس يعلم جيداً أن العديد من الشواهد التاريخية تم اختصارها وتزويرها وإلحاق بينهاها بأخرى هي من رؤى الإسرائيليين لا أكثر.

أكثر ما يميز متحف قلعة داود المكان المميز للقلعة، حيث تطل بشكل مبهر على مدينة القدس، الأمر الذي يسمح للزوار باستنشاق تاريخ القدس عبر نظرتهم إلى المدينة القديمة داخل أسوارها، ومشاهدة خطوط التمدن والتحضر من خارج أسوار المدينة القديمة والتأثير السلبي للاحتلال الإسرائيلي على المدينة.

تصورات إسرائيلية حول مدينة داود وسليمان

يحاول عدد من الآثاريين الإسرائيليين تأريخ بعض المخلفات المعمارية لبدايات الألف الأولى قبل الميلاد، لتتجم مع تصوراتهم وفرضياتهم لمدينة القدس في عهد داود وسليمان، كما أعادت تأريخ عدد من الآثار المكتشفة سابقاً لتتوافق مع هذه التصورات. هذا مع العلم بأن عددًا من الآثاريين الدوليين بمن فيهم آثاريون إسرائيليون من أمثال إسرائيل فنكلسفاين (Israel Finkelsfein) ونيلز سلبرمان (Niels Silberman)



جانب من قاعات العرض داخل المتحف والمعروضات

وزييف هيرتزوج (Z. Herzog) قد اعترضوا على هذا التاريخ الجديد حتى إن بعضهم صرح بأنه لم يعثر حتى على كسرة فخار واحدة مما يسمونه «العهد الإسرائيلي القديم».

تصورات إسرائيلية حول إعادة بناء الهيكل

هناك هيئات ومؤسسات إسرائيلية تقوم بدعم وتمويل عملية إعادة بناء الهيكل المزعوم، حيث يدعون أن مكانه تحت الحرم القدسي الشريف، ويطلقون عليه اسم «جبل الهيكل»، الأمر الذي يعرض المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة للخطر.

وقد تأسست جماعه تسمى «أبناء الهيكل» عام ١٩٨٨م، وحصلت على ترخيص إسرائيلي رسمي بممارسة نشاطها تحت مسمى «مؤسسة العلوم والأبحاث وبناء الهيكل» ومؤسسها هو «يرائيل أربيل». ويقوم أعضاء هذه الجماعة بجمع الأموال وبالإعداد للترويج لهذا المشروع وتنفيذه.



مخطط عام يبين سور مدينة القدس في العصر الحديدي، كما يزعم بعض الآثاريين الإسرائيليين، وبقايا سور لم يحدد تاريخه أو هويته



الإعداد الفعلي والفكري لوجود وبناء الهيكل المزعوم (مجسم الهيكل)
(Google search/temple)



تصور لمخطط إعادة بناء الهيكل الثالث في حرم المسجد الأقصى
(Google search /temple)

مغارة سليمان

هي مغارة أثرية تقع خارج البلدة القديمة في القدس، تمتد هذه المغارة التاريخية لمسافة ٢٠٠ متر تحت سور المدينة بين باب العمود وباب الزاهرة.

و(مغارة سليمان) هو الاسم الشائع للمغارة التي يقع مدخلها تحت السور المحيط ببلدة القدس القديمة، من جهة الشمال. والاسم الذي تقدم فيه بلدية القدس والجهات الإسرائيلية، وعلماء آثار أجنب، من المدرسة التوراتية الأثرية، المغارة هو (مغارة صيديقياهو)، نسبة إلى ملك يهودي، ارتبط اسمه بأسطورة تتحدث عن هروبه من المغارة عبر نفق تحت الأرض، من القدس وحتى أريحا، إبان الحصار البابلي. ويحيط الكثير من الغموض تاريخ هذه المغارة، التي تبلغ مساحتها تسعة آلاف متر مربع، وطولها المكتشف يقترب من الـ ٢٥٠ مترًا، وأعلى ارتفاع يصل إلى ٥٠ مترًا.



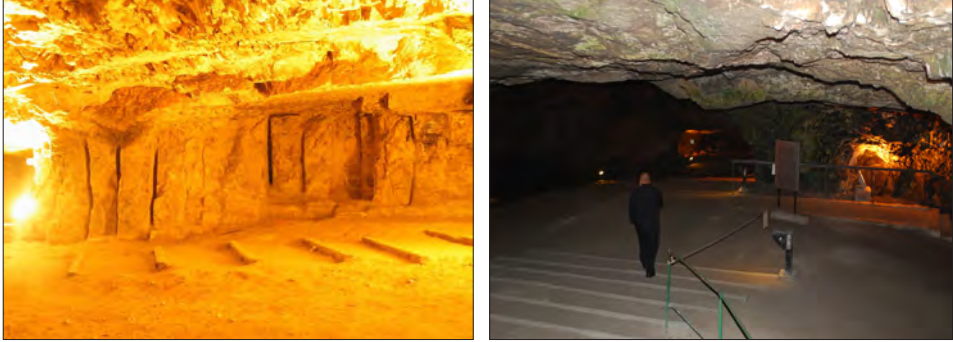
مدخل مغارة سليمان



صورة جوية لمغارة سليمان تظهر بالأحمر إلى أين وصلت الحفريات

وفي أكثر من مكان في المغارة، تتساقط قطرات المياه، من السقوف الحجرية، ومن بينها مياه تتساقط من سقف غرفة صغيرة شكلتها المياه، طوال سنوات لا يعرف عددها، وتترل المياه من شقوق هي عبارة عن فتحات شعيرية، تتسرب منها المياه إلى الداخل، وتسقط في بركة صغيرة، أطلق عليها الإسرائيليون اسم نبع (دموع صيديقياهو)، نسبة إلى الدموع التي ذرفها الملك صيديقياهو عندما أمسكه الأعداء، وفقاً للاعتقاد اليهودي.

وتظهر في المغارة، آثار الأدوات التي استخدمت لقص الصخور منها، وكذلك أعمدة استنادية ضخمة تركها الحجارون، لإسناد سقف المغارة، وتشكل هذه الأعمدة



مغارة سليمان من الداخل

ما يطلق عليه «درب الأعمدة»، وهو جزء مميز من المغارة، التي تحتوي أيضًا على أنفاق، وفتحات، ومغر صغيرة.

وبعد احتلال القسم الشرقي من القدس في حزيران (يونيو) ١٩٦٧م، آلت المغارة إلى بلدية القدس، التي فتحتها أمام الجمهور، بعد توفر تبرعات من الخارج لتأهيلها سياحيًا، وعمل ممرات، وتركيب أنوار كاشفة في الداخل.

خطط إسرائيلية لتعريض الحرم القدسي والمصلى المرواني للخطر

أن التخطيط لتعريض الحرم القدسي الشريف والمسجد الأقصى للخطر والهدم، هي عملية قديمة في معتقداتهم الصهيونية، لأنهم يعتقدون أنها «أرض الميعاد»، وحتى يعم الخير يجب أن يهدم المسجد الأقصى ويبنى مكانه هيكل سليمان المزعوم، فقد بدأت الحفريات تحت المسجد الأقصى بهدف زعزعة أساساته تمهيداً لهدمه إضافة إلى محاولات سابقة لحرقه وتعريضه للخطر أو الانهيار.

وهذه الحفريات غير الشرعية التي يقوم بها الصهاينة، ستؤدي إلى انهيار المصلى المرواني والمصلى القبلي وانهيارات كبيرة في المباني الموجودة قرب المسجد الأقصى. ويقع المصلى المرواني تحت ساحات المسجد الأقصى المبارك الجنوبية الشرقية، ليمتد حائطاه الجنوبي والشرقي مع حائطي المسجد الأقصى، ومن الأعمال التي قام بها الاحتلال هدم أجزاء من القصور الأموية الملاصقة تمامًا للجهة الجنوبية للمصلى. وإزالة بعضاً من حجارة القصور الأموية الملاصقة للمصلى بهدف توسيع الساحة أمام الباب الثلاثي الواقع في الجهة الجنوبية للمصلى والمغلق منذ عشرات السنين، وإعادة فتح البوابة الجنوبية لجعلها المدخل الرئيسي للكنيس المزمع إقامته.



مدخل المصلى المرواني

يهدف الاحتلال الإسرائيلي من خلال السيطرة على المصلى المرواني، إلى تحقيق الهدف العام وهو الاستيلاء على المسجد الأقصى على مرحلتين: الأولى في الاستيلاء على باطن وأسفل الأقصى والسيطرة على المصليات، وفي المرحلة الثانية الاستيلاء على الأقصى نفسه وتنفيذ مشروعهم بإقامة الهيكل المزعوم.



أعمال الترميم داخل المصلى المرواني



تآكل أعمدة المصلى الحجرية



تأثر سقف المصلى المرواني
بعمليات التجوية «الرتوبية»

متحف الآثار الفلسطيني



متحف الآثار الفلسطيني

يقع المتحف مقابل الزاوية الشمالية الشرقية لسور القدس. وقد أنشئ هذا المتحف عام ١٩٣٠م في أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين بتبرع قدره مليوناً دولار من السيد جون روكفلر (John Rockefeller)، وفتح للجمهور عام ١٩٣٨م ففرعه البعض (متحف روكفلر). وأدار المتحف مجلس أمناء على المستوى الدولي إلى أن تم تأميمه من الحكومة الأردنية عام ١٩٦٦م.



إحدى صالات العرض

أصبح متحف الآثار الفلسطيني بعد الاحتلال عام ١٩٦٧م مقراً لسلطة الآثار الإسرائيلية، وتم عزل موظفي

دائرة الآثار الأردنية بشكل تعسفي، واستبدلهم بموظفين إسرائيليين. ويضم المتحف آثاراً من الحضريات التي أجريت في الضفتين الشرقية والغربية؛ بما في ذلك مخطوطات البحر الميت التي صادرتها قوات الاحتلال بعيد استيلائها على القدس. وقامت بنقلها إلى الجانب الغربي من المدينة وأنشأت لها متحفاً خاصاً أطلقت عليه اسم "The Shrine of the Book"، وألغت اللجنة العلمية الدولية التي كانت قد شكلتها الحكومة الأردنية لإجراء البحوث والدراسات حول المخطوطات، وأخذت تصدر المطبوعات دون استشارتها، ولم تتعاون مع اللجنة العلمية بأي شكل من الأشكال. كما أخذت تقييم المعارض في الدول الغربية حول المخطوطات مدعية ملكيتها، وقامت بتزوير الحقائق حول تاريخ اكتشافها. هذا مع العلم بأن خربة قمران وما حولها من كهوف ومواقع أخرى للمخطوطات، تقع على جانب البحر الميت ضمن الأراضي الأردنية. وكانت دائرة الآثار الأردنية هي التي نظمت أعمال الدراسة والتنقيب في الموقع، وقامت بشراء قصاصات المخطوطات من بدو المنطقة،

وأنفقت مبالغ كبيرة من موازنتها على هذا المشروع زاد عن ٨٠ ألف دينار أردنيًا. والجدير بالذكر أن موقع خربة قمران وما حولها من كهوف ومعالم مسجل على اللائحة التمهيدية الفلسطينية للتراث العالمي.

متحف إسرائيل

تأسس متحف إسرائيل عام ١٩٦٥م، ليكون المتحف الوطني لدولة إسرائيل، ويقع على تلة الشيخ بدر أو كما تسمى اليوم بالعبرية بـ (Givat Ram) قرب الكنيسة والمحكمة العليا في إسرائيل والجامعة العبرية. ويضم هذا المتحف تشكيلة واسعة من الآثار التوراتية المزعومة، ومجموعة من القطع الأثرية تعود لحضارات أفريقية، أمريكية (شمالية وجنوبية)، أوقيانوسية، وشرقية. ويضم المتحف بين معروضاته العديد من المنحوتات والمخطوطات القديمة، بالإضافة إلى معروضات من الزجاج من حقبة تاريخية مختلفة.

يعتبر متحف إسرائيل المؤسسة الثقافية الأهم في دولة إسرائيل، حيث يقوم بعرض مجموعاته التاريخية من خلال أربعة أجنحة: جناح بتسليل للفنون، جناح برونفمان للآثار، جناح الفنون والتراث اليهودي، وجناح الشيبية. كما يضم مجموعة شاملة للآثار ترجع إلى فترة التوراة والآثار الأراضى المقدسة. ويجدر بالذكر أن عدد مقتنيات المتحف تتجاوز ٥٠٠ ألف قطعة تاريخية.

بالإضافة إلى أجنحة المتحف المختلفة، التي تمتد على مساحة ٨٠ دونم تقريباً، فإنه يقوم أيضاً بإدارة موقعين آخرين في القدس: متحف روكفلر للآثار الذي بني سنة ١٩٣٥م بمساعدة جون روكفلر لعرض المكتشفات الأثرية التي وجدت في البلاد؛ وأيضاً بيت طيخو، الذي كان قديماً بيت لطبيب العيون د. أبراهام طيخو وزوجته الفنانة آنا، التي ورّثت البيت ومكتبته ليكونا مركزاً فنياً لسكان القدس.

ومن الجدير بالذكر أن رسالة المتحف من خلال موجوداته الأثرية ومقتنياته التاريخية، تتجسد في تسليط الضوء على أصالة التاريخ اليهودي لفلسطين، وطمس للهوية العربية والإسلامية في البلاد، وهذا واضح من خلال الأسماء التي ابتدعها الإسرائيليون على المقتنيات التاريخية والحضارية.



برج اللقلق

يقع في الزاوية الشرقية الشمالية للمدينة وهي منطقة مرتفعة جميلة، وتعتبر منطقة استراتيجية، وتبلغ مساحتها حوالي ١٤ دونماً، وتسعى سلطات الاحتلال الإسرائيلي للسيطرة عليها وهدم البيوت الفلسطينية القائمة فوقها، ومصادرة الأراضي ومضايقة السكان، وعمدت سلطات الاحتلال إلى حرق جمعية برج اللقلق وحاولت عدة مرات حرقها وتدميرها والاستيلاء عليها، وقد تصدى مئات الفلسطينيين ومن بينهم سكان المنطقة للإجراءات التعسفية لسلطات الاحتلال.



من معروضات المتحف الإسرائيلي

الجدير بالذكر أن سلطات الاحتلال كانت قد أجرت تنقيبات أثرية في الجانب الغربي لبرج اللقلق، وعثرت على مخلفات معمارية سكنية الطابع تعود لمراحل عربية إسلامية. وقد غدت هذه المعالم أقرب إلى مكب للنفايات لعدم ارتباطها بالتاريخ التوراتي.

جمعية مركز برج اللقلق المجتمعية

تأسست جمعية مركز برج اللقلق في العاشر من كانون الأول من عام ١٩٩١م كرد فعل وسد منيع أمام الهجمات الاستيطانية اليهودية الرسمية، والمتمثلة بالأجهزة والوزارات الإسرائيلية من جهة، والجمعيات الاستيطانية من جهة أخرى، وتعتبر جمعية مركز برج اللقلق للعمل المجتمعي مؤسسة وطنية غير ربحية تقوم بخدمة سكان البلدة القديمة بشكل عام وأهالي حي باب حطة بشكل خاص، حيث يعيش داخل أسوار البلدة القديمة ما يزيد عن ٥٠,٠٠٠ فلسطيني منهم ١٠,٠٠٠ آلاف في حي باب حطة. يقوم المركز على مساحة واسعة من أراضي البلدة القديمة حيث يصل إجمالي مساحته إلى أكثر من ثمانية دونمات مما يجعله المركز الأوسع من حيث الأراضي سواء داخل أسوار البلدة القديمة أو في المحيط.

القدس ولائحة التراث العالمي

ضمن سلسلة تهويد القدس والسيطرة الإسرائيلية عليها، تقدم الوفد الإسرائيلي لاجتماعات لجنة التراث العالمي عام ٢٠٠٨م، في كيبيك- كندا بملف عنوانه «الحوض المقدس» لإضافته إلى اللائحة الإسرائيلية للتراث العالمي. ويضم الحوض المقدس جبل صهيون وسلوان والمقابر، لكن ممثلي الدول العربية في لجنة التراث العالمي تمكنوا من



منظر عام لمدينة القدس وسورها ويظهر مكان برج اللقلق ومتحف الآثار الفلسطيني في الزاوية الشمالية الشرقية للحرم القدسي الشريف (Google Earth)



أعمال الهدم لبيوت الفلسطينيين المقدسين في منطقة برج اللقلق

إسقاط هذا الطلب، وبقي أن يسقط هذا الملف بكامله من اللائحة التمهيدية الإسرائيلية لكونه يتناقض مع قرارات الشرعية الدولية، إذ تقع هذه المناطق ضمن الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م، وذلك حسب قرار اللجنة في اجتماعها رقم ٢٥ لعام ٢٠٠١م، وتبذل جهود حثيثة لإسقاطه من خلال الدبلوماسية العربية وبالتعاون مع البلدان الصديقة، ومن بين هذه الجهود ما تسعى إليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) لحشد الجهود للحيلولة دون إنجاح هذا الملف الإسرائيلي.

القدس واليونسكو

تم عام ١٩٨١م تسجيل القدس بأسوارها على لائحة التراث العالمي بناءً على طلب من الأردن. وبسبب التعديات والانتهاكات الإسرائيلية تم تسجيل القدس على لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر.



الكتب الصادرة عن الجمعية

لقد أصدرت منظمة اليونسكو عددًا كبيرًا من القرارات المتعلقة بالحفاظ على المدينة المقدسة، ونظمت عددًا من اللقاءات للخبراء الدوليين من أجل الوصول إلى إجراءات عملية لوقف التعديلات والمخالفات التي ترتكبها إسرائيل في المدينة المحتلة، وتطبيق القرارات الدولية بما في ذلك اتفاقية لاهاي ١٩٥٤م، لحماية الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح، واتفاقية التراث العالمي لعام ١٩٧٢م، لحماية الممتلكات الدولية الثقافية والطبيعية (موقع مركز التراث العالمي).

وفي هذا الإطار أوفدت اليونسكو في شهر مارس من عام ٢٠٠٤م، بعثة من مستوى عالٍ لتقييم حالة الحفاظ في المدينة. وفي ٢٦ يناير من عام ٢٠٠٥م، افتتح كويشيرا ماتسورا المدير العام السابق لليونسكو أول اجتماع للجنة الخبراء المشكلة للحفاظ على التراث الثقافي في مدينة القدس القديمة والحفاظ على القيمة الاستثنائية العالمية لهذه المدينة المميزة.

اتخذت مثل هذه اللجان مرارًا وتكرارًا، قرارات تطالب فيها إسرائيل بالتعاون مع الأسرة الدولية، لعدم إجراء التنقيبات الأثرية غير القانونية، وأعمال هدم الأحياء والمنازل، وعدم تهجير السكان، وتغيير المعالم، وأية إجراءات أخرى إلا بالتعاون مع السلطات المحلية.

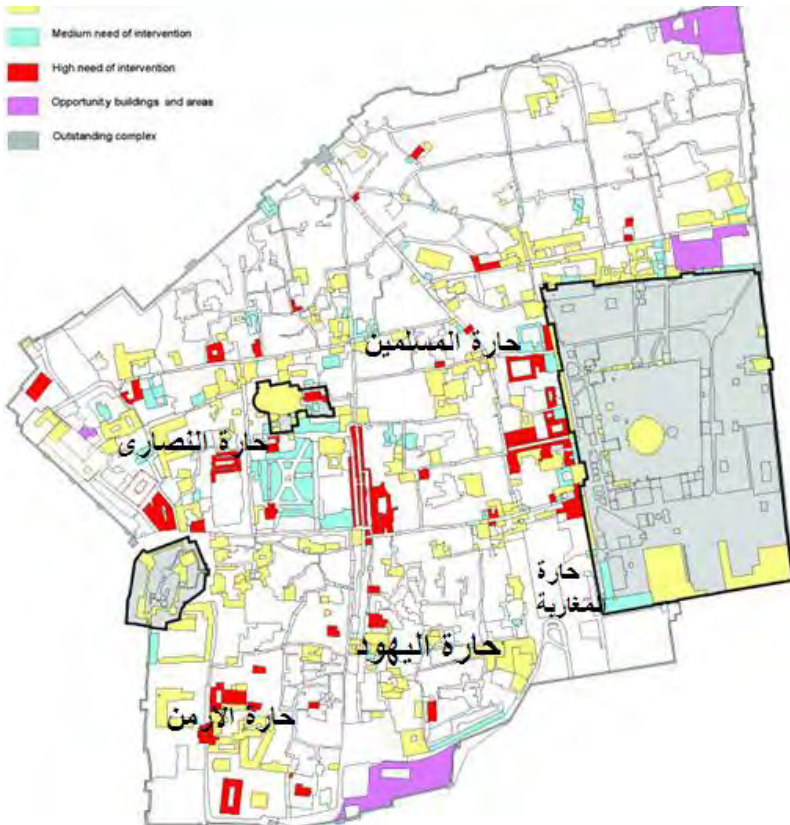
ومع أن قرارات اليونسكو والهيئات الاستشارية المتصلة بها كانت خجولة في أغلب الأحيان، إلا أن سلطات الاحتلال لم تقم لها وزنًا وبقيت وما زالت ترتكب المخالفات بجميع أشكالها.

وكان آخر اجتماع لمديرة عام اليونسكو إيرينا بوكوفا (Irina Bokova) مع الخبراء في شهر سبتمبر من عام ٢٠١٠م، وكان كاتب هذه السطور من بينهم. وقد أكد المجتمعون أهمية إرسال بعثة لمراقبة الأوضاع داخل المدينة كخطوة تسبق تعيين مقر دائم لمنظمة اليونسكو، لمواكبة التغيرات المستمرة التي تطرأ على الأرض وتحاول معالجتها مع الأطراف ذات العلاقة.

وقد تضمن تقرير البعثة الفنية الصادر في ٢٧ فبراير لعام ٢٠٠٧م، خمس توصيات:

١. على حكومة إسرائيل مراعاة التزاماتها نحو الحفريات الأثرية ومواقع التراث العالمي مثل مدينة القدس القديمة، وبشكل خاص القرار رقم COM ٢٠/٢٤ الذي اتخذته لجنة التراث العالمي بهذا الشأن في شهر يوليو لعام ٢٠٠٦م، في فيلنيوس (Vilnius).

٢. على حكومة إسرائيل التوقف المباشر عن الحفريات الأثرية الإسرائيلية.
٣. على حكومة إسرائيل تقديم المخطط النهائي لصعود باب المغاربة دون تغيير لطابع المدخل من حيث الشكل والبنية للحفاظ على أصالة المكان، وترابطه مع المعالم المتصلة به.
٤. على حكومة إسرائيل الإشراف المباشر للجهات ذات العلاقة، وخاصة سلطة الأوقاف في القدس وفي الأردن.
٥. يتوجب الإشراف على جميع هذه القرارات والخطوات من قبل فريق من الخبراء بتنسيق من اليونسكو، من أجل الوصول إلى حل مناسب لترميم باب المغاربة.
- وقد قرر السيد ماتسورا إرسال هذا التقرير وما صدر عنه من قرارات إلى رؤساء المنظمات ذات العلاقة بما في ذلك رئيس لجنة التراث العالمي والبعثات الدائمة لدى اليونسكو.



مخطط أولويات أعمال الترميم حسب تصور اليونسكو وعدم التزام سلطات الاحتلال الإسرائيلية به
(UNESCO action plan 2007)

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم، معاوية، ١٩٩٠، فلسطين: من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، الدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ بيروت، ص ٣-١٣٠.
- إبراهيم، معاوية، ٢٠١٠، دراسات في آثار فلسطين، منشورات جامعه فيلادلفيا، [٥].
- القدس: تراث وحضارة، ٢٠٠٢، خطة إحياء البلدة القديمة، مؤسسة التعاون، ٢٠٠٢.

المراجع باللغة الأجنبية

- Biebestien, Klaus, and Bloedhorn, Hanswulf;
1994 Jerusalem, Grundzuege der Baugeschichte vom Chalkolithikum bis zur Fruehzeit der osmanischen Herrschaft, TAVO Nr. 100/1, [Imp]
Sonderforschungsbereich 19, Tübingen entstanden], Dr. Ludwig Reichert Verlag Wiesbaden.
- Bilss. f
1894 A mound of many cities of Tell ei-Hesy Excavated. London.
- Clermont - Ganneau;
1896 Archaeological researches in Palestine during the years (1873-1874).
- Crowfoot. J and G. Fitzgerald;
1929 Excavations in the Tayropoeon Valley, Jerusalem 1927. (Annual of the Palestine Exploration Fund 5).
- Kafafi, Z, and Schick, R;
2007 Jerusalem before Islam, BAR international Series, 1699 Archaeopress Publisher of British Archaeological Reports.
- Macalister R. A. and J. G. Duncan;
1925 A Century of Excavations in Palestine.
1926 Excavations on the Hill of Ophel , Jerusalem 1923-1925.
- Robinson. E;
1856 Later biblical researches in Palestine and the adjacent regions; a journal of travels in the year 1852 by Edward Robinson, Eli Smith, and others.
- Wilson Charles W. and Charles Warren;
1871 The Recovery of Jerusalem. A Narrative of Exploration and Discovery in the City and the Holy Land.

مشروع توثيق مدينة القدس القديمة

تقديم: المهندسة روان العطور*

أولاً: مقدمة

بتوجيه ودعم من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم، قامت الجمعية العلمية الملكية بإعداد مشروع توثيق مدينة القدس القديمة، نظراً لوجود حاجة ملحة إلى جمع الحقائق الموثقة تاريخياً ونشرها بشكل واسع، من أجل تنفيذ أي ادعاءات خاطئة تنشر عن المدينة وعن وضعها قبل عام ١٩٦٧م، وعلى نحو تستخدم فيه الوسائل الإعلامية التكنولوجية الحديثة، ليتمكن القارئ والدارس والإعلامي وكل من هو مهتم من الوصول إلى الحقائق بسهولة.

مدينة القدس القديمة عابقة بالتراث والتاريخ والمقدسات الدينية الراسخة في الوجدان، وبسبب الصراع السياسي والعرقي الدائر حول هوية المدينة، فإن عمليات تغيير ملامحها، وتزوير تاريخها، تجري باستمرار، فعلى سبيل المثال تم هدم حارة المغاربة التي شيّدت منذ قرون، وحولت الأرض التي وقفت على المغاربة منذ عهد صلاح الدين الأيوبي إلى ساحة لحائط المبكى، كما تم تزوير الحقائق التاريخية ومصادرة الملكيات العربية ونقلها لليهود، وتوطين أفواج المهاجرين من اليهود في القدس، وتقديم التسهيلات لهم، والتضييق على المقدسيين المسلمين والمسيحيين، بممارسة الضغوط في تأمين السكن والتعليم وفرض الضرائب وتوجيه الإهانات لإجبارهم على الرحيل من القدس.

* رئيس قسم التخطيط الحضري، الجمعية العلمية الملكية. الورقة من إعداد قسم التخطيط الحضري.

وفي العقود الماضية، ومنذ الاحتلال الصهيوني لمدينة القدس، أجريت على الصعيد الإسلامية والعربية والعالمية، الكثير من الدراسات، وعقدت المؤتمرات الرسمية والشعبية حول مدينة القدس وحول هويتها العربية، غير أنها لم تسفر عن إيجاد قاعدة معلومات موثقة، يمكن أن تساهم في تغيير الرأي العام الذي يعتبر المحرك الرئيسي للقرارات العالمية.

ثانياً: أهمية المشروع

تكمن أهمية المشروع في إيجاد قاعدة معلومات واسعة وموثقة، لم يتم جمعها من قبل، عن إحدى أهم المدن في تاريخ البشرية، وذلك حفاظاً على الهوية العربية الإسلامية للقدس، وربطها بملكيات سكان القدس، وأصولهم العرقية، وأعدادهم، وطبيعة انتشارهم، وما جرى من تحولات ديموغرافية عبر التاريخ الحديث للمدينة، وكذلك من أجل المحافظة على طابع المدينة المعماري الذي تشهد عليه وفرة الأوقاف والمدارس والإرث الحضاري، وما يجري على النسيج العمراني للمدينة من تعديلات، بسبب أعمال الهدم والبناء التي تمارسها السلطات الإسرائيلية.

وتعود أهمية هذا العمل وأسباب تميزه عما سبق من أعمال، باعتماد المشروع على مصادر معلومات موثقة، تستند إلى سجلات المحاكم الشرعية العثمانية وسجلات النفوس التي تعتبر المصدر الأصدق في تسجيل هوية الحياة في مدينة القدس خلال فترة الحكم العثماني، وكذلك استخدام برمجيات متخصصة ذات تقنية عالية للربط الإلكتروني بين جزئيات المعلومات المتداخلة ومنها (GIS/ArcInfo+ArcView, Website Explorer, Access) ليسهل الاطلاع على هذه المعلومات، وإجراء التحاليل المختلفة لها من خلال الإمكانيات العديدة للحواسيب الشخصية.

كما يساهم المشروع في تجميع أكبر قدر ممكن من البيانات التي تفيد في الحماية الدبلوماسية للقدس مثل قرارات الأمم المتحدة، وقرارات اليونسكو المتعلقة بالمدينة القديمة، التي تؤكد على حقوق العرب فيها، وتحدد وضع القدس بشكل واضح أمام محاولات فرض السيادة الإسرائيلية عليها، كما أن النصوص القانونية للمعاهدات والقرارات الدولية، تشكل أساساً للحل العادل والنهائي للمدينة، وتشكل المنطلق القانوني لحماية الناتج الثقافي دون تفضيل أي من الأطراف المتنازعة.

وستصبح قاعدة المعلومات هذه بأسلوبها العلمي المتطور، وسهولة الوصول إليها عبر تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، مرجعاً مهماً للدراسات الجديدة في القرن الحادي والعشرين، وموقعاً مميزاً على شبكة المعلومات الدولية لكل مهتم بماضي وحاضر ومستقبل مدينة القدس، وبما يخلد قدسيته ومكانتها المرموقة إلى الأبد. وتجدر الإشارة إلى أن مشروع توثيق مدينة القدس القديمة، يرمي إلى إنشاء قاعدة معلومات ممتدة ومفتوحة، بحيث يتم إضافة المعلومات الموثقة إليها ضمن مراحل متابعة وبشكل مستمر.

ثالثاً: خلفية عن المشروع

بوشر العمل على المشروع في منتصف عام ١٩٩٧م، ومن خلال التعاون مع وحدة الإسكان في جامعة هارفرد الأمريكية حتى عام ٢٠٠٥م، ثم Institute for international Urban Development حتى الوقت الحالي التي قامت بتطوير وتحسين تقنيات العرض باستخدام برمجيات الحاسوب، تم الوصول إلى النتائج الآتية:

١- توثيق ملكية العقارات:

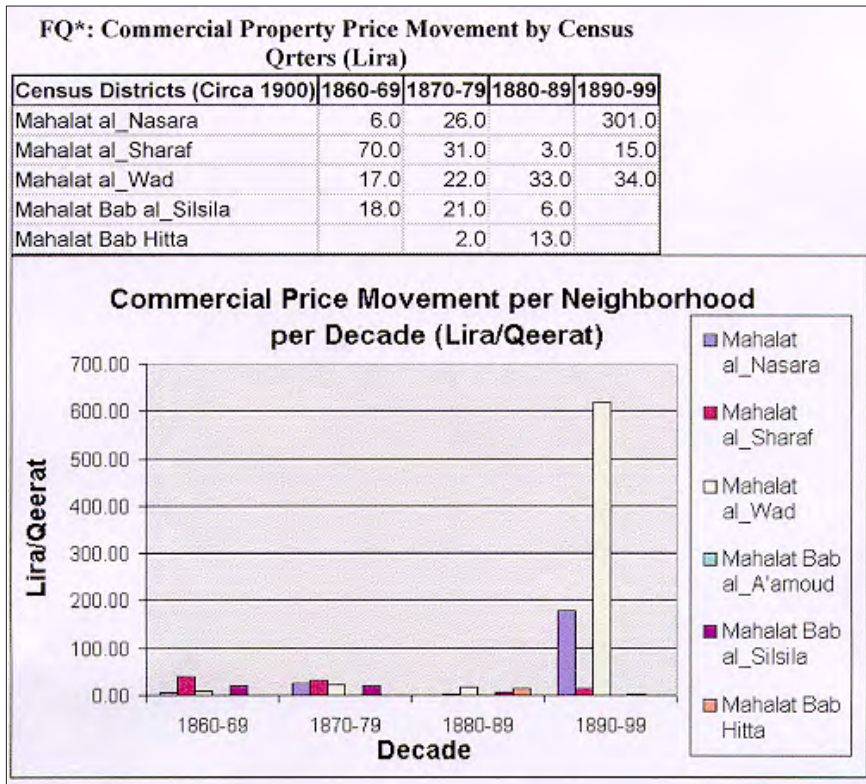
تمت قراءة سجلات المحكمة الشرعية العثمانية لمعاملات انتقال الملكية للعقارات المسجلة في الفترة ١٨٥٠ - ١٩١٨م مع وصف هذه العقارات كما هي في السجلات ذات الأرقام ٢٤٧-٤١٧ التي غطت ٢٣٠٠ معاملة لنقل الملكية تصف ٣٧٠٠ عقار، وقد تم نقل المعلومات منها إلى نماذج بيانية خاصة، وإدخالها في نظام معلوماتي باستخدام برنامج (Access). وبحيث شملت المعلومات الآتي:

١. نوع المعاملة من حيث كونها معاملة بيع أو وقف أو إرث.
٢. أسماء المستخدمين للعقارات ودياناتهم.
٣. قيمة المعاملة، ومدة الإيجار لمعاملات الإيجار.
٤. وصف للعقار ومساحته وعدد الطوابق واستعماله.
٥. وصف للموقع وحدوده.

ويتيح البرنامج القدرة على الاستفسار عن أي من هذه المعلومات أو استخلاص الحقائق حول السكان ومعاملات انتقال الملكية عند الرغبة بمعرفة الآتي:

١. حركة الأسعار للمباني التجارية والسكنية، حيث يبين الشكل رقم (١) مثلاً على تحليل حركة الأسعار للعقارات التجارية، وعلاقتها مع الحارات المختلفة في المدينة للفترة ما بين عامي ١٨٦٠ و١٩٠٠م.
٢. تصور للحالة الاجتماعية والاقتصادية للسكان.
٣. استخلاص عدد المعاملات التي جرت ما بين بائع ومشتري من أتباع أي ديانة في الفترات المختلفة، والحارات المختلفة، وتجميع المعلومات المتعلقة بعمليات نقل الملكية من وإلى اليهود، وتحديد أماكن هذه الملكيات، وتصوير الأجزاء الخاصة بها من السجلات.

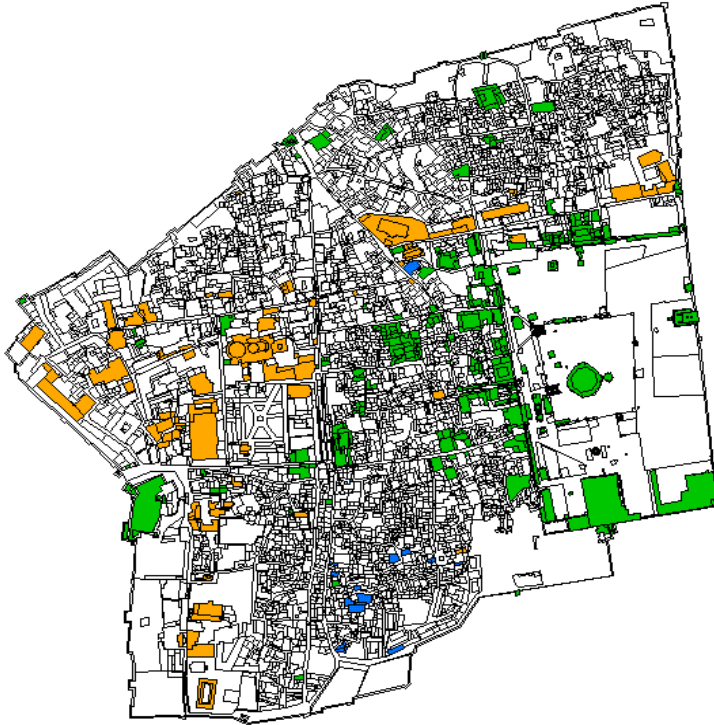
الشكل رقم (١): حركة الأسعار للعقارات التجارية وعلاقتها مع الحارات المختلفة في مدينة القدس القديمة في الفترة ما بين عامي ١٨٦٠ و١٩٠٠



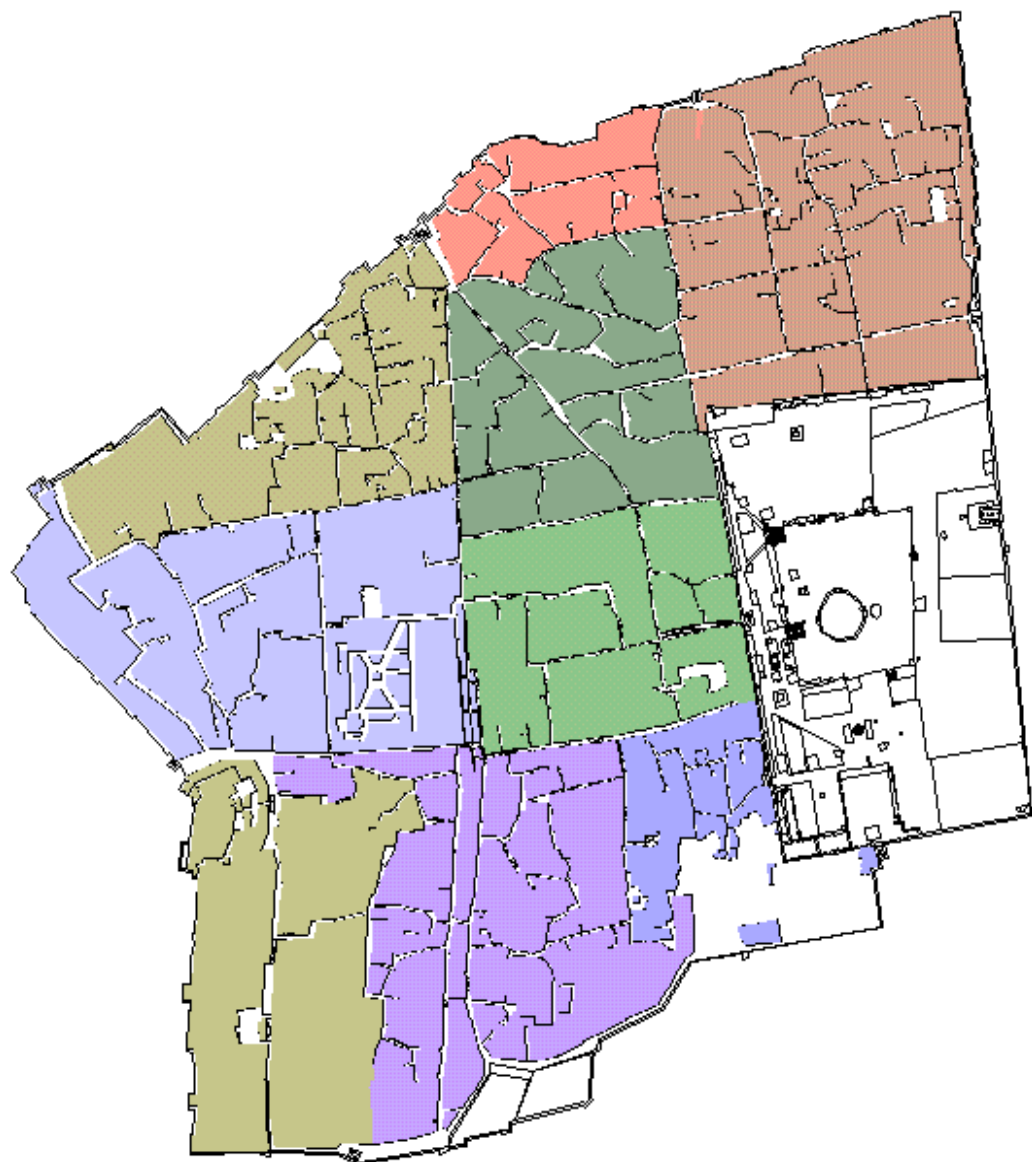
٢- حوسبة المعلومات الجغرافية:

اعتمد المشروع برنامج نظام معلومات جغرافي (GIS/ArcInfo) وتم إدخال خريطة مدينة القدس القديمة على نحو رقمي (Digitized Map)، وتحديد مواقع المعالم التاريخية والدينية والحارات والأسواق عليها، بحيث تظهر المعلومات المتعلقة بها في طبقات، ويبين الشكل رقم (٢) خريطة المعالم المهمة في المدينة تظهر بالألوان المختلفة حسب تبعية المعالم للشرائع الدينية المختلفة، غير أنه لم توثق جميع المعالم والبالغ عددها ٢٥٠ معلمًا نظرًا لكبر حجم العمل بالنسبة لمدة المرحلة الأولى من المشروع، كما يبين الشكل رقم (٣) خريطة توزيع الحارات المختلفة كما كانت معروفة قبل الاحتلال الإسرائيلي للمدينة.

الشكل رقم (٢): خريطة تبين المعالم الدينية والتاريخية والتراثية في مدينة القدس القديمة حيث تشير الألوان المختلفة إلى تبعية المعالم للشرائع الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية



الشكل رقم (٣): خريطة تبين توزيع الحارات المختلفة كما كانت معروفة في مدينة القدس القديمة قبل الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م



٣- توثيق المعلومات حول المعالم الهامة داخل السور:

تم توثيق عدد من المعالم التاريخية والدينية والتراثية، حيث تم إعداد ملخصات تاريخية، وجمع مخططات وصور لها وحفظها في ملفات مترابطة على الحاسوب، بحيث يمكن استدعاء نص مكتوب عن تاريخ أي معلم أو المساقط الأفقية الخاصة به أو واجهاته أو صور له، ومن ثم إدخال جميع البيانات المتعلقة بهذه المعالم عند مواقعها على الخريطة الجغرافية للمدينة، بحيث يظهر اسم المعلم والديانة التي يتبع لها وتاريخ البناء ونوع الاستعمال، وذلك عند الضغط على المعلم المحدد على الخريطة.

٤- توثيق قرارات هيئة الأمم المتحدة (UN Resolutions):

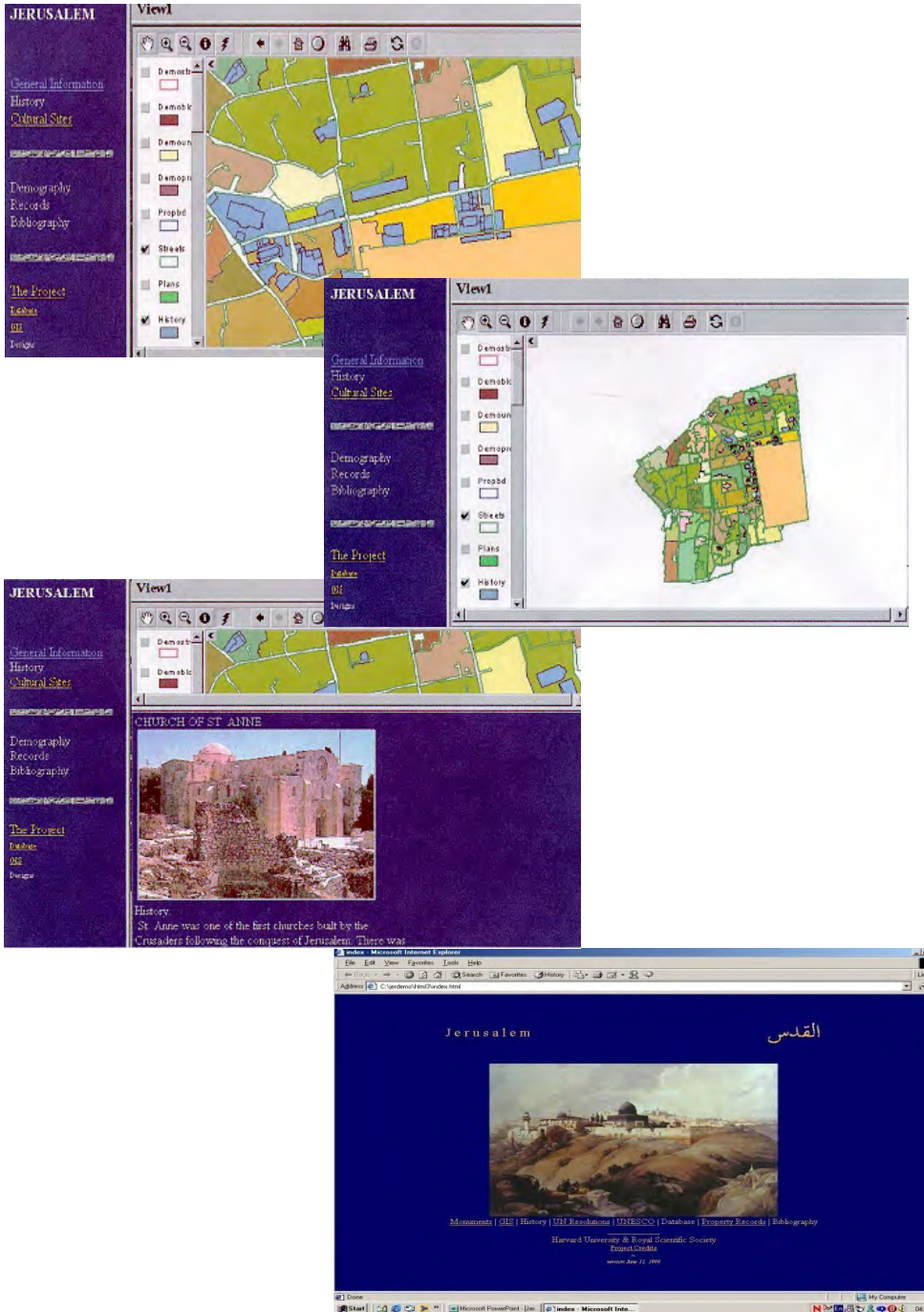
تم تفريغ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بمدينة القدس وحوسبتها، بحيث يسهل الانتقال من قرار إلى آخر بالضغط فقط على القرار المطلوب، وذلك نظراً لأهمية هذه القرارات للدارس المهتم بتاريخ المدينة، وما جرى عليها من تغييرات بسبب القرارات السياسية.

٥- توثيق قرارات منظمة اليونسكو (UNESCO Resolutions):

تم توثيق الحقائق حول شمول المدينة ضمن قائمة «المواقع التراثية المهددة»، كما ورد في قرارات منظمة اليونسكو، حيث تم تفريغ هذه القرارات وحوسبتها بشكل يسهل الانتقال من قرار إلى آخر بالضغط فقط على القرار المطلوب.

يتم العمل حالياً على توثيق فترة الحكم الأردني ١٩٤٨م-١٩٦٧م لمدينة القدس من النواحي الديموغرافية، والإدارية، ومختلف أنواع التحركات السكانية، واللاجئين، وملكيات الأراضي والقوانين التي أثرت عليها المخططات التي تم اقتراحها للمنطقة Master Plans والأمور البلدية والرعاية للأماكن المقدسة، بالإضافة إلى التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسكانية والتطور الذي طرأ عليها والبنية التحتية وترميم المعالم التاريخية.

الشكل رقم (٤): النسخة الأولى من موقع المشروع التي تم إعدادها لأغراض توضيح أسلوب النشر على شبكة المعلومات الدولية



الملاحق

خلاصة توصيات مؤتمر «الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف»

(عمّان: ٢٥-٢٦/١١/٢٠١٣)

على الصعيد القانوني والدبلوماسي

- الأوقاف الإسلامية في القدس وفلسطين تتمتع بوضع قانوني دولي مُعترف به ومستقرّ، ويجب الاستفادة من هذا المناخ القائم. هذا يرتّب على الحكومة الأردنيّة وعلى القيادة الفلسطينية التزامات خاصة بتحريك هذا الموضوع طبقاً للقانون الدوليّ وأحكامه في هذا الصدد (تراجع ورقة د. أنيس قاسم بشأن تنفيذ الوضع القانوني للأوقاف تحت الاحتلال الإسرائيلي).
- الاستفادة من القرارات الدوليّة في محاربة الإجراءات الصهيونية، والاستفادة من الباحثين القانونيين عرباً ومسلمين وأجانب في خوض معارك قانونية ضد العدو الصهيوني داخل فلسطين وخارجها.
- العمل على إلغاء قرار الكنيسة الإسرائيلي بإلغاء دائرة الأوقاف الإسلامية، ومنع إسرائيل من اعتقال موظفي الأوقاف وسجنهم ومحاكمتهم، وذلك بعد أن استطاعت الدبلوماسية الأردنية تجميد هذا القرار، غير أنه لم يبلغ بعد.
- العمل على توحيد الأرقام المتعلقة بالقدس، والتي تصدر عن وزارة الأوقاف الأردنيّة، والجمعية العلمية الملكية، ومركز الدراسات الفلسطينية في القدس.
- اتخاذ الإجراءات المطلوبة للحيلولة دون تنفيذ إسرائيل لقرارها المتعلق بعدم إدراج القدس على جدول المفاوضات مع أي دولة عربية.
- مناقشة الجهات الرسمية الأردنيّة والفلسطينيّة أن تتسق مع بعضها بعضاً على الأرض، للحفاظ على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، وتوثيق ذلك على غرار ما ورد في كتاب (كنوز القدس).
- دعم التوجه التركي المطالبة بعقاراته وأملاكه في فلسطين، والسعي لإيجاد كادر عربي تركي يقوم بترجمة آلاف الوثائق الموجودة في الأرشيف التركي والمتعلقة

بالقدس وفلسطين بعامة، والأردن بخاصة، والبحث عن مؤسسات علمية وأكاديمية لدعم عملية الترجمة هذه.

• اتخاذ الإجراءات المطلوبة لإبقاء القرى والمزارع المحيطة بالقدس وفقاً لإسلامياً، لا يجوز لإسرائيل مصادرتها أو بناء المستوطنات عليه.

• حيث إن الحماية القانونية للأوقاف والأماكن في القدس مكلفة مادياً، يُقترح إنشاء شبكة تمكين قانوني مكونة من عدد من المحامين والقانونيين، وبتنسيق من الأوقاف أو مصادر أخرى، للدفاع في قضايا الاستملاك والهدم الصادرة ضد أملاك المقدسيين.

• تشكيل لجنة قانونية لدراسة وتقييم الأوقاف المختلفة ومردودها، وذلك لتحديد مواقعها بدقة والحفاظ عليها، إضافة إلى متابعة وتدقيق أعمال الموكلين بها.

• دعوة الحكومة الأردنية لإعادة النظر في القانون الذي يُعطي رجال الدين اليونانيين - البالغ عددهم أقل من ١٪ من المسيحيين الأرثوذكس، قيادة ٩٩٪ منهم، واعتبار العقود التي باعوا بموجبها الكثير من الأراضي في القدس وفلسطين باطلة.

• إنشاء قاعدة بيانات لتوثيق مختلف أشكال الانتهاكات الإسرائيلية بحق الفلسطينيين.

• إدانة أي أفراد أو هيئات تقوم بتأجير أراضٍ أو أملاك عربية للعدو الصهيوني، وملاحقتهم في المحاكم الأردنية والدولية.

• اتخاذ الإجراءات الدبلوماسية لتبقى القدس قبلة العالم وقلب العالمين المسيحي والإسلامي.

• الاستمرار في البحث عن الحقائق القانونية والتاريخية والجغرافية والسياسية التي تثبت أمام العالم عروبة القدس، ورفض المخططات الإسرائيلية الرامية لتهويدها وتزوير تاريخها، وكذلك رفض تسييس الدين اليهودي ليحقق مآرب السياسة الإسرائيلية.

• جعل الصراع مع إسرائيل على القدس ليس على الأرض فقط، بل على الجوانب الروحية أيضاً.

على صعيد إدارة الأوقاف والأماكن العربية

- بذل كل الجهود الممكنة لحلّ أية خلافات موجودة في مجال الأوقاف الذريّة في القدس، وبخاصة فيما يتعلق بالمسؤولية عليها، أو المحاسبة على وارداتها، أو الخلافات مع مستأجريها، وذلك عن طريق لجنة تُعيّن لهذه الغاية بالتنسيق مع الجهات المشرفة عليها، سواء الأوقاف الإسلاميّة أو المسيحيّة. وتكليف منتدى الفكر العربي متابعة ذلك من خلال برنامج «القدس في الضمير».
- يجب تطوير أدوات الاستثمار للأوقاف لكي تخدم الصمود في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا سيما في القدس، والمُقترح أن يؤوّل الإشراف على الأوقاف إلى هيئة مستقلة عن وزارة الأوقاف، تقوم على استثمار هذه الأوقاف استثماراً عصرياً باستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة وبطريقة رشيدة، ذلك أن عقد الحكر في إجارة الأوقاف طريقة فاشلة وتؤدي بالأوقاف إلى الاندثار. وهناك سوابق أثبتت فشل هذه الطريقة التي أدت إلى أن يطرأ عليها الكثير من الفساد، ولا سيما من متولّي الوقف.
- العمل على إعمار أماكن الأوقاف بشكل خاص، والأماكن الخربة كافة في القدس والأماكن العامة بشكل عام. ومطالبة الأمة العربيّة والإسلاميّة بدعم هذا العمل.
- تشجيع نقل أو بيع العقارات الخاصة للأوقاف لحمايتها من مصادرة السلطات الصهيونية لها، وبخاصة ما يمكن إثارته من قانون أملاك الغائبين. ودعوة أبناء الأمة العربيّة والإسلاميّة لدعم هذا المشروع وشراء العقارات لصالح الأوقاف.
- العمل على تطوير وتحديث الإدارة العامة للأوقاف، ودعمها بالكفاءات والتقنيات المهنية والإدارية والاستثمارية للقيام بالمهام الكبيرة المطلوبة منها، وهي: إعمار المرافق؛ توسيع النشاط العمراني؛ استغلال أراضي الوقف استغلالاً صحيحاً، وجعلها مؤسسة رائدة حديثة متطورة.
- تعزيز الإدارة والولاية الأردنية على المقدسات الإسلاميّة والمسيحية في القدس.
- تعيين قاض ثالث في محكمة القدس الشرعيّة يختص بمتابعة ومحاسبة متولّي الوقف الذريّ في القدس.

- نتيجة لتكرار دخول اليهود إلى ساحات المسجد الأقصى، يُفْتَرَح تعيين مراقبين بلباس خاص يرمز إلى قدسيّة المكان، يداومون من الصباح إلى المساء، ويكونون ظاهرين لمن يدخل إلى الأقصى ويتجولون في جميع ساحات المسجد الأقصى، خاصة حين دخول الجماعات اليهودية. وهذه فرصة لتشغيل أعداد من الشباب العاطلين عن العمل في القدس؛ أي دعم لمعيشة مئة عائلة (بتكلفة مليون دولار سنويًا).
- المحافظة على قدسية المقابر الإسلامية والمسيحية في القدس، ومنع العدو الصهيوني من مصادرتها وإزالتها، والمطالبة بإجراء مسح شامل لكل هذه المقابر، وإجراء دراسة أركيولوجية وأنتروبولوجية لكل المقابر في القدس وحالات التدنيس التي تعرضت لها، لأنها جزء من التاريخ والتراث، وإثبات ملكيتنا لهذه الأرض.

على صعيد التعليم والإعلام والمعلومات والتوثيق

- ضرورة أن تُعنى المؤسسات القومية والوطنية، والفلسطينية خاصة، بتصحيح المعلومات عن القدس وفلسطين في الإنترنت وقواعد المعلومات (ولا سيما في موسوعة الوكيبيديا التي لا تتضمن موادها عن القدس وفلسطين أية مصادر عربية تكشف حقيقة ما جرى، وأنها تزور الحقائق المعروفة بطريقة بارعة، وتُعطي انطباعات خاطئة ذات أثر قويّ على القارئ تضرّ بقضية العرب الكبرى)، مع تأكيد ضرورة أن تواكب هذه المؤسسات في مخاطبتها الإنسان الغربيّ تكنولوجيا العصر الحالي في الاتصال (الرقمنة Digitalism)، وأن تستجيب لمتطلباته.
- العمل على إيجاد وعي بين الشباب -خصوصًا- في العالم العربي والإسلامي حول القدس وقضيتها، من خلال جعل القدس جزءًا من هويتهم الحضارية، وكذلك إيجاد وعي عام في العالم الإسلامي بكل ما يحدث في القدس وإيصال صورة حقيقية للأحداث التي تجري في الداخل.
- تدريس القضية الفلسطينية وقضية القدس في مساق خاصّ في المدارس كافة، وكذلك في الجامعات والمعاهد العربية والإسلامية.
- التركيز في الخطاب الإعلامي على أهمية الوجود المسيحي في القدس والمنطقة.

- إنشاء مركز توثيق ومعلومات خاص بالقدس وفلسطين يمول من المنح الخليجية أو مصادر أخرى، وإنشاء مركز للترجمة بثلاث لغات أو أكثر، منها العبرية والروسية للأوراق والوثائق كافة التي تصب في مصلحة القدس والقضية الفلسطينية.
- إنشاء قناة فضائية خاصة بالوثائق والمعلومات والإعلام عن القدس بشكل خاص، والقضية الفلسطينية بشكل عام تتولى عرض الندوات والمؤتمرات الخاصة بالقدس والقضية الفلسطينية أولاً بأول، وإنشاء إذاعة FM باللغة العبرية والروسية تبث إلى المجتمع الإسرائيلي، ويوضع لها برامج موجّهة.
- إنتاج أفلام وثائقية تلخص انتهاكات إسرائيل للأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس بلغات متعددة.
- إصدار مجلة علمية محكمة تعنى بالأوقاف بشكل عام، والقدس بشكل خاص.

على صعيد دعم التعليم والصحة والإسكان والأوضاع الاقتصادية والمعيشية

- العمل على إنشاء وقيّة مقدسية تمويلية (AL Quds Trust - Fund) تُستثمر في تمكين المواطن الفلسطيني المقدسي من خلال التعليم والتدريب النوعي، والتمكين لهويته العربية، لتحصيل أكاديمي تقني وفني، كذلك تمكينه من بناء المشاريع الصغيرة والمتوسطة وتمويلها بسخاء.
- العمل على تنظيم تلقي الدعم المالي للقدس وإنفاقه حسب الأولويات، بحيث تُوحّد الجهات المستقبلية للدعم في جهة واحدة، ويشارك سفراء الدول المتبرعة في أعمالها، وتقدّم إلى هذه الجهة مشاريع الإنفاق وحاجات المدينة المقدسة ليتم دراستها والمباشرة بتنفيذها حسب الأهمية والحاجات ذات الأولوية.
- الاهتمام بالتعليم في القدس، وإقامة مدارس عربية جديدة بدلاً من المدارس غير الصالحة، وذلك لسحب الطلاب العرب من مدارس البلدية (دعوة دولية لدعم هذا المشروع).
- دعم صمود أبناء الشعب الفلسطيني بالوسائل كافة، وأهمّها إقامة مشاريع إسكانية، ومشاريع اقتصادية إنتاجية ومشاريع سياحية تُساعد على الصمود. ودعوة الدول العربية والإسلامية والقادرين فيها لتقديم كل دعم ممكن للمدينة المقدسة، وبخاصة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية

والإسكان (ومنها مستشفى المقاصد، وجامعة القدس)، وتنفيذ ما ورد من قرارات في مؤتمرات القمة العربية في هذا الخصوص.

- تعزيز دور المؤسسات غير التعليمية مثل الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني في تعميق الوعي الوطني تجاه القدس وفلسطين، وتعزيز التواصل الاجتماعي مع أهالي القدس، والسعي لنبذ الخلافات بين الفلسطينيين.
- من أجل تمكين المقدسيين الصامدين المرابطين من البقاء على أرضهم، هناك حاجة للعمل على دفع الضرائب المستحقة عليهم والتي فرضتها سلطات الاحتلال (يوجد حملة تقوم بها نقابة المهندسين الأردنيين بعنوان «فلنشعل قناديل صمودها» تهدف إلى جمع التبرعات لصالح دفع الضرائب عن المقدسيين، وتثبيت ما تبقى منهم في القدس حفاظاً على هوية الفلسطينيين وهوية الأقصى العربية الإسلامية).
- إجراء المزيد من البحوث المتعلقة بتهجير المسيحيين من القدس.

توثيق وأرشفة الأوقاف والأماكن والعقارات العربية في القدس

- إنشاء هيئة لتنظيم أعمال توثيق الأوقاف الإسلامية والمسيحية، والمساعدة في تنسيق أعمالها ميدانياً لتلافي التكرار والوصول إلى التكامل في هذه الأعمال.
- الدعوة للمباشرة في مشروع أرشفة حاسوبية لجميع الأراضي والعقارات في القدس، بما في ذلك العقارات الموقوفة وقفاً خيرياً أو ذرياً، مع كامل المعلومات المتعلقة بها من واقع الحجج الوقفية. وهذا المشروع استعدّ البنك الإسلامي للتنمية لتمويله.
- الاستمرار في التوثيق الجغرافي والتاريخي والتراثي لمدينة القدس، وإصدار هذا التوثيق (أطلس القدس) بكافة اللغات الممكنة، وذلك للحفاظ على تاريخنا وتراثنا ودحض الادعاءات الصهيونية.
- تخصيص بعثات من مختلف الجامعات في الدول العربية والإسلامية لدراسة الوثائق العثمانية المتعلقة بالقدس وتوثيق المهم منها ونشرها، بالتعاون مع الأرشيف العثماني في تركيا.
- التزام أقسام الدراسات العليا في جامعات الدول العربية والإسلامية ومراكز

البحث العلمي فيها بتوجيه الطلاب والباحثين على مواصلة دراسة أحوال المدينة المقدسة بالمنهجيات العلمية، وإنشاء كراس لدراسات بيت المقدس في هذه الجامعات، وزيادة الاهتمام بدراسة الموضوعات المتعلقة بالأوقاف في القدس وفلسطين.

- المحافظة على الوثائق الوقفية وأية وثائق تاريخية أخرى التي بحوزة العائلات المقدسية بطريقة صحيحة، أو السماح للمؤسسات البحثية بتصويرها والعمل على المحافظة عليها. ومتابعة قراءة دفاتر وسجلات الطابو العثمانية المتعلقة بالقدس وفلسطين (في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية)، وتدريب مَنْ يقوم بعمل الترجمة لها وتفسيرها للحصول على المعلومات الغنية في هذه السجلات. كذلك الاستفادة من المعلومات الغنية عن القضاة والفقهاء ونظار الوقف في القدس من كتب ومعاجم التراجم التراثية.

رعاية المقدسات والحفاظ على تراث القدس وحمايته

- العمل بشكل جاد لتعبئة الجهود العربية والدولية في اليونسكو لمحاربة الاعتداءات الصهيونية على تراث القدس ووقف عمليات الحفريات والتهويد القائمة على قدم وساق.
- تعزيز التعاون الإسلامي - المسيحي من أجل القدس.
- التصدي بكل قوة لمحاولات تهويد الأقصى - قانونياً ونضالياً، والعمل على زيادة عدد حراس الأقصى، والدعوة إلى تشكيل فرق متطوعين لمساعدة هؤلاء الحراس.
- دعم مركز المخطوطات في القدس وإمكاناته.

مقترحات وتوصيات أخرى

- دعوة المسلمين إلى شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، وتأكيد تعلقهم به ودعوتهم لتحريره، ودعم صمود المقدسيين، على أن يتجنبوا تقديم أي صورة من صور الدعم للمحتلين اقتداءً برسول الله ﷺ في حرصه على زيارة البيت الحرام في عمرة القضاء، واتفاقه ﷺ مع القرشيين في صلح الحديبية على ذلك، رغم عدائهم للإسلام والمسلمين، ووجود ٣٦٠ صنماً حول الكعبة، فطاف وسعى مع وجود هذه الأصنام في الكعبة؛ تأكيداً لارتباط المسلمين بالبيت الحرام، وتنفيذاً

لقوله ﷺ: (لا تُشدُّ الرِّحالَ إلاَّ لأحدِ ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).

- اتخاذ الإجراءات الدبلوماسية المطلوبة لتسهيل السفر إلى القدس للمسلمين والمسيحيين، ومناشدة بابا الأقباط في مصر السماح لرعايا الكنيسة القبطية بالسفر إلى القدس.

مقترحات للتنفيذ

- وضع خطة مرحليّة لتنفيذ التوصيات، والبدء بما يمكن إنجازه.
 - نشر وثائق هذا المؤتمر وأوراقه على الإنترنت.
 - تشكيل لجنة متابعة خاصة لتوثيق الأوقاف والأماكن العربيّة في القدس.
 - أن يكون مؤتمر «الأوقاف في القدس» مؤتمراً سنوياً.
 - دعوة مؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية إلى إعادة جائزة القدس الدوليّة.
- يُضاف إلى هذا كلّه بشكل خاص (تفصيلات) التوصيات التي وردت في الأوراق المقدمة للمؤتمر من كلّ من:
- د. أنيس قاسم: الأوقاف والحقوق القانونية في القدس.
 - دة. ريتا عوض: مدينة القدس القديمة وأسوارها في لجنة اليونسكو للتراث العالمي.
 - د. عبد السلام العبادي: الأوقاف والأبعاد الإنسانية.
 - د. عدنان عبد الرازق: الأملاك والعقارات العربية في الشطر الغربي لمدينة القدس المحتلة في غياب القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة.
 - د. عبد الكبير العلوي المدغري: نحو سياسة مدنية عربية إسلامية دولية في القدس الشريف.
 - د. عزت جرادات: دور منظمات المجتمع المدني ومؤسساته في الدفاع عن القدس الشريف.

برنامج المؤتمر



الصندوق العربي للإنماء
الاقتصادي والاجتماعي الكويت



المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة



منتدى الفكر العربي
الانتماء والإنماء
منتدى الفكر العربي

برعاية صاحب السمو الملكي

الأمير الحسن بن طلال المعظم

المؤتمر العلمي الدولي

الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس

(عمان: فندق لاند مارك ٢٥-٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٣)

برنامج العمل

البنك الإسلامي الأردني

بنك الاتحاد
Bank al Etihad
الخيار المشرق



لغة الجمعيات العربية



جامعة البترا

الحاج زكي الغول

landmark
AMMAN HOTEL & CONFERENCE CENTER

البنك التجاري الأردني
Jordan Commercial Bank

بنك الإسكان
Housing Bank

اليوم الأول: الإثنين ٢٥/١١/٢٠١٣

١١:٣٠-١١:٠٠ تسجيل المشاركين

١١:٣٠-١٢:٣٠ الافتتاح

- كلمة ترحيبية من الأمين العام لمنتدى الفكر العربي (د. الصادق الفقيه)
- كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر (معالي د. هشام الخطيب، عضو المنتدى)
- كلمة أمين القدس الشريف (الحاج زكي الغول)
- كلمة معالي د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة/ (الإيسيسكو)/ المغرب يليقها بالإناة معالي أ.د. صلاح جرار، عضو المنتدى)
- كلمة المشاركين (أ.د. فاضل مهدي بيات/مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسیکا) باستانبول/منظمة التعاون الإسلامي/تركيا)

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم
(رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه)

عريف الحفل: دة. رشأ الخطيب
(الجامعة العربية المفتوحة، وجامعة الزيتونة/الأردن)

١٢:٣٠ - ١٢:٤٥ استراحة

١٢:٤٥ - ٢:١٥ الجلسة (١): الأوقاف، الحقوق، والتراث الثقافي في القدس

رئيس الجلسة: دولة أ. طاهر المصري / رئيس مجلس الأعيان السابق، وعضو مجلس أمناء المنتدى (الأردن)

المقرر: أ. كايد هاشم / مساعد أمين عام المنتدى (الأردن)

- الإعمار الهاشمي ودور وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الحفاظ على الأماكن المقدسة في القدس (المهندس أ. عبدالله العبادي / مدير المتابعة لشؤون المسجد الأقصى والقدس/ وزارة الأوقاف - الأردن)

- الحقوق القانونية للأوقاف في القدس
(المحامي والمستشار القانوني د. أنيس فوزي قاسم/الأردن)
- إدارة الأوقاف في القدس: الحقوق والتحديات (فضيلة الشيخ محمد عزام
الخطيب التميمي/ مدير أوقاف القدس، -قدّمها بالإنازة م . عبدالله العبادي)
- حالة الحفاظ على التراث الثقافي في القدس المحتلة وما حولها
(أ. د. معاوية إبراهيم/ ممثل الأردن في لجنة اليونسكو للتراث العالمي)
- «مدينة القدس القديمة وأسوارها» في لجنة اليونسكو للتراث العالمي
(د. ريتا عوض/ خبيرة في شؤون الثقافة والفنون والتراث والعلاقات الثقافية/ فلسطين- تونس)

معرض (القدس ٢٠١٥)/ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول
(باحة المؤتمر)

غداء ٣:١٥ - ٢:١٥

الجلسة (٢) الأوقاف المسيحية في القدس ٥:٣٠ - ٣:٠٠

- رئيس الجلسة: معالي أ. د. كامل أبو جابر/ مدير عام المعهد الملكي
للدراسات الدينية، وعضو المنتدى (الأردن)
- المقرر: أ. كايد هاشم/ مساعد أمين عام المنتدى (الأردن)
- أوقاف الكنائس المسيحية في القدس (د. رؤوف أبو جابر/ رئيس المجلس المركزي
الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين، ورئيس جمعية حماية القدس الشريف)
- موجز لتاريخ أوقاف الكنيسة الأرثوذكسية (أم الكنائس) في القدس
(أ. باسم فراج/ رئيس الجمعية الأرثوذكسية، ونائب رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي في
الأردن وفلسطين)
- الأوقاف المسيحية الكاثوليكية في القدس (سيادة المطران د. مارون اللحام/
مطران اللاتين في الأردن)

- الأوقاف الدينية والكنائس الأرمنية (سيادة المطران فاهان طوباليان/ مطران الأرمن الأرثوذكس في الأردن، يقدم الورقة بالإنازة سيادة المطران د. مارون اللحام)
- أوقاف الكنيسة القبطية في القدس (سيادة الأنبا أبراهام/ مطران الكنيسة القبطية في القدس، قدم الورقة بالإنازة الأب ميخائيل ثابت)

- أوقاف الكنيسة الأثيوبية Ethiopian Churches' Endowment in Jerusalem (أ. ستالين جيبريسيلاس Stalin Gebreselassie / أثيوبيا)

استراحة ٥:١٥ - ٥:٠٠

٧:١٥ - ٥:١٥ الجلسة (٣) : توثيق الأوقاف والأماكن العربية في القدس

- رئيس الجلسة: د. محمد التميمي/ باحث وأكاديمي (فلسطين/ تركيا)
- المقرر: أ. محمد المشايخ/ مندوب مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري/ الكويت (الأردن)

- توثيق الأماكن العربية في البلدة القديمة بالقدس (أ. خليل التفكجي/ مركز الدراسات العربية - القدس/ فلسطين، قدمتها بالإنازة دة. نادية سعد الدين)

- مشروع توثيق الأوقاف والأماكن العربية في مدينة القدس القديمة (المهندسة روان العطور/ رئيس قسم التطوير الحضري/ الجمعية العلمية الملكية- الأردن)

- منتخبات من مجموعة الوثائق والسجلات المتعلقة بالقدس في الأرشيف العثماني برئاسة الوزراء التركية (أ.د. جنكيز تومار/ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسیکا) وجامعة مرمره باستانبول / تركيا)

- وقفية أبو مدين الغوث في مدينة القدس ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠ م (أ.د. محمد الحزماوي/ جامعة القدس- فلسطين)

- أوقاف النقود في القدس في القرن السابع عشر الميلادي ١٦٠٠-١٧٠٠ (د. زياد المدني/ مستشار في وزارة التربية والتعليم/ البحرين)

اليوم الثاني: الثلاثاء ٢٦/١١/٢٠١٣

٩:٣٠ - ١١:٠٠ الجلسة (٤): الأوقاف والحقوق القانونية؛ الأبعاد والرعاية الإنسانية

رئيس الجلسة: أ. د. يوسف الحسن / سفير سابق، وعضو مجلس أمناء المنتدى
(الإمارات)

المقرر: المحامي أ. مروان المعايطة (الأردن)

- الأملاك والعقارات العربية في الشطر الغربي لمدينة القدس المحتلة في غياب

القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة

(د. عدنان عبد الرازق/ باحث وأكاديمي- فلسطين)

- الوضع القانوني للأوقاف المسيحية في القدس

(المحامي أ. معين خوري - القدس)

- الموقف الذري في القدس من منظور تجارب شخصية

(أ. عزام أبو السعود/ مدير الغرفة التجارية الصناعية العربية- القدس)

١١:٠٠ - ١١:١٥ استراحة

١١:٠٠ - ١:٠٠

اجتماع مجلس أمناء المنتدى التاسع والثلاثون (الحضور لأعضاء المجلس فقط)

١١:١٥ - ١٢:٤٥ الجلسة (٥): الأبعاد التاريخية للمحافظة على الأوقاف في القدس

رئيس الجلسة: معالي أ.د. صلاح جرار/ وزير الثقافة الأسبق، نائب رئيس جامعة

العلوم الإسلامية العالمية، وعضو المنتدى (الأردن)

المقرر: أة. عبيد قطناني/ رئيس قسم البحوث/ المعهد الدبلوماسي الأردني

- الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس: أعدادها ومصادرها

(أ.د. محمد هاشم غوشه/ الرئيس التنفيذي لدارة القدس للبحوث والتوثيق - القدس،

عضو المنتدى)

- جهود الدولة العثمانية في حماية المؤسسات الوقفية في القدس - القرن

السادس عشر نموذجاً (أ.د.فاضل مهدي بيات/مركز الأبحاث للتاريخ والفنون

والثقافة الإسلامية (إرسكا) تركيا)

- إدارة الوقف في القدس في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين
(د. زهير غنايم / جامعة القدس / فلسطين)
- دور نظام الوقف في مدارس بيت المقدس مطلع العهد العثماني
(أ.د. هندا أبو الشعر / جامعة آل البيت / الأردن)
- البُعد التاريخي للأوقاف الإسلامية في القدس الشريف: مديرية عموم
أوقاف القدس ١٨٤٣ - ١٩٤٨م ودورها في خدمة أوقاف فلسطين وتوثيقها
(د. نائلة الوعري / البحرين - فلسطين)

استراحة ١٢:٤٥ - ١:٠٠

١:٠٠ - ٢:٣٠ الجلسة (٦): الأوقاف، الأوضاع والأبعاد الإنسانية

رئيس الجلسة: معالي د. هشام الخطيب / رئيس اللجنة التحضيرية

المقرر: أ. محمد سلام جميعان / أمين سر رابطة الكتاب الأردنيين

- الأبعاد الإنسانية للأوقاف في القدس (معالي أ.د. عبد السلام العبادي /
وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، سابقاً، ورئيس جامعة آل البيت سابقاً / الأردن)
- الأوقاف في القدس: البشر والحجر (د. صبحي غوشه / رئيس جمعية يوم القدس
ومركز دراسات القدس، وم. عبد الله العبادي / الأردن)
- الأوضاع الإنسانية الراهنة للسكان العرب في القدس
(أ. يوسف الدجاني / رئيس مجلس إدارة شركة كهرباء محافظة القدس، وعضو لجنة القدس
العليا التابعة لمجلس الوزراء الأردني)

- هجرة المسيحيين من القدس خلال الفترة من عام ١٩٤٨-٢٠١٢م:
الأسباب والمخاطر (د. جورج فريد طريف الداوود / إعلامي وأكاديمي / الأردن)

غداء ٢:٣٠ - ٣:٣٠

٥,٣٠ - ٣,٣٠ **المائدة مستديرة (٧): مستقبل القدس (نقاش عام وتوصيات وخطة عمل)**

رئيس الجلسة: **دولة أ. د. عدنان بدران**/رئيس جامعة البترا، وعضو مجلس أمناء المنتدى (الأردن)

المقرر: **د. جودي بطاينة**/جامعة جرش الأهلية (الأردن)

المتحدثون:

- نحو سياسة مدنية عربية إسلامية دولية في القدس الشريف
(أ.د. **عبد الكبير العلوي المدغري**/ المدير العام لوكالة بيت مال القدس الشريف/ المغرب، قدمت الورقة بالإناابة دة. **جودي بطاينة**)
- **مستقبل القدس (أ. عبد الله كنعان**/ أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس/ الأردن)
- دور منظمات المجتمع المدني ومؤسساته في الدفاع عن القدس الشريف
(أ.د. **عزت جرادات**/ أمين عام المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، ورئيس لجنة القدس وفلسطين المنبثقة عن المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة/ الأردن)
- وجاهات نظر حول مستقبل القدس (مداخلات قصيرة)**
- المشاركون أفضائياً -

❖ **أ.د. أحمد أوصال** / مجموعة التفكير الاستراتيجي/ تركيا

❖ **أ. عثمان النشاشيبي** / رئيس الهيئة الإدارية لمنتدى بيت المقدس/ الأردن

❖ **أ.د. عصام سخيني** / جامعة البترا/ الأردن

❖ **أ.د. عصام سليمان موسى** / جامعة اليرموك/ الأردن

❖ **أ.د. غازي رباحه** / الجامعة الأردنية

❖ **أ.د. كامل أبو جابر** / مدير عام المعهد الملكي للدراسات الدينية/ الأردن

❖ **أ.د. موسى شتيوي** / مركز الدراسات الاستراتيجية/ الجامعة الأردنية

استراحة ٥,٣٠ - ٥,٤٥

الجلسة الختامية (٨) ٦,٤٥ - ٥,٤٥

كلمة ختامية لسمو الأمير الحسن بن طلال

مُنْدَرَى الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ



شكر وعرفان إلى



اللجنة التحضيرية للمؤتمر (أضفائياً)

المهندس عثمان النشاشيبي
المهندس عبد الله العبادي
معالي أ.د. فايز خصاونة
أ.د. محمد هاشم غوشه
أ.د. هند أبو الشعر
أ.د. وفاء الضوس

معالي د. هشام الخطيب (رئيساً)
د. إسماعيل الزبري
د. رؤوف أبو جابر
المهندسة روان العطور
الحاج زكي الغول
د. صبحي غوشة

Arab Thought Forum

P.O.Box: 1541
Amman 11941 Jordan
Tel.: (+962-6) 5333261/5333617/5333715
Fax: (+962-6) 5331197
E-mail: atf@atf.org.jo
URL: www.atf.org.jo

مُنْدَرَى الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

ص ب ١٥٤١
عمّان ١١٩٤١ الأردن
تلفون: ٥٣٣٣٦١١/٥٣٣٣٦١٧/٥٣٣٣٧١٥ (+٩٦٢-٦)
ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (+٩٦٢-٦)
[facebook.com/atf.jordan](https://www.facebook.com/atf.jordan)
twitter.com/atf_jordan

اللجنة التحضيرية لمؤتمر
«الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس»*

عضو منتدى الفكر العربي	د. هشام الخطيب (رئيساً)
مؤسسة التعاون /الأردن	أ. إسماعيل الزبري
محام ومستشار قانوني /الأردن	د. أنيس فوزي قاسم
مستشار لسمو الأمير الحسن بن طلال	أ. حكم العلمي
دار العمران/الأردن	م. راسم بدران
رئيسة قسم التخطيط الحضري (مشروع القدس) الجمعية العلمية الملكية /الأردن	أة. روان العطور
رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين رئيس جمعية حماية القدس الشريف/الأردن	د. رؤوف أبو جابر
أمين القدس الشريف	الحاج زكي الغول
الأمين العام لمنتدى الفكر العربي	د. الصادق الفقيه
رئيس جمعية يوم القدس، مركز دراسات القدس/الأردن	د. صبحي غوشه
مدير المتابعة لشؤون المسجد الأقصى والقدس/وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية/الأردن	م. عبد الله العبادي
رئيس منتدى بيت المقدس/الأردن	أ. عثمان النشاشيبي
الجمعية العلمية الملكية/الأردن	د. عوده الجيوسي
مستشار لسمو الأمير الحسن بن طلال	أ.د. فايز خصاونة
مساعد أمين عام منتدى الفكر العربي	أ. كايد هاشم
الرئيس التنفيذي/دارة القدس للبحوث والتوثيق/القدس	أ.د. محمد هاشم غوشه
أستاذة التاريخ/كلية الآداب /جامعة آل البيت/الأردن	أ.ة.د. هند أبو الشعر

* الأسماء ألفبائياً.

المؤتمر العلمي الدولي «الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس»

(الإثنين والثلاثاء؛ ٢٥ و٢٦/١١/٢٠١٣؛ فندق لاند مارك /عمّان)

قائمة المشاركين (الأسماء ألقاباً، مع حفظ الألقاب)

١	الأب أنطونيوس صبحي حنا	رئيس طائفة الأقباط الأرثوذكس/الأردن، ونائب رئيس المحكمة الكنائسية
٢	أحمد أوصال	مجموعة الفكر الاستراتيجي/تركيا
٣	أغادير جويحان	مديرة مكتب سمو الأميرة تغريد محمد، وعضو المنتدى
٤	أنيس القاسم	محام ومستشار قانوني
٥	باسم فرّاج	نائب رئيس مجلس إدارة التجمع العربي التكنولوجي في فلسطين
٦	جنكيز تومار	معهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة مرمره ومركز إرسিকা /تركيا
٧	جواد العناني	رئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي/الأردن، عضو مجلس الأعيان، وعضو مجلس أمناء المنتدى
٨	جودي بطاينة	أستاذة الأدب والنقد /جامعة جرش الأهلية
٩	جورج طريف الداوود	أكاديمي وإعلامي
١٠	الحاج زكي الغول	أمين القدس الشريف
١١	الصادق الفقيه	أمين عام المنتدى
١٢	رشاً الخطيب	أستاذة الأدب العربي في الجامعة العربية المفتوحة
١٣	روان العطور	مديرة مشروع توثيق الأوقاف والأملاك العربية في القدس الجمعية العلمية الملكية
١٤	رؤوف أبو جابر	رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين، رئيس جمعية حماية القدس الشريف
١٥	ريتا عوض	ناقدة أدبية وخبيرة في شؤون الثقافة والفنون والتراث الثقافي/ فلسطين - تونس
١٦	زهير غنايم	جامعة القدس/ فلسطين
١٧	زياد المدني	مستشار في وزارة التربية والتعليم /البحرين
١٨	ستالين جيبريسيلاس	الكنيسة الأثيوبية في القدس
١٩	سلطان أبو عرابي	الأمين العام /اتحاد الجامعات العربية
٢٠	صبحي غوشة	رئيس جمعية يوم القدس، ورئيس مركز دراسات القدس

٢١	صلاح الدين الزين	مدير مركز دراسات الجزيرة في قطر، عضو مجلس أمناء المنتدى
٢٢	صلاح جرار	وزير الثقافة سابقًا، نائب رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية للشؤون الأكاديمية، عضو المنتدى
٢٣	طاهر المصري	رئيس مجلس الأعيان السابق، عضو مجلس أمناء المنتدى
٢٤	عامر الحافي	مستشار المعهد الملكي للدراسات الدينية
٢٥	عايدة النجار	عضو المنتدى
٢٦	عبد الحميد سيف الحدي	عضو لمجلس الاستشاري/اليمن؛ عضو مجلس أمناء المنتدى
٢٧	عبد الرحمن العطية	وزير الدولة ، عضو مجلس أمناء المنتدى /قطر
٢٨	عبد السلام العبادي	وزير سابق
٢٩	عبد العزيز حجازي	رئيس مؤسسة الزكاة المصرية، عضو مجلس أمناء المنتدى
٣٠	عبد الله العبادي	مدير المتابعة لشؤون المسجد الأقصى والقدس/وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
٣١	عبد الله كنعان	أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس
٣٢	عبد المهدي علاوي	مدير عام البنك التجاري الأردني/عضو المنتدى
٣٣	عبيد قطناني	رئيس قسم البحوث/المعهد الدبلوماسي الأردني
٣٤	عثمان النشاشيبي	رئيس الهيئة الإدارية ، منتدى بيت المقدس
٣٥	عدنان الحسيني	رئيس اللجنة الشعبية الأردنية لنصرة القدس وحق العودة
٣٦	عدنان بدران	رئيس جامعة البترا، عضو مجلس أمناء المنتدى
٣٧	عدنان توفيق عبد الرازق	باحث وأكاديمي/فلسطين
٣٨	عزام ابو السعود	مدير الغرفة التجارية الصناعية العربية/القدس
٣٩	عزت جرادات	أمين عام المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس
٤٠	عصام سخيني	أستاذ التاريخ/ جامعة البترا
٤١	عصام سليمان الموسى	أستاذ الإعلام والاتصال /جامعة اليرموك
٤٢	غازي ربابعة	أستاذ العلوم السياسية /الجامعة الأردنية
٤٣	فاضل مهدي بيات	مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول/تركيا
٤٤	فاهان طوباليان	مطران الأرمن الأرثوذكس في الأردن
٤٥	فايز خصاونة	رئيس مجلس أمناء جامعة اليرموك، ومستشار سمو الأمير الحسن، عضو مجلس أمناء المنتدى
٤٦	فواز شرف	وزير سابق، عضو المنتدى
٤٧	فيصل غرايبة	أكاديمي ومستشار اجتماعي، وعضو المنتدى
٤٨	القس ميخائيل ثابت	كاهن في الكنيسة القبطية، وعضو المحكمة الكنائسية للأقباط الأرثوذكس
٤٩	كامل أبو جابر	مدير عام المعهد الملكي للدراسات الدينية، عضو المنتدى

٥٠	كايد هاشم	مساعد أمين عام المنتدى
٥١	لوريس احلاس	سفيرة سابقة، عضو المنتدى
٥٢	ليث نصراوين	أستاذ مساعد في القانون الدستوري، كلية الحقوق/ الجامعة الأردنية، عضو مجلس أمناء المنتدى
٥٣	ماهر المملوك	رئيس شركة سايبيرس كورپوريشن/دبي، عضو مجلس أمناء المنتدى
٥٤	محمد أبو حمور	رئيس مجلس إدارة المجموعة الدولية للاستشارات والتدريب / وزير سابق، عضو مجلس أمناء المنتدى، رئيس لجنة تنمية موارد المنتدى
٥٥	محمد التميمي	أكاديمي وباحث / تركيا
٥٦	محمد الحزماوي	أكاديمي وباحث / فلسطين - قطر
٥٧	محمد المشايخ	مندوب مؤسسة عبد العزيز البابطين للإبداع/ الكويت، في الأردن
٥٨	محمد سلام جميعان	عضو الهيئة الإدارية رابطة الكتاب الأردنيين
٥٩	محمد عزام الخطيب التميمي	مدير أوقاف القدس
٦٠	محمد مصالحة	أستاذ العلوم السياسية، الجامعة الأردنية، وعضو المنتدى
٦١	محمد هاشم غوشة	الرئيس التنفيذي/ دارة القدس للبحوث والتوثيق، عضو المنتدى
٦٢	مروان المعاينة	محام، الأردن
٦٣	المطران مارون لحام	النائب البطريركي اللاتيني العام في الأردن
٦٤	معاوية ابراهيم	معهد الدراسات الشرقية في جامعة فرايبورغ/المانيا، ممثل الأردن لدى منظمة اليونسكو
٦٥	معين خوري	محام وخبير قانوني / القدس
٦٦	موسى بريزات	المفوض العام لحقوق الإنسان/ الأردن، عضو المنتدى
٦٧	موسى شتيوي	مدير عام مركز الدراسات الاستراتيجية / الجامعة الأردنية
٦٨	موسى شحادة	نائب رئيس مجلس الإدارة / مدير عام البنك الإسلامي الأردني، عضو مجلس أمناء المنتدى
٦٩	ميشيل الصايغ	رئيس هيئة المديرين/ شركة مصانع الدهانات ناشونال، عضو مؤازر للمنتدى
٧٠	نائلة الوعري	أكاديمية وباحثة / البحرين
٧١	هشام الخطيب	رئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس، عضو المنتدى
٧٢	هند أبو الشعر	أستاذة التاريخ/كلية الآداب، جامعة آل البيت، عضو المنتدى
٧٣	وجيهة البحارنة	نائب رئيس جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية/ البحرين، عضو مجلس أمناء المنتدى
٧٤	يوسف الحسن	سفير سابق، عضو مجلس أمناء المنتدى/الإمارات
٧٥	يوسف الدجاني	عضو لجنة القدس العليا /مجلس الوزراء الأردني

من ألبوم المؤتمر









مطبوعات المنتدى

أولاً: سلسلة الحوارات العربية العالمية

١ - *Europe and the Arab World* (بالإنجليزية والفرنسية)

تقرير الحوار العربي الأوروبي الأول، ١٩٨٢

٢ - *America and the Middle East*

تقرير الحوار العربي الأمريكي الكندي، ١٩٨٣

٣ - *Palestine, Fundamentalism and Liberalism*

تقرير الحوار مع الأحرار الدوليين، ١٩٨٤

٤ - *Europe and the Security of the Middle East*

تقرير الحوار العربي الأوروبي الثاني، ١٩٨٥

٥ - العرب والصين

مداولات الحوار العربي الصيني حول الحاضر والمستقبل، ١٩٨٦

٦ - المقاومة المدنية في النضال السياسي

مداولات ندوة اللاعنّف في النضال السياسي، ١٩٨٦

٧ - *Arab, Non-Violent Political Struggle in the Middle East*

المحرّرون: رالف كرو، وسعد الدين إبراهيم، وآخرون

٨ - ديجول والعرب

مداولات ندوة شارل ديغول في ذكرى ميلاده المئة، ١٩٨٩

تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم

٩ - العرب واليابان

مداولات الحوار العربي الياباني الأول، ١٩٨٩

١٠ - *Arab-German Relations in the Nineties*

مداولات الحوار العربي الألماني، ١٩٩١

١١ - *Arab-Japanese Dialogue II*

مداولات الحوار العربي الياباني الثاني، ١٩٩١

١٢ - *Arab-Japanese Dialogue III*

مداولات الحوار العربي الياباني الثالث، ١٩٩٢

١٣ - *Arab Immigrants and Muslims in Europe*

الحوار العربي الأوروبي الخامس، ١٩٩٣

١٤ - *Ethics in Economy: Euro-Arab Perspectives*

أخلاقيات الاقتصاد: بحوث ومناقشات ندوة فكرية، ١٩٩٣

- ١٥- التنمية، السياسة الخارجية، الديمقراطية:
ندوة عربية نمساوية، ١٩٩٥
- ١٦- (Euro-Arab Seminar 1995, Amman (1995
- ١٧- (Euro-Arab Seminar 1996, Vienna (1996
- ١٨- العرب والأتراك: الاقتصاد والأمن الإقليمي
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٦
- ١٩- *The Arab World and Turkey*
- ٢٠- دور المنظمات غير الحكومية في تطوير المجتمع الأهلي: أوروبا والأقطار العربية بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٧
- ٢١- *The Role of NGOs in the Development of Civil Society: Europe and the Arab Countries*
- ٢٢- الكلفة البشرية للنزاعات
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٨
- ٢٣- *Human Cost of Conflict*
- ٢٤- *WTO Trading System: Review and Reform*
- ٢٥- التعاون العربي الإيراني: المحاور السياسية والاقتصادية والثقافية
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٩
- ٢٦- آفاق العلاقات العربية الصينية في القرن الحادي والعشرين
بحوث ومناقشات ندوة، ٢٠٠٢
- ٢٧- العرب والصين: آفاق جديدة في الاقتصاد والسياسة
بحوث ومناقشات ندوة، ٢٠٠٦

ثانياً: سلسلة الحوارات العربية

- ١- تجسير الضجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٨٤
- ٢- تجربة مجلس التعاون الخليجي: خطوة أو عقبة في طريق الوحدة العربية
تأليف: أ. عبد الله بشارة، ١٩٨٥
- ٣- التكنولوجيا المتقدمة وفرصة العرب الدخول في مضمارها
مداولات ندوة، ١٩٨٦
- ٤- العائدون من حقول النفط
مداولات ندوة حول التعاون العربي في مجال العمالة، ١٩٨٦
- ٥- الأمن الغذائي العربي
مداولات ندوة، ١٩٨٦
- ٦- القمر الصناعي العربي بين مشكلات الأرض وإمكانات الفضاء
مداولات ندوة، ١٩٨٦
- ٧- إمكانات واستخدامات الشبكة العربية للاتصالات الفضائية
تأليف: د. محمد المقوسي، ١٩٨٦

- ٨- تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم
تأليف: د. علي الدين هلال، ١٩٨٦
- ٩- التعلّم عن بُعد
مداوولات ندوة «التعلّم عن بُعد والجامعة المفتوحة»، ١٩٨٦
- ١٠- الأرصدة والمديونية العربية للخارج
مداوولات ندوة «السياسات البديلة لحماية الأرصدة ومواجهة المديونية»، ١٩٨٧
- ١١- العنف والسياسة في الوطن العربي
مداوولات ندوة، ١٩٨٧
- ١٢- الصحة الإسلامية وهموم الوطن العربي
مداوولات ندوة، ١٩٨٧ (طبعة ثانية ١٩٩٧)
تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم
- ١٣- الإنتلجنسيا العربية
مداوولات ندوة، ١٩٨٨
- ١٤- الأزمة اللبنانية: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية
مداوولات ندوة، ١٩٨٨
- ١٥- التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي
مداوولات ندوة، ١٩٨٩
- ١٦- النظام الإنساني العالمي وحقوق الإنسان في الوطن العربي
مداوولات ندوة، ١٩٨٩
- ١٧- آفاق التعاون العربي في التسعينات
مداوولات ندوة، ١٩٩١
- ١٨- نحو تأسيس نظام عربي جديد
مداوولات ندوة، ١٩٩٢
- ١٩- التنمية البشرية في الوطن العربي
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٣
- ٢٠- اتفاقية غزة - أريحا: الأبعاد الاقتصادية المحتملة
مداوولات ورشة عمل، ١٩٩٣
- ٢١- الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية
مداوولات ندوة فكرية، ١٩٩٤
- ٢٢- *Academic Freedom in Arab Universities*

- ٢٢- الجامعات الخاصة في الدول العربية
مداولات ندوة فكرية، ١٩٩٥
- ٢٤- الغزو العراقي للكويت: الخبرات المستخلصة والخروج من الأزمة
مداولات ندوة، ١٩٩٦
- ٢٥- مواقف الفكر العربي من التغيرات الدولية: الديمقراطية والعودة
تأليف: د. علي أومليل، ١٩٩٨
- ٢٦- التصور العربي للسلام
مداولات ندوة، ١٩٩٧
- ٢٧- تطوير البنية المالية التحتية في الوطن العربي
تحرير: د. عبد الرحمن صبري، ١٩٩٩
- ٢٨- النظام العربي... إلى أين؟
مداولات ندوة، ٢٠٠٠
- ٢٩- أسواق النفط والمال... إلى أين؟
مداولات ندوة، ١٩٩٩
- ٣٠- حل النزاعات العربية بالطرق السلمية
مداولات ندوة، ١٩٩٩
- ٣١- تطوير سياسات الطاقة الداخلية وعلاقتها بقطاع المياه في الوطن العربي
مداولات ندوة، ٢٠٠٠
- ٣٢- *Domestic Energy Politcies in the Arab World*
- ٣٣- آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية
مداولات ندوة، ٢٠٠١
- ٣٤- الثقافة العربية الإسلامية: أمن وهوية
مداولات ندوة، ٢٠٠٢
- ٣٥- الخطاب العربي: المضمون والأسلوب
مداولات ندوة، ٢٠٠٢
- ٣٦- أسس تقدم الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين
مداولات ندوة، ٢٠٠٢
- ٣٧- الشباب العربي وتحديات المستقبل
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٤

٣٨- الوسطية بين التنظير والتطبيق
مداولات ندوة، ٢٠٠٥

٣٩- الفكر العربي في عالم سريع التغير
مداولات ندوة، ٢٠٠٧

٤٠- الشباب العربي في المهجر
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٧

٤١- دولة السلطة وسلطة الدولة
مداولات ندوة، ٢٠٠٧

٤٢- المرأة العربية: آفاق المستقبل
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٨

٤٣- المواطنة في الوطن العربي
مداولات ندوة، ٢٠٠٨

٤٤- نحو تطوير مؤسسات العمل الشبابي العربي
مداولات ندوة، ٢٠٠٨

٤٥- القدس في الضمير
مداولات ندوة، ٢٠٠٩

٤٦- الأزمة الاقتصادية العالمية وتداعياتها في الوطن العربي
مداولات ندوة، ٢٠٠٩

٤٧- قضايا المياه: عربياً وإقليمياً
مداولات ندوة، ٢٠١٠

٤٨- الشباب وظاهرة العنف
مداولات مؤتمر، ٢٠١٠

٤٩- المستقبل العربي في ضوء الحراك الشبابي
مداولات مؤتمر، ٢٠١٢

ثالثاً: سلسلة «القدس في الضمير»

١- الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس: ١- الأبعاد القانونية والإنسانية، ومستقبل القدس
مداولات مؤتمر، ٢٠١٤

٢- الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس: ٢- الأبعاد التاريخية، مصادر التوثيق، والتراث المقدسي المهتد
مداولات مؤتمر، ٢٠١٤

رابعاً : سلسلة المترجمات العالمية

١- التصحر

تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٦

٢- المجاعة

تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٦

٢- ثورة حفاة الأقدام

تأليف: برتراند شنايدر/ أمين عام نادي روما السابق، ١٩٨٧

ترجمة: منتدى الفكر العربي

٤- أطفال الشوارع

تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٧

ترجمة: منتدى الفكر العربي

خامساً : سلسلة دراسات الوطن العربي

١- المأزق العربي

تحرير: د. لطفى الخولي، ١٩٨٦

٢- تقرير حالة الأمة العربية في عام ١٩٨٨

٢- تقرير حالة الأمة العربية في عام ١٩٨٩

٤- الدولة القطرية وإمكانيات قيام دولة الوحدة العربية

تحرير: د. فهد الفانك، ١٩٨٩

٥- مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي

تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٨٩

٦- كراس اتفاقية مجلس التعاون العربي (بالإنجليزية)، ١٩٨٩

٧- مصر والوطن العربي

تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٩٠

٨- العقل السياسي العربي

تأليف: د. محمد عابد الجابري

٩- التسوية: الشروط، والمضمون، والآثار

تأليف: د. غسان سلامة، ١٩٩٥

١٠- التنمية العربية: من قصور الماضي إلى هاجس المستقبل

تأليف: د. يوسف صايغ، ١٩٩٦

١١- تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية

تأليف: د. فتح الله ولعلو، ١٩٩٦

١٢- القطاع الخاص ومستقبل التعاون العربي المشترك
تأليف: د. الشاذلي العياري، ١٩٩٦

١٣- التعليم العالي في البلدان العربية: السياسات والآفاق
مداولات ومناقشات ندوة فكرية، ١٩٩٥

سادساً: سلسلة الدراسات والبحوث الاستراتيجية

١- السياسات التعليمية في وادي النيل والصومال وجيبوتي
تأليف: دة. أماني قنديل، ١٩٨٩

٢- السياسات التعليمية في المشرق العربي
تأليف: دة. سعاد خليل إسماعيل، ١٩٨٩

٢- مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم وآخرون، ١٩٨٩

٤- الأمية في الوطن العربي

تأليف: أ. هاشم أبو زيد، ١٩٨٩

٥- التعليم العالي في الوطن العربي

تأليف: د. صبحي القاسم، ١٩٩٠

٦- سياسات التعليم في دول المغرب العربي

تأليف: د. محمد عابد الجابري، ١٩٩٠

٧- سياسات التعليم في دول الخليج العربية

تأليف: د. محمد جواد رضا، ١٩٩٠

٨- التربية العربية منذ ١٩٥٠: إنجازاتها ومشكلاتها وتحدياتها

تأليف: د. نائير سارة، ١٩٩٠

٩- احتياجات الوطن العربي المستقبلية من القوى البشرية

تأليف: د. أنطوان زحلان، ١٩٩٠

١٠- كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟

تأليف: د. ضياء الدين زاهر، ١٩٩٠

١١- تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين: الكارثة أو الأمل (التقرير التلخيصي لمشروع

مستقبل التعليم في الوطن العربي)

تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٩١

سابعاً : سلسلة اللقاءات الشهرية

- ١- اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٣ (٢٠٠٤)
- ٢- اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٤ (٢٠٠٥)
- ٣- اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٥ (٢٠٠٦)
- ٤- بين الأقلمة والعودة: آراء واجتهادات وحوارات في عالم مضطرب (٢٠٠٦)

ثامناً : سلسلة دراسات المنتدى

- ١- العمل العربي المشترك: آمال وعقبات ونتائج
تأليف: د. محيي الدين سليمان المصري، ٢٠٠٤
- ٢- المجتمع المدنيّ وتحولات الديمقراطية في الوطن العربيّ
تأليف: د. الحبيب الجنحاني، ٢٠٠٦
- ٣- الحكم الاقتصادي العلمي والصدمة الارتدادية
تأليف: أ. د. حميد الجميلي، ٢٠١٢

تاسعاً : سلسلة كراسات المنتدى

- ١- ثلاث رسائل مفتوحة إلى الشباب العربي
الحسن بن طلال، ط١؛ شباط/ فبراير ٢٠٠٥
ط٢؛ ١٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٨
- ٢- حقائق عن النفط
كمال القيسي، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥
- ٣- قضايا شبابية
د. محمود قطام السرحان، ط١؛ آذار/ مارس، ٢٠٠٦
ط٢؛ ١ تموز/ يوليو ٢٠٠٨
- ٤- التوثيق ما بين الموروث التاريخي والواقع المعاصر
د. سعد أبو دية، أيلول/ سبتمبر، ٢٠٠٦
- ٥- شذرات شبابية
أ. د. همام غصيب، ١ تموز/ يوليو ٢٠٠٨
- ٦- حول المواطنة في الوطن العربيّ
الحسن بن طلال، ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨
- ٧- القدس في الضمير
الحسن بن طلال، ط١؛ ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٩
ط٢؛ ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٩
- ٨- سُبُل النهوض بالبحث العلمي في الوطن العربيّ
أ. د. همام غصيب، ٣٠ نيسان/ إبريل ٢٠٠٩

عاشراً: سلسلة كتاب المنتدى

- ١- الوسيطية: أبعاد في التراث والمعاصرة
إشراف وتقديم: الأمير الحسن بن طلال، ٢٠٠٦
- ٢- الجدار الأخير: نظرات في الثقافة العربية
تأليف: أ. د. صلاح جرّار، ٢٠٠٦
- ٢- مرايا في الفكر المعاصر: حوارات مع نخبة من المفكرين العرب
يوسف عبد الله محمود، ٢٠٠٧
- ٤- اللغة العربية والإعلام وكتاب النصّ
مداولات ندوة، ٢٠٠٧
- ٥- إدوارد سعيد: المثقف الكونيّ
مداولات ندوة، ٢٠٠٨
- ٦- الثقافة وأزمة الهوية العربية
أ. د. محمد عبد العزيز ربيع، ٢٠١٠
- ٧- الحدّاث والحريّة
أ. د. الحبيب الجنحاني، ٢٠١٠
- ٨- قضايا في الفكر والتفكير عند العرب
أ. حسن سعيد الكرمي، ٢٠١٢

حادي عشر: سلسلة كتاب النهضة

- ١- الحركة العربية (سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤)
سليمان الموسى، ٢٠١٢

ثاني عشر: إصدارات خاصة

- ١- في الفكر العربيّ النهضويّ
الأمير الحسن بن طلال وليفيف من أعضاء المنتدى، ٢٠٠٦
- ٢- استلهام ابن خلدون والفكر الاجتهادي
أبو يعرب المرزوقي، ٢٠٠٧
- ٢- شبايبات، ٢٠٠٨
- ٤- استراتيجية عمل للسنوات الخمس المقبلة (٢٠١٠-٢٠١٥)
- ٥- أزمة الفكر والهوية العربية وعلاقتها بالقصور التنمويّ
أ. د. جورج فرم
- ٦- المؤتمرات الشبايبية: خلاصات وتقارير (٢٠٠٤-٢٠١٠)، ٢٠١٢
- ٧- مقالات مختارة/ منجاة الأمة: رؤى لاشرف المستقبل العربي، ٢٠١٢
الحسن بن طلال

٨- الفكر العربي وسيرورة النهضة، ٢٠١٢

الحسن بن طلال

٩- الميثاق الاجتماعي العربي، ٢٠١٢

ثالث عشر: الكشافات / نشرة ومجلة / المنتدى

١- الكشاف التراكمي للأعداد ١- ١٧١ (١٩٨٥-١٩٩٩) لنشرة / المنتدى

إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

Al Muntada: Cumulative Index (Issues 1-30) Compiled by Amal M. Zash -٢

٢- الكشاف السنوي للأعداد (١٧٢-١٨٣) لعام ٢٠٠٠

إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

AL Muntada: Annual Index (31-34) -٤

إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

٥- الكشاف السنوي للأعداد (١٨٤-١٩٥) لعام ٢٠٠١

إعداد: أمل محمد زاش

Al Muntada: Annual Index (35 - 48) 2001 -٦

إعداد: أمل محمد زاش

٧- الكشاف السنوي للأعداد (١٩٦-٢٠٧) لعام ٢٠٠٢

إعداد: أمل محمد زاش

Al Muntada: Annual Index (39-42) 2002 -٨

إعداد: أمل محمد زاش

٩- الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٠٧-٣١٢) لعام ٢٠٠٣

إعداد: أمل محمد زاش

١٠- الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢١٤-٢١٩) لعام ٢٠٠٤

إعداد: أمل محمد زاش

١١- الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٢٠-٢٢٥) لعام ٢٠٠٥

إعداد: أمل محمد زاش

١٢- الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٢٦-٢٣١) لعام ٢٠٠٦

إعداد: أمل محمد زاش